الآية : 78

القول في تأويل قوله تعالى: {قَالَ هَـذَا فِرَاقُ بَيْنِي وَبَيْنِكَ سَأُنَبِّئُكَ بِتَأْوِيلِ مَا لَمْ تَسْتَطِع عَّلَيْهِ صَبْراً }.

القول في تأويل قوله تعالى: {أَمّا السّفِينَةُ فَكَانَتْ لِمَسَاكِينَ يَعْمَلُونَ فِي الْبَحْرِ فَأَرَدتّ أَنْ أَعِيبَهَا وَكَانَ وَرَآءَهُم مّلِكٌ يَأْخُذُ كُلّ سَفِينَةٍ غَصْباً }.

يقول: أما فِعْلي ما فعلت بالسفينة, فلأنها كانت لقوم مساكين يَعْمَلُونَ فِي البَحْرِ فأَرَدْتُ أنْ أعِيبَها بالخَرق الذي خرقتها, كما:

17524ـ حدثني محمد ابن عمرو, قال: حدثنا أبو عاصم, قال: حدثنا عيسى, عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد في قول الله عزّ وجلّ: فأَرَدْتُ أنْ أعِيبَها قال: أخرقها.

حدثنا الحارث, قال: حدثنا الحسن, قال: حدثنا ورقاء, عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد, مثله.

حدثنا القاسم, قال: حدثنا الحسين, قال: ثني حجاج, عن ابن جريج, عن مجاهد مثله.

وقوله: وكانَ وَرَاءَهُمْ مَلِكٌ يَأْخُذُ كُلّ سَفِينَةٍ غَصْبا وكان أمامهم وقُدّامهم ملك. كما:

17525ـ حدثنا الحسن بن يحيى, قال: أخبرنا عبد الرزاق, قال: أخبرنا معمر, عن قتادة: وكانَ وَرَاءَهُمْ مَلِكٌ قال قتادة: أمامهم, ألا ترى أنه يقول: مِنْ وَرَائِهِمْ جَهَنَمُ وهي بين أيديهم.

17526ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة, قال: كان في القرآن: وكان أمامهم ملك يأخذ كل سفينة صحيحة غصبا. وقد ذُكر عن ابن عيينة, عن عمرو, عن سعيد بن جبير, عن ابن عباس أنه قرأ ذلك: وكان أمامهم ملك.

قال أبو جعفر: وقد جعل بعض أهل المعرفة بكلام العرب «وراء» من حروف الأضداد, وزعم أنه يكون لما هو أمامه ولما خلفه, واستشهد لصحة ذلك بقول الشاعر:

أيَرْجُو بَنُو مَرْوَانَ سَمْعي وطاعَتِيوَقَوْمي تَمِيمٌ والفَلاةُ وَرَائيَا

بمعنى أمامي, وقد أغفل وجه الصواب في ذلك. وإنما قيل لما بين يديه: هو ورائي, لأنك من ورائه, فأنت ملاقيه كما هو ملاقيك, فصار: إذ كان ملاقيك, كأنه من ورائك وأنت أمامه. وكان بعض أهل العربية من أهل الكوفة لا يجيز أن يقال لرجل بين يديك: هو ورائي, ولا إذا كان وراءك أن يقال: هو أمامي, ويقول: إنما يجوز ذلك في المواقيت من الأيام والأزمنة كقول القائل: وراءك برد شديد, وبين يديك حرّ شديد, لأنك أنت وراءه, فجاز لأنه شيء يأتي, فكأنه إذا لحقك صار من ورائك, وكأنك إذا بلغته صار بين يديك, قال: فلذلك جاز الوجهان.

وقوله: يَأْخُذُ كُلّ سَفِينَةٍ غَصْبا فيقول القائل: فما أغنى خَرْق هذا العالم السفينة التي ركبها عن أهلها, إذ كان من أجل خرقها يأخذ السفن كلها, مَعِيبها وغير معيبها, وما كان وجه اعتلاله في خرقها بأنه خرقها, لأن وراءهم ملك يأخذ كلّ سفينة غصبا؟ قيل: إن معنى ذلك, أنه يأخذ كل سفينة صحيحة غصبا, ويدع منها كلّ معيبة, لا أنه كان يأخذ صحاحها وغير صحاحها.

فإن قال: وما الدليل على أن ذلك كذلك؟ قيل: قوله: فأَرَدْتُ أنْ أعِيبَها فأبان بذلك أنه إنما عابها, لأن المعيبة منها لا يعرض لها, فاكتفى بذلك من أن يقال: وكان وراءهم ملك يأخذ كلّ سفينة صحيحة غصبا على أن ذلك في بعض القراءات كذلك.

17527ـ حدثنا الحسن بن يحيى, قال: أخبرنا عبد الرزاق, قال: أخبرنا معمر, عن قتادة, قال: هي في حرف ابن مسعود: «وكان وراءهم ملك يأخذ كلّ سفينة صالحة غصبا».

17528ـ حدثنا ابن حميد, قال: حدثنا سلمة, عن ابن إسحاق, قال: ثني الحسن بن دينار, عن الحكم بن عيينة, عن سعيد بن جبير, عن ابن عباس, قال: في قراءة أبي: «وكان وراءهم ملك يأخذ كلّ سفينة صالحة غصبا». وإنما عبتها لأردّه عنها.

17529ـ حدثنا القاسم, قال: حدثنا الحسين, قال: ثني حجاج, عن ابن جريج وكانَ وَرَاءَهُمْ مَلِكٌ يَأْخُذُ كُلّ سَفِينَةٍ غَصْبا فإذا خلفوه أصلحوها بزفت فاستمتعوا بها. قال ابن جريج: أخبرني وهب بن سليمان, عن شعيب الجَبَائِي, أن اسم الرجل الذي يأخذ كلّ سفينة غصبا: هُدَدُ بنُ بُدد.

الآية : 79

القول في تأويل قوله تعالى: {قَالَ هَـذَا فِرَاقُ بَيْنِي وَبَيْنِكَ سَأُنَبّئُكَ بِتَأْوِيلِ مَا لَمْ تَسْتَطِع عّلَيْهِ صَبْراً }.

القول في تأويل قوله تعالى: {أَمّا السّفِينَةُ فَكَانَتْ لِمَسَاكِينَ يَعْمَلُونَ فِي الْبَحْرِ فَأَرَدتّ أَنْ أَعِيبَهَا وَكَانَ وَرَآءَهُم مّلِكٌ يَأْخُذُ كُلّ سَفِينَةٍ غَصْباً }.

يقول: أما فِعْلي ما فعلت بالسفينة, فلأنها كانت لقوم مساكين يَعْمَلُونَ فِي البَحْرِ فأَرَدْتُ أنْ أعِيبَها بالخَرق الذي خرقتها, كما:

17524ـ حدثني محمد ابن عمرو, قال: حدثنا أبو عاصم, قال: حدثنا عيسى, عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد في قول الله عزّ وجلّ: فأَرَدْتُ أنْ أعِيبَها قال: أخرقها.

حدثنا الحارث, قال: حدثنا الحسن, قال: حدثنا ورقاء, عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد, مثله.

حدثنا القاسم, قال: حدثنا الحسين, قال: ثني حجاج, عن ابن جريج, عن مجاهد مثله.

وقوله: وكانَ وَرَاءَهُمْ مَلِكٌ يَأْخُذُ كُلّ سَفِينَةٍ غَصْبا وكان أمامهم وقُدّامهم ملك. كما:

17525ـ حدثنا الحسن بن يحيى, قال: أخبرنا عبد الرزاق, قال: أخبرنا معمر, عن قتادة: وكانَ وَرَاءَهُمْ مَلِكٌ قال قتادة: أمامهم, ألا ترى أنه يقول: مِنْ وَرَائِهِمْ جَهَنَمُ وهي بين أيديهم.

17526ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة, قال: كان في القرآن: وكان أمامهم ملك يأخذ كل سفينة صحيحة غصبا. وقد ذُكر عن ابن عيينة, عن عمرو, عن سعيد بن جبير, عن ابن عباس أنه قرأ ذلك: وكان أمامهم ملك.

قال أبو جعفر: وقد جعل بعض أهل المعرفة بكلام العرب «وراء» من حروف الأضداد, وزعم أنه يكون لما هو أمامه ولما خلفه, واستشهد لصحة ذلك بقول الشاعر:

أَيَرْجُو بَنُو مَرْوَانَ سَمْعي وطاعَتِيوَقَوْمي تَمِيمٌ والفَلاةُ وَرَائيَا

بمعنى أمامي, وقد أغفل وجه الصواب في ذلك. وإنما قيل لما بين يديه: هو ورائي, لأنك من ورائه, فأنت ملاقيه كما هو ملاقيك, فصار: إذ كان ملاقيك, كأنه من ورائك وأنت أمامه. وكان بعض أهل العربية من أهل الكوفة لا يجيز أن يقال لرجل بين يديك: هو ورائي, ولا إذا كان وراءك أن يقال: هو أمامي, ويقول: إنما يجوز ذلك في المواقيت من الأيام والأزمنة كقول القائل: وراءك برد شديد, وبين يديك حرّ شديد, لأنك أنت وراءه, فجاز لأنه شيء يأتي, فكأنه إذا لحقك صار من ورائك, وكأنك إذا بلغته صار بين يديك. قال: فلذلك جاز الوجهان.

وقوله: يَأْخُذُ كُلّ سَفِينَةٍ غَصْبا فيقول القائل: فما أغني خَرْق هذا العالم السفينة التي ركبها عن أهلها, إذ كان من أجل خرقها يأخذ السفن كلها, مَعِيبها وغير معيبها, وما كان وجه اعتلاله في خرقها بأنه خرقها, لأن وراءهم ملك يأخذ كلّ سفينة غصبا؟ قيل: إن معنى ذلك, أنه يأخذ كل سفينة صحيحة غصبا, ويدع منها كلّ معيبة, لا أنه كان يأخذ صحاحها وغير صحاحها. فإن قال: وما الدليل على أن ذلك كذلك؟ قيل: قوله: فأَرَدْتُ أنْ أعِيبَهَا فأبان بذلك أنه إنما عابها, لأن المعيبة منها لا يعرض لها, فاكتفى بذلك من أن يقال: وكان وراءهم ملك يأخذ كلّ سفينة صحيحة غصبا على أن ذلك في بعض القراءات كذلك.

17527ـ حدثنا الحسن بن يحيى, قال: أخبرنا عبد الرزاق, قال: أخبرنا معمر, عن قتادة, قال: هي في حرف ابن مسعود: «وكان وراءهم ملك يأخذ كلّ سفينة صالحة غصبا».

17528ـ حدثنا ابن حميد, قال: حدثنا سلمة, عن ابن إسحاق, قال: ثني الحسن بن دينار, عن الحكم بن عيينة, عن سعيد بن جبير, عن ابن عباس, قال: في قراءة أبي: «وكان وراءهم ملك يأخذ كلّ سفينة صالحة غصبا». وإنما عبتها لأردّه عنها.

17529ـ حدثنا القاسم, قال: حدثنا الحسين, قال: ثني حجاج, عن ابن جريج وكانَ وَرَاءَهُمْ مَلِكٌ يَأْخُذُ كُلّ سَفِينَةٍ غَصْبا فإذا خلفوه أصلحوها بزفت فاستمتعوا بها. قال ابن جريج: أخبرني وهب بن سليمان, عن شعيب الجَبَائِي, أن اسم الرجل الذي يأخذ كلّ سفينة غصبا: هُدَدُ بنُ بُدد.

الآية : 80 و 81

القول في تأويل قوله تعالى: {وَأَمّا الْغُلاَمُ فَكَانَ أَبَوَاهُ مُؤْمِنَيْنِ فَخَشِينَآ أَن يُرْهِقَهُمَا طُغْيَاناً وَكُفْراً * فَأَرَدْنَآ أَن يُبْدِلَهُمَا رَبّهُمَا خَيْراً مّنْهُ زَكَاةً وَأَقْرَبَ رُحْماً }.

يقول تعالى ذكره: وأما الغلام, فإنه كان كافرا, وكان أبواه مؤمنين, فعلمنا أنه يرهقهما. يقول: يغشيهما طغيانا, وهو الاستكبار على الله, وكفرا به. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. وقد ذُكر ذلك في بعض الحروف. وأما الغلام فكان كافرا. ذكر من قال ذلك:

17530ـ حدثنا الحسن بن يحيى, قال: أخبرنا عبد الرزاق, قال: أخبرنا معمر, عن قتادة: «وأمّا الغُلامُ فَكانَ كافِرا» في حرف أبـيّ, وكان أبواه مؤمنين فأَرَدْنَا أَنْ يُبْدِلَهُمَا رَبّهُمَا خَيْرا مِنْهُ زَكَاةً وَأَقْرَبَ رُحْما.

17531ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة وَأمّا الغُلامُ فَكانَ أبَوَاه مُؤْمِنَيْنِ وكان كافرا بعض القراءة. وقوله: فَخَشِينا وهي في مصحف عبد الله: «فَخَافَ رَبّكَ أَنْ يُرْهِقَهُما طُغْيانا وكُفْرا».

17532ـ حدثنا عمرو بن عليّ, قال: حدثنا أبو قتيبة, قال: حدثنا عبد الجبار بن عباس الهمْداني, عنا بن إسحاق, عن سعيد بن جبير, عن ابن عباس, عن أبيّ بن كعب أن رسول الله صلى الله عليه وسلم: «الغُلامُ الّذِي قَتَلَهُ الخَضِرُ طُبِعَ يَوْمَ طُبِعَ كافِرا».

والخشية والخوف توجههما العرب إلى معنى الظنّ, وتوجه هذه الحروف إلى معنى العلم بالشيء الذي يُدرك من غير جهة الحسّ والعيان. وقد بيّنا ذلك بشواهده في غير هذا الموضع, بما أغنى عن إعادته.

وكان بعض أهل العربية من أهل البصرة يقول: معنى قوله خَشِينا في هذا الموضع: كرهنا, لأنّ الله لا يخشَى. وقال في بعض القراءات: فخاف ربكُ, قال: وهو مثل خفت الرجلين أن يعولا, وهو لا يخاف من ذلك أكثر من أنه يكرهه لهما.

وقوله: فأَرَدْنَا أَنْ يُبْدِلَهُمَا رَبّهُمَا: اختلفت القرّاء في قراءة ذلك, فقرأه جماعة من قرّاء المكيين والمدنيين والبصريين: «فأَرَدْنَا أَنْ يُبْدِلَهُمَا رَبّهُمَا». وكان بعضهم يعتلّ لصحة ذلك بأنه وجد ذلك مشدّدا في عامّة القرآن, كقول الله عزّ وجلّ: فَبَدّلَ الّذِينَ ظَلَمُوا, وقوله: وَإذَا بَدّلْنا آيَةً مَكانَ آيَةٍ, فألحق قوله: فأَرَدْنَا أَنْ يُبْدِلَهُمَا بِه. وقرأ ذلك عامّة قرّاء الكوفة: فأَرَدْنَا أَنْ يُبْدِلَهُمَا بتخفيف الدال. وكان بعض من قرأ ذلك كذلك من أهل العربية يقول: أبدل يُبْدِل بالتخفيف وبَدّل يُبدّل بالتشديد: بمعنى واحد.

والصواب من القول في ذلك عندي: أنهما قراءتان متقاربتا المعنى, قد قرأ بكلّ واحدة منهما جماعة من القرّاء, فبأيتهما قرأ القارىء فمصيب. وقيل: إن الله عزّ وجلّ أبدل أبَوَي الغلام الذي قتله صاحب موسى منه بجارية. ذكر من قال ذلك:

17533ـ حدثني يعقوب, قال: حدثنا هاشم بن القاسم, قال: حدثنا المبارك بن سعيد, قال: حدثنا عمرو بن قيس في قوله: فأَرَدْنَا أَنْ يُبْدِلَهُمَا رَبّهُمَا خَيْرا مِنْهُ زَكَاةً وَأَقْرَبَ رُحْما قال: بلغني أنها جارية.

17534ـ حدثنا القاسم, قال: حدثنا الحسين, قال: ثني حجاج, قال: قال ابن جريج, أخبرني سليمان بن أميّة أنه سمع يعقوب بن عاصم يقول: أَبْدِلاَ مكان الغلام جارية.

17535ـ قال ابن جريج: وأخبرني عبد الله بن عثمان بن خُثَيم, أنه سمع سعيد بن جبير يقول: أبدلا مكان الغلام جارية.

وقال آخرون: أبدلهما ربهما بغلام مسلم. ذكر من قال ذلك:

17536ـ حدثنا القاسم, قال: حدثنا الحسين, قال: ثني حجاج فأَرَدْنَا أَنْ يُبْدِلَهُمَا رَبّهُمَا خَيْرا مِنْهُ زَكَاةً وَأَقْرَبَ رُحْما قال: كانت أمه حُبلى يومئذ بغلام مسلم.

17537ـ حدثنا القاسم, قال: حدثنا الحسين, قال: حدثنا أبو سفيان, عن معمر, عن قتادة, أنه ذكر الغلام الذي قتله الخضر, فقال: قد فرح به أبواه حين ولد وحزنا عليه حين قتل, ولو بقي كان فيه هلاكهما, فليرض امرؤ بقضاء الله, فإن قضاء الله للمؤمن فيماط يكره خير له من قضائه فيما يحبّ.

وقوله: خَيْرا مِنْهُ زَكاةً يقول: خيرا من الغلام الذي قتله صلاحا ودينا, كما:

17538ـ حدثنا القاسم, قال: حدثنا الحسين, قال: ثني حجاج, عن ابن جريج, قوله: فأَرَدْنَا أَنْ يُبْدِلَهُمَا رَبّهُمَا خَيْرا مِنْهُ زَكَاةً قال: الإسلام.

وقوله: وأَقْرَبَ رُحْما اختلف أهل التأويل في تأويله, فقال بعضهم: معنى ذلك: وأقرب رحمة بوالديه وأبرّ بهما من المقتول. ذكر من قال ذلك:

17539ـ حدثنا الحسن بن يحيى, قال: أخبرنا عبد الرزاق, قال: أخبرنا معمر عن قتادة وأقْرَبَ رُحْما: أبرّ بوالديه.

حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سيعد, عن قتادة وأقْرَبَ رُحْما أي أقرب خيرا.

وقال آخرون: بل معنى ذلك: وأقرب أن يرحمه أبواه منهما للمقتول. ذكر من قال ذلك:

17540ـ حدثنا القاسم, قال: حدثنا الحسين, قال: ثني حجاج, عن ابن جريج وأقْرَبَ رُحْما أرحم به منهما بالذي قتل الخضر.

وكان بعض أهل العربية يتأوّل ذلك: وأقرب أن يرحماه والرّحْم: مصدر رحمت, يقال: رَحِمته رَحْمة ورُحما. وكان بعض البصريين يقول: من الرّحِم والقرابة. وقد يقال: رُحْم ورُحُم مثل عُسْر وعُسُر, وهُلْك وهُلُك, واستشهد لقوله ذلك ببيت العجاج:

ولَمْ تُعَوّجْ رُحْمُ مَنْ تَعَوّجا

ولا وجه للرّحيم في هذا الموضع. لأن المقتول كان الذي أبدل الله منه والديه ولدا لأبوي المقتول, فقرابتهما من والديه, وقربهما منه في الرّحيم سواء. وإنما معنى ذلك: وأقرب من المقتول أن يرحم والديه فيبرهما كما قال قتادة. وقد يتوجه الكلام إلى أن يكون معناه. وأقرب أن يرحماه, غير أنه لا قائل من أهل تأويل تأوّله كذلك. فإذ لم يكن فيه قائل, فالصواب فيه ما قلنا لما بيّنا.

الآية : 82

القول في تأويل قوله تعالى: {وَأَمّا الْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلاَمَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِي الْمَدِينَةِ وَكَانَ تَحْتَهُ كَنزٌ لّهُمَا وَكَانَ أَبُوهُمَا صَالِحاً فَأَرَادَ رَبّكَ أَن يَبْلُغَآ أَشُدّهُمَا وَيَسْتَخْرِجَا كَنزَهُمَا رَحْمَةً مّن رّبّكَ وَمَا فَعَلْتُهُ عَنْ أَمْرِي ذَلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِع عّلَيْهِ صَبْراً }.

يقول تعالى ذكره مخبرا عن قول صاحب موسى: وأما الحائط الذي أقمته, فإنه كان لغلامين يتيمين في المدينة, وكان تحته كنزلهما.

اختلف أهل التأويل في ذكل الكنز, فقال بعضهم: كان صُحُفا فيها علِم مدفونة. ذكر من قال ذلك:

17541ـ حدثني محمد بن سعد, قال: ثني أبي, قال: ثني عمي, قال: ثني أبي, عن أبيه, عن ابن عباس وكانَ تَحْتَهُ كَنْزٌ لَهُما قال: كان تحته كنْزُ علم.

17542ـ حدثنا يعقوب, قال: حدثنا هشيم, قال: أخبرنا حصين, عن سعيد بن جبير: وكانَ تَحْتَهُ كَنْزٌ لَهُما قال: كان كنز علم.
حدثنا محمد بن بشار, قال: حدثنا عبد الرحمن, قال: حدثنا سفيان, عن أبي حصين, عن سعيد بن جبير وكانَ تَحْتَهُ كَنْزٌ لَهُما قال: علم.
حدثنا محمد بن المثنى, قال: حدثنا أبو داود, قال: حدثنا شعبة, عن أبي حصين, عن سعيد بن جبير وكانَ تَحْتَهُ كَنْزٌ لَهُما قال: علم.
17543ـ حدثني محمد بن عمرو, قال: حدثنا أبو عاصم, قال: حدثنا عيسى وحدثني الحارث, قال: الحسن, قال: حدثنا ورقاء, جميعا عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد, قوله وكانَ تَحْتَهُ كَنْزٌ لَهُما قال: صحف لغلامين فيها علم.
حدثنا القاسم, قال: حدثنا الحسين, قال: ثني حجاج, عن ابن جريج, عن مجاهد, قال: صحف علم.
17544ـ حدثني أحمد بن حازم الغفاريّ, قال: حدثنا هنادة ابنة مالك الشيبانية, قالت: سمعت صاحبي حماد بن الوليد الثقفي يقول: سمعت جعفر بن محمد يقول في قول الله عزّ وجلّ: وكانَ تَحْتَهُ كَنْزٌ لَهُما قال: سطران ونصف, لم يتمّ الثالث: «عجبت للموقن بالرزق كيف يتعب, وعجبت للموقن بالحساب كيف يغفل, وعجبت للموقن بالموت كيف يفرح» وقد قال: وَإنْ كانَ مِثْقالَ حَبّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ أتَيْنا بِها وَكَفى بِنا حاسِبِينَ قالت: وذكر أنهما حُفِظا بصلاح أبيهما, ولم يذكر منهما صلاح, وكان بينهما وبين الأب الذي حُفظا به سبعة آباء, كان نساجا.
17545ـ حدثني يعقوب, قال: حدثنا الحسن بن ندبة, قال: حدثنا سلمة بن محمد, عن نعيم العنبريّ, وكان من جُلساء الحسن, قال: سمعت الحسن يقول في قوله: وكانَ تَحْتَهُ كَنْزٌ لَهُما قال: لوح من ذهب مكتوب فيه: «بسم الله الرحمَن الرحيم: عجبت لمن يؤمن كيف يحزن وعجبت لمن يوقن بالموت كيف يفرح وعجبت لمن يعرف الدنيا وتقلبها بأهلها, كيف يطمئنّ إليها لا إله إلا الله, محمد رسول الله».
حدثنا ابن حميد, قال: حدثنا سلمة, قال: ثني ابن إسحاق, عن الحسن بن عمارة, عن الحكم, عن سعيد بن جبير, عن ابن عباس أنه كان يقول: ما كان الكنز إلا علْما.
حدثنا الحسن بن يحيى, قال: أخبرنا عبد الرزاق, قال: أخبرنا ابن عيينة, عن حميد, عن مجاهد, في قوله وكانَ تَحْتَهُ كَنْزٌ لَهُما قال: صُحُف من علم.
17546ـ حدثني يونس, قال: أخبرنا ابن وعب, قال: أخبرني عبد الله بن عياش, عن عمر مولى غُفْرة, قال: إن الكنز الذي قال الله في السورة التي يذكر فيها الكهف وكانَ تَحْتَهُ كَنْزٌ لَهُما قال: كان لوحا من ذهب مصمت, مكتوبا فيه: بسم الله الرحمَن الرحيم. عَجَبٌ ممن عرف الموت ثم ضحك, عَجَبٌ ممن أيقن بالقدر ثم نَصِب, عَجَبٌ ممن أيقن بالموت ثم أمن, أشهد أن لا إله إلا الله, وأن محمدا عبده ورسوله.
وقال آخرون: بل كان مالاً مكنوزا. ذكر من قال ذلك:
17547ـ حدثني يعقوب, قال: حدثنا هشام, قال: أخبرنا حصين, عن عكرمة وكانَ تَحْتَهُ كَنْزٌ لَهُما قال: كنز مال.

حدثنا ابن بشار, قال: حدثنا عبد الرحمن, قال: حدثنا سفيان, عن أبي حصين, عن عكرمة, مثله.

حدثنا ابن المثنى, قال: حدثنا أبو داود, عن شعبة, قال: أخبرني أبو حُصَين, عن عكرمة, مثله, قال شعبة: ولم نسمعه منه.

17548ـ حدثنا الحسن بن يحيى, قال: أخبرنا عبد الرزاق, قال: أخبرنا معمر, عن قتادة وكانَ تَـحْتَهُ كَنْزٌ لَهُما قال: مال لهما, قال قتادة: أُحِلّ الكنز لمن كان قبلنا, وحُرّم علينا, فإن الله يُحلّ من أمره ما يشاء, ويحرّم, وهي السنن والفرائض, ويحلّ لأمة, ويحرّم على أخرى, لكنّ الله لا يقبل من أحد مضى إلا الإخلاص والتوحيد له.

وأولى التأويلين في ذلك بالصواب: القول الذي قاله عِكْرمة, لأن المعروف من كلام العرب أن الكنز اسم لما يكنز من من مال, وأن كلّ ما كنز فقد وقع عليه اسم كنز, فإن التأويل مصروف إلى الأغلب من استعمال المخاطبين بالتنزيل, ما لم يأت دليل يجب من أجله صرفه إلى غير ذلك, لعلل قد بيّناها في غير موضع.

وقوله: وكان أبُوهُما صَالِحا فأرَادَ رَبّكَ أنْ يَبْلُغا أشُدّهُما يقول: فأراد ربك أن يدركا ويبلغا قوتهما وشدّتهما, ويستخرجا حينئذ كنزهما المكنوز تحت الجدار الذي أقمته, رحمة من ربك بهما, يقول: فعلت فعل هذا بالجدار, رحمة من ربك لليتيمين. وكان ابن عباس يقول في ذلك ما:

17549ـ حدثني موسى بن عبد الرحمن, قال: حدثنا أبو أسامة, عن مسعر, عن عبد الملك بن ميسرة, عن سعيد بن جبير, قال: قال ابن عباس, في قوله وَكانَ أبُوهُما صالِحا قال: حُفِظا بصلاح أبيهما, وما ذكر منهما صلاح.

حدثنا أبو كريب, قال: حدثنا سفيان, عن مسعر, عن عبد الملك بن ميسرة, عن سعيد بن جبير, عن ابن عباس, مثله.

وقوله: وَما فَعَلْتُهُ عَنْ أمْرِي يقول: وما فعلت يا موسى جميع الذي رأيتني فعلته عن رأيي, ومن تلقاء نفسي, وإنما فعلته عن أمر الله إياي به, كما:

17550ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة وَما فَعَلْتُهُ عَنْ أمْرِي: كان عبدا مأمورا, فمضى لأمر الله.

17551ـ حدثنا ابن حميد, قال: حدثنا سلمة, عن ابن إسحاق: وَما فَعَلْتُهُ عَنْ أمْرِي ما رأيت أجمع ما فعلته عن نفسي.

وقوله: ذَلِكَ تَأْوِيلُ ما لَمْ تَسْطِعْ عَلَيْهِ صَبْرا يقول: هذا الذي ذكرت لك من الأسباب التي من أجلها فعلت الأفعال التي استنكرتها مني, تأويل. يقول: ما تؤول إليه وترجع الأفعال التي لم تسطع على ترك مسألتك إياي عنها, وإنكارك لها صبرا.

وهذه القصص التي أخبر الله عزّ وجلّ نبيه محمد صلى الله عليه وسلم بها عن موسى وصاحبه, تأديب منه له, وتقدمٌ إليه بترك الاستعجال بعقوبة المشركين الذين كذّبوه واستهزؤوا به وبكتابه, وإعلام منه له أن أفعاله بهم وإن جرت فيما ترى الأعين بما قد يجري مثله أحيانا لأوليائه, فإن تأويله صائر بهم إلى أحوال أعدائه فيها, كما كانت أفعال صاحب موسى واقعة بخلاف الصحة في الظاهر عند موسى, إذ لم يكن عالما بعواقبها, وهي ماضية على الصحة في الحقيقة وآئلة إلى الصواب في العاقبة, ينبىء عن صحة ذلك قوله: وَرَبّكَ الْغَفُورُ ذُو الرّحْمَةِ لَوْ يُوءَاخِذُهُمْ بِمَا كَسَبُوا لَعَجّلَ

لَهُمْ العَذَابَ بَلْ لَهُمْ مَوْعِدٌ لَنْ يَجِدُوا مِنْ دُونِهِ مَوْئِلا. ثم عقب ذلك بقصة موسى وصاحبه, يعلم نبيه أن تركه جلّ جلاله تعجيل العذاب لهؤلاء المشركين, بغير نظر منه لهم, وإن ذلك فيما يَحْسِب من لا علم له بما اللهمدبر فيهم, نظرا منه لهم, لأن تأويل ذلك صائر إلى هلاكهم وبوارهم بالسيف في الدنيا واستحقاقهم من الله في الآخرة الخَزْيَ الدائم.

الآية : 83 – 85

القول في تأويل قوله تعالى: {وَيَسْأَلُونَكَ عَن ذِي الْقَرْنَيْنِ قُلْ سَأَتْلُواْ عَلَيْكُم مِّنْهُ ذِكْراً * إِنَّا مَكَّنَّا لَهُ فِي الأَرْضِ وَآتَيْنَاهُ مِن كُلّ شَيْءٍ سَبَباً * فَأَتْبَعَ سَبَباً }.

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم: ويسألك يا محمد هؤلاء المشركون عن ذي القرنين ما كان شأنه, وما كانت قصته, فقل لهم: سأتلو عليكم من خبره ذكرا يقول: سأقصّ عليكم منه خبرا. وقد قيل: إن الذين سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم عن أمر ذي القرنين, كانوا قوما من أهل الكتاب. فأما الخبر بأن الذين سألوه عن ذلك كانوا مشركي قومه فقد ذكرناه قبل. وأما الخبر بأن الذين سألوه, كانوا قوما من أهل الكتاب.

17552ـ فحدثنا به أبو كريب, قال: حدثنا زيد بن حباب عن ابن لهيعة, قال: ثني عبد الرحمن بن زياد بن أنعم, عن شيخين من نجيب, قال: أحدهما لصاحبه: انطلق بنا إلى عقبة بن عامر نتحدّث, قالا: فأتياه فقالا: جئنا لتحدثنا, فقال: كنت يوما أخدم رسول الله صلى الله عليه وسلم, فخرجت من عنده, فلقيني قوم من أهل الكتاب, فقالوا: نريد أن نسأل رسول الله صلى الله عليه وسلم, فاستأذن لنا عليه, فدخلت عليه, فأخبرته, فقال: «مالي ومالهم, مالي علم إلا ما علمني الله», ثم قال: «اسكب لي ماء», فتوضأ ثم صلى, قال: فما فرغ حتى عرفت السرور في وجهه, ثم قال: «أدخلهم عليّ, ومن رأيت من أصحابي» فدخلوا فقاموا بين يديه, فقال: «إن شئتم سألتم فأخبرتكم عما تجدونه في كتابكم مكتوبا, وإن شئتم أخبرتكم», قالوا: بلى أخبرنا, قال: «جئتم تسألوني عن ذي القرنين, وما تجدونه في كتابكم: كان شابا من الروم, فجاء فبنى مدينة مصر الإسكندرية فلما فرغ جاءه ملك فعلا به في السماء, فقال له ما ترى؟ فقال: أرى مدينتي ومدائن, ثم علا به, فقال: ما ترى؟ فقال: أرى مدينتي, ثم علا به فقال: ما ترى؟ قال: أرى الأرض, قال: فهذا أليم محيط بالدنيا, إن الله بعثني إليك تعلم الجاهل, وتثبت العالم, فأتى به السدّ, وهو جبلان لينان يَزْلَق عنهما كل شيء, ثم مضى به حتى جاوز يأجوج ومأجوج, ثم مضى به إلى أمة أخرى, وجوههم وجوه الكلاب يقاتلون يأجوج ومأجوج, ثم مضى به حتى قطع به أمة أخرى يقاتلون هؤلاء الذين وجوههم وجوه الكلاب, ثم مضى حتى قطع به هؤلاء إلى أمة أخرى قد سماهم».

واختلف أهل العلم في المعنى الذي من أجله قيل لذي القرنين: ذو القرنين, فقال بعضهم: قيل له ذلك من أجل أنه ضُرب على قَرنه فهلك, ثم أُحْيِي فضُرب على القرن الآخر فهلك. ذكر من قال ذلك:

17553ـ حدثنا ابن حميد, قال: حدثنا حكام, عن عنبسة, عن عبيد المُكْتِب, عن أبي الطّفَيل, قال: سأل ابن الكوّاء عليا عن ذي القرنين,

فقال: هو عبد أحبّ الله فأحبه, وناصح الله فنصحه, فأمرهم بتقوى الله فضربوه على قَرْنه فقتلوه, ثم بعثه الله, فضربوه على قرنه فمات.

حدثنا محمد بن بشار, قال: حدثنا يحيى, عن سفيان, عن حبيب بن أبي ثابت, عن أبي الطفيل, قال: سئل عليّ رضوان الله عليه عن ذي القرنين, فقال: كان عبدا ناصح الله فناصحه, فدعا قومه إلى الله, فضربوه على قرنه فمات, فأحياه الله, فدعا قومه إلى الله, فضربوه على قرنه فمات, فسمي ذا القرنين.

حدثنا محمد بن المثنى, قال: حدثنا محمد بن جعفر, قال: قال: حدثنا شعبة, عن القاسم بن أبي بَزّة, عن أبي الطفيل, قال: سمعت عليا وسألوه عن ذي القرنين أنبيا كان؟ قال: كان عبدا صالحا, أحبّ الله فأحبه, وناصَحَ الله فنصحه, فبعثه الله إلى قومه, فضربوه ضربتين في رأسه, فسمي ذا القرنين, وفيكم اليوم مثله.

وقال آخرون في ذلك بما:

17554ـ حدثني به محمد بن سهل البخاريّ, قال: حدثنا إسماعيل بن عبد الكريم, قال: ثني عبد الصمد بن معقل, قال: قال وهب بن منبه: كان ذو القرنين مَلِكا, فقيل له: فلم سُمّي ذا القرنين؟ قال: اختلف فيه أهل الكتاب, فقال بعضهم: مَلَك الروم وفارس. وقال بعضهم: كان في رأسه شبه القرنين.

وقال آخرون: إنما سمي ذلك لأن صفحتي رأسه كانتا من نحاس. ذكر من قال ذلك:

17555ـ حدثنا ابن حميد, قال: حدثنا سلمة, قال: حدثنا ابن إسحاق, قال: ثني من لا أتهم عن وهب بن منبه اليماني, قال: إنما سمي ذا القرنين أن صفحتي رأسه كانتا من نحاس.

وقوله: إنّا مَكّنا لَهُ الأرْض وآتَيْناهُ مِنْ كُلّ شَيْءٍ سبَبا يقول: إنا وطأنا له في الأرض, وآتَيْناهُ مِنْ كُلّ شَيْءٍ سبَبا يقول: وآتيناه من كلّ شيء: يعني ما يتسبب إليه وهو العلم به.

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

17556ـ حدثني عليّ, قال: حدثنا عبد الله, قال: ثني معاوية, عن عليّ, عن ابن عباس, قوله: وآتَيْناهُ مِنْ كُلّ شَيْءٍ سبَبا يقول: علما.

17557ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة, قوله: وآتَيْناهُ مِنْ كُلّ شَيْءٍ سبَبا: أي علما.

17558ـ حدثني يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: قال ابن زيد, في قوله: وآتَيْناهُ مِنْ كُلّ شَيْءٍ سبَبا قال: من كلّ شيء علما.

17559ـ حدثنا القاسم, قال: حدثنا الحسين, قال: ثني حجاج, عن ابن جريج, قوله: وآتَيْناهُ مِنْ كُلّ شَيْءٍ سبَبا قال: علم كلّ شيء.

حدثني محمد بن سعد, قال: ثني أبي, قال: ثني عمي, قال: ثني أبي, عن أبيه, عن ابن عباس وآتَيْناهُ مِنْ كُلّ شَيْءٍ سبَبا علما.

17560ـ حُدثت عن الحسين, قال: سمعت أبا معاذ يقول: حدثنا عبيد, قال: سمعت الضحاك يقول في قوله: وآتَيْناهُ مِنْ كُلّ شَيْءٍ سبَبا يقول: علما.

وقوله: فَأَتْبَعَ سبَبا اختلفت القراء في قراءة ذلك, فقرأته عامة قرّاء المدينة والبصرة: «فاتّبع» بوصل الألف, وتشديد التاء, بمعنى: سلك

وسار, من قول القائل: اتّبعتُ أثر فلان: إذا قفوته وسرت وراءه. وقرأ ذلك عامة قرّاء الكوفة فَأَتْبَعَ بهمز, وتخفيف التاء, بمعنى لحق.
وأولى القراءتين في ذلك بالصواب: قراءة من قرأ: «فاتّبَعَ» بوصل الألف, وتشديد التاء, لأن ذلك خبر من الله تعالى ذكره عن مسير ذي القرنين في الأرض التي مكن له فيها, لا عن لحاقه السبب, وبذلك جاء تأويل أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:
17561ـ حدثني محمد بن سعد, قال: ثني أبي, قال: ثني عمي, قال: ثني أبي, عن أبيه, عن ابن عباس «فاتّبَعَ سَبَبا» يعني بالسبب: المنزل.
17562ـ حدثني محمد بن عمرو, قال: حدثنا أبو عاصم, قال: حدثنا عيسى وحدثني الحارث, قال: حدثنا الحسن, قال: حدثنا ورقاء, جميعا عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد, في قوله: سَبَبا قال: منزلاً وطريقا ما بين المشرق والمغرب.
حدثني القاسم, قال: حدثنا الحسين, قال: ثني حجاج, عن ابن جريج, عن مجاهد, نحوه.
حدثني محمد بن عُمارة الأسديّ, قال: حدثنا عبيد الله بن موسى, قال: أخبرنا إسرائيل, عن أبي يحيى, عن مجاهد «فاتّبَعَ سَبَبا» قال: طريقا في الأرض.
17563ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة «فاتّبَعَ سَبَبا»: اتبع منازل الأرض ومعالمها.
17564ـ حدثني يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: قال ابن زيد, في قوله «فاتّبَعَ سَبَبا» قال: هذه الآن سبب الطرق كما قال فرعون يا هامانُ ابْنِ لي صَرْحا لَعَلّي أبْلُغُ الأسْبَابَ أسْبابَ السّمَوَاتِ قال: طُرق السموات.
حدثنا الحسن بن يحيى, قال: أخبرنا عبد الرزاق, قال: أخبرنا معمر, عن قتادة, في قوله: «فاتّبَعَ سَبَبا» قال: منازل الأرض.
17565ـ حُدثت عن الحسين, قال: سمعت أبا معاذ يقول: أخبرنا عبيد, قال: سمعت الضحاك يقول, في قوله: «فاتّبَعَ سَبَبا» قال: المنازل.

الآية : 86

القول في تأويل قوله تعالى: {حَتّىَ إِذَا بَلَغَ مَغْرِبَ الشّمْسِ وَجَدَهَا تَغْرُبُ فِي عَيْنٍ حَمِئَةٍ وَوَجَدَ عِندَهَا قَوْماً قُلْنَا يَذَا الْقَرْنَيْنِ إِمّآ أَن تُعَذّبَ وَإِمّآ أَن تَتّخِذَ فِيهِمْ حُسْناً }.
يقول تعالى ذكره: حتى إذَا بَلَغَ ذو القرنين مَغْرِبَ الشّمْسِ وَجَدَها تَغْرُبُ في عَيْنٍ حَمِئَةٍ, فاختلفت القرّاء في قراءة ذلك, فقرأه بعض قرّاء المدينة والبصرة: في عَيْنٍ حَمِئَةٍ بمعنى: أنها تغرب في عين ماء ذات حمأة, وقرأته جماعة من قراء المدينة, وعامّة قرّاء الكوفة: «في عَيْنٍ حَامِيَةٍ» يعني أنها تغرب في عين ماء حارّة.
واختلف أهل التأويل في تأويلهم ذلك على نحو اختلاف القرّاء في قراءته. ذكر من قال ذلك: تَغْرُبُ في عَيْنٍ حَمِئَةٍ:
17566ـ حدثنا محمد بن المثنى, قال: حدثنا ابن أبي عديّ, عن داود, عن عكرمة, عن ابن عباس وَجَدَها تَغْرُبُ في عَيْنٍ حَمِئَةٍ قال: في طين أسود.

حدثنا ابن الـمثنى, قال: حدثنا عبد الأعلـى, قال: حدثنا داود, عن عكرمة, عن ابن عبـاس, أنه كان يقرأ فـي عَيْنٍ حَمِئَةٍ قال: ذات حمأة.

17567ـ حدثنا الـحسين بن الـجنـيد, قال: حدثنا سعيد بن مسلـمة, قال: حدثنا إسماعيـل بن عُلَـية, عن عثمان بن حاضر, قال: سمعت عبـد اللـه بـن عبـاس يقول: قرأ معاوية هذه الآية, فقال: «عَيْنٍ حامِيَة» فقال ابن عبـاس: إنها عين حمئة, قال: فجعلا كعبـا بـينهما, قال: فأرسـلا إلـى كعـب الأحبــار, فسألاه, فقال كعب: أما الشمس فإنها تغيب فـي ثأط, فكانت علـى ما قـال ابن عبـاس, والثأط: الطين.

حدثنا يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: ثنـي نافع بن أبـي نعيـم, قال: سمعت عبد الرحمن الأعرج يقول: كان ابن عبـاس يقول فِـي عَيْنٍ حَمِئَة ثـم فسرها: ذات حمأة, قال نافع: وسئل عنها كعب, فقال: أنتـم أعلـم بـالقرآن منـي, ولكنـي أجدها فـي الكتاب تغيب فـي طينة سوداء.

حدثنـي مـحمد بن سعد, قال: ثنـي أبـي, قال: ثنــي عمـي, قـال: ثنــي أبـي, عن أبـيه, عن ابن عبــاس وَجَـدَها تَغْـرُبُ فــي عَيْـنٍ حَمِئَـةٍ قـال: هـي الـحمأة.

17568ـ حدثنـي مـحمد بن عمرو, قال: حـدثنا أبـو عاصـم, قـال: حـدثنا عيسى, عن ابن أبـي نـجيح, عن مـجاهد فِـي عَيْنٍ حَمِئَة قال: ثأط.

حدثنا القاسم, قال: حدثنا الـحسين, قال: ثنـي حجاج, عن ابن جريج, عن مـجاهد فـي قول الله عزّ ذكره تَغْرُبُ فـي عَيْنٍ حَمِئَةٍ قال: ثأطة.

قال: وأخبرنـي عمرو بن دينار, عن عطاء بن أبـي ربـاح, عن ابن عبـاس, قال: قرأت فِـي عَيْنٍ حَمِئَةٍ وقرأ عمرو بن العاص فِـي عَيْـنٍ حامِيَـةٍ فأرسـلنا إلـى كعب, فقال: إنها تغرب فـي حمأة طينة سوداء.

17569ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة تَغْرُبُ فـي عَيْنٍ حَمِئَةٍ والـحمئة: الـحمأة السوداء.

حدثنا مـحمد بن عبد الأعلـى, قال: حدثنا مروان بن معاوية, عن ورقـاء, قال: سمعت سعيد بن جبـير, قال: كان ابن عبـاس يقرأ هـذا الــحرف فــي عَيْنٍ حَمِئَةٍ ويقول: حمأة سوداء تغرب فـيها الشمس.

وقال آخرون: بل هي تغيب فـي عين حارّة. ذكر من قال ذلك:

17570ـ حدثنـي علـيّ, قال: حدثنا عبد الله, قال: ثنـي معاوية, عن علـيّ, عن ابن عبـاس «وَجَدَها تَغْرُبُ فـي عَيْنٍ حَامِيَةٍ» يقول: فـي عين حارّة.

17571ـ حدثنا يعقوب, قـال: حـدثنا ابـن علــية, عـن أبــي رجـاء, قـال: سمعت الـحسن يقول: «فِـي عَيْنٍ حَامِيَةٍ» قال: حارّة.

حدثنا الـحسن, قال: أخبرنا عبد الرزاق, قال: أخبرنا معمر, عن الـحسن, فـي قوله: «فِـي عَيْنٍ حَامِيَةً» قال: حارّة, وكذلك قرأها الـحسن.

والصواب من القول فـي ذلك عندي أن يقال: إنهما قراءتان مستفـيضتان فـي قرأة الأمصار, ولكـلّ واحـدة منهمـا وجـه صـحيح ومعنـى مفهـوم, وكلا وجهيه غير مفسد أحدهما صاحبه, وذلك أنه جـائز أن تكـون الشـمس تغـرب فـي عين حارّة ذات حمأة وطين, فـيكون القارىء فـي عيـن حامية بصـفتها التـي هي لهـا, وهـي الــحرارة, ويكـون القـارىء فــي عيـن حمئـة واصـفها بصفتها التـي هي بها وهـي أنهـا ذات حمـأة وطيـن. وقـد رُوي بكلا صيغتــيها اللتـين قلت إنهما من صفتـيها أخبـار.

17572ـ حدثنا محمد بن المثنى, قال: حدثنا يزيد بن هارون, قال: أخبرنا العوّام, قال: ثني مولى لعبد الله بن عمرو, عن عبد الله, قال: نظر رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الشمس حين غابت, فقال: «فِي نارِ اللّهِ الحامِيَةِ, فِي نارِ اللّهِ الحامِيَةِ, لَوْلا ما يَزَعُها مِنْ أمْرِ اللّهِ لأحْرَقَتْ ما عَلى الأرْضِ».

17573ـ حدثني الفضل بن داود الواسطي, قال: حدثنا أبو داود, قال: حدثنا محمد بن دينار, عن سعد بن أوس, عن مصدع, عن ابن عباس, عن أبيّ بن كعب أن النبيّ صلى الله عليه وسلم أقرأه: حَمِئَةٍ.

وقوله: وَوَجَدَ عَنْدَها قَوْما ذكر أن أولئك القوم يقال لهم: ناسك. وقوله: قُلْنا يا ذَا القَرْنَيْنِ إمّا أنْ تُعَذّبَ يقول: إما أن تقتلهم إن هم لم يدخلوا في الإقرار بتوحيد الله, ويذعنوا لك بما تدعوهم إليه من طاعة ربهم وإمّا أنْ تَتّخِذَ فِيهِمْ حُسْنا يقول: وإما أن تأسرهم فتعلمهم الهدى وتبصرهم الرشاد.

الآية : 87

القول في تأويل قوله تعالى: {قَالَ أَمّا مَن ظَلَمَ فَسَوْفَ نُعَذّبُهُ ثُمّ يُرَدّ إِلَىَ رَبّهِ فَيُعَذّبُهُ عَذَاباً نّكْراً }.

يقول جلّ ثناؤه قال أمّا مَنْ ظَلَمَ فَسَوْفَ نُعَذّبُهُ يقول: أما من كفر فسوف نقتله, كما:

17574ـ حدثنا الحسن بن يحيى, قال: أخبرنا عبد الرزاق, قال: أخبرنا معمر, عن قتادة, في قوله: أمّا مَنْ ظَلَمَ فَسَوْفَ نُعَذّبُهُ قال: هو القتل.

وقوله: ثُمّ يُرَدّ إلى رَبّهِ فَيُعَذّبُهُ عَذَابا نُكْرا يقول: ثم يرجع إلى الله تعالى بعد قتله, فيعذّبه عذابا عظيما, وهو النكر, وذلك عذاب جهنم.

الآية : 88

القول في تأويل قوله تعالى: {وَأَمّا مَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحاً فَلَهُ جَزَآءً الْحُسْنَىَ وَسَنَقُولُ لَهُ مِنْ أَمْرِنَا يُسْراً }.

يقول: وأما من صدّق الله منهم ووحدّه, وعمل بطاعته, فله عند الله الحسنى, وهي الجنة, جزاء يعني ثوابا على إيمانه, وطاعته ربه.

وقد اختلفت القرّاء في قراءة ذلك, فقرأته عامّة قرّاء أهل المدينة وبعض أهل البصرة والكوفة: «فَلَهُ جَزَاءُ الحُسْنَى» برفع الجزاء وإضافته إلى الحسنى.

وإذا قرىء ذلك كذلك, فله وجهان من التأويل:

أحدهما: أن يجعل الحسنى مرادا بها إيمانه وأعماله الصالحة, فيكون معنى الكلام إذا أريد بها ذلك: وإما من آمن وعمل صالحا فله جزاؤها, يعني جزاء هذه الأفعال الحسنة.

والوجه الثاني: أن يكون معنيا بالحسنى: الجنة, وأضيف الجزاء إليها, كما قيل وَلَدَارُ الآخِرَةِ خَيْرٌ والدار: هي الآخرة, وكما قال: وَذلكَ دِينُ القَيّمَة والدين: هو القيم.

وقرأ آخرون: فَلَهُ جَزَاءً الحُسْنى بمعنى: فله الجنة جزاء فيكون الجزاء منصوبا على المصدر, بمعنى: يجازيهم جزاء الجنة.

وأولى القراءتين بالصواب في ذلك عندي قراءة من قرأه: فَلَهُ جَزاءً الحُسْنَى بنصب الجزاء وتنوينه على المعنى الذي وصفت, من أن لهم الجنة جزاء, فيكون الجزاء نصبا على التفسير.

وقوله: وَسَنَقُولُ لَهُ مِنْ أمْرِنا يُسْرا يقول: وسنعلمه نحن في الدنيا ما تيسر لنا تعليمه مما يقرّ به إلى الله ويلين له من القول. وكان مجاهدا يقول نحوا مما قلنا في ذلك.

17575ـ حدثني محمد بن عمرو, قال: حدثنا أبو عاصم, قال: حدثنا عيسى «ح» وحدثني الحارث, قال: حدثنا الحسن, قال: حدثنا ورقاء, جميعا عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد, قوله: مِنْ أمْرِنا يُسْرا قال معروفا.

حدثنا القاسم, قال: حدثنا الحسين, قال: ثني حجاج, عن ابن جريج, عن مجاهد, مثله.

الآية : 89 - 91

القول في تأويل قوله تعالى: {ثُمّ أَتْبَعَ سَبَباً * حَتّىَ إِذَا بَلَغَ مَطْلِعَ الشّمْسِ وَجَدَهَا تَطْلُعُ عَلَىَ قَوْمٍ لّمْ نَجْعَل لّهُمْ مّن دُونِهَا سِتْراً * كَذَلِكَ وَقَدْ أَحَطْنَا بِمَا لَدَيْهِ خُبْراً }.

يقول تعالى ذكره: ثم سار وسلك ذو القرنين طرقا ومنازل, كما:

17576ـ حدثني محمد بن سعد, قال: ثني أبي, قال: ثني عمي, قال: ثني أبي, عن أبيه, عن ابن عباس قوله: ثُمّ أتْبَعَ سَبَبا يعني منزلاً.

17577ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة ثُمّ أتْبَعَ سَبَبا: منازل الأرض ومعالمها. حتى إذَا بَلَغَ مَطْلِعَ الشّمْسِ وَجَدَها تَطْلُعُ على قَوْمٍ لَمْ نَجْعَلْ لَهُمْ مِنْ دُونها سِتْرا: يقول تعالى ذكره: ووجد ذو القرنين الشمس تطلع على قوم لم نجعل لهم من دونها سترا, وذلك أن أرضهم لا جبل فيها ولا شجر, ولا تحتمل بناء, فيسكنوا البيوت, وإنما يغورون في المياه, أو يَسْرُبون في الأسراب. كما:

17578ـ حدثني إبراهيم بن المستمر, قال: حدثنا سليمان بن داود وأبو داود, قال: حدثنا سهل بن أبي الصلت السراج, عن الحسن تَطْلُعُ على قَوْمٍ لَمْ نَجْعَلْ لَهُمْ مِنْ دُونها سِتْرا قال: كانت أرضا لا تحتمل البناء, وكانوا إذا طلعت عليهم الشمس تغوروا في الماء, فإذا غربت خرجوا يتراعون, كما ترعى البهائم, قال: ثم قال الحسن: هذا حديث سَمُرة.

17579ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة حتى إذَا بَلَغَ مَطْلِعَ الشّمْسِ وَجَدَها تَطْلُعُ على قَوْمٍ لَمْ نَجْعَلْ لَهُمْ مِنْ دُونها سِتْرا ذُكِر لنا أنهم كانوا في مكان لا يستقرّ عليه البناء, وإنما يكونون في أسراب لهم, حتى إذا زالت عنهم الشمس خرجوا إلى معايشهم وحروثهم, قال: كذلك وقد أحطنا بما لديه خبرا.

17580ـ حدثنا القاسم, قال: حدثنا الحسين, قال: ثني حجاج, عن ابن جريج في قوله: وَجَدَها تَطْلُعُ على قَوْمٍ لَمْ نَجْعَلْ لَهُمْ مِنْ دُونها سِتْرا قال: لم يبنوا فيها بناء قَطّ, ولم يُبْنَ عليهمً فيها بناء قَطّ, وكانوا إذا طلعت عليهم الشمس دخلوا أسرابا لهم تزول الشمس, أو دخلوا البحر, وذلك أن أرضهم ليس فيها جبل, وجاءهم جيش مرّة, فقال لهم أهلها: لا تطلُعَنّ عليكم الشمس وأنتم بها, فقالوا: لا نبرح حتى تطلع الشمس, ما هذه

العظام؟ قالوا: هذه جِيفَ جيش طلعت الشمس ها هنا فماتوا, قال: فـذهبوا هاربـين فـي الأرض.
حدثنا الـحسن بن يحيى, قال: أخبرنا عبد الرزاق, قال: أخبرنا معمر, عن قتادة, قوله: تَطْلُعُ علـى قَوْمٍ لَـمْ نَـجْعَلْ لَهُمْ مِنْ دُونها سِتْرا قال: بلغنا أنهم كانوا فـي مكان لا يثبت علـيهم بناء, فكـانوا يدخـلون فـي أسـراب لهـم إذا طلعت الشمس, حتـى تزول عنهم, ثم يخرجون إلـى معايشهم.
وقال آخرون: هم الزّنـج. ذكر من قال ذلك:
17581ـ حدثنا الـحسن بن يحيى, قال: أخبرنا عبد الـرزاق, قـال: أخبرنـا معمر, عن قتادة, فـي قوله تَطْلُعُ علـى قَوْمٍ لَـمْ نَـجْعَلْ لَهُمْ مِنْ دُونها سِـتْرا قال: يقال: هم الزّنْـج.
وأما قوله: كَذَلِكَ فإن معناه: ثـم أتبـع سببـا كـذلك, حتـى إذا بلـغ مطلـع الشمس وكذلك: من صلة أتبع. وإنـما معنى الكلام: ثم أتبع سببـا, حتـى بلـغ مطلع الشمس, كما أتبع سببـا حتـى بلغ مغربها.
وقوله: وَقَدْ أَحَطْنا بِـمَا لَدَيْهِ خُبْرا يقول: وقد أحطنا بـما عند مطلع الشمس عالـما, لا يخفـى علـينا مـما هنالك من الـخلـق وأحوالهم وأسبـابهم, ولا مـن غيرهم, شيء. وبـالذي قلنا فـي معنى الـخبر, قال أهـل التأويـل. ذكـر مـن قال ذلك:
17582ـ حدثنـي مـحمد بن عمرو, قـال: حـدثنا أبـو عاصـم, قـال: حـدثنا عيسى, عن ابن أبـي نـجيح, عن مـجاهد, قوله: خُبْرا قال: علـما.
حدثنـي الـحارث, قال: حدثنا الـحسن, قال: حدثنا ورقاء, عن ابـن أبـي نـجيح, عن مـجاهد, مثله.
17583ـ حدثنـي يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: قال ابن زيـد, فـي قوله كَذَلِكَ وَقَدْ أَحَطْنا بِـمَا لَدَيْهِ خُبْرا قال: علـما.

الآية : 92 - 94

القول فـي تأويـل قوله تعالـى: {ثُمّ أَتْبَعَ سَبَباً * حَتّىَ إِذَا بَلَغَ بَيْنَ السّدّيْنِ وَجَدَ مِن دُونِهِمَا قَوْماً لاّ يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ قَوْلاً * قَالُواْ يَذَا الْقَرْنَيْنِ إِنّ يَـأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مُفْسِـدُونَ فِـي الأرْضِ فَهَـلْ نَجْعَـلُ لَـكَ خَرْجـاً عَلَـىَ أَن تَجْعَـلَ بَيْنَنَـا وَبَيْنَهُمْ سَدّاً }.
يقول تعالـى ذكره: ثم سار طرقا ومنازل, وسلك سبلاً حَتَـى إذَا بَلَغَ بـينَ السّدّيْنِ.
واخْتلفت القرّاء فـي قـراءة ذلـك, فقرأتـه عامـة قـرّاء الـمدينة بعـض الكوفـيـين: «حَتَـى إذَا بَلَغَ بـينَ السّدّيْنِ» بضمّ السين وكذلك جميع مـا فـي القرآن من ذلك بضم السين. وكان بعض قرّاء الـمكيـين يقـرؤه بفتـح ذلـك كله. وكان أبو عمرو بن العلاء يفتـح السين فـي هذه السورة, ويضمّ السـين فـي يس, ويقول: السدّ بـالفتـح: هـو الـحاجز بـينك وبـين الشـيء والسـدّ بـالضم: ما كان من غشاوة فـي العين. وأما الكوفـيون فـإن قـراءة عـامتهم فـي جميع القرآن بفتـح السين غير قوله: حَتَـى إذَا بَلَغَ بـينَ السّـدّيْنِ فـإنهم ضموا السين فـي ذلك خاصة. وروي عن عكرمة فـي ذلك ما:
17584ـ حدثنا به أحمد بن يوسف, قال: حدثنا القاسم, قال: حدثنا حجاج, عن هارون, عن أيوب, عن عكرمة قال: مـا كـان مـن صـنعة بنـي آدم فهـو السّدّ, يعنـي بـالفتـح, وما كـان مـن صـنع اللـه فهـو السـدّ. وكـان الكسـائي يقول: هما لغتان بـمعنى واحد.

والصواب من القول في ذلك عندي أن يقال: إنهما قراءتان مستفيضتان في قرأة الأمصار, ولغتان متفقتا المعنى غير مختلفة, فبأيتهما قرأ القارىء فمصيب, ولا معنى للفرق الذي ذكر عن أبي عمرو بن العلاء, وعكرمة بين السّد والسّد, لأنا لم نجد لذلك شاهدا يبين عن فرقان ما بين ذلك على ما حكي عنهما. ومما يبين ذلك أن جمع أهل التأويل الذي رُوي لنا عنهم في ذلك قول, لم يحك لنا عن أحد منهم تفصيل بين فتح ذلك وضمه, ولو كان مختلفي المعنى لنقل الفصل مع التأويل إن شاء الله, ولكن معنى ذلك كان عندهم غير مفترق, فيفسر الحرف بغير تفصيل منهم بين ذلك. وأما ما ذُكر عن عكرمة في ذلك, فإن الذي نقل ذلك عن أيوب وهارون, وفي نقله نظر, ولا نعرف ذلك عن أيوب من رواية ثقات أصحابه. والسّد والسّد جميعا: الحاجز بين الشيئين, وهما ههنا فيما ذُكر جبلان سدّ ما بينهما, فردم ذو القرنين حاجزا بين يأجوج ومأجوج ومن وراءهم, ليقطع مادّ غوائلهم وعيثهم عنهم. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

17585ـ حدثنا القاسم, قال: حدثنا الحسين, قال: ثني حجاج, عن ابن جريج, عن عطاء الخراساني, عن ابن عباس «حَتَى إذَا بَلَغَ بينَ السّدّيْنِ» قال: الجبلين الردم الذي بين يأجوج ومأجوج, أمتين من وراء ردم ذي القرنين, قال: الجبلان: أرمينية وأذربيجان.

17586ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة «حَتَى إذَا بَلَغَ بينَ السّدّيْنِ» وهما جبلان.

17587ـ حُدثت عن الحسين, قال: سمعت أبا معاذ يقول: حدثنا عبيد, قال: سمعت الضحاك يقول في قوله: «بينَ السّدّيْنِ» يعني بين جبلين.

حدثنا الحسن بن يحيى, قال: أخبرنا عبد الرزاق, قال: أخبرنا معمر, عن قتادة, في قوله: «بينَ السّدّيْنِ» قال: هما جبلان.

وقوله وَجَدَ مِنْ دُونِهما قَوْما لا يَكادُونَ يَفْقَهُونَ قَوْلاً يقول عزّ ذكره: وجد من دون السدّين قوماً لا يكادون يفقهون قول القائل سوى كلامهم.

وقد اختلفت القرّاء في قراءة قوله يَفْقَهُونَ فقرأته عامة قرّاء أهل المدينة والبصرة وبعض أهل الكوفة يَفْقَهُونَ قَوْلاً بفتح القاف والياء, من فقَه الرجل يفقه فقها. وقرأ ذلك عامّة قرّاء أهل الكوفة «يُفْقِهُونَ قَوْلاً» بضمّ الياء وكسر القاف: من أفقهت فلانا كذا أفقهه إفقاها: إذا فهمته ذلك.

والصواب عندي من القول في ذلك, أنهما قراءتان مستفيضتان في قراءة الأمصار, غير دافعة إحداهما الأخرى وذلك أن القوم الذين أخبر الله عنهم هذا الخبر جائز أن يكونوا لا يكادون يفقهون قولاً لغيرهم عنهم, فيكون صوابا القراءة بذلك. وجائز أن يكونوا مع كونهم كذلك كانوا لا يكادون أن يفقهوا غيرهم لعلل: إما بألسنتهم, وإما بمنطقهم, فتكون القراءة بذلك أيضا صوابا.

وقوله: إنّ يأجُوجَ ومَأجُوجَ مُفْسِدُونَ فِي الأرْضِ اختلفت القرّاء في قراءة قوله إنّ يأجُوجَ ومَأجُوجَ فقرأت القرّاء من أهل الحجاز والعراق وغيرهم: «إنّ يأجُوجَ ومَأجُوجَ» بغير همز على فاعول من يججت ومججت, وجعلوا الألفين فيهما زائدتين, غير عاصم بن أبي النجود والأعرج, فإنه ذكر أنهما قرآ ذلك بالهمز فيهما جميعا, وجعلا الهمز فيهما من أصل الكلام, وكأنهما جعلا يأجوج: يفعول من أججت, ومأجوج: مفعول.

والقراءة التي هي القراءة الصحيحة عندنا, أن يأْجُوجَ ومَأْجُوجَ بألف بغير همز لإجماع الحجة من القرّاء عليه, وأنه الكلام المعروف على ألسن العرب ومنه قول رؤبة بن العجاج.

لَوْ أنّ ياجُوجَ ومَاجُوجَ معَاوعادَ عادُوا واسْتَجاشُوا ثُبّعا

وهم أمّتان من وراء السدّ.

وقوله: مِفْسِدُونَ فِي الأرْضِ اختلف أهل التأويل في معنى الإفساد الذي وصف الله به هاتين الأمتين, فقال بعضهم: كانوا يأكلون الناس. ذكر من قال ذلك:

17588ـ حدثنا أحمد بن الوليد الرملي, قال: حدثنا إبراهيم بن أيوب الخوزاني, قال: حدثنا الوليد بن مسلم, قال: سمعت سعيد بن عبد العزيز يقول في قوله إنّ يأجُوجَ ومَأجُوجَ مُفْسِدُونَ فِي الأرْضِ قال: كانوا يأكلون الناس.

وقال آخرون: بل معنى ذلك: إن يأجوج ومأجوج سيفسدون في الأرض, لا أنهم كانوا يومئذ يفسدون. ذكر من قال ذلك, وذكر صفة اتباع ذي القرنين الأسباب التي ذكرها الله في هذه الآية, وذكر سبب بنائه للردم:

17589ـ حدثنا ابن حميد, قال: حدثنا سلمة, قال: حدثنا محمد بن إسحاق, قال: ثني بعض من يسوق أحاديث الأعاجم من أهل الكتاب, ممن قد أسلم, مما توارثوا من علم ذي القرنين, أن ذا القرنين كان رجلاً من أهل مصر اسمه مرزِبا بن مردَبة اليوناني, من ولد يونن بن يافث بن نوح.

17590ـ حدثنا ابن حميد, قال: حدثنا سلمة, قال: ثني محمد بن إسحاق, عن ثور بن يزيد, عن خالد بن معدان الكلاعي, وكان خالد رجلاً قد أدرك الناس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم سئل عن ذي القرنين فقال: «مَلِكٌ مَسَحَ الأرْضَ مِنْ تَحْتِها بالأسْبابِ» قال خالد: وسمع عمر بن الخطاب رجلاً يقول: يا ذا القرنين, فقال: اَللهمّ غفرا, أما رضيتم أن تسموا بأسماء الأنبياء, حتى تسموا بأسماء الملائكة؟ فإن كان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ذلك, فالحقّ ما قال, والباطل ما خالفه.

17591ـ حدثنا ابن حميد, قال: حدثنا سلمة, قال: ثني محمد بن إسحاق, قال: فحدثني من لا أتهم عن وهب بن منبه اليماني, وكان له علم بالأحاديث الأول, أنه كان يقول: ذو القرنين رجل من الروم. ابن عجوز من عجائزهم, ليس لها ولد غيره, وكان اسمه الإسكندر. وإنما سمي ذا القرنين أن صفحتي رأسه كانتا من نحاس فلما بلغ وكان عبدا صالحا, قال الله عزّ وجلّ له: يا ذا القرنين إني باعثك إلى أمم الأرض, وهي أمم مختلفة ألسنتهم, وهم جميع أهل الأرض ومنهم أمتان بينهما طول الأرض كله ومنهم أمتان بينهما عرض الأرض كله, وأمم في وسط الأرض منهم الجنّ والإنس ويأجوج ومأجوج. فأما الأمتان اللتان بينهما طول الأرض: فأمه عند مغرب الشمس, يقال لها: ناسك. وأما الأخرى: فعند مطلعها يقال لها: منسك. وأما اللتان بينهما عرض الأرض, فأمة في قطر الأرض الأيمن, فقال لها: هاويل. وأما الأخرى التي في قطر الأرض الأيسر, فأمة يقال لها: تأويل فلما قال الله له ذلك, قال له ذو القرنين: إلهي إنك قد ندبتني لأمر عظيم لا يَقدر قَدره إلا أنت, فأخبرني عن هذه الأمم التي بعثتني إليها, بأيّ قوّة أكابرهم, وبأيّ جمع أكاثرهم, وبأيّ حيلة أكايدهم, وبأيّ صبر أقاسيهم, وبأيّ لسان أناطقهم, وكيف لي بأن أفقه

لغاتهم, وبأيّ سمع أعي قولهم, وبأيّ بصر أنفذهم, وبأيّ حجة أخاصمهم, وبأيّ قلب أعقل عنهم, وبأيّ حكمة أدبر أمرهم, وبأيّ قسط أعدل بينهم, وبأيّ حلم أصابرهم, وبأيّ معرفة أفصل بينهم, وبأيّ علم أتقن أمورهم, وبأيّ يد أسطو عليهم, وبأيّ رجل أطؤهم, وبأيّ طاقة أخصمهم, وبأيّ جند أقاتلهم, وبأيّ رفق أستألفهم, فإنه ليس عندي يا إلهي شيء مما ذكرت يقول لهم, ولا يقوى عليهم ولا يطيقهم, وأنت الربّ الرحيم, الذي لا يكلّف نفسا إلا وسعها, ولا يحملها إلا طاقتها, ولا يعنتها ولا يفدحها, بل أنت ترأفها وترحمها. قال الله عزّ وجلّ: إني سأطوّقك ما حمّلتك, أشرح لك صدرك, فيسع كلّ شيء وأشرح لك فهمك فتفقه كلّ شيء, وأبسط لك لسانك, فتنطق بكلّ شيء, وأفتح لك سمعك فتعي كلّ شيء, وأمدّ لك بصرك, فتنفذ كلّ شيء, وأدبر لك أمرك فتتقن كلّ شيء, وأحصي لك فلا يفوتك شيء, وأحفظ عليك فلا يعزب عنك شيء, وأشدّ لك ظهرك, فلا يهدّك شيء, وأشدّ لك ركنك فلا يغلبك شيء, وأشدّ لك قلبك فلا يروعك شيء, وأسخر لك النور والظلمة, فأجعلهما جندا من جنودك, يهديك النور أمامك, وتحوطك الظلمة من ورائك, وأشدّ لك عقلك فلا يهولك شيء, وأبسط لك من بين يديك, فتسطو فوق كلّ شيء, وأشدّ لك وطأتك, فتهدّ كلّ شيء, وألبسك الهيبة فلا يرومك شيء.

ولما قيل له ذلك, انطلق يؤمّ الأمة التي عند مغرب الشمس, فلما بلغهم, وجد جمعا وعددا لا يحصيه إلا الله, وقوّة وبأسا لا يطيقه إلا الله, وألسنة مختلفة وأهواء متشتتة, وقلوبا متفرّقة فلما رأى ذلك كاثرهم بالظلمة, فضرب حولهم ثلاثة عساكر منها, فأحاطتهم من كلّ مكان, وحاشتهم حتى جمعتهم في مكان واحد, ثم أخذ عليه بالنور, فدعاهم إلى الله وإلى عبادته, فمنهم من آمن له, ومنهم من صدّ, فعمد إلى الذين تولوا عنه, فأدخل عليهم الظلمة, فدخلت في أفواههم وأنوفهم وآذانهم وأجوافهم, ودخلت في بيوتهم ودورهم, وغشيتهم من فوقهم, ومن تحتهم ومن كلّ جانب منهم, فماجوا فيها وتحيروا فلما أشفقوا أن يهلكوا فيها عجوا إليه بصوت واحد, فكشفها عنهم وأخذهم عنوة, فدخلوا في دعوته, فجنّد من أهل المغرب أمما عظيمة, فجعلهم جندا واحدا, ثم انطلق بهم يقودهم, والظلمة تسوقهم من خلفهم وتحرسهم من حولهم, والنور أمامهم يقودهم ويدلهم, وهو يسير في ناحية الأرض اليمنى, وهو يريد الأمة التي في قطر الأرض الأيمن التي يقال لها هاويل, وسخر الله له يده وقلبه ورأيه وعقله ونظره وائتماره, فلا يخطىء إذا ائتمر, وإذا عمل عملاً أتقنه. فانطلق يقود تلك الأمم وهي تتبعه, فإذا انتهى إلى بحر أو مخاضة بنى سفنا من ألواح صغار أمثال النعال, فنظمها في ساعة, ثم جعل فيها جميع من معه من تلك الأمم وتلك الجنود, فإذا قطع الأنهار والبحار فتقها, ثم دفع إلى كلّ إنسان لوحا فلا يكرثه حمله, فلم يزل كذلك دأبة حتى انتهى إلى هاويل, فعمل فيها كعمله في ناسك. فلما فرغ منها مضى على وجهه في ناحية الأرض اليمنى حتى انتهى إلى منسك عند مطلع الشمس, فعمل فيها وجند منها جنودا, كفعله في الأمتين اللتين قبلها, ثم كرّ مقبلاً في ناحية الأرض اليسرى, وهو يريد تأويل وهي الأمة التي بجيال هاويل, وهما متقابلتان بينهما عرض الأرض كله فلما بلغها عمل فيها, وجند منها كفعله فيما قبلها فلما فرغ منها عطف منها إلى

الأمم التي وسط الأرض من الجنّ وسائر الناس, ويأجوج ومأجوج فلما كان في بعض الطريق مما يلي منقطع الترك نحو المشرق, قالت له أمة من الإنس صالحة: يا ذا القرنين, إن بين هذين الجبلين خلقا من خلق الله, وكثير منهم مشابه للإنس, وهم أشباه البهائم, يأكلون العشب, ويفترسون الدوابّ والوحوش كما تفترسها السباع, ويأكلون خشاش الأرض كلها من الحيات والعقارب, وكلّ ذي روح مما خلق الله في الأرض, وليس لله خلق ينمو نماءهم في العام الواحد, ولا يزداد كزيادتهم, ولا يكثر ككثرتهم, فإن كانت لهم مدّة على ما نرى من نمائهم وزيادتهم, فلا شكّ أنهم سيملئون الأرض, ويجلون أهلها عنها ويظهرون عليها فيفسدون فيها, وليست تمرّ بنا سنة منذ جاورناهم إلا ونحن نتوقعهم, وننتظر أن يطلع علينا أوائلهم من بين هذين الجبلين فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرْجا على أَنْ تَجْعَلَ بَيْنَنا وبَيْنَهُمْ سَدّا قالَ ما مَكّنِي فِيهِ رَبّي خَيْرٌ فأَعِينُونِي بِقُوّةٍ أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رَدْما أعدّوا إليّ الصخور والحديد والنحاس حتى أرتاد بلادهم, وأعلم علمهم, وأقيس ما بين جبليهم.

ثم انطلق يؤمهم حتى دفع إليهم وتوسط بلادهم, فوجدهم على مقدار واحد, ذكرهم وأنثاهم, مبلغ طول الواحد منهم مثل نصف الرجل المربوع منا, لهم مخالب في موضع الأظفار من أيدينا, وأضراس وأنياب كأضراس السباع وأنيابها, وأحناك كأحناك الإبل قوّة تسمع لها حركة إذا أكلوا كحركة الجِرّة من الإبل, أو كقضم الفحل المسنّ, أو الفرس القويّ, وهم هلب, عليهم من الشعر في أجسادهم ما يواريهم, وما يتقون به الحرّ والبرد إذا أصابهم ولكل واحد منهم أذنان عظيمتان: إحداهما وبرة ظهرها وبطنها, والأخرى زغبة ظهرها وبطنها, تَسعانة إذا لبسهما, يلتحف إحداهما, ويفترش الأخرى, ويصيف في إحداهما, ويَشْتى في الأخرى, وليس منهم ذكر ولا أنثى إلا وقد عرف أجله الذي يموت فيه, ومنقطع عمره, وذلك أنه لا يموت ميت من ذكورهم حتى يخرج من صلبه ألف ولد, ولا تموت الأنثى حتى يخرج من رحمها ألف ولد, فإذا كان ذلك أيقن بالموت, وهم يرزقون التنين يام الربيع, ويستمطرونه إذا تحينوه كما نستمطر الغيث لحينه, فيقذفون منه كلّ سنة بواحد, فيأكلونه عامهم كله إلى مثله من العام القابل, فيغنيهم على كثرتهم ونمائهم, فإذا أمطروا وأخصبوا وعاشوا وسمنوا, ورؤي أثره عليهم, فدرّت عليهم الإناث, وشَبقت منهم الرجال الذكور, وإذا أخطأهم هَزَلوا وأجدبوا, وجفرت الذكور, وحالت الإناث, وتبين أثر ذلك عليهم, وهم يتداعون تداعي الحَمام, ويعوُون عُواء الكلاب, ويتسافدون حيث التقوا تسافد البهائم.

فلما عاين ذلك منهم ذو القرنين انصرف إلى ما بين الصّدَفين, فقاس ما بينهما وهو في منقطع أرض الترك مما يلي مشرق الشمس, فوجد بُعد ما بينهما مئة فرسخ فلما أنشأ في عمله, حفر له أساسا حتى بلغ الماء, ثم جعل عرضه خمسين فرسخا, وجعل حشوه الصخور, وطينه النحاس, يذاب ثم يُصبّ عليه, فصار كأنه عِرْق من جبل تحت الأرض, ثم علاه وشَرّفه بزُبَر الحديد والنحاس المذاب, وجعل خلاله عِرْقا من نحاس أصفر, فصار كأنه بُرد محبّر من صفرة النحاس وحمرته وسواد الحديد فلما فرغ منه وأحكمه, انطلق عامدا إلى جماعة الإنس والجنّ فبينا هو يسير, دفع إلى أمة صالحة يهدون بالحقّ وبه يعدلون, فوجد أمة مقسطة

مقتصدة, يقسمون بالسوية, ويحكمون بالعدل, ويتآسون ويتراحمون, حالهم واحدة, وكلمتهم واحدة, وأخلاقهم مشتبهة, وطريقتهم مستقيمة, وقلوبهم متألفة, وسيرتهم حسنة, وقبورهم بأبواب بيوتهم, وليس على بيوتهم أبواب, وليس عليهم أمراء, وليس بينهم قضاة, وليس بينهم أغنياء, ولا ملوك, ولا أشراف, ولا يتفاوتون, ولا يتفاضلون, ولا يختلفون, ولا يتنازعون, ولا يستبّون, ولا يقتتلون, ولا يَقْحَطُون, ولا يحردون, ولا تصيبهم الآفات التي تصيب الناس, وهم أطول الناس أعمارا, وليس فيهم مسكين, ولا فقير, ولا فظّ, ولا غليظ فلما رأى ذلك ذو القرنين من أمرهم, عجب منه وقال: أخبروني أيها القوم خبركم, فإني قد أحصيت الأرض كلها برّها وبحرها, وشرقها وغربها, ونورها وظلمتها, فلم أجد مثلكم, فأخبروني خبركم قالوا: نعم, فسلنا عما تريد, قال: أخبروني, ما بال قبور موتاكم على أبواب بيوتكم؟ قالوا: عمدا فعلنا ذلك لئلا ننسى الموت, ولا يخرج ذِكرُه من قلوبنا قال: فما بال بيوتكم ليس عليها أبواب؟ قالوا: ليس فينا متهم, وليس منا إلا أمين مؤتمن قال: فما لكم ليس عليكم أمراء؟ قالوا: لا نتظالم قال: فما بالكم ليس فيكم حكام؟ قالوا: لا نختصم قال: فما بالكم ليس فيكم أغنياء؟ قالوا: لا نتكاثر قال: فما بالكم ليس فيكم ملوك؟ قالوا: لا نتكابر قال: فما بالكم لا تتنازعون ولا تختلفون؟ قالوا: من قِبَل ألفة قلوبنا وصلاح ذات بيننا قال: فما بالكم لا تستَبّون ولا تقتتلون؟ قالوا: من قبل أنا غلبنا طبائعنا بالعزم, وسسنا أنفسنا بالأحلام قال: فما بالكم كلمتكم واحدة, وطريقتكم مستقيمة مستوية؟ قالوا: من قبل أنا لا نتكاذب, ولا نتخادع, ولا يغتاب بعضنا بعضا قال: فأخبروني من أين تشابهت قلوبكم, واعتدلت سيرتكم؟ قالوا: صحّت صدورنا, فنزع بذلك الغلّ والحسد من قلوبنا قال: فما بالكم ليس فيكم مسكين ولا فقير؟ قالوا: من قبل أنا نقتسم بالسوية قال: فما بالكم ليس فيكم فظّ ولا غليظ؟ قالوا: من قبل الذلّ والتواضع قال: فما جعلكم أطول الناس أعمارا؟ قالوا: من قِبَل أنا نتعاطى الحقّ ونحكم بالعدل قال: فما بالكم لا تُقْحَطون؟ قالوا: لا نغفل عن الاسغفار قال: فما بالكم لا تَحْرَدون؟ قالوا: من قبل أنا وطأنا أنفسنا للبلاء منذ كنا, وأحببناه وحرصنا عليه, فعرينا منه قال: فما بالكم لا تصيبكم الآفات كما تصيب الناس؟ قالوا: لا نتوكل على غير الله, ولا نعمل بالأنواء والنجوم قال: حدثوني أهكذا وجدتم آباءكم يفعلون؟ قالوا: نعم وجدنا آباءنا يرحمون مساكينهم, ويُواسون فقراءهم, وَيعفون عمن ظلمهم, ويُحسنون إلى من أساء إليهم, ويحلُمون عمن جهل عليهم, ويستغفرون لمن سبهم, ويَصِلون أرحامهم, ويؤدّون أماناتهم, ويحفظون وقتهم لصلاتهم, ويُوَفّون بعهودهم, ويَصدُقون في مواعيدهم, ولا يرغبون عن أكفائهم, ولا يستنكفون عن أقاربهم, فأصلح الله لهم بذلك أمرهم, وحفظهم ما كانوا أحياء, وكان حقا على الله أن يحفظهم في تركتهم.

17592ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة, عن أبي رافع, عن أبي هريرة, عن نبيّ الله صلى الله عليه وسلم: «إنّ يأجُوجَ ومَأجُوجَ يَحْفُرُونَ السّدّ كُلّ يَوْمٍ, حتى إذَا كادُوا يَرَوْنَ شُعاعَ الشّمْسِ قالَ الّذِي عَلَيْهِمْ ارْجِعُوا فَتَحْفِرُونَهُ غَدا, فَيُعِيدُهُ اللّهُ وَهُوَ كَهَيْئَتِهِ يَوْمَ تَرَكُوهُ, حتى إذَا جَاءَ الوَقْتُ قالَ: إنْ شاءَ اللّهُ, فَيَحْفُرُونَهُ ويَخْرُجُون على النّاسِ,

فَيَنْشِفُونَ الـمِياهَ, ويَتَحَصّنُ النّاسُ فِي حُصُونِهِمْ, فَيرْمُونَ بِسِهامِهِمْ إلى السّماءِ, فَيرْجِعُ فِيها كَهَيْئَةِ الدّماءِ, فَيَقُولُونَ: قَهَرْنا أَهْلَ الأَرْضِ, وَعَلَوْنا أَهْلَ السّماءِ, فَيَبْعَثُ اللّهُ عَلَيْهِمْ نَغَفا فِي أَقْفائِهِمْ فَتَقْتُلُهُمْ» فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «والّذِي نَفْسُ مُحَمّدٍ بِيَدِهِ إنّ دَوَابّ الأَرْضِ لَتَسْمَنُ وتَشْكَرُ مِنْ لُحُومِهِمْ».

17593ـ حدثنا ابن حميد, قال: حدثنا سلمة, عن محمد بن إسحاق, عن عاصم بن عمر بن قتادة الأنصاريّ ثم الظّفَريّ, عن محمود بن لبيد أخي بني عبد الأشهل, عن أبي سعيد الخدري, قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «يُفْتَحُ يأجُوجُ ومَأجُوجُ فَيَخْرُجُونَ على النّاسِ كمَا قالَ اللّهُ عَزّ وَجَلّ وَهُمْ مِنْ كُلّ حَدَبٍ يَنْسِلُونَ فَيَعْشُونَ الأرْضَ, ويَنْحازُ الـمُسْلِمُونَ عَنْهُمْ إلى مَدَائِنِهِمْ وَحُصُونِهِمْ, وَيَضُمّونَ إلَيْهِمْ مَوَاشيَهُمْ, فَيَشْرَبُونَ مِياهَ الأرْض, حتى إنّ بَعْضَهُمْ لَيَمُرّ بالنّهْرَ فَيَشْرَبُونَ ما فِيهِ, حتى يَتْرُكُوهُ يابسا, حَتى إنّ بَعْدَهمْ لَيَمُرّ بِذلكَ النّهْرِ, فيَقُولُ: لَقَدْ كانَ هَا هُنا ماءٌ مَرّةً, حتى لَمْ يَبْقَ مِنَ النّاسِ أَحَدٌ إلاّ انْحازَ إلى حِصْنٍ أوْ مَدِينَةٍ, قالَ قائِلُهُمْ: هَولاءِ أَهْلُ الأَرْضِ قَدْ فَرَغْنَا مِنْهُمْ, بَقِيَ أَهْلُ السّمَاءِ, قالَ: ثُمّ يَهُزّ أَحَدُهُمْ حَرْبَتَهُ, ثُمّ يَرْمي بها إلى السّماءِ, فَترْجِعُ إلَيْهِ مُخَضّبَةً دَما للْبِلاءِ وَالفِتْنَةِ. فَبَيّناهُمْ على ذلكَ, بَعَثَ اللّهُ عَلَيْهِمْ دُودا فِي أعناقِهِمْ كالنّغَفِ, فَتَخْرجُ فِي أعْناقِهِمْ فِيُصْبِحُونَ مَوْتَى, لا يُسْمَعُ لَهُمْ حِسّ, فَيَقُولُ الـمُسلِمُونَ: ألا رَجُلٌ يَشْري لَنا نَفْسَهُ, فَيَنْظُرُ ما فعل العدوّ, قال: فَيَتَجَرّدُ رَجُلٌ مِنْهُمْ لذلكَ مُحْتَسِبا لِنَفْسِهِ, قَدْ وَطّنَها على أنّهُ مَقْتُولٌ, فيَنْزِلُ فَيَجِدُهُمْ مَوْتى, بَعْضُهُمْ عَلى بَعْضٍ, فَيْنادي: يا مَعْشَرَ الـمُسْلِمِينَ, ألا أبْشِرُوا, فإنّ اللّهَ قَدْ كَفاكُمْ عَدُوّكُمْ, فيَخْرُجونَ مِنْ مَدَائِنِهِمْ وَحُصُونِهِمْ, وَيُسَرّحُونَ مَوَاشِيَهُمْ, فَمَا يَكُونُ لَهَا رَعْيٌ إلاّ لُحُومُهُمْ, فَتَشْكَرُ عَنْهُمْ أَحْسَنَ ما شَكَرَتْ عَنْ شَيْءٍ مِنَ النّباتِ أَصَابَتْ قَطّ».

17594ـ حدثني بحر بن نصر, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: ثني معاوية, عن أبي الزاهرية وشريح بن عبيد: أن يأجوج ومأجوج ثلاثة أصناف: صنف طولهم كطول الأرز, وصنف طوله وعرضه سواء, وصنف يفترش أحدهم أذنه ويلتحف بالأخرى فتغطى سائر جسده.

17595ـ حدثني محمد بن سعد, قال: ثني أبي, قال: ثني عمي, قال: ثني أبي, عن أبيه, عن ابن عباس: قالوا يا ذَا القَرْنَيْنِ إنّ يَأجُوجَ ومَأجُوج مُفْسِدُونَ فِي الأرْضِ قال: كان أبو سعيد الخُدريّ يقول: إن نبيّ الله صلى الله عليه وسلم قال: «لا يَمُوتُ رَجُلٌ مِنْهُمْ حتى يُولَدَ لِصُلْبِهِ أَلْفُ رَجُلٍ» قال: وكان عبد الله بن مسعود يعجب من كثرتهم ويقول: لا يموت من يأجوج ومأجوج أحد يولد له ألف رجل من صلبه.

فالخبر الذي ذكرناه عن وهب بن منبه في قصة يأجوج ومأجوج, يدلّ على أن الذين قالوا لذي القرنين إنّ يَأجُوجَ ومَأجُوج مُفْسِدُونَ فِي الأرْضِ إنما أعلموه خوفَهم ما يُحدث منهم من الإفساد في الأرض, لا أنهم شَكَوا منهم فسادا كان منهم فيهم أو في غيرهم, والأخبار عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنهم سيكون منهم الإفساد في الأرض, ولا دلالة فيها أنهم قد كان منهم قبل إحداث ذي القرنين السدّ الذي أحدثه بينهم وبين من دونهم من الناس في الناس غيرهم إفساد.

فإذا كان ذلك كذلك بالذي بيّنا, فالصحيح من تأويل قوله إنّ يَأْجُوجَ ومَأْجُوج مُفْسِدُونَ فِي الأرْض إن يأجوج ومأجوج سيفسدون في الأرض.

وقوله فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرْجًا اختلفت القرّاء في قراءة ذلك, فقرأته عامّة قرّاء المدينة والبصرة وبعض أهل الكوفة: فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرْجا كأنهم نحوا به نحو المصدر من خَرْج الرأس, وذلك جعله. وقرأته عامّة قرّاء الكوفيين: «فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرَاجا» بالألف, وكأنهم نحوا به نحو الاسم, وعنوا به أجرة على بنائك لنا سدّا بيننا وبين هؤلاء القوم.

وأولى القراءتين في ذلك عدنا بالصواب قراءة من قرأه: «فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرَاجا» بالألف, لأن القوم فيما ذُكر عنهم, إنما عرضوا على ذي القرنين أن يعطوه من أموالهم ما يستعين به على بناء السدّ, وقد بين ذلك بقوله: فَأَعِينُونِي بقُوّةٍ أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وبَيْنَهُمْ رَدْما ولم يعرضوا عليه جزية رؤوسهم. والخراج عند العرب: هو الغلة. وبنحو الذي قلنا فـ ي ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

17596ـ حدثنا القاسم, قال: حدثنا الحسين, قال: ثني حجاج, ع ن ابـ ن جريج, عن عطاء الخراسانيّ, عن ابن عباس «فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرَاجا» قال: أجرا علَى أنْ تَجعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ سَدّا.

17597ـ حدثنا الحسن بن يحيى, قال: أخبرنا عبد الرزاق, قال: أخبرنا معمر, عن قتادة, في قوله: «فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرَاجا» قال: أجرا.

حدثنا القاسم, قال: حدثنا الحسين, قال: حدثنا أبو سفيان, عن معمر, عن قتادة, قوله: «فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرَاجا» قال: أجرا.

وقوله: علَى أنْ تَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ سَدّا يقول: قالوا له: هل نجعل لك خراجا حتى أن تجعل بيننا وبين يأجوج ومأجوج حاجزا يحجز بيننا وبينهم, ويمنعهم من الخروج إلينا, وهو السدّ.

الآية : 95

القول في تأويل قوله تعالى: {قَالَ مَا مَكَّنِّي فِيهِ رَبِّي خَيْرٌ فَأَعِينُونِي بِقُوَّةٍ أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رَدْماً }.

يقول تعالى ذكره: قال ذو القرنين: الذي مكنني في عمل ما سألتموني من السدّ بينكم وبين هؤلاء القوم ربي, ووطأه لي, وقوّاني عليه, خير من جُعلكم, والأجرة التي تعرضونها عليّ لبناء ذلك, وأكثر وأطيب, ولكن أعينوني منكم بقوّة, أعينوني بفَعلة وصناع يُحسنون البناء والعمل. كما:

17598ـ حدثنا القاسم, قال: حدثنا الحسين, قال: ثني حجاج, ع ن ابـ ن جريج, عن مجاهد ما مَكَّنِّي فِيهِ رَبِّي خَيْرٌ فَأَعِينوني بقُوَةٍ قال: برجال أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رَدْما وقال ما مكني, فأدغم إحدى النونين في الأخرى, وإنما هو ما مكنني فيه. وقوله: أجعَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رَدْما يقول: أجعل بينكم وبين يأجوج ومأجوج ردما. والردم: حاجز الحائط والسدّ, إلا أنه أمنع منه وأشدّ, يقال منه: قد ردم فلان موضع كذا يَردِمه رَدْما ورُداما ويقال أيضا: رَدّم ثوبه يردمه, وهو ثوب مُرَدّم: إذا كان كثير الرقاع ومنه قول عنترة:

هَلْ غادَرَ الشّعَرَاءُ مِنْ مُتَرَدّمِأمْ هَلْ عَرَفْتَ الدّارَ بَعْدَ تَوَهّمِ

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

17599ـ حدثني محمد بن سعد, قال: ثني أبي, قال: ثني عمي, قال: ثني أبي, عن أبيه, عن ابن عباس, قوله: أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رَدْما قال: هو كأشدّ الحجاب.
17600ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة, قال: ذكر لنا أن رجلاً قال: يا نبيّ الله قد رأيت سدّ يأجوج ومأجوج, قال: «انْعَتْهُ لي», قال: كأنه البرد المحّبر, طريقة سوداء, وطريقة حمراء, قالَ: «قَدْ رأيْتَهُ».

الآية : 96 و 97

القول في تأويل قوله تعالى: {آتُونِي زُبَرَ الْحَدِيدِ حَتَّىَ إِذَا سَاوَىَ بَيْنَ الصَّدَفَيْنِ قَالَ انفُخُواْ حَتَّىَ إِذَا جَعَلَهُ نَاراً قَالَ آتُونِيَ أُفْرِغْ عَلَيْهِ قِطْراً * فَمَا اسْطَاعُوَاْ أَن يَظْهَرُوهُ وَمَا اسْتَطَاعُواْ لَهُ نَقْباً }.
يقول عزّ ذكره: قال ذو القرنين للذين سألوه أن يجعل بينهم وبين يأجوج ومأجوج سدّا آتونِي أي جيئوني بِزُبَر الحديد, وهي جمع زُبْرة, والزّبْرة: القطعة من الحديد. كما:
17601ـ حدثني عليّ, قال: حدثنا عبد الله, قال: ثني معاوية, عن عليّ, عن ابن عباس, قوله: زُبَرَ الحَدِيدِ يقول: قطع الحديد.
حدثني محمد بن سعد, قال: ثني أبي, قال: ثني عمي, قال: ثني أبي, عن أبيه, عن ابن عباس, قوله: آتُونِي زُبَرَ الحَدِيدِ قال: قطع الحديد.
17602ـ حدثني إسماعيل بن سيف, قال: حدثنا عليّ بن مسهر, عن إسماعيل, عن أبي صالح, قوله: زُبَرَ الحَدِيدِ قال: قطع الحديد.
17603ـ حدثني محمد بن عمارة الأسديّ, قال: حدثنا عبيد الله بن موسى, قال: أخبرنا إسرائيل, عن أبي يحيى عن مجاهد, قوله: آتُونِي زُبَرَ الحَدِيدِ قال: قطع الحديد.
17604ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة آتُونِي زُبَرُ الحَدِيدِ: أي فَلَق الحديث.
حدثنا الحسن بن يحيى, قال: أخبرنا عبد الرزاق, قال: أخبرنا معمر, عن قتادة, في قوله: آتُونِي زُبَرُ الحَدِيدِ قال: قطع الحديد.
حدثنا القاسم, قال: حدثنا الحسين, قال: ثني حجاج, عن ابن جريج, قال: قال ابن عباس: آتُونِي زُبَرَ الحَدِيدِ قال: قطع الحديد.
وقوله: حتى إذَا ساوَى بينَ الصّدفَيْنِ يقول عزّ ذكره: فآتُوهُ زُبَر الحديد, فجعلها بين الصدفين حتى إذا ساوى بين الجبلين بما جعل بينهما من زُبر الحديد, ويقال: سوّى. والصدفان: ما بين ناحيتي الجبلين ورؤوسهما ومنه قوله الراجز:
قدْ أخَذَتْ ما بينَ عَرْضِ الصّدُفَيْنِناحِيَتَيْها وأعالي الرّكْنَيْنِ
وبنحو الذي قلنا في ذَلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:
17605ـ حدثني عليّ, قال: حدثنا عبد الله, قال: ثني معاوية, عن عليّ, عن ابن عباس, قوله بينَ الصّدَفَيْنِ يقول: بين الجبلين.
حدثني محمد, بن سعد, قال: ثني أبي, قال: ثني عم ي, قال: ثني أبي, عن أبيه, عن ابن عباس: حتى إذَا بَلَغَ بينَ السّدّيْنِ قال: هو سدّ كان بين صَدَفين, والصدفان: الجبلان.

17606ـ حدثني محمد بن عمرو, قال: حدثنا أبو عاصم, قال: حدثنا عيسى «ح» وحدثني الحارث, قال: حدثنا الحسن, قال: حدثنا ورقاء, جميعا عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد, قوله: الصّدَفَيْنِ رؤوس الجبلين.

حدثنا القاسم, قال: حدثنا الحسين, قال: ثني حجاج, عن ابن جريج, عن مجاهد, مثله.

17607ـ حُدثت عن الحسين بن الفرج, قال: سمعت أبا مُعاذ يقول: حدثنا عبيد, قال: سمعت الضحاك يقول في قوله: بينَ الصّدَفَيْنِ يعني الجبلين, وهما من قبل أرمينية وأذربيجان.

17608ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة حتى إذَا ساوَى بينَ الصّدَفَيْنِ وهما الجبلان.

17609ـ حدثني أحمد بن يوسف, قال: أخبرنا القاسم, قال: حدثنا هشيم, عن مغيرة, عن إبراهيم أنه قرأها: بينَ الصّدَفَيْنِ منصوبة الصاد والدال, وقال: بين الجبلين, وللعرب في الصدفين: لغات ثلاث, وقد قرأ بكلّ واحدة منها جماعة من القراء: الفتح في الصاد والدال, وذلك قراءة عامة قرّاء أهل المدينة والكوفة والضمّ فيهما, وهي قراءة أهل البصرة والضم في الصاد وتسكين الدال, وذلك قراءة بعض أهل مكة والكوفة. والفتح في الصاد والدال أشهر هذه اللغات, والقراءة بها أعجب إليّ, وإن كنت مستجيزا القراءة بجميعها, لاتفاق معانيها. وإنما اخترت الفتح فيهما لما ذكرت من العلة.

وقوله: قالَ انْفُخُوا يقول عزّ ذكره, قال للفعلة: انفخوا النار على هذه الزّبر من الحديد.

وقوله: حتى إذَا جَعَلَهُ نارا وفي الكلام متروك, وهو فنفخوا, حتى إذا جعل ما بين الصدفين من الحديد نارا قالَ آتُونِي أُفْرِغْ عَلَيْهِ قَطْرا فاختلفت القرّاء في قراءة ذلك, فقرأته عامة قرّاء المدينة والبصرة, وبعض أهل الكوفة: قالَ آتُونِي بمدّ الألف من آتُونِي بمعنى: أعطوني قطرا أفرغ عليه. وقرأه بعض قرّاء الكوفة, قال: «ائْتُونِي» بوصل الألف, بمعنى: جيئوني قِطْرا أفرغ عليه, كما عليه: أخذت الخطام, وأخذت بالخطام, وجئتك زيدا, وجئتك بزبر. وقد يتوجه معنى ذلك إذا قرىء كذلك إلى معنى أعطوني, فيكون كأنه قارئه أراد مدّ الألف من آتوني, فترك الهمزة الأولى من آتوني, وإذا سقطت الأولى همز الثانية.)

وقوله: أُفْرِغْ عَلَيْهِ قِطْرا يقول: أصبّ عليه قطرا, والقِطْر: النّحاس. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

17610ـ حدثني محمد بن سعد, قال: ثني أبي, قال: ثني عمي, قال: ثني أبي, عن أبيه, عن ابن عباس, قوله أُفْرِغْ عَلَيْهِ قِطْرا قال: القِطر: النحاس.

17611ـ حدثني محمد بن عمرو, قال: حدثنا أبو عاصم, قال: حدثنا عيسى وحدثني الحارث, قال: حدثنا الحسن, قال: حدثنا ورقاء, جميعا عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد, مثله.

حدثنا القاسم, قال: حدثنا الحسين, قال: ثني حجاج, عن ابن جريج, مثله.

17612ـ حُدثت عن الحسين, قال: سمعت أبا مُعاذ يقول: حدثنا عبيد, قال: سمعت الضحاك يقول في قوله: أُفْرِغْ عَلَيْهِ قِطْرا: يعني النحاس.

17613ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة أُفْـرِغْ عَلَـيْهِ قِطْرا أي النـحاس لـيـلزمه به.
حدثنا الـحسن, قال: أخبرنا عبد الرزاق, قال: أخبرنا معمر, عـن قتـادة, فـي قوله أُفْرِغْ عَلَـيْهِ قِطْرا قال: نـحاسا.
وكان بعض أهل العلـم بكلام العرب من أهل البصرة يقول: القِطر: الـحديد الـمذاب, ويستشهد لقوله ذلك بقول الشاعر:
حُساما كَلَوْنِ الـمِلْـحِ صَافٍ حَديدُهجُزَارا مِنَ اقْطارِ الـحَديدِ الـمُنَعّتِ
وقوله: فَمَا اسْطَاعُوا أَنْ يَظْهَرُوهُ يقول عـزّ ذكـره: فمـا اسـطاع يـأجوج ومأجوج أن يَعلُوا الردم الـذي جعلـه ذو القرنــين حـاجزا بــينهم, وبــين مـن دونهم من الناس, فـيصيروا فوقه وينزلوا منه إلـى الناس.
يقال منه: ظهر فلان فوق البـيت: إذا علاه ومنه قـول النـاس: ظهـر فلان علـى فلان: إذا قهره وعلاه. وَما اسْتَطاعُوا لَهُ نَقْبــا يقـول: ولــم يسـتطيعوا أن ينقبوه من أسفله. وبنـحو الذي قلنا فـي ذلك قال أهل التأويـل. ذكر مــن قال ذلك:
17614ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة, قوله: فَمَا اسْطاعُوا أَنْ يَظْهَرُوهُ من قوله: وَما اسْتَطاعُوا لَهُ نَقْبـا: أي من أسفله.
حدثنا الـحسن, قال: أخبرنا عبد الرزاق, قال: أخبرنا معمر, عـن قتـادة, فـي قوله فَمَا اسْطاعُوا أَنْ يَظْهَرُوهُ قال: ما استطاعوا أن ينزعوه.
حدثنا القاسم, قال: حدثنا الـحسين, قال: حدثنا أبو سفـيان, عن معمر, عن قتادة فَمَا اسْطاعُوا أَنْ يَظْهَرُوهُ قال: أن يرتقُوه وَما اسْتَطاعُوا لَهُ نَقْبـا.
17615ـ حدثنا القاسم, قال: حدثنا الـحسين, قال: ثنـي حجاج, عـن ابـن جريج, فَمَا اسْطاعُوا أَنْ يَظْهَرُوهُ قال: أن يرتقُوه وَما اسْتَطاعُوا لَهُ نَقْبـا.
حدثنا القاسم, قال: حدثنا الـحسين, قال: ثن حجاج, عن ابن جريج فَمَـا اسْطاعُوا أَنْ يَظْهَرُوهُ قال: يعلـوه وَمـا اسْـتَطاعُوا لَـهُ نَقْبــا: أي ينقبـوه مـن أسفله.
واختلف أهل العربـية فـي وجه حذف التاء من قوله: فَمَا اسْطاعُوا فقـال بعض نـحويـي البصرة: فعل ذلك لأن لغة العرب أن تقول: اسـطاع يسـطيع, يريـدون بهـا: اسـتطاع يسـتطيع, ولكـن حـذفوا التـاء إذا جُمعـت مـع الطـاء ومخرجهما واحد. قال: وقال بعضـهم: اسـتاع, فحـذف الطـاء لـذلك. وقـال بعضهم: أسطاع يسطيع, فجعلها من القطع كأنها أطاع يطيع, فجعل السـين عوضا من إسكان الواو. وقال بعض نـحويــيّ الكوفـة: هـذا حـرف اسـتعمل فكثر حتـى حذف.

الآية : 98

القول فـي تأويـل قوله تعالـى: {قَالَ هَـذَا رَحْمَةٌ مّن رّبّـي فَـإِذَا جَـآءَ وَعْـدُ رَبّي جَعَلَهُ دَكّآءَ وَكَانَ وَعْدُ رَبّي حَقّاً }.
يقول عزّ ذكره: فلـما رأى ذو القرنـين أن يأجوج ومأجوج لا يستطيعون أن يظهروا ما بنـي مـن الـردم, ولا يقـدرون عـل نقبـه, قـال: هـذا الـذي بنــيته وسوّيته حاجزا بـين هذه الأمة, ومن دون الردم رحمة من ربـي رحم بها مــن دون الردم من الناس, فأعاننـي برحمتـه لهـم حتــى بنــيته وسـوّيته لــيكفّ بذلك غائلة هذه الأمة عنهم.
وقوله: فإذَا جاءَ وَعْدُ رَبّـي جَعَلَهُ دَكّاءَ يقول: فإذا جاء وعد ربـي الذي جعله ميقاتا لظهور هذه الأمة وخروجها من وراء هذا الردم لهم, جعله دكاء, يقول:

سوّاه بـالأرض, فألزقه بها, من قولهم: ناقة دكـاء: مسـتوية الظهـر لا سـنام لها. وإنـما معنى الكلام: جعله مدكوكا, فقـيـل: دكاء. وكان قتادة يقول فــي ذلك ما:

17616ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة, قوله: فإذَا جاءَ وَعدُ رَبـي جَعَلَه دَكّاءَ قال: لا أدري الـجبلـين يعنـي به, أو ما بـينهما.

وذُكر أن ذلك يكون كذلك بعد قتل عيسى ابن مريـم علـيه السلام الدجال. ذكر من قال ذلك:

17617ـ حدثنـي أحمد بن إبراهيـم الدورقـي, قال: حدثنا هشيـم بن بشير, قال: أخبرنا العوّام, عن جبلة بن سحيـم, عن مؤثر, وهو ابن عفـارة العبدي, عن عبد الله بن مسـعود, قـال: قـال رسـول اللـه صـلى اللـه عليـه وسـلم: «لَقِـيتُ لَـيْـلَةَ الإسْـرَاءِ إبْرَاهِيــمَ وَمُوسَـى وَعِيسَـى فَتَـذَاكرُوا أمْـرِ السّـاعَةِ, وَرَدّوا الأمْرَ إلـى إبْرَاهِيـمَ فَقالَ إبْرَاهِيـمُ: لا عِلْـمَ لـي بِها, فَـرَدّوا الأمْـرَ إلــى مُوسَى, فقالَ مُوسَى: لا عِلْـمَ لـي بها, فَرَدّوا الأمْرَ إلـى عِيسَى قالَ عِيسَى: أمّا قِـيامُ السّاعَةِ لا يَعْلَـمُهُ إلاّ اللّهُ, وَلَكِنّ رَبّـي قَدْ عَهِـدَ إلَــيّ بِــمَا هُـوَ كـائِنٌ دُونَ وَقْتِها, عَهِدَ إلـيّ أنّ الدّجّالَ خـارِجٌ, وأنّـهُ مُهْبطـي إلَــيْه, فَـذَكَرَ أنّ مَعَـهُ قَصَبَتَـيْنِ, فإذَا رآنِـي أهْلَكَهُ اللّهُ, قالَ: فَـيَذُوبُ كمَا يَذُوبُ الرّصَاصُ, حتـى إنّ الـحَجَرَ والشّجَرَ لَـيَقُولُ: يا مُسْلِـمُ هَذَا كافِرٌ فاقْتُلْهُ, فَـيُهْلِكُهُمْ اللّـهُ, وَيَرْجِـعُ الناسُ إلـى بِلادِهِـمْ وأوْطـانِهِمْ فَــيَسْتَقْبِلُهُمْ يَـأجُوجُ ومَـأجُوجَ مِـنْ كُـلّ حَـدَبٍ يَنْسِلُونَ, لا يَأتُونَ عَلـى شَيْءٍ إلاّ أكَلُوهُ, وَلا يَـمُرّونَ عَلــى مـاءٍ إلاّ شَـرِبُوهُ, فـيَرْجِعُ النّاسُ إلـيّ, فَـيَشْكُونَهُمْ, فأدْعُوا اللّهَ عَلَـيْهِمْ فَـيُـمِيتُهُمْ حتـى تَــجْوَى الأرْضُ مِنْ نَتْنِ رِيحِهِمُ, فَـيَنْزِلُ الــمَطَرُ, فَــيَجُرّ أجْسـادَهُمْ, فـيُـلْقِــيهِمْ فِــي البَحْرِ, ثُمّ يَنْسِفُ الـجِبـالَ حتـى تَكُونَ الأرْضُ كالأديـم, فَعَهِـدَ إلــيّ رَبّــي أنّ ذلكَ إذا كان كذلك, فَإنّ السّاعَةَ مِنْهُمْ كالـحامِلِ الـمُتِـمّ الّتِـي لا يَـدْرِي أهْلُهـا مَتـى تَفْجَوهُمْ بِولادِها, لَـيْلاً أوْ نَهارا».

17618ـ حدثنـي عبـيد بن إسماعيـل, قال: حدثنا الـمحاربـيّ, عن أصـبغ بن زيد, عن العوّام بن حوشب, عن جبلة بن سحيـم, عن مؤثر بــن عَفــازَة, عن عبد الله بن مسعود, قال: لـما أُسْري برسول الله صلى الله عليه وسلم التقـي هو وإبراهيـم وموسى وعيسى علـيهم السلام. فتذاكروا أمر الساعة. فذكر نـحو حديث إبراهيـم الدورقـي عن هشيـم, وزاد فـيه: قال العـوّام بـن حوشب: فوجدت تصديق ذلك فـي كتاب اللـه تعالــى, قـال اللـه عـزّ وجـلّ: حتـى إذَا فُتِـحَتْ يأجُوجُ ومَأجُوجُ وَهُمْ مِنْ كُلّ حَدَبٍ يَنْسِـلُونَ وَاقْتَـرَبَ الوَعْـدُ الـحَقّ فإذَا هِيَ شاخِصَةٌ أبْصَارُ الّذِينَ كَفَرُوا وقال: فإذَا جاءَ وَعْدُ رَبّــي جَعَلَـهُ دَكّاءَ وكانَ وَعْدُ رَبّـي حَقّا يقول: وكان وعد ربـي الذي وعـد خــلقه فــي دكّ هذا الردم, وخروج هؤلاء القوم علـى الناس, وعيثهـم فـيه, وغيـر ذلـك مـن وعده حقا, لأنه لا يخـلف الـميعاد فلا يقع غير ما وعد أنه كائن.

الآية : 99 و 100

القول فـي تأويـل قوله تعالـى: {وَتَرَكْنَـا بَعْضَـهُمْ يَوْمَئِـذٍ يَمُـوجُ فِـي بَعْـضٍ وَنُفِخَ فِي الصّورِ فَجَمَعْنَاهُمْ جَمْعاً * وَعَرَضْنَا جَهَنّمَ يَوْمَئِذٍ لّلْكَافِرِينَ عَرْضاً }.

يقول تعالـى ذكره: وتركنا عبـادنا يوم يأتـيهم وعدنا الذي وعـدناهم, بأنـا ندكّ الـجبـال ونَنْسِـفها عـن الأرض نسفــا, فنـذرها قاعـا صفصفــا, بعضـهم يـموج فـي بعض, يقول: يختلط جنهم بإنسهم. كما:

17619ـ حدثنا ابن حميد, قال: حدثنا يعقوب القمي, عن هارون بن عنترة, عن شيخ من بني فزارة, في قوله: وَتَرَكْنا بَعْضَهُمْ يَوْمَئِذٍ يَمُوجُ في بَعْضٍ قال: إذا ماج الجنّ والإنس, قال إبليس: فأنا أعلم لكم علم هذا الأمر, فيظعن إلى المشرق, فيجد الملائكة قد قطعوا الأرض, ثم يظعن إلى المغرب, فيجد الملائكة قد قطعوا الأرض, ثم يصعد يمينا وشمالاً إلى أقصى الأرض, فيجد الملائكة قطعوا الأرض, فيقول: ما من مَحِيص, فبينا هو كذلك, إذ عرض له طريق كالشراك, فأخذ عليه هو وذريّته, فبينما هم عليه, إذ هجموا على النار, فأخرج الله خازنا من خُزّان النار, قال: يا إبليس ألم تكن لك المنزلة عند ربك, ألم تكن في الجنان؟ فيقول: ليس هذا يوم عتاب, لو أن الله فرض عليّ فريضة لعبدته فيها عبادة لم يعبده مثلها أحد من خلقه, فيقول: فإن الله قد فرض عليك فريضة, فيقول: ما هي؟ فيقول: يأمرك أن تدخل النار, فيتلكأ عليه, فيقول به وبذرّيته بجناحيه, فيقذفهم في النار, فَتزفر النار زفرة فلا يبقى مَلَك مقرّب, ولا نبيّ مرسل إلا جثى لركبتيه.

17620ـ حدثني يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: قال ابن زيد, في قوله: وَتَرَكْنا بَعْضَهُمْ يَوْمَئِذٍ يَمُوجُ في بَعْضٍ قال: هذا أوّل القيامة, ثم نفخ في الصور على أثر ذلك فجمعناهم جمعا.

وَنُفِخَ فِي الصّورِ قد ذكرنا اختلاف أهل التأويل فيما مضى في الصّور, وما هو, وما عُنِي به. واخترنا الصواب من القول في ذلك بشواهده المغنية عن إعادته في هذا الموضع, غير أنا نذكر في هذا الموضع بعض ما لم نذكر في ذلك الموضع من الأخبار. ذكر من قال ذلك:

17621ـ حدثنا محمد بن عبد الأعلى, قال: حدثنا المعتمر بن سليمان, عن أبيه, قال: حدثنا أسلم, عن بشر بن شغاف, عن عبد الله بن عمرو, عن النبيّ صلى الله عليه وسلم أن أعرابيا سأله عن الصّور, قال: «قَرْنٌ يُنْفَخُ فِيهِ».

حدثنا أبو كريب, قال: حدثنا معاوية بن هشام, عن سفيان, عن سليمان التيميّ, عن العجلي, عن بشر بن شغاف, عن عبد الله بن عمرو, عن النبيّ صلى الله عليه وسلم, بنحوه.

17622ـ حدثنا محمد بن الحارث القنطري, قال: حدثنا يحيى بن أبي بكير, قال: كنت في جنازة عمر بن ذرّ فلقيت مالك بن مغول, فحدثنا عن عطية العوفي, عن أبي سعيد الخُدريّ, قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «كَيْفَ أنْعَمُ وَصَاحِبُ القَرْنِ قَدِ الْتَقَمَ القَرْنَ وَحَنى الجَبْهَةَ, وأصْغَى بالأذُنُ مَتى يُوءْمَرُ» فشقّ ذلك على أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم, فقال: «قُولُوا حَسْبُنا اللّهُ وَعَلى اللّهِ تَوَكّلْنا, ولوِ اجْتَمَعَ أهْلُ مِنًى ما أقالُوا ذلكَ القَرْنَ» كذا قال, وإنما هو ماأقلوا.

حدثني أبو السائب, قال: حدثنا حفص, عن الحجاج, عن عطية, عن أبي سعيد الخُدريّ, قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «كَيْفَ أنْعَمُ وَصَاحِبُ القَرْنِ قَدِ الْتَقَم القَرْنَ, وَحَنى ظَهْرَهُ وَحَنَظَ بعَيْنَيْهِ», قالوا: ما نقول يارسول الله؟ قال: «قُولُوا: حَسْبُنا اللّهُ, تَوَكّلْنا علَى اللّهِ».

17623ـ حدثنا أبو كريب, قال: حدثنا ابن فضيل, عن مطرف, عن عطية, عن ابن عباس, قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «كَيْفَ أنْعَمُ وَصَاحِبُ القَرْن قَدِ الْتَقَمَ القَرْنَ, وَحَنى جَبْهَتَهُ, يَسْتَمِعُ مَتى يُوءْمَرُ فَيَنْفُخُ

فِيهِ», فقال أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم: فكيف نقول؟ قال: «تَقُولُونَ: حَسْبُنا اللّهُ وَنِعْمَ الوَكِيلُ, تَوَكّلنا على اللّهِ».

حدثنا أبو كريب والحسن بن عرفة, قالا: حدثنا أسباط, عن مطرف, عن عطية, عن ابن عباس, عن النبيّ صلى الله عليه وسلم, مثله.

حدثني يعقوب, قال: حدثنا شعيب بن حرب, قال: حدثنا خالد أبو العلاء, قال: حدثنا عطية العوفيّ, عن أبي سعيد الخُدريّ, قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «كَيْفَ أنْعَمُ وَصَاحِبُ القَرْنِ قَدِ الْتَقَمَ الْقَرْنَ وَحَنى الجَبْهَةَ, وأصْغَى بالأُذُنِ مَتى يُوءْمَرُ أنْ يَنْفُخَ, وَلَوْ أنّ أهْلَ مِنًى اجْتَمَعُوا على القَرْنَ علَى أنْ يُقِلّوهُ مِنَ الأرْضِ, ما قَدَرُوا عَلَيْهِ» قال: فأبلسَ أصحابُ رسول الله صلى الله عليه وسلم, وشقّ عليهم, قال: فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «قُولُوا: حَسْبُنا اللّهُ وَنِعْمَ الوَكِيلُ, عَلى اللّهِ تَوَكّلْنا».

17624ـ حدثنا أبو كريب, قال: حدثنا عبد الرحمن بن محمد المحاربيّ, عن إسماعيل بن رافع المدني, عن يزيد بن فلان, عن رجل من الأنصار, عن محمد بن كعب القُرَظيّ, عن رجل من الأنصار, عن أبي هريرة, قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «لَمّا فَرَغَ اللّهَ مِنْ خَلْقِ السّمَوَاتِ وّالأرْضِ, خَلَقَ الصّورَ, فأعْطاهُ إسْرَافِيلَ, فَهُوَ وَضَعَهُ عَلى فِيهِ شاخِصٌ بَصَرُهُ إلى العَرْشِ يَنْتَظِرُ مَتى يُوءْمَرُ». قال أبو هريرة: يا رسول الله, ما الصّور؟ قال: «قَرْنٌ». قال: وكيف هو؟ قال: «قَرْنٌ عَظِيمٌ يُنْفَخُ فِيهِ ثَلاثُ نَفَخاتٍ: الأُولى: نَفْخَةُ الفَزَعِ, والثّانِيَةُ: نَفْخَةُ الصّعْقِ, والثّالِثَةُ: نَفْخَةُ القِيامِ لِرَبّ العالَمِينَ».

وقوله: فَجَمَعْناهُمْ جَمْعا يقول: فجمعنا جميع الخلق حينئذ لموقف الحساب جميعا. وقوله: وعَرَضْنا جَهَنّمَ يَوْمَئِذٍ للكافِرِينَ عَرْضا يقول: وأبرزنا جهنم يوم ينفخ في الصور, فأظهرناها للكافرين بالله, حتى يروها ويعاينوها كهيئة السراب ولو جعل الفعل لها قيل: أعرضت إذا استبانت, كما قال عمرو بن كلثوم:

وأعْرَضَتِ اليَمامَةُ واشْمَخَرّتْكأسْيافٍ بأيْدِي مُصْلِتِينا

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

17625ـ حدثنا محمد بن بشار, قال: حدثنا عبد الرحمن بن مهدي, قال: حدثنا سفيان, عن سلمة بن كهيل, قال: حدثنا أبو الزعراء, عن عبد الله, قال: يقوم الخلق لله إذا نفخ في الصور, قيام رجل واحد, ثم يتمثّل الله عزّ وجلّ فما يلقاه أحد من الخلائق كان يعبد من دون الله شيئا إلا وهو مرفوع له يتبعه, قال: فيلقى اليهود فيقول: من تعبدون؟ قال: فيقولون: نعبد عُزَيرا, قال: فيقول: هل يسركم الماء؟ فيقولون نعم, فيريهم جهنم وهي كهيئة السراب, ثم قرأ وَعَرَضْنا جَهَنّمَ يَوْمَئِذٍ للكافِرِينَ عَرْضا ثم يلقى النصارى فيقول: من تعبدون؟ فيقولون: نعبد المسيح, فيقول: هل يسركم الماء, فيقولون نعم, قال: فيريهم جهنم وهي كهيئة السراب, ثم كذلك لمن كان يعبد من دون الله شيئا, ثم قرأ عبد الله وَقِفوهُم إنّهُمْ مَسْئُولُونَ.

الآية : 101

القول في تأويل قوله تعالى: {الّذِينَ كَانَتْ أَعْيُنُهُمْ فِي غِطَآءٍ عَن ذِكْرِي وَكَانُواْ لاَ يَسْتَطِيعُونَ سَمْعاً }.

يقول تعالى: وعرضنا جهنم يومئذ للكافرين الذين كانوا لا ينظرون في آيات الله, فيتفكّرون فيها ولا يتأمّلون حججه, فيعتبرون بها, فيتذكرون وينيبون إلى توحيد الله, وينقادون لأمره ونهيه, وكانُوا لا يَسْتَطِيعُونَ سَمْعا يقول: وكانوا لا يطيقون أن يسمعوا ذكر الله الذي ذكّرهم به, وبيانه الذي بيّنه لهم في إي كتابه, بخذلان الله إياهم, وغلبة الشقاء عليهم, وشُغْلِهم بالكفر بالله وطاعة الشيطان, فيتعظون به, ويتدبّرونه, فيعرفون الهدى من الضلالة, والكفر من الإيمان. وكان مجاهد يقول في ذلك ما:

17626ـ حدثني محمد بن عمرو, قال: حدثنا أبو عاصم, قال: حدثنا عيسى وحدثني الحارث, قال: حدثنا الحسن, قال: حدثنا ورقاء, جميعا عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد, قوله: لا يَسْتَطِيعُونَ سَمْعا قال: لا يعقلون.

17627ـ حدثنا القاسم, قال: حدثنا الحسين, ثنى حجاج, عن ابن جريج, عن مجاهد وكانُوا لا يَسْتَطِيعُونَ سَمْعا قال: لا يعلمون.

17628ـ حدثني يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: قال ابن زيد, في قوله الّذِينَ كانَت أعْيُنُهُمْ في غِطاءٍ عَنْ ذِكْرِى... الآية, قال: هؤلاء أهل الكفر.

الآية : 102

القول في تأويل قوله تعالى: {أَفَحَسِبَ الّذِينَ كَفَرُوَاْ أَن يَتّخِذُواْ عِبَادِي مِن دُونِيَ أَوْلِيَآءَ إِنّآ أَعْتَدْنَا جَهَنّمَ لِلْكَافِرِينَ نُزُلاً }.

يقول عزّ ذكره: أفظن الذين كفروا بالله من عبدة الملائكة والمسيح, أن يتخذوا عبادي الذين عبدوهم من دون الله أولياء, يقول كلا بل هم لهم أعداء. وبنحو الذي قلنا في ذلك, قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

17629ـ حدثنا القاسم, قال: حدثنا الحسين, قال: ثنى حجاج, عن ابن جريج, في قوله: أفَحَسِبَ الّذينَ كَفَرُوا أنْ يَتّخِذُوا عِبادِي مِنْ دُونِي أوْلِياءَ قال: يعني من يعبد المسيح ابن مريم والملائكة, وهم عباد الله, ولم يكونوا للكفار أولياء. وبهذه القراءة, أعني بكسر السين من أفَحَسِبَ بمعنى الظنّ قرأت هذا الحرف قرّاء الأمصار. ورُوي عن عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه وعكرِمة ومجاهد أنهم قرءوا ذلك أفَحَسْبُ الّذِينَ كَفَرُوا بتسكين السين, ورفع الحرف بعدها, بمعنى: أفحسبهم ذلك: أي أفكفاهم أن يتخذوا عبادي من دوني أولياء من عباداتي وموالاتي. كما:

17630ـ حُدثت عن إسحاق بن يوسف الأزرق, عن عمران بن حدير, عن عكرمة أفَحَسْبُ الّذينَ كَفَرُوا قال: أفحسبهم ذلك.

والقراءة التي نقرؤها هي القراءة التي عليها قرّاء الأمصار أفَحَسِبَ الّذِينَ بكسر السين, بمعنى أفظنّ, لإجماع الحجة من القرّاء عليها.

وقوله: إنّا أعْتَدْنا جَهَنّمَ للْكافِرِينَ نُزُلاً يقول: أعددنا لمن كفر بالله جهنم منزلاً.

الآية : 103 و 104

القول في تأويل قوله تعالى:

{قُلْ هَلْ نُنَبّئُكُم بِالأخْسَرِينَ أَعْمَالاً * الّذِينَ ضَلّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعاً }.

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم: قُلْ يا محمد لهؤلاء الذين يبغون عَنَتَك ويجادلونك بالباطل, ويحاورونك بالمسائل من أهل الكتابين: اليهود, والنصارى هَلْ نُنَبِّئُكُمْ أيها القوم بالأَخْسَرِينَ أعمالاً يعني بالذين أتعبوا أنفسهم في عمل يبغون به ربحا وفضلاً, فنالوا به عَطَبا وهلاكا ولم يدركوا طلبا, كالمشتري سلعة يرجو بها فضلاً وربحا, فخاب رجاؤه, وخسر بيعه, ووكس في الذي رجا فضله.

واختلف أهل التأويل في الذين عُنوا بذلك, فقال بعضهم: عُنِي به الرهبانْ والقسوس. ذكر من قال ذلك:

17631ـ حدثنا ابن حميد, قال: حدثنا المقبري, قال: حدثنا حيوة بن شريح, قال: أخبرني السكن بن أبي كريمة, أن أمه أخبرته أنها سمعت أبا خميصة عبد الله بن قيس يقول: سمعت عليّ بن أبي طالب يقول في هذه الآية قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بالأَخْسَرِينَ أعمالاً: هم الرهبان الذين حبسوا أنفسهم في الصوامع.

حدثني يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: سمعت حيوة يقول: ثني السكن بن أبي كريمة, عن أمه أخبرته أنها سمعت عبد الله بن قيس يقول: سمعت عليّ بن أبي طالب يقول, فذكر نحوه.

17632ـ حدثنا ابن بشار, قال: حدثنا عبد الرحمن, قال: حدثنا سفيان, عن منصور, عن هلال بن يِساف, عن مصعب بن سعد, قال: قلت لأبي: وَهُمْ يَحْسَبُونَ أنّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعا أهم الحَرورية؟ قال: هم أصحاب الصوامع.

17633ـ حدثنا فضالة بن الفضل, قال: قال بزيع: سأل رجل الضحاك عن هذه الآية قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بالأَخْسَرِينَ أعمالاً قال: هم القِسيسون والرهبان.

17634ـ حدثنا الحسن بن يحيى, قال: أخبرنا عبد الرزاق, قال: أخبرنا الثوريّ, عن منصور, عن هلال بن يِساف, عن مصعب بن سعد, قال: قال سعد: هم أصحاب الصوامع.

حدثنا ابن حميد, قال حدثنا جرير, عن منصور, عن ابن سعد, قال: قلت لسعد: يا أبت هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بالأَخْسَرِينَ أعمالاً أهم الحَرورية, فقال: لا, ولكنهم أصحاب الصوامع, ولكن الحَرورية قوم زاغوا فأزاغ الله قلوبهم.

وقال آخرون: بل هم جميع أهل الكتابين. ذكر من قال ذلك:

17635ـ حدثنا محمد بن المثنى, قال: حدثنا محمد بن جعفر, قال حدثنا شعبة, عن عمرو بن مرة, عن مصعب بن سعد, قال: سألت أبي عن هذه الآية قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بالأَخْسَرِينَ أعمالاً الّذينَ ضَلّ سَعْيُهُمْ في الحَياةِ الدّنْيا أهم الحَرورية؟ قال: لا, هم أهل الكتاب, اليهود والنصارى. أما اليهود فكذبوا بمحمد. وأما النصارى فكفروا بالجنة وقالوا: ليس فيها طعام ولا شراب, ولكن الحَرورية الّذينَ يَنْقُضُونَ عَهْدَ اللّهِ مِنْ بَعْدِ مِيثاقِهِ ويَقَطْعُونَ ما أمَرَ اللّهُ بِهِ أنْ يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ في الأرض أولَئِكَ هُمُ الخاسِرُونَ فكان سعد يسميهم الفاسقين.

حدثنا الحسن بن يحيى, قال: أخبرنا عبد الرزاق, قال: أخبرنا معمر, عن إبراهيم بن أبي حُرّة عن مصعب بن سعد بن أبي وقاص, عن أبيه, في قوله قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بالأَخْسَرِينَ أعمالاً قال: هم اليهود والنصارى.

17636ـ حدثنا القاسم, قال: ثني حجاج, عن ابن جريج, عن أبي حرب بن أبي الأسود عن زاذان, عن عليّ بن أبي طالب, أنه سئل عن قوله: قُلْ

هَلْ نُنَبّئُكُمْ بـالأَخْسَرِينَ أعمالاً قال: هم كفرة أهل الكتاب كان أوائلهم علـى حقّ, فأشركوا بربهم, وابتدعوا فـي دينهـم, الـذين يجتهـدون فـي البـاطل, ويحسبون أنهم علـى حقّ, ويجتهدون فـي الضـلالة, ويحسـبون أنهـم علـى هدى, فضلّ سعيهم فـي الـحياة الدنـيا, وهم يحسبون أنهـم يحسـنون صـنعا ثم رفع صوته, فقـال: ومـا أهـل النـار منهـم ببعيـد. وقـال آخـرون: بـل هـم الـخوارج. ذكر من قال ذلك:

17637ـ حدثنا مـحمد بن بشار, قال: حدثنا يحيى, عن سفـيان بن سَلَـمة, عن سلـمة بن كُهَيـل, عن أبـي الطفـيـل, قـال: سـأل عبـد اللـه بـن الكـوّاء علـيا عن قوله: قُلْ هَلْ نُنَبّئُكُمْ بـالأَخْسَرِينَ أعمالاً قال: أنتـم يا أهل حَرورراء.

حدثنـي يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: حدثنا يحيى بـن أيـوب, عـن أبـي صخر, عن أبـي معاوية البجلـي, عن أبـي الصهبـاء البكـريّ, عـن علـيّ بن أبـي طالب, أن ابن الكوّاء سأله, عـن قـول اللـه عـزّ وجـلّ: هَـلْ نُنَبّئُكُـمْ بـالأَخْسَرِينَ أعمالاً فقال علـيّ: أنت وأصحابك.

حدثنا الـحسن بن يحيى, قال: أخبرنا عبد الرزاق, قال: أخبرنا الثوري, عن سلـمة بن كهيـل, عن أبـي الطفيـل, قـال: قـام ابـن الكـوّاء إلـى علـيّ, فقال: مَن الأخسرين أعمالاً الـذي ضـلّ سـعيهم فـي الـحياة الدنـيا, وهـم يحسبون أنهم يحسبون صنعا, قال: ويْـلَك أهلُ حَروراء منهم.

حدثنا ابن بشار, قال: حدثنا مـحمد بن خالد ابن عَثْمة, قال: حدثنا موسى بن يعقوب بن عبد الله, قال: ثنـي أبـو الـحويرث, عـن نـافع بـن جبـير بـن مطعم, قال: قال ابن الكوّاء لعلـيّ بـن أبـي طـالب: مـا الأخسـرين أعمـالاً الذين ضلّ سعيهم فـي الـحياة الدنـيا؟ قال: أنت وأصحابك.

والصواب من القول فـي ذلك عندنا, أن يقال: إن الله عزّ وجلّ عني بقوله: هَلْ نُنَبّئُكُمْ بـالأَخْسَرِينَ أعمالاً كلّ عامل عملاً يحسبه فـيه مصيبـا, وأنه اللـه بفعله ذلك مطيع مرض, وهو بفعلـه ذلـك اللـه مسـخط, وعـن طريـق أهـل الإيـمان بـه جـائر كالرهابنـة والشمامسـة وأمثـالهم مـن أهـل الاجتهـاد فـي ضلالتهم, وهم مع ذلك من فعلهم واجتهادهم بـالله كفرة, مـن أهـل أيّ ديـن كانوا.

وقد اختلف أهل العربـية فـي وجه نصب قوله أعمالاً, فكان بعض نـحويـي البصرة يقول: نصب ذلك لأنه لـما أدخـل الألف واللام والنون فـي الأخسرين لـم يوصل إلـى الإضافة, وكانت الأعمال من الأخسرين فلذلك نصب. وقـال غيـره: هـذا بـاب الأفعـل والفُعْلَـى, مثـل الأفضـل والفُضْلَـى, والأخسـر والـخُسْرَى, ولا تدخـل فـيه الواو, ولا يكون فـيه مفسر, لأنه قد انفصل بـمن هو كقوله الأفضل والفُضْلَـى, وإذا جاء معه مفسر كان للأوّل والآخر, وقـال: ألا تـرى أنـك تقـول: مـررت برجـل حَسَـنٍ وجهـا, فـيكون الـحسن للرجـل والوجه, وكذلك كبير عقلاً, وما أشبهه قال: وإنـما جاز فـي الأخسرين, لأنـه ردّه إلـى الأفْعَـل والأَفَعَلـة. قـال: وسـمعت العـرب تقـول: الأوّلات دخـولاً, والآخـرات خروجـا, فصـار للأوّل والثانـي كسـائر البـاب قـال: وعلـى هـذا يقاس.

وقوله: الّذِينَ ضَلّ سَعْيُهُمْ فـي الـحَياةِ الدّنْـيا يقول: هم الـذين لـم يكـن عملهم الذي عملوه فـي حياتهم الدنـيا علـى هدى واستقامة, بل كـان علـى جور وضلالة, وذلك أنهم عملوا بغير ما أمرهم الله به بل علـى كفر منهم بـه, وهُمْ يحسَبُونَ أنّهُمْ يُحسِنُونَ صُنْعا يقول: وهم يظنون أنهم بفعلهـم ذلـك للـه

مطيعون, وفيما ندب عباده إليه مجتهدون, وهذا من أدلّ الدلائل على خطأ قول من زعم أنه لا يكفر بالله أحد إلا من حيث يقصد إلى الكفر بعد العلم بوحدانيته, وذلك أن الله تعالى ذكره أخبر عن هؤلاء الذين وصف صفتهم في هذه الآية, أن سعيهم الذي سعوا في الدنيا ذهب ضلالاً, وقد كانوا يحسبون أنهم محسنون في صنعهم ذلك, وأخبر عنهم أنهم هم الذين كفروا بآيات ربهم. ولو كان القول كما قال الذين زعموا أنه لا يكفر بالله أحد إلا من حيث يعلم, لوجب أن يكون هؤلاء القوم في عملهم الذي أخبر الله عنهم أنهم كانوا يحسبون فيه أنهم يحسنون صنعه, كانوا مثابين مأجورين عليها, ولكن القول بخلاف ما قالوا, فأخبر جلّ ثناؤه عنهم أنهم بالله كفرة, وأن أعمالهم حابطة. وزعني بقوله: أنّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعا عملاً, والصنّع والصنّعة والصنيع واحد, يقال: فرس صنيع بمعنى مصنوع.

الآية : 105

القول في تأويل قوله تعالى: {أُوْلَـئِكَ الّذِينَ كَفَرُواْ بِآيَاتِ رَبّهِمْ وَلِقَائِهِ فَحَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فَلاَ نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَزْناً }.

يقول تعالى ذكره: هؤلاء الذين وصفنا صفتهم, الأخسرون أعمالاً, الذين كفروا بحُجج ربهم وأدلته, وأنكروا لقاءه فَحَبِطَتْ أعمالهُمْ يقول: فبطلت أعمالهم, فلم يكن لها ثواب ينفع أصحابها في الآخرة, بل لهم منها عذاب وخِزي طويل فَلا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ القِيامَةِ وَزْناً يقول تعالى ذكره: فلا نجعل لهم ثقلاً. وإنما عنى بذلك: أنهم لا تثقل بهم موازينهم, لأن الموازين إنما تثقل بالأعمال الصالحة, وليس لهؤلاء شيء من الأعمال الصالحة, فتثقل به موازينهم. وبنحو الذي قلنا في ذلك, قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

17638ـ حدثنا محمد بن بشار, قال: حدثنا عبد الرحمن, قال: حدثنا سفيان, عن الأعمش, عن شمر, عن أبي يحيى عن كعب, قال: يؤتى يوم القيامة برجل عظيم طويل, فلا يزن عند الله جناح بعوضة, اقرأوا: فَلا نُقِيمُ لَهُمْ القيامَةِ وَزْنا.

17639ـ حدثنا أبو كريب, قال: حدثنا ابن الصلت, قال: حدثنا ابن أبي الزناد, عن صالح مولى التوأمة, عن أبي هريرة, قال: قال رسول صلى الله عليه وسلم: «يُؤْتَى بالأُكُولِ الشّرُوب الطّوِيلِ, فَيُوزَنُ فَلا يَزِنُ جَناحَ بَعُوضَةٍ» ثم قرأ فَلا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ القِيامَةِ وَزْنا

الآية : 106

القول في تأويل قوله تعالى: {ذَلِكَ جَزَآؤُهُمْ جَهَنّمُ بِمَا كَفَرُواْ وَاتّخَذُوَاْ آيَاتِي وَرُسُلِي هُزُواً }.

يقول تعالى ذكره: أولئك ثوابهم جهنم بكفرهم بالله, واتخاذهم آيات كتابه, وحجج رسله سُخْريا, واستهزائهم برسله.

الآية : 107 و 108

القول في تأويل قوله تعالى:

{إِنّ الّذِينَ آمَنُواْ وَعَمِلُواْ الصّالِحَاتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنّاتُ الْفِرْدَوْسِ نُزُلاً * خَالِدِينَ فِيهَا لاَ يَبْغُونَ عَنْهَا حِوَلاً }.

يقول تعالى ذكره: إن الذين صدقوا بالله ورسوله, وأقرّوا بتوحيد الله وما أنزل من كتبه وعملوا بطاعته, كانت لهم بساتين الفردوس, والفردوس: معظم الجنة, كما قال أمية:

كانَتْ مَنازِلُهُمْ إذْ ذاكَ ظاهِرَةً فِيها الفَراديسُ والفُومانُ والبَصَلُ

واختلف أهل التأويل في معنى الفردوس فقال بعضهم: عنى به أفضل الجنة وأوسطها. ذكر من قال ذلك:

17640ـ حدثنا محمد بن المثنى, قال: حدثنا عباس بن الوليد, قال: حدثنا يزيد بن زريع, عن سعيد, عن قتادة, قال: الفردوس: رَبوة الجنة وأوسطها وأفضلها.

17641ـ حدثنا أحمد بن سريج الرازي, قال: حدثنا الهيثم أبو بشر, قال: أخبرنا الفرج بن فضالة, عن لقمان, عن عامر, قال: سئل أبو أسامة عن الفردوس, فقال: هي سرّة الجنة.

17642ـ حدثنا أحمد بن أبي سريج, قال: حدثنا حماد بن عمرو النصيبي, عن أبي عليّ, عن كعب, قال: ليس في الجنان جنة أعلى من جنة الفردوس, وفيها الآمرون بالمعروف, والناهون عن المنكر.

وقال آخرون: هو البستان بالرومية. ذكر من قال ذلك:

17643ـ حدثني عليّ بن سهل الرملي, قال: حدثنا حجاج عن ابن جريج, عن عبد الله بن كثير, عن مجاهد, قال: الفردوس: بستان بالرومية.

حدثنا العباس بن محمد, قال: حدثنا حجاج, قال: ابن جريج: أخبرني عبد الله عن مجاهد, مثله.

وقال آخرون: هو البستان الذي فيه الأعناب. ذكر من قال ذلك:

17644ـ حدثنا عباس بن محمد, قال: حدثنا محمد بن عبيد, عن الأعمش, عن يزيد بن أبي زياد, عن عبد الله بن الحارث, عن كعب, قال: جنات الفردوس التي فيها الأعناب.

والصواب من القول في ذلك, ما تظاهرت به الأخبار عن رسول الله صلى الله عليه وسلم. وذلك ما:

17645ـ حدثنا به أحمد بن أبي سريج, قال: حدثنا يزيد بن هارون, قال: أخبرنا همام بن يحيى, قال: حدثنا زيد بن أسلم, عن عطاء بن يسار, عن عبادة بن الصامت, عن النبيّ صلى الله عليه وسلم قال: «الجَنّةُ مِئَةُ دَرَجَةٍ, ما بينَ كُلّ دَرَجَتَينِ مَسِيرَةُ عامٍ والفِرْدَوْسُ أعْلاها دَرَجَةً, وَمِنْها الأنهَارُ الأرْبَعَةُ, والفِرْدَوْسُ مِنْ فَوْقِها, فإذَا سألْتُمُ اللّهَ فاسألُوهُ الفِرْدَوْسَ».

حدثنا موسى بن سهل, قال: حدثنا موسى بن داود, قال: حدثنا همام بن يحيى, عن زيد بن أسلم, عن عطاء بن يسار, عن عُبادة بن الصامت, أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «الجَنّةُ مِئَةُ دَرَجَةٍ ما بينَ كُلّ دَرَجَتَينِ كمَا بينَ السّماءِ والأرْضِ, أعْلاها الفِرْدَوْسُ, ومِنْها تُفَجّر أنهَارُ الجَنّةِ الأرْبَعَةُ, فإذَا سألْتُمُ اللّهَ فاسألُوهُ الفِرْدَوْسَ».

17646ـ حدثني يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: ثني أبو يحيى بن سليمان, عن هلال بن أسامة, عن عطاء بن يسار, عن أبي هريرة, أو أبي سعيد الخُدريّ, عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: «إذَا سألْتُمُ اللّهَ فاسألُوهُ الفِرْدَوْسَ, فإنّها أوْسَطُ الجَنّةِ وأعْلَى الجَنّةِ, وَفَوْقَها عَرْشُ الرّحْمنِ تَبارَكَ وَتَعالى, ومِنْهُ تَفَجّرُ أنهارُ الجَنّةِ».

حدثنا محمد بن المثني, قال: حدثنا أبو عامر, قال: حدثنا فليح, عن هلال, عن عبد الرحمن بن أبي عمرة, عن أبي هريرة, عن النبيّ صلى الله عليه وسلم مثله, إلا أنه قال: «وَسَطُ الجَنّةِ» وقالَ أيضا: «وَمِنهُ تُفَجّرُ أو تَتَفَجّرُ».

17647ـ حدثني عمار بن بكار الكلاعي, قال: حدثنا يحيى بن صالح, قال: حدثنا عبد العزيز بن محمد, قال: حدثنا زيد بن أسلم, عن عطاء بن يسار, عن معاذ بن جبل, أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «إنّ فِي الجَنّةِ مِئَةَ دَرَجَةٍ, ما بينَ كُلّ دَرَجَتَينِ كمَا بينَ السّماءِ والأرْض, والفِرْدَوْسُ أعْلَى الجنّةِ وأوْسَطُها, وفَوْقُها عَرْشُ الرّحْمنِ, ومِنْها تَفَجّر أنهَارُ الجَنّةِ, فإذَا سألْتُمُ الله فَسَلُوهُ الفِرْدَوْسَ».

17648ـ حدثنا أحمد بن منصور, قال: حدثنا عبد الصمد بن عبد الوارث, قال: حدثنا الحارث بن عمير, عن أبيه, قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «جَنّاتُ الفِرْدَوْسِ أرْبَعَةٌ, اثْنَتانِ مِنْ ذَهَبٍ حِلْيَتُهُما وآنِيَتُهُما, وَما فِيهِما مِنْ شَيْءٍ, وَاثْنَتانِ مِنْ فِضّةٍ حِلْيَتُهُما وآنِيَتُهُما, وَما فِيهِما مِنْ شَيْءٍ».

17649ـ حدثنا أحمد بن أبي سريج, قال: حدثنا أبو نعيم, قال: حدثنا أبو قدامة, عن أبي عمران الجوني, عن أبي بكر بن عبد الله بن قيس, عن أبيه, قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «جَنّاتُ الفِرْدَوْسِ أرْبَعٌ: ثِنْتانِ مِنْ ذَهَبٍ حِلْيَتهُما وآنِيَتُهُما وَما فِيهِما, وَثِنْتانِ مِنْ فِضّةٍ حِلْيَتُهُما وآنِيَتُهُما وَما فِيهِما».

17650ـ حدثنا ابن حميد, قال: حدثنا يعقوب, عن حفص, عن شمر, قال: خلق الله جنة الفردوس بيده, فهو يفتحها في كلّ يوم خميس, فيقول: ازدادي طيبا لأوليائي, ازدادي حسنا لأوليائي.

حدثنا ابن البرقيّ, قال: حدثنا ابن أبي مريم, قال: أخبرنا محمد بن جعفر وابن الدراورديّ, قالا: حدثنا زيد بن أسلم, عن عطاء بن يسار, عن معاذ بن جبل, قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إنّ للْجَنّةِ مِئَةَ دَرَجَةٍ, كُلّ دَرَجَةٍ مِنْها كَمَا بينَ السّماءِ والأرْضِ, أعْلَى دَرَجَةً مِنْها الفِرْدَوْسُ».

17651ـ حدثني أحمد بن يحيى الصوفيّ, قال: حدثنا أحمد بن الفرج الطائيّ, قال: حدثنا الوليد بن مسلم, عن سعيد بن بشير, عن قتادة, عن الحسن, عن سَمُرة بن جُنْدَب, قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «الفِرْدَوْسُ مِنْ رَبْوَةِ الجَنّةِ, هِيَ أوْسَطُها وأحْسَنُها».

حدثنا ابن بشار, قال: حدثنا ابن أبي عديّ, قال: أنبأنا إسماعيل بن مسلم, عن الحسن, عن سمرة بن جندب, قال: أخبرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم: «أنّ الفِرْدَوْسَ هِيَ أعْلَى الجَنّةِ وأحْسَنُها وأرْفَعُها».

17652ـ حدثني محمد بن مرزوق, قال: حدثنا روح بن عبادة, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة, عن أنس بن مالك أن نبيّ الله صلى الله عليه وسلم, قال للربيع ابنة النضر: «يا أمّ حارِثَةَ, إنّها جِنانٌ, وإنّ ابْنَكِ أصَابَ الفِرْدَوْسَ الأعْلَى». والفردوس: ربوة الجنة وأوسطها وأفضلها.

وقوله: نُزُلاً يقول: منازل ومساكن, والمنزل: من النزول, وهو من نزول بعض الناس على بعض. وأما النّزْل: فهو الرّيْع, يقال: ما لطعامكم هذا نَزْل, يراد به الرّيْع, وما وجدنا عندكم نزلاً: أي نزولاً.

وقوله: خالِدِينَ يقول: لابثين فيها أبدا لا يَبْغُونَ عَنْها حِوَلاً يقول: لا يريدون عنها تحوّلاً, وهو مصدر تحوّلت, أخرج إلى أصله, كما يقال: صغُر يصغُر صِغَرا, وعاج يعوج عِوَجا.

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

17653ـ حدثنا محمد بن عمرو, قال: حدثنا أبو عاصم, قال: حدثنا عيسى وحدثني الحارث, قال: حدثنا الحسن, قال: حدثنا ورقاء, جميعا عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد لا يَبْغُونَ عَنْها حِوَلاً قال: متحوّلاً.

حدثنا القاسم, قال: حدثنا الحسين, قال: ثني حجاج, عن ابن جريج, عن مجاهد, بنحوه.

17654ـ حدثنا القاسم, قال: حدثنا الحسين, قال: سمعت مخلد بن الحسين يقول: وسئل عنها, قال: سمعت بعض أصحاب أنس يقول: قال: «يقول أوّلهم دخولاً إنما أدخلني الله أوّلهم, لأنه ليس أحد أفضل مني, ويقول آخرهم دخولاً: إنما أخرني الله, لأنه ليس أحد أعطاه الله مثل الذي أعطاني».

الآية : 109

القول في تأويل قوله تعالى: {قُل لّوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَاداً لّكَلِمَاتِ رَبّي لَنَفِدَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَن تَنفَدَ كَلِمَاتُ رَبّي وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِ مَدَداً }.

يقول عز ذُكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم: قُلْ يا محمد: لَوْ كانَ البَحْرُ مِدَادا لِلقلم الذي يُكتب به كَلِماتِ رَبّي لَنَفِدَ ماء البَحْرُ قَبْلَ أنْ تَنْفَدَ كَلِماتُ رَبّي وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِ مددا يقول: ولو مددنا البحر بمثل ما فيه من الماء مددا, من قول القائل: جئتك مددا لك, وذلك من معنى الزيادة. وقد ذُكر عن بعضهم: ولو جئنا بمثله مددا, كأن قارىء ذلك كذلك أراد: لنفد البحر قبل أن تنفد كلمات ربي, ولو زدنا بمثل ما فيه من المداد الذي يكتب به مدادا. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

17655ـ حدثني محمد بن عمرو, قال: حدثنا أبو عاصم, قال: حدثنا عيسى «ح» وحدثني الحارث قال: حدثنا الحسن, قال: حدثنا ورقاء, جميعا عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد, قوله: البَحْرُ مِدَادا لكلمات ربي للقلم.

حدثنا القاسم, قال: حدثنا الحسين, قال: ثني حجاج, عن ابن جريج, عن مجاهد, مثله.

17656ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة, قوله: لَوْ كانَ البَحْرُ مِدَادا لكَلِماتِ رَبّي يقول: إذا لنفد ماء البحر قبل أن تنفد كلمات الله وحكمه.

الآية : 110

القول في تأويل قوله تعالى: {قُلْ إِنّمَآ أَنَاْ بَشَرٌ مّثْلُكُمْ يُوحَىَ إِلَيّ أَنّمَآ إِلَـٰهُكُمْ إِلَـٰهٌ وَاحِدٌ فَمَن كَانَ يَرْجُو لِقَآءَ رَبّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلاً صَالِحاً وَلاَ يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبّهِ أَحَدَا }.

يقول تعالى ذكره: قل لهؤلاء المشركين يا محمد: إنما أنا بشر مثلكم من بني آدم لا علم لي إلا ما علمني الله وإن الله يوحي إليّ أن معبودكم الذي يجب عليكم أن تعبدوه ولا تشركوا به شيئا, معبود واحد لا

ثاني له, ولا شريك فَمَنْ كانَ يَرْجُو لِقاءَ رَبّهِ يقول: فمن يخاف ربه يوم لقائه, ويراقبه على معاصيه, ويرجوا ثوابه على طاعته فَلْيَعْمَلْ عَمَلاً صَالِحا يقول: فليخلص له العبادة, وليفرد له الربوبية. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

17657ـ حدثنا ابن بشار, قال: حدثنا عبد الرحمن, قال: حدثنا سفيان, عن الربيع بن أبي راشد, عن سعيد بن جبير فَمَنْ كانَ يَرْجُو لِقاءَ رَبّهِ قال: ثواب ربه.

وقوله: وَلا يُشْرِكْ بِعِبادَةِ رَبّهِ أحَدا يقول: ولا يجعل له شريكا في عبادته إياه, وإنما يكون جاعلاً له شريكا بعبادته إذا راءى بعمله الذي ظاهره أنه لله وهو مريد به غيره. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

17658ـ حدثنا أبو كريب, قال: حدثنا عمرو بن عبيد, عن عطاء, عن سعيد بن جبير, عن ابن عباس وَلا يُشْرِكْ بِعِبادَةِ رَبّهِ أحَدا.

17659ـ حدثنا ابن بشار, قال: حدثنا عبد الرحمن, قال: حدثنا سفيان وَلا يُشْرِكْ بِعِبادَةِ رَبّهِ أحَدا قال: لا يرائي.

17660ـ حدثنا الحسن بن يحيى, قال: أخبرنا عبد الرزاق, قال: أخبرنا معمر, عن عبد الكريم الجزري, عن طاوس, قال: جاء رجل, فقال: يا نبيّ الله إني أحبّ الجهاد في سبيل الله, وأحبّ أن يرى موطني ويرى مكاني, فأنزل الله عزّ وجل: فَمَنْ كانَ يَرْجُو لِقاءَ رَبّه فَلْيَعْمَلْ عَمَلاً صَالِحا وَلا يُشْرِكْ بِعِبادَةِ رَبّهِ أحَدا.

17661ـ حدثنا القاسم, قال: حدثنا الحسين, قال: ثني حجاج, عن ابن جريج, عن مجاهد ومسلم بن خالد الزنجي عن صدقة بن يسار, قال: جاء رجل إلى النبيّ صلى الله عليه وسلم, فذكر نحوه, وزاد فيه: وإني أعمل العمل وأتصدّق وأحبّ أن يراه الناس وسائر الحديث نحوه.

17662ـ حدثنا القاسم, قال: حدثنا الحسين, قال: حدثنا عيسى بن يونس, عن الأعمش, قال: حدثنا حمزة أبو عمارة مولى بني هاشم, عن شهر بن حوشب, قال: جاء رجل إلى عُبادة بن الصامت, فسأله فقال: أنبئني عما أسألك عنه, أرأيت رجلاً يصلي يبتغي وجه الله ويحبّ أن يُحْمَد ويصوم ويبتغي وجه الله ويحبّ أن يُحْمَد, فقال عبادة: ليس له شيء, إن الله عزّ وجلّ يقول: أنا خير شريك, فمن كان له معي شريك فهو له كله, لا حاجة لي فيه.

17663ـ حدثنا أبو عامر إسماعيل بن عمرو السّكوني, قال: حدثنا هشام بن عمار, قال: حدثنا ابن عياش, قال: حدثنا عمرو بن قيس الكندي, أنه سمع معاوية بن أبي سفيان تلا هذه الآية: فَمَنْ كانَ يَرْجُو لِقاءَ رَبهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلاً صَالِحا وَلا يُشْرِكْ بِعِبادَةِ رَبّهِ أحَدا وقال: إنها آخر آية أنزلت من القرآن.

سورة مريم

سورة مريم مكية
وآياتها ثمان وتسعون

بِسمِ اللّهِ الرحمَن الرّحِيمِ

الآية : 1

القول في تأويل قوله تعالى: {كَهيعَصَ }.

اختلف أهل التأويل في تأويل قوله تعالى ذكره: كاف من كهيعص فقال بعضهم: تأويل ذلك أنها حرف من اسمه الذي هو كبير, دلّ به عليه, واستغنى بذكره عن ذكر باقي الاسم. ذكر من قال ذلك:

17664ـ حدثني أبو حصين عبد الله بن أحمد بن يونس, قال: حدثنا عبثر, قال: حدثنا حصين, عن إسماعيل بن راشد, عن سعيد بن جبير, عن ابن عباس في هذه الآية كهيعص قال: كبير, يعني بالكبير: الكاف من كهيعص.

حدثنا هناد بن السريّ, قال: حدثنا أبو الأحوص, عن حصين, عن إسماعيل بن راشد, عن سعيد بن جبير, مثله.

حدثنا أبو كريب, قال: حدثنا ابن إدريس, قال: أخبرنا حصين, عن إسماعيل بن راشد, عن سعيد بن جبير, عن ابن عباس, كان يقول كهيعص قال: كاف: كبير.

حدثني أبو السائب, قال: أخبرنا ابن إدريس, عن حصين, عن إسماعيل بن راشد, عن سعيد بن جبير في كهيعص قال: كاف: كبير.

حدثنا ابن بشار, قال: حدثنا عبد الرحم بن مهدي, قال: حدثنا سفيان, عن حصين, عن إسماعيل, عن سعيد بن جبير, عن ابن عباس, نحوه.

وقال آخرون: بل الكاف من ذلك حرف من حروف اسمه الذي هو كاف. ذكر من قال ذلك:

17665ـ حدثني يحيى بن طلحة اليربوعي, قال: أخبرنا شريك, عن سالم, عن سعيد, في قوله كهيعص قال: كاف: كافٍ.

17666ـ حدثنا أبو كريب, قال: حدثنا جابر بن نوح, قال: أخبرنا أبو روق, عن الضحاك بن مزاحم في قوله: كهيعص قال: كاف: كافٍ.

17667ـ حدثنا ابن حميد, قال: حدثنا حكام عن عنبسة, عن الكلبي مثله.

وقال آخرون: بل هو حرف من حروف اسمه الذي هو كريم. ذكر من قال ذلك:

17668ـ حدثنا ابن حميد, قال: حدثنا حكام, عن عمرو, عن عطاء, عن سعيد بن جبير كهيعص قال: كاف من كريم.

وقال الذين فسروا ذلك هذا التفسير الهاء من كهيعص: حرف من حروف اسمه الذي هو هاد. ذكر من قال ذلك:

17669ـ حدثنا أبو كريب, قال: حدثنا ابن إدريس, قال: أخبرنا أبو حصين, عن سعيد بن جبير, عن ابن عباس, قال: كان يقول في الهاء من كهيعص: هاد.

حدثنا أبو حصين, قال: حدثنا عبثر, قال: حدثنا حصين, عن إسماعيل بن راشد, عن سعيد بن جبير, عن ابن عباس, مثله.

حدثنا هناد, قال: حدثنا أبو الأحوص, عن حصين, عن إسماعيل, عن سعيد, مثله.

حدثني أبو السائب, قال: حدثنا ابن إدريس, عن حصين, عن إسماعيل بن راشد, عن سعيد بن جبير نحوه.

حدثنا ابن بشار, قال: حدثنا عبد الرحمن, قال: حدثنا سفيان, عن حُصَين, عن إسماعيل, عن سعيد بن جبير, عن ابن عباس, مثله.

حدثني يحيى بن طلحة, قال: حدثنا شريك, عن سالم, عن سعيد بن جبير, قال: ها: هاد.
17670ـ حدثنا أبو كريب, قال: حدثنا جابر بن نوح, قال: أخبرنا أبو روق, عن الضحاك بن مزاحم, في قوله كهيعص قال: ها: هاد.
17671ـ حدثنا ابن حميد, قال: حدثنا حكام, قال: حدثنا عنبسة, عن الكلبيّ, مثله.
واختلفوا في تأويل الياء من ذلك, فقال بعضهم: هو حرف من حروف اسمه الذي هو يمين. ذكر من قال ذلك:
17672ـ حدثني أبو حصين, قال: حدثنا عبثر, قال: حدثنا حصين, عن إسماعيل بن راشد, عن سعيد بن جبير عن ابن عباس, قال: «يا» من كهيعص ياء يمين.
حدثنا أبو كريب, قال: حدثنا ابن إدريس, قال: أخبرنا حصين, عن إسماعيل بن راشد, عن سعيد بن جبير, عن ابن عباس, مثله.
حدثنا هناد, قال: حدثنا أبو الأحوص, عن حُصين, عن إسماعيل بن راشد, عن سعيد بن جبير مثله.
حدثني أبو السائب, قال: حدثنا ابن إدريس, عن حُصين, عن إسماعيل بن راشد, عن سعيد بن جبير ياء: يمين.
وقال آخرون: بل هو حرف من حروف اسمه الذي هو حكيم. ذكر من قال ذلك:
17673ـ حدثنا ابن حميد, قال: حدثنا حكام, عن عمرو, عن عطاء, عن سعيد بن جبير كهيعص قال: يا: من حكيم.
وقال آخرون: بل هي حرف من قول القائل: يا من يجير. ذكر من قال ذلك:
17674ـ حدثنا ابن حميد, قال: حدثنا يحيى بن واضح, قال: حدثنا إبراهيم بن الضريس, قال: سمعت الربيع بن أنس في قوله كهيعص قال: يا من يجير ولا يجار عليه.
واختلف متأوّلو ذلك كذلك في معنى العين, فقال بعضهم: هي حرف من حروف اسمه الذي هو عالم. ذكر من قال ذلك:
17675ـ حدثنا ابن حميد, قال: حدثنا حكام, عن عمرو, عن عطاء, عن سعيد كهيعص قال: عين من عالم.
17676ـ حدثنا ابن حميد, قال: حدثنا حكام, عن عنبسة, عن الكلبي, مثله.
17677ـ حدثنا أبو كريب, قال: حدثنا ابن إدريس, قال: أخبرنا حصين, عن إسماعيل بن راشد, عن سعيد بن جبير, عن ابن عباس, مثله.
17678ـ حدثنا عمرو, قال: حدثنا مروان بن معاوية, عن العلاء بن المسيب بن رافع, عن أبيه, في قوله كهيعص قال: عين: من عالم.
وقال آخرون: بل هي حرف من حروف اسمه الذي هو عزيز. ذكر من قال ذلك:
17679ـ حدثني أبو حصين, قال: حدثنا عبثر, قال: حدثنا حصين, عن إسماعيل بن راشد, عن سعيد بن جبير, عن ابن عباس كهيعص عين: عزيز.

حدثنا ابن بشار, قال: حدثنا عبد الرحمن, قال: حدثنا سفـيان, عن حصين, عن إسماعيـل, عن سعيد بن جبـير, عن ابن عبـاس, مثله.
حدثنـي أبو السائب, قال: حدثنا ابن إدريس, عن حصين, عن إسماعيـل بن راشد, عن سعيد بن جبـير مثله.
حدثنا هناد, قال: حدثنا أبو الأحوص, عن حصين, عن إسماعيـل بن راشد, عن سعيد بن جبـير مثله.
حدثنـي يحيى بن طلـحة الـيربوعي, قال: حدثنا شريك, عن سالـم, ع ن سعيد بن جبـير, فـي قوله كهيعص قال: عين عزيز.
وقال آخرون: بل هي حرف من حروف اسمه الذي هو عدل. ذكر من قال ذلك:
17680ـ حدثنا أبو كريب, قال: حدثنا جابر بن نوح, قال: أخبرنا أبـو روق, عن الضحاك بن مزاحم, فـي قوله كهيعص قال: عين: عدل.
وقال الذين تأوّلوا ذلك هذا التأويـل: الصاد من قوله كهيعـص: حـرف مـن حروف اسمه الذي هو صادق. ذكر الرواية بذلك:
17681ـ حدثنا أبو كريب, قال: حدثنا ابن إدريس, قال: أخبرنا حصين, عن إسماعيـل بن راشد, عن سعيد بن جبـير, عن ابن عبـاس, قـال: كـان يقـول فـي كهيعص صاد: صادق.
حدثنـي أبو حصين, قال: حدثنا عبثر, قال: حدثنا حصين, عن إسماعيــل بن راشد, عن سعيد بن جبـير, عن ابن عبـاس, مثله.
حدثنا ابن بشار, قال: حدثنا عبد الرحمن, قال: حدثنا سفـيان, عن حصين, عن إسماعيـل, عن سعيد بن جبـير, عن ابن عبـاس, مثله.
حدثنا هناد, قال: حدثنا أبو الأحوص, عن حصين, عن إسماعيـل بن راشد, عن سعيد بن جبـير مثله.
حدثنـي أبو السائب, قال: حدثنا ابن إدريس, عن حصين, عن إسماعيـل بن راشد, عن سعيد بن جبـير, مثله.
17682ـ حدثنا أبو كريب, قال: حدثنا جابر بن نوح, قال: أخبرنا أبـو روق, عن الضحاك بن مزاحم, قال: صاد: صادق.
حدثنـي يحيى بن طلـحة, قال: حدثنا شريك, عن سالـم, عن سعيد, قال: صادق, يعنـي الصاد من كهيعص.
حدثنا ابن حميد, قال: حدثنا حكام, عن عمـرو, عـن عطـاء, عـن سـعيد كهيعص قال: صاد صادق.
17683ـ حدثنا ابن حميد, قـال: حـدثنا حكـام, قـال: حـدثنا عنبسـة, عـن الكلبـي, قال: صادق.
وقال آخرون: بل هذه الكلـمة كلها اسم من أسماء الله تعالـى. ذكـر مـن قال ذلك:
17684ـ حدثنـي مـحمد بن خالد بن خداش, قال: ثنـي سالـم بن قتــيبة, عن أبـي بكر الهُذَلـيّ, عن عاتكة, عن فـاطمة ابنة علـيّ قـالت: كـان علــيّ يقول: يا كهيعص: اغفر لـي.
17685ـ حدثنـي علـيّ, قال: حدثنا عبد الله, قال: ثنـي معاوية, عن علـيّ, عن ابن عبـاس, فـي قوله: كهيعص قال: فإنه قسم أقسم الله به, وهو مــن أسماء الله.

وقال آخرون: كلّ حرف من ذلك اسم من أسماء الله عزّ وجلّ. ذكـر مـن قال ذلك:

17686ـ حدثنـي مطر بن مـحمد الضبـي, ق ال: حـدثنا عبـد الرحم ن بـن مهدي, عن عبد العزيز بن مسلـم القسملـي, عن الربـيع بن أنس, عن أبــي العالـية, قال: كهيعص لـيس منها حرف إلا وهو اسم.

وقال آخرون: هذه الكلـمة اسم من أسماء القرآن. ذكر من قال ذلك:

17687ـ حدثنا الـحسن بن يحيى, قال: أخبرنا عبد الـرزاق, قـال: أخبرنـا معمر, عن قتادة فـي قوله كهيعص قال: اسم من أسماء القرآن.

قال أبو جعفر: والقول فـي ذلك عندنا نظير القول فـي الـم وسائر فواتـح سور القرآن التـي افتتـحت أوائلها بحروف الـمعجم, وقد ذكرنـا ذلـك فـيــما مضى قبل, فأغنى عن إعادته فـي هذا الـموضع.

الآية : 2 - 4

القول فـي تأويـل قوله تعالـى: {ذِكْرُ رَحْمَةِ رَبّكَ عَبْدَهُ زَكَرِيّآ * إِذْ نَادَىَ رَبّهُ نِدَآءً خَفِيّاً * قَالَ رَبّ إِنّي وَهَنَ الْعَظْمُ مِنّي وَاشْتَعَلَ الـرّأْسُ شَـيْباً وَلَـمْ أَكُـنْ بِدُعَآئِكَ رَبّ شَقِيّاً }.

اختلف أهل العربـية فــي الرافـع للـذكر, والناصـب للعبـد, فقـال بعـض نـحويـي البصرة فـي معنى ذلك كأنه قال: مـما نقصّ علـيك ذكر رحمة ربـك عبده, وانتصب العبد بـالرحمة كما تقول: ذكر ضرب زيد عمرا. وقـال بعـض نـحويـي الكوفة: رفعت الذكر بكهيعص, وإن شئت أضمرت هذا ذكـر رحمــة ربك, قال: والـمعنى ذكر ربك عبده برحمته تقديـم وتأخير.

قال أبو جعفر: والقول الذي هو الصواب عندي فـي ذلك أن يقـال: الـذكر مرفوع بـمضمر مـحذوف, وهو هذا كما فعل ذلـك فــي غيرهـا مـن السـور, وذلك كقول الله: بَرَاءَةٌ مِنَ اللّهِ وَرَسُولِهِ وكقوله: سُورَةٌ أَنْزَلْناها ونـحو ذلك. والعبد منصوب بـالرحمة, وزكريا فـي موضع نصـب, لأنـه بــيان عـن العبـد, فتأويـل الكلام: هذا ذكر رحمة ربك عبده زكريا.

وقوله: إِذْ نادَى رَبّهُ نِدَاءً خَفِـيّا يقول حين دعا ربـه, وسـأله بنـداء خفــيّ, يعنـي: وهو مستسرّ بدعائه ومسألته إياه ما سأل كراهته منه للرياء, كما:

17688ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة, قوله: إِذْ نـادَى رَبّـهُ نِـدَاءً خَفِــيّا أي سـرّا, وإن اللـه يعلــم القلـب النقــيّ, ويسـمع الصوت الـخفـيّ.

17689ـ حدثنا القاسم, قال: حدثنا الـحسين, قال: ثنـي حجاج, ع ن اب ن جريج, قوله: إِذْ نادَى رَبّهُ نِدَاءً خَفِـيّا قال: لا يريد رياء.

17690ـ حدثنا موسى بن هارون, قال: حدثنا عمرو بن حماد, قال: حدثنا أسبـاط, عن السديّ, قال: رغب زكريا فـي الولد, فقام فصلـى, ثم دعا ربه سرّا, فقال: رَبّ إنّـي وَهَنَ العَظْمُ مِنّـي... إلـى وَاجْعَلْهُ رَبّ رَضِيّا.

وقوله: قالَ رَبّ إنّـي وَهَنَ العَظْمُ مِنّـي يقول تعالـى ذكره, فكـان نـداؤه الـخفـيّ الذي نادى به ربه أن قال: رَبّ إنّـي وَهَنَ العَظْمُ مِنّـي يعنــي بقـوله وَهَنَ ضعف ورقّ من الكبر, كما:

17691ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتـادة قـالَ رَبّ إنّـي وَهَنَ العَظْمُ مِنّـي أي ضعف العظم منـي.

17692ـ حدثنا الـحسن بن يحيى, قال: أخبرنا عبد الـرزاق, قـال: أخبرنـا الثوري, عن ابن أبـي نـجيح, عن مـجاهد, فـي قوله: وَهَنَ العَظْمُ مِنّـي قال:

نَحَل العظم. قال عبد الرزاق, قال: الثوريّ: وبلغني أن زكريا كان ابن سبعين سنة.

وقد اختلف أهل العربية في وجه النصب في الشّيْب, فقال بعض نحويّي البصرة: نصب على المصدر من معنى الكلام, كأنه حين قال: اشتعل, قال: شاب, فقال: شَيْبا على المصدر. قال: وليس هو في معنى: تفقأت شحما وامتلأت ماء, لأن ذلك ليس بمصدر. وقال غيره: نصب الشيب على التفسير, لأنه يقال: اشتعل شيبُ رأسي, واشتعل رأسي شيبا, كما يقال: تفقّأت شحما, وتفقّأ شحمي.

وقوله: ولَمْ أكُنْ بِدُعائِكَ رَبّ شَقِيّا يقول: ولم أشق يا ربّ بدعائك, لأنك لم تخيب دعائي قبل إذ كنت أدعوك في حاجتي إليك, بل كنت تجيب وتقضي حاجتي قبلك. كما:

17693ـ حدثنا القاسم, قال: حدثنا الحسين, قال: ثني حجاج عن ابن جريج, قوله: ولَمْ أكُنْ بدُعائِكَ رَبّ شَقِيّا يقول: قد كنت تعرّفني الإجابة فيما مضى.

الآية : 5 و 6

القول في تأويل قوله تعالى: {وَإِنّي خِفْتُ الْمَوَالِيَ مِن وَرَآئِي وَكَانَتِ امْرَأَتِي عَاقِراً فَهَبْ لِي مِن لّدُنْكَ وَلِيّاً * يَرِثُنِي وَيَرِثُ مِنْ آلِ يَعْقُوبَ وَاجْعَلْهُ رَبّ رَضِيّاً }.

يقول: وإني خفت بني عمي وعصبتي من ورائي. يقول: من بعدي أن يرثوني, وقيل: عنى بقوله مِنْ وَرَائي من قدّامي ومن بين يديّ وقد بيّنت جواز ذلك فيما مضى قبل. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

17694ـ حدثني محمد بن سعد, قال: ثني أبي, قال: ثني عمي, قال: ثني أبي, عن أبيه, عن ابن عباس, قوله: وإنّي خِفْتُ المَوَالِيَ مِنْ وَرَائي يعني بالموالي: الكَلالة الأولياء أن يرثوه, فوهب الله له يحيى.

17695ـ حدثنا يحيى بن داود الواسطي, قال: حدثنا أبو أسامة, عن إسماعيل, عن أبي صالح في قوله: وإنّي خِفْتُ المَوَالِيَ مِنْ وَرَائي قال: العصبة.

حدثنا أبو كريب, قال: حدثنا جابر بن نوح, عن إسماعيل, عن أبي صالح في قوله وإنّي خِفْتُ المَوَالِيَ مِنْ وَرَائي قال: خاف مواليَ الكلالة.

حدثنا مجاهد بن موسى, قال: حدثنا يزيد, قال: أخبرنا إسماعيل بن أبي خالد, عن أبي صالح بنحوه.

حدثني يعقوب, قال: حدثنا هشيم, قال: أخبرنا إسماعيل بن أبي خالد, عن أبي صالح وإنّي خِفْتُ المَوَالِيَ مِنْ وَرَائي قال: يعني الكلالة.

17696ـ حدثني محمد بن عمرو, قال: حدثنا أبو عاصم, قال: حدثنا عيسى وحدثني الحارث, قال: حدثنا الحسن, قال: حدثنا ورقاء, جميعا عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد في قول الله: خِفْتُ المَوَالِيَ مِنْ وَرَائي قال: العَصَبة.

حدثنا القاسم, قال: حدثنا الحسين, قال: ثني حجاج, عن ابن جريج, عن مجاهد, مثله.

17697ـ حدثنا الحسن, قال: أخبرنا عبد الرزاق, قال: أخبرنا معمر, عن قتادة, قوله: وإنّي خِفْتُ المَوَالِيَ مِنْ وَرَائي قال: العصبة.

17698ـ حدثني موسى, قال: حدثنا عمرو, قال: حدثنا أسباط, عن السديّ وإنّي خِفْتُ المَوَالِيَ مِنْ وَرَائي والموالي: هنّ العصبة, والموالي: جمع مولى, والمولى والوليّ في كلام العرب واحد.

وقرأت قراء الأمصار: وإنّي خِفْتُ المَوَالِيَ بمعنى: الخوف الذي هو خلاف الأمن. وروي عن عثمان بن عفان أنه قرأه: «وإنّي خَفّتِ المَوَالِيَ» بتشديد الفاء وفتح الخاء من الخفة, كأنه وجه تأويل الكلام: وإني ذهبت عصبتي ومن يرثني من بني أعمامي. وإذا قرىء ذلك كذلك كانت الياء من الموالي مسكنة غير متحركة, لأنها تكون في موضع رفع بخفّتْ.

وقوله: وكانَتِ امْرأتي عاقِرا يقول: وكانت زوجتي لا تلد, يقال منه: رجل عاقر, وامرأة عاقر بلفظ واحد, كما قال الشاعر:

لَبِئْسَ الفَتى أنْ كُنْتُ أعْوَرَ عاقِراجَبانا فَمَا عُذْرِي لَدَى كُلّ مَحْضَرِ

وقوله: فَهَبْ لي مِنْ لَدُنْكَ وَلِيّا يقول: فارزقني من عندك ولدا وارثا ومعينا).

وقوله: يَرِثُنِي وَيَرِثُ مِنْ آلِ يَعْقُوبَ يقول: يرثني من بعد وفاتي مالي, ويرث من آل يعقوب النبوّة, وذلك أن زكريا كان من ولد يعقوب. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

17699ـ حدثنا أبو كريب, قال: حدثنا جابر بن نوح, عن إسماعيل, عن أبي صالح, قوله يَرِثُنِي وَيَرِثُ مِنْ آلِ يَعْقُوبَ يقول: يرث مالي, ويرث من آل يعقوب النبوّة.

حدثنا مجاهد, قال: حدثنا يزيد, قال: أخبرنا إسماعيل, عن أبي صالح في قوله يَرِثُنِي وَيَرِثُ مِنْ آلِ يَعْقُوبَ قال: يرث مالي, ويرث من آل يعقوب النبوّة.

حدثني يعقوب, قال: حدثنا هشيم, قال: أخبرنا إسماعيل بن أبي خالد, عن أبي صالح, في قوله يَرِثُنِي وَيَرِثُ مِنْ آلِ يَعْقُوبَ قال: يرثني مالي, ويرث من آل يعقوب النبوّة.

حدثني يعقوب, قال: حدثنا هشيم, قال: أخبرنا إسماعيل بن أبي خالد, عن أبي صالح, في قوله يَرِثُنِي وَيَرِثُ مِنْ آلِ يَعْقُوبَ قال: يكون نبيا كما كانت أباؤه أنبياء.

17700ـ حدثني محمد بن عمرو, قال: حدثنا أبو عاصم, قال: حدثنا عيسى, وحدثني الحارث, قال: حدثنا الحسن, قال: حدثنا ورقاء, جميعا عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد يَرِثُنِي وَيَرِثُ مِنْ آلِ يَعْقُوبَ قال: وكان وارثته علما, وكان زكريا من ذرّية يعقوب.

حدثنا القاسم, قال: حدثنا الحسين, قال: ثني حجاج, عن ابن جريج, عن مجاهد, قال: كان وارثته علما, وكان زكريا من ذرية يعقوب.

17701ـ حدثنا الحسن بن يحيى, قال: أخبرنا عبد الرزاق, قال: أخبرنا معمر, عن قتادة, عن الحسن, في قوله: يَرِثُنِي وَيَرِثُ مِنْ آلِ يَعْقُوبَ قال: نبوّته وعلمه.

17702ـ حدثنا أبو كريب, قال: حدثنا جابر بن نوح, عن مبارك, عن الحسن, قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «رَحِمَ اللّهُ أخِي زَكَرِيّا, ما كانَ عَلَيْهِ مِنْ وَرَثَةِ مالِهِ حِينَ يَقُولُ فَهَبْ لي مِنْ لَدُنْكَ وَلِيّا, يَرِثُنِي وَيَرِثُ مِنْ آلِ يَعْقُوبَ».

17703ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة, قوله: يَرِثُنِي وَيَرِثُ مِنْ آلِ يَعْقُوبَ قال: كان الحسن يقول: يرث نبوّته وعلمه. قال قتادة: ذُكر لنا أن نبيّ الله صلى الله عليه وسلم كان إذا قرأ هذه الآية, وأتى على يَرِثُنِي وَيَرِثُ مِنْ آلِ يَعْقُوبَ قال: «رحم الله زكريا ما كان عليه من ورثته».

17704ـ حدثنا الحسن, قال: أخبرنا عبد الرزاق, قال: أخبرنا معمر, عن قتادة, أن النبيّ صلى الله عليه وسلم, قال: «يَرْحَمُ اللّهُ زَكَرِيّا وَما كانَ عَلَيْهِ مِنْ وَرَثَتِهِ, وَيَرْحَمُ اللّهُ لُوطا إنْ كانَ لَيَأْوِي إلى رُكْنٍ شَدِيدٍ».

17705ـ حدثني موسى, قال: حدثنا عمرو, قال: حدثنا أسباط, عن السديّ فَهَبْ لي مِنْ لَدُنْكَ وَلِيّا يَرِثُنِي وَيَرِثُ مِنْ آلِ يَعْقُوبَ قال: يرث نبوّتي ونبوّة آل يعقوب.

واختلف القرّاء في قراءة قوله: يَرِثُنِي وَيَرِثُ مِنْ آلِ يَعْقُوبَ فقرأت ذلك عامّة قرّاء المدينة ومكة وجماعة من أهل الكوفة: يَرِثُنِي وَيَرِثُ برفع الحرفين كليهما, بمعنى: فهب الذي يرثني ويرث من آل يعقوب, على أن يرثني ويرث من آل يعقوب, من صلة الوليّ. وقرأ ذلك جماعة من قرّاء أهل الكوفة والبصرة: «يَرِثْنِي ويَرِثْ» بجزم الحرفين على الجزاء والشرط, بمعنى: فهب لي من لدنك وليا فإنه يرثني إذا وهبته لي. وقال الذين قرأوا ذلك كذلك: إنما حسُن ذلك في هذا الموضع, لأن يرثني من آية غير التي قبلها. قالوا: وإنما يحسُن أن يكون مثل هذا صلة, إذا كان غير منقطع عما هو له صلة, كقوله: رِدْءا يُصَدّقُنِي.

قال أبو جعفر: وأولى القراءتين عندي في ذلك بالصواب قراءة من قرأه برفع الحرفين على الصلة للوليّ, لأنّ الوليّ نكرة, وأن زكريا إنما سأل ربه أن يهب له وليا يكون بهذه الصفة, كما رُوي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم, لا أنه سأله وليا, ثم أخبر أنه إذا وهب له ذلك كانت هذه صفته, لأن ذلك لو كان كذلك, كان ذلك من زكريا دخولاً في علم الغيب الذي قد حجبه الله عن خلقه.

وقوله: وَاجْعَلْهُ رَبّ رَضِيّا يقول: واجعل يا ربّ الوليّ الذي تهبه لي مرضيا ترضاه أنت ويرضاه عبادك دينا وخُلُقا وخَلْقا. والرضي: فعيل صرف من مفعول إليه.

الآية : 7

القول في تأويل قوله تعالى: {يَزَكَرِيّآ إِنّا نُبَشّرُكَ بِغُلاَمٍ اسْمُهُ يَحْيَىَ لَمْ نَجْعَل لّهُ مِن قَبْلُ سَمِيّاً }.

يقول تعالى ذكره: فاستجاب له ربه, فقال له: يا زكريا إنا نبشرك بهبتنا لك غلاما اسمه يحيى. كان قتادة يقول: إنما سماه الله يحيى لإحيائه إياه بالإيمان.

17706ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة, قوله يا زَكَرِيّا إنّا نُبَشّرُكَ بغُلام اسمُهُ يَحْيَى عبد أحياه الله للإيمان.

وقوله: لَمْ نَجْعَلْ لَهُ مِنْ قَبْلُ سَمِيّا اختلف أهل التأويل في تأويل ذلك, فقال بعضهم: معناه لم تلد مثله عاقر قط. ذكر من قال ذلك:

17707ـ حدثني عليّ, قال: حدثنا عبد الله, قال: ثني معاوية, عن عليّ, عن ابن عباس, قوله ليحيى: لَمْ نَجْعَلْ لَهُ مِنْ قَبْلُ سَمِيّا يقول: لم تلد العواقر مثله ولدا قط.

وقال آخرون: بل معناه: لم نجعل له من قبله مثلاً. ذكر من قال ذلك:

17708ـ حدثنا محمد بن المثنى, قال: حدثنا أبو الربيع, قال: حدثنا سالم بن قتيبة, قال: أخبرنا شعبة, عن الحكم, عن مجاهد, في قوله لَمْ نَجْعَلْ لَهُ مِنْ قَبْلُ سَمِيّا قال: شبيها.

حدثني محمد بن عمرو, قال: حدثنا أبو عاصم, قال: حدثنا عيسى وحدثني الحرث, قال: حدثنا الحسن, قال: حدثنا ورقاء, جميعا عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد, في قوله لَمْ نَجْعَلْ لَهُ مِنْ قَبْلُ سَمِيّا قال: مثلاً.

حدثنا القاسم, قال: حدثنا الحسين, قال: ثني حجاج, عن ابن جريج, عن مجاهد, مثله.

وقال آخرون: معنى ذلك, أنه لم يسمّ باسمه أحد قبله. ذكر من قال ذلك:

17709ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة, قوله: لَمْ نَجْعَلْ لَهُ مِنْ قَبْلُ سَمِيّا لم يسمّ به أحد قبله.

حدثنا الحسن, قال: أخبرنا عبد الرزاق, قال: أخبرنا معمر, عن قتادة في قوله لَمْ نَجْعَلْ لَهُ مِنْ قَبْلُ سَمِيّا قال: لم يسمّ يحيى أحد قبله.

17710ـ حدثنا القاسم, قال: حدثنا الحسين, قال: ثني حجاج, عن ابن جريج, مثله.

17711ـ حدثني يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: حدثنا عبد الرحمن بن زيد بن أسلم في قول الله: لَمْ نَجْعَلْ لَهُ مِنْ قَبْلُ سَمِيّا قال: لم يسمّ أحد قبله بهذا الاسم.

17712ـ حدثنا موسى, قال: حدثنا عمرو, قال: حدثنا أسباط, عن السديّ إنّ اللّهَ يُبَشّرُكَ بغُلامٍ اسمُهُ يَحْيَى لَمْ نَجْعَلْ لَهُ مِنْ قَبْلُ سَمِيّا لم يسمّ أحد قبله يحيى.

قال أبو جعفر: وهذا القول أعني قول من قال: لم يكن ليحيى قبل يحيى أحد سمي باسمه أشبه بتأويل ذلك, وإنما معنى الكلام: لم نجعل للغلام الذي نهب لك الذي اسمه يحيى من قبله أحدا مسمى باسمه, والسميّ: فعيل صرف من مفعول إليه.

الآية : 8

القول في تأويل قوله تعالى: {قَالَ رَبّ أَنّىَ يَكُونُ لِي غُلاَمٌ وَكَانَتِ امْرَأَتِي عَاقِراً وَقَدْ بَلَغْتُ مِنَ الْكِبَرِ عِتِيّاً }.

يقول تعالى ذكره: قال زكريا لما بشره الله بيحيى: ربّ أنّي يكونُ لي غُلام, ومن أيّ وجه يكون لي ذلك, وامرأتي عاقر لا تحبل, وقد ضعُفت من الكبر عن مباضعة النساء أبأن تقوّيني على ما ضعفت عنه من ذلك, وتجعل زوجتي ولودا, فإنك القادر على ذلك وعلى ما تشاء, أم بأن أنكح زوجة غير زوجتي العاقر, يستثبت ربه الخبر, عن الوجه الذي يكون من قبله له الولد, الذي بشره الله به, لا إنكارا منه صلى الله عليه وسلم حقيقة كون ما وعده الله من الولد, وكيف يكون ذلك منه إنكارا لأن يرزقه الولد الذي بشّره به, وهو المبتدىء مسألة ربه ذلك بقوله: فَهَبْ لي مِنْ لَدُنْكَ وَلِيّا يَرِثُنِي وَيَرِثُ مِنْ آلِ يَعْقُوبَ بعد قوله إنّي وَهَنَ العَظْمُ مِني وَاشْتَعَلَ الرّأسُ شَيْبا. وقال السدّي في ذلك ما:

17713ـ حدثني موسى بن هارون, قال: حدثنا عمرو, قال: حدثنا أسباط, عن السديّ, قال: نادى جبرائيل زكريا: إنّ اللّهَ يُبَشّرُكَ بغُلام اسمُهُ يَحْيَى لَمْ نَجْعَلْ لَهُ مِنْ قَبْلُ سَمِيّا فلما سمع النداء, جاءه الشيطان فقال: يا زكريا إن الصوت الذي سمعت ليس من الله, إنما هو من الشيطان يسخر بك, ولو كان من الله أوحاه إليك كما يوحي إليك غيره من الأمر, فشكّ وقال: إنّي يَكُونُ لي غُلامٌ يقول: من أين يكون وَقَدْ بَلَغَنِيَ الكِبَرُ وَامْرَأتِي عاقِرٌ.

وقوله: وَقَدْ بَلَغْتُ مِنَ الكِبَرِ عِتِيّا يقول: وقد عتوت من الكبر فصرت نحل العظام يابسها, يقال منه للعود اليابس: عود عاتٍ وعاسٍ, وقد عتا يعتو عِتِيّا وعُتُوّا, وعسى يعسو عِسِيا وعسوّا, وكلّ متناه إلى غايته في كبر أو فساد, أو كفر, فهو عات وعاس. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

17714ـ حدثني يعقوب, قال: حدثنا هشيم, قال: أخبرنا حصين, عن عكرمة, عن ابن عباس, قال: قد علمتُ السنة كلها, غير أني لا أدري أكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقرأ في الظهر والعصر أم لا, ولا أدري كيف كان يقرأ هذا الحرف: وَقَدْ بَلَغْتُ مِنَ الكِبَرِ عِتِيّا أو «عِسِيّا».

17715ـ حدثني محمد بن سعد, قال: ثني أبي, قال: ثني عمي, قال: ثني أبي, عن أبيه, عن ابن عباس, قوله وَقَدْ بَلَغْتُ مِنَ الكِبَرِ عِتِيّا قال: يعني بالعِتيّ: الكبر..

17716ـ حدثني محمد بن عمرو, قال: حدثنا أبو عاصم, قال: حدثنا عيسى وحدثني الحارث, قال: حدثنا الحسن, قال: حدثنا ورقاء, جميعا عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد, قوله عِتِيّا قال: نُحول العظم.

حدثنا القاسم, قال: حدثنا الحسين, قال: ثني حجاج, عن ابن جريج, عن مجاهد, مثله.

17717ـ حدثنا الحسن بن يحيى, قال: أخبرنا عبد الرزاق, قال: أخبرنا معمر, عن قتادة, في قوله مِنَ الكِبَرِ عِتِيّا قال: سنّا, وكان ابن بضع وسبعين سنة.

17718ـ حدثني يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: قال ابن زيد, في قوله: وَقَدْ بَلَغْت مِنَ الكِبَرِ عِتِيّا قال: العتيّ: الذي قد عتا عن الولد فيما يرى نفسه لا يولد له.

17719ـ حُدثت عن الحسين بن الفرج, قال: سمعت أبا معاذ يقول: حدثنا عبيد بن سليمان, قال: سمعت الضحاك يقول في قوله: وَقَدْ بَلَغْتُ منَ الكبَرِ عتيّا قال: هو الكبر.

الآية : 9 و 10

القول في تأويل قوله تعالى: {قَالَ كَذَلِكَ قَالَ رَبّكَ هُوَ عَلَيّ هَيّنٌ وَقَدْ خَلَقْتُكَ مِن قَبْلُ وَلَمْ تَكُ شَيْئاً * قَالَ رَبّ اجْعَل لِيَ آيَةً قَالَ آيَتُكَ أَلاّ تُكَلّمَ النّاسَ ثَلاَثَ لَيَالٍ سَوِيّاً }.

يقول تعالى ذكره: قال الله لزكريا مجيبا له قالَ كَذلكَ يقول: هكذا الأمر كما تقول من أنّ امرأتك عاقر, وأنك قد بلغت من الكبر العتيّ, ولكن ربك يقول: خلْق ما بشّرتك به من الغلام الذي ذكرت لك أن اسمه يحيى عليّ هين, فهو إذن من قوله: قالَ رَبّكَ هُوَ عَلَيّ هَيّنٌ كناية عن الخلق.

وقوله: وَقَدْ خـلَقْتُكَ مِنْ قَبْلُ ولَـمْ تَك شَيْئا يقول تعالـى ذكـره: ولـيس خـلق ما وعدتك أن أهبه لك من الغلام الذي ذكرت لـك أمـره منـك مـع كـبر سنك, وعقم زوجتك بأعجب من خـلقـيك, فإنـي قد خـلقتك, فأنشأتك بشـرا سويا من قبل خـلقـي ما بشرتك بأنـي واهبه لك من الولـد, ولـم تـك شـيئا, فكذلك أخـلق لك الولد الذي بشرتك به من زوجتك العاقر, مع عِتـيك ووهـن عظامك, واشتعال شيب رأسك.

وقوله: قالَ رَبِّ اجْعَلْ لـي آيَة يقول تعالـى ذكره: قال زكريا: يا ربّ اجعل لـي علـما ودلـيلاً علـى ما بشّرَتنـي بـه ملائكتـك مـن هـذا الغلام عـن أمـرك ورسالتك, لـيطمئنّ إلـى ذلك قلبـي. كما:

17720ـ حدثنـي يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: قال ابن زيـد, فـي قوله: قالَ رَبِّ اجْعَلْ لـي آيَةً قال: قال ربّ اجعل لـي آية أن هذا منك.

17721ـ حدثنا موسـى, قـال: حـدثنا عمـرو, قـال: حـدثنا أسبـاط, عـن السديّ: قال ربّ, فإن كان هذا الصوت منك فـاجعل لـي آية.

قال الله آيَتُكَ لذلك ألاّ تُكَلّـمَ النّـاسَ ثَلاثَ لَـيالٍ سَـوِيّا يقـول جـلّ ثنـاؤه: علامتك لذلك, ودلـيـلك علـيه أن لا تكلـم النـاس ثلاث لـيال وأنـت سـويّ صحيح, لا علة بك من خرس ولا مرض يـمنعك من الكلام. وبنـحو الـذي قلنـا فـي ذلك قال أهل التأويـل. ذكر من قال ذلك:

17722ـ حدثنا ابن حميد, قال: حدثنا حكام, عن عمرو, عـن عطـاء, عـن سعيد, عن ابن عبـاس ثَلاثَ لَـيالٍ سَوِيّا قال: اعتقل لسانه من غير مرض.

حدثنـي علـيّ, قال: حدثنا عبد الله, قال: ثنـي معاوية, عن علـيّ, عن ابن عبـاس, قوله ثَلاثَ لَـيالٍ سَوِيّا يقول: من غير خرس.

17723ـ حدثنـي مـحمد بن عمرو, قـال: حـدثنا أبـو عاصـم, قـال: حـدثنا عيسى وحدثنـي الـحارث, قال: حدثنا الـحسن, قـال: حـدثنا ورقـاء, جميعـا عن ابن أبـي نـجيح, عن مـجاهد, فـي قوله ثَلاثَ لَـيالٍ سَوِيّا قال: لا يــمنعك من الكلام مرض.

حدثنا القاسم, قال: حدثنا الـحسين, قال: ثنـي حجاج, عن ابن جريج, عن مـجاهد ألاّ تُكَلّـمَ النّاسَ ثَلاثَ لَـيالٍ سَوِيّا قال: صـحيحا لا يــمنعك مـن الكلام مرض.

17724ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتـادة قـالَ آيَتُكَ ألاّ تُكَلّـمَ النّاسَ ثَلاثَ لَـيالٍ سَوِيّا من غير بأس ولا خرس, وإنـما عـوقب بذلك لأنه سأل آية بعد ما شافهته الـملائكة مشافهة, أُخـذ بلسـانه حتــى مـا كان يفـيض الكلام إلا أومأ إيـماء.

17725ـ حدثنا الـحسن, قال: أخبرنا عبد الرزاق, قال: أخبرنا معمر, عن قتادة, عن عكرمة, فـي قوله ثَلاثَ لَـيالٍ سَوِيّا قال: سويا من غير خرس.

17726ـ حدثنـي يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: قال ابن زيـد, فــي قوله قالَ آيَتُكَ ألاّ تُكَلّـمَ النّاسَ ثَلاثَ لَـيالٍ سَوِيّا وأنت صـحيح, قـال: فحبـس لسانه, فكان لا يستطيع أن يكلـم أحدا, وهو فـي ذلك يسـبح, ويقـرأ التـوراة ويقرأ الإنـجيـل, فإذا أراد كلام الناس لـم يستطع أن يكلـمهم.

17727ـ حدثنا ابن حميد, قـال: حـدثنا سلــمة, عـن ابـن إسـحاق, عمـن لايتهم, عن وهب بن منبه الـيـمانـي, قال: أخذ اللـه بلسـانه مـن غيـر سـوء, فجعل لا يطيق الكلام, وإنـما كلامـه لقـومه بــالإشارة, حتــى مضـت الثلاثـة الأيام التـي جعلها الله آية لـمصداق ما وعده من هبته له.

17728ـ حدثنا موسى, قال: حدثنا عمرو, قال: حدثنا أسباط, عن السديّ قالَ آيَتُكَ ألاّ تُكَلّمَ النّاسَ ثَلاثَ لَيالٍ سَوِيّا يقول: من غير خَرَس إلا رمزا, فاعتُقل لسانه ثلاثة أيام وثلاث ليال.
وقال آخرون: السويّ من صفة الأيام, قالوا: ومعنى الكلام: قال: آيتك ألا تكلم الناس ثلاث ليال متتابعات. ذكر من قال ذلك:
17729ـ حدثني محمد بن سعد, قال: ثني أبي, قال: ثني عمي, قال: ثني أبي, عن أبيه, عن ابن عباس, قوله: قالَ آيَتُكَ ألاّ تُكَلّمَ النّاسَ ثَلاثَ لَيالٍ سَوِيّا: قال: ثلاث ليال متتابعات.

الآية : 11

القول في تأويل قوله تعالى: {فَخَرَجَ عَلَىَ قَوْمِهِ مِنَ الْمِحْرَابِ فَأَوْحَىَ إِلَيْهِمْ أَن سَبّحُواْ بُكْرَةً وَعَشِيّاً }.
يقول تعالى ذكره: فخرج زكريا على قومه من مُصَلاه حين حُبس لسانه عن كلام الناس, آية من الله له على حقيقة وعده إياه ما وعد. فكان ابن جريج يقول في معنى خروجه من محرابه, ما:
17730ـ حدثنا القاسم, قال: حدثنا الحسين, قال: ثني حجاج, عن ابن جريج فَخَرَجَ على قَوْمِهِ مِنَ المِحْرابِ قال: أشرف على قومه من المحراب.
قال أبو جعفر: وقد بيّنا معنى المحراب فيما مضى قبل, بما أغنى عن إعادته في هذا الموضع.
17731ـ حدثني يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: قال ابن زيد, في قوله: فَخَرَجَ عَلى قومِهِ مِنَ المِحْرابِ قال: المحراب: مُصَلاه, وقرأ: فَنادَتْهُ المَلائِكَةُ وَهُوَ قائمٌ يُصَلّي فِي المِحْرَابِ.
وقوله: فَأَوْحَى إلَيْهِمْ يقول: أشار إليهم, وقد تكون تلك الإشارة باليد وبالكتاب وبغير ذلك, مما يفهم به عنه ما يريد. وللعرب في ذلك لغتان: وَحَى, وأوحى فمن قال: وَحَى, قال في يفعل: يَحِي ومن قال: أوحى, قال: يُوحِي, وكذلك أومَى ووَمَى, فمن قال: وَمَى, قال في يفعل يَمِي ومن قال أومَى, قال يُومِي.
واختلف أهل التأويل في المعنى الذي به أوحى إلى قومه, فقال بعضهم: أوحى إليهم إشارة باليد. ذكر من قال ذلك:
17732ـ حدثني محمد بن عمرو, قال: حدثنا أبو عاصم, قال: حدثنا عيسى وحدثني الحارث, قال: حدثنا الحسن, قال: حدثنا ورقاء, جميعا عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد فَأَوْحَى: فأشار زكريا.
حدثنا القاسم, قال: حدثنا الحسين, قال: ثني حجاج, عن ابن جريج, عن مجاهد, مثله.
17733ـ حدثنا ابن حميد, قال: حدثنا سلمة, عن ابن إسحاق, عمن لا يتهم, عن وهب بن منبه فَأَوْحَى إلَيْهِمْ قال: الوحي: الإشارة.
17734ـ حدثنا الحسن, قال: أخبرنا عبد الرزاق, قال: أخبرنا معمر, عن قتادة فأَوْحَى إلَيْهِمْ قال: أومى إليهم.
وقال آخرون: معنى أوحى: كتب. ذكر من قال ذلك:

17735ـ حدثنا محمود بن خداش, قال: حدثنا عباد بن العوّام, عن سفيان بن حسين, عن الحكم, عن مجاهد, في قول الله تعالى: فَأَوْحَى إِلَيْهِمْ أَنْ سَبّحُوا بُكْرَةً وَعَشِيّا قال: كتب لهم في الأرض.
17736ـ حدثنا الحسن, قال: أخبرنا عبد الرزاق, عن الثوريّ, عن ابن أبي ليلى, عن الحكم فأَوْحَى إِلَيْهِمْ قال: كتب لهم.
17737ـ حدثنا موسى, قال: حدثنا عمرو, قال: حدثنا أسباط, عن السديّ فَخَرَجَ عَلى قَوْمِهِ مِنَ الْمِحْرابِ فكتب لهم في كتاب أنْ سَبّحُوا بُكْرَةً وَعَشِيّا, وذلك قوله: فأَوْحَى إِلَيْهِمْ.
وقال آخرون: معنى ذلك: أمرهم. ذكر من قال ذلك:
17738ـ حدثني يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: قال ابن زيد, في قوله: فأَوْحَى إِلَيْهِمْ أَنْ سَبّحُوا بُكْرَةً وَعَشِيّا قال: ما أدري كتابا كتبه لهم, أو إشارة أشارها, والله أعلم, قال: أمرهم أن سَبّحوا بكرة وعشيا, وهو لا يكلمهم.
وقوله: أنْ سَبّحُوا بُكْرَةً وَعَشِيّا قد بيّنت فيما مضى الوجوه التي ينصرف فيها التسبيح, وقد يجوز في هذا الموضع أن يكون عَنَى به التسبيح الذي هو ذكر الله, فيكون أمرهم بالفراغ لذكر الله في طرفي النهار بالتسبيح, ويجوز أن يكون عنى به الصلاة, فيكون أمرهم بالصلاة في هذين الوقتين. وكان قتادة يقول في ذلك ما:
17739ـ حدثنا به الحسن بن يحيى, قال: أخبرنا عبد الرزاق, قال: أخبرنا معمر, عن قتادة, في قوله: فأَوْحَي إِلَيْهِمْ أنْ سَبّحُوا بُكْرَةً وَعَشِيّا قال: أَوْمَى إليهم أن صلوا بكرة وعشيا.

الآية : 12 و13

القول في تأويل قوله تعالى: {يَيَحْيَىَ خُذِ الْكِتَابَ بِقُوّةٍ وَآتَيْنَاهُ الْحُكْمَ صَبِيّاً * وَحَنَاناً مّن لّدُنّا وَزَكَاةً وَكَانَ تَقِيّاً }.
يقول تعالى ذكره: فولد لزكريا يحيى, فلما ولد, قال الله له: يا يحيى, خذ هذا الكتاب بقوّة, يعني كتاب الله الذي أنزله على موسى, وهو التوراة. بقوّة, يقول: بجدّ. كما:
17740ـ حدثنا الحسن, قال: أخبرنا عبد الرزاق, قال: أخبرنا معمر, عن قتادة, في قوله: خُذِ الكِتابَ بِقُوّةٍ قال: بجدّ.
17741ـ حدثني محمد بن عمرو, قال: حدثنا أبو عاصم, قال: حدثنا عيسى وحدثني الحارث, قال: حدثنا الحسن, قال: حدثنا ورقاء, جميعا عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد خُذِ الكِتابَ بِقُوّةٍ قال: بجدّ.
حدثنا القاسم, قال: حدثنا الحسين, قال: ثني حجاج, عن ابن جريج, عن مجاهد, مثله.
وقال ابن زيد في ذلك ما:
17742ـ حدثني به يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: قال ابن زيد, في قوله: يا يَحْيَى خُذِ الكِتابَ بِقُوّةٍ قال: القوّة: أن يعمل ما أمره الله به, ويجانب فيه ما نهاه الله.
قال أبو جعفر: وقد بيّنت معنى ذلك بشواهده فيما مضى من كتابنا هذا, في سورة آل عمران, فأغنى ذلك عن إعادته في هذا الموضع.
وقوله: وآتَيْناهُ الحُكْمَ صَبِيّا يقول تعالى ذكره: وأعطيناه الفهم لكتاب الله في حال صباه قبل بلوغه أسنان الرجال. وقد:

17743ـ حدثنا أحمد بن منيع, قال: حدثنا عبد الله بن المبارك, قال: أخبرني معمر, ولم يذكره عن أحد في هذه الآية وآتَيْناهُ الحُكْمَ صَبِيّا قال: بلغني أن الصبيان قالوا ليحيى: اذهب بنا نلعب, فقال: ما للعب خُلِقتُ, فأنزل الله: وآتَيْناهُ الحُكْمَ صَبِيّا.

وقوله: وَحَنانا مِنْ لَدُنّا يقول تعالى ذكره: ورحمة منا ومحبة له آتيناه الحكم صبيا.

وقد اختلف أهل التأويل في معنى الحنان, فقال بعضهم: معناه: الرحمة, ووجهوا الكلام إلى نحو المعنى الذي وجهناه إليه. ذكر من قال ذلك:

17744ـ حدثنا عليّ, قال: حدثنا عبد الله, قال: ثني معاوية, عن عليّ, عن ابن عباس, قوله: وَحَنانا مِنْ لَدُنّا يقول: ورحمة من عندنا.

17745ـ حدثنا محمد بن المثنى, قال: حدثنا محمد بن جعفر, قال: حدثنا شعبة, عن سماك, عن عكرمة, في هذه الآية وَحَنانا مِنْ لَدُنّا قال: رحمة.

17746ـ حدثنا الحسن, قال: أخبرنا عبد الرزاق, قال: أخبرنا معمر, عن قتادة, في قوله: وَحَنانا مِنْ لَدُنّا قال: رحمة من عندنا.

17747ـ حدثنا القاسم, قال: حدثنا الحسين, قال: حدثنا هشيم, قال: أخبرنا جويبر, عن الضحاك, قوله: وَحَنانا مِنْ لَدُنّا قال: رحمة من عندنا لا يملك عطاءها أحد غيرنا.

حُدثت عن الحسين بن الفرج, قال: سمعت أبا معاذ, قال: أخبرنا عبيد بن سليمان, قال: سمعت الضحاك يقول في قوله وَحَنانا مِنْ لَدُنّا يقول: رحمة من عندنا, لا يقدر على أن يعطيها أحد غيرنا.

وقال آخرون: بل معنى ذلك: ورحمة من عندنا لزكريا, آتيناه الحكم صبيا, وفعلنا به الذي فعلنا. ذكر من قال ذلك:

17748ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة, قوله: وَحَنانا مِنْ لَدُنّا يقول: رحمة من عندنا.

وقال آخرون: معنى ذلك: وتعطفا من عندنا عليه, فعلنا ذلك. ذكر من قال ذلك:

17749ـ حدثني محمد بن عمرو, قال: حدثنا أبو عاصم, قال: حدثنا عيسى وحدثني الحارث, قال: حدثنا الحسن قال: حدثنا ورقاء, جميعا عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد, قوله: وَحَنانا مِنْ لَدُنّا قال: تعطفا من ربه عليه.

حدثنا القاسم, قال: حدثنا الحسين, قال: ثني حجاج, عن ابن جريج, عن مجاهد, مثله.

وقال آخرون: بل معنى الحنان: المحبة. ووجهوا معنى الكلام إلى: ومحبة من عندنا فعلنا ذلك. ذكر من قال ذلك:

17750ـ حدثنا ابن حميد, قال: حدثنا حكام, عن عنبسة, عن يحيى بن سعيد, عن عكرمة وَحَنانا مِنْ لَدُنّا قال: محبة عليه.

17751ـ حدثني يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: قال ابن زيد, في قوله: وَحَنانا قال: أما الحَنان فالمحبة.

وقال آخرون معناه تعظيما منا له. ذكر من قال ذلك:

17752ـ حدثنا القاسم, قال: حدثنا الحسين, قال: حدثنا أبو تميلة, عن أبي حمزة, عن جابر, عن عطاء بن أبي رباح وَحَنانا مِنْ لَدُنّا قال: تعظيما

من لدنا. وقد ذكر عن ابـن عبـاس رضـي اللـه عنهمـا أنـه قـال: لا أدري مـا الـحنان.
17753ـ حدثنا القاسم, قال: حدثنا الـحسين, قال: ثنـي حجاج, عـن ابـن جريج, قال: أخبرنـي عمرو بن دينار أنه سمع عكرمة, عن ابن عبـاس, قال: والله ما أدري ما حنانا.
وللعرب فـي حَنَانَك لغتان: حَنَانَك يا ربنا, وحَنانَـيك كما قال طَرَفة بن العبد فـي حنانـيك:
أبـا مُنْذِرٍ أفْنَـيْتَ فـاسْتَبْقِ بَعْضَنا حَنانَـيْكَ بعضُ الشّرّ أهْوَنُ مِن بعض
وقال امرؤ القـيس فـي اللغة الأخرى:
ويَـمْنَـحُها بَنُو شَمَـجَي بْنِ جَرْمٍ مَعِيزَهُمُ حَنانَكَ ذَا الـحَنانِ
وقد اختلف أهل العربـية فـي «حنانـيك» فقال بعضهم: هو تثنـية «حنان». وقال آخرون: بل هي لغة لـيست بتثنـية قالوا: وذلك كقولهم: حَوَالـيك وكمـا قال الشاعر:
ضَرْبـا هَذَا دَيْكَ وطَعْنا وَخْضا
وقد سوّي بـين جميع ذلك الذين قـالوا حنانــيك تثنــية, فــي أن كـل ذلـك تثنـية. وأصل ذلك أعنـي الـحنان, من قول القائل: حنّ فلان إلـى كذا, وذلك إذا ارتـاح إلــيه واشــتاق, ثـم يقــال: تــحّنن فلان علــى فلان, إذا وصــف بـالتعطّف علـيه والرقة به, والرحمة له, كما قال الشاعر:
تَـحَنّنْ عَلـيّ هَدَاكَ الـمَلِـيكُ فإنّ لِكُلّ مَقام مَقالا
بـمعنى: تعطّف علـيّ. فـالـحنان: مصدر من قول القائل: حنّ فلان علـى فلان, يقال منه: حننت علـيه, فأنا أحنّ علـيه حنـينا وحنانا, ومن ذلـك قـيــل لزوجة الرجل: حَنّته, لتـحننه علـيها وتعطفه, كما قال الراجز:
وَلَـيْـلَةٍ ذَاتِ دُجىً سَرَيْتُولَـم تَضِرْنِـي حَنّةٌ وَبَـيْتُ
وقوله: وَزَكَاةً يقول تعالـى ذكره: وآتـينا يحيى الـحكم صبـيا, وزكاة: وهـو الطهارة من الذنوب, واستعمال بدنه فـي طاعة ربه, فـالزكاة عطـف علــى الـحكم من قوله: وآتَـيْناهُ الــحُكْمَ. وبنــحو الـذي قلنـا فــي ذلـك قـال أهـل التأويـل. ذكر من قال ذلك:
17754ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة, قوله: وزَكاةً قال: الزكاة: العمل الصالـح.
17755ـ حدثنا القاسم, قال: حدثنا الـحسين, قال: ثنـي حجاج, عـن ابـن جريج, قوله: وزَكاةً قال: العمل الصالـح الزكيّ.
17756ـ حُدثت عن الـحسين, قال: سمعت أبـا معاذ يقول: أخبرنا عبــيد بن سلـيـمان, قال: سمعت الضحاك يقول: فـي قـوله وزَكـاةً يعنــي العمـل الصالـح الزاكيّ.
وقوله: وكانَ تَقِـيّا يقول تعالـى ذكره: وكان للـه خائفــا مؤدّيـا فرائضـه, مـجتنبـا مـحارمه مسارعا فـي طاعته. كما:
17757ـ حدثنـي مـحمد بن سعد, قال: ثنـي أبـي, قال: ثنـي عمي, قال: ثنـي أبـي, عن أبـيه, عن ابن عبـاس وَزَكاةً وكانَ تَقِـيّا قال: طهر فلـم يعمل بذنب.
17758ـ حدثنـي يونس, قال: خبرنا ابن وهب, قال: قال ابـن زيـد, فــي قوله: وَزَكاةً وكانَ تَقِـيّا قال: أما الزكاة والتقوى فقد عرفهما الناس.

الآية : 14 و 15

القول في تأويل قوله تعالى: {وَبَرّاً بِوَالِدَيْهِ وَلَمْ يَكُن جَبّاراً عَصِيّاً * وَسَلاَمٌ عَلَيْهِ يَوْمَ وُلِدَ وَيَوْمَ يَمُوتُ وَيَوْمَ يُبْعَثُ حَياً }.

يقول تعالى ذكره: وكان برّا بوالديه, مسارعا في طاعتهما ومحبتهما, غير عاقّ بهما ولَمْ يَكُنْ جَبّارا عَصِيّا يقول جلّ ثناؤه: ولم يكن مستكبرا عن طاعة ربه وطاعة والديه, ولكنه كان لله ولوالديه متواضعا متذللاً, يأتمر لما أمر به, وينتهى عما نُهي عنه, لا يَعْصِي ربه, ولا والديه.

وقوله: عَصِيّا فعيلَ بمعنى أنه ذو عصيان, من قول القائل: عَصَى فلان ربه, فهو يعصيه عصيا.

وقوله: سَلامٌ عَلَـيْهِ يَوْمَ وُلِدَ ويَوْمَ يَـمُوتُ ويَوْمَ يُبْعَثُ حَيّا يقول: وأمان من الله يوم ولد, من أن يناله الشيطان من السوء, بما ينال به بني آدم, وذلك أنه رُوي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: «كُلّ بَنِي آدَمَ يَأْتِي يَوْمَ القِيامَةِ وَلَهُ ذَنْبٌ إلاّ ما كانَ مِنْ يَحْيَى بْنِ زَكَرِيّا».

17759ـ حدثنا بذلك ابن حميد, قال: حدثنا سلَمة, عن ابن إسحاق, عن يحيى بن سعيد, عن سعيد بن المسيب, قال: ثني ابن العاص, أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ذلك.

17760ـ حدثنا الحسن, قال: أخبرنا عبد الرزاق, قال: أخبرنا معمر, عن قتادة, في قوله: جَبّارا عَصِيّا قال: كان ابن المسيب يذكر قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «ما مِنْ أحَدٍ يَلْقي اللّهَ يَوْمَ القِيامَةِ, إلاّ ذَا ذَنْبٍ, إلاّ يَحْيَى بْنَ زَكَرِيّا».

قال: وقال قتادة: ما أذنب, ولا هم بامرأة.

وقوله: ويَوْمَ يَـمُوتُ يقول: وأمان من الله تعالى ذكره له من فَتّانَيِ القبر, ومن هول المطلع وَيَوْمَ يُبْعَثُ حَيّا يقول: وأمان له من عذاب الله يوم القيامة, يوم الفزع الأكبر, من أن يروعه شيء, أو أن يفزعه ما يفزع الخلق. وقد ذكر ابن عيينة في ذلك ما:

حدثني أحمد بن منصور الفَيروزِيّ, قال: أخبرني صدقة بن الفضل قال: سمعت ابن عطية يقول: أوحش ما يكون الخلق في ثلاثة مواطن: يوم يولد فيرى نفسه خارجا مما كان فيه, ويوم يموت فيرى قوما لم يكن عاينهم, ويوم يُبعث فيرى نفسه في محشر عظيم, قال: فأكرم الله فيها يحيى بن زكريا, فخصه بالسلام عليه, فقال سَلامٌ عَلَـيْهِ يَـوْمَ وُلِدَ ويَـوْمَ يَـمُوتُ ويَوْمَ يُبْعَثُ حَيّا.

17761ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة, أن الحسن قال: إن عيسى ويحيى التقيا فقال له عيسى: استغفر لي, أنت خير مني, فقال له الآخر: استغفر لي, أنت خير مني, فقال له عيسى: أنت خير مني, سَلّمت على نفسي, وسلّم الله عليك, فعرف والله فضلها.

الآية : 16 و 17

القول في تأويل قوله تعالى: {وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ مَرْيَمَ إِذِ انتَبَذَتْ مِنْ أَهْلِهَا مَكَاناً شَرْقِياً * فَاتّخَذَتْ مِن دُونِهِم حِجَاباً فَأَرْسَلْنَآ إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَراً سَوِيّاً }.

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم: واذكر يا محمد في كتاب الله الذي أنزله عليك بالحقّ مريم ابنة عمران, حين اعتزلت

من أهلها, وانفردت عنهم, وهو افتعل من النّبـذ, والنّبـذ: الطّـرْح, وقـد بـيّنا ذلك بشـواهده فـيـما مضـى قبـلُ. وبنـحو الـذي قلنـا فـي ذلـك قـال أهـل التأويـل. ذكر من قال ذلك:

17762ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة, فـي قوله: وَاذْكُرْ فِـي الكِتابِ مَرْيَـمَ إذِ انْتَبَذَتْ أي انفردت من أهلها.

17763ـ حدثنـي سلـيـمان بن عبد الـجبـار, قال: حدثنا مـحمد بن الصّلْت, قال: حدثنا أبو كُدَينة, عن قابوس, عن أبـيه, عن ابن عبـاس إذِ انْتَبَـذَتْ مِـنْ أهْلِها مَكانا شَرْقِـيّا قال: خرجت مكانا شرقـيا.

17764ـ حدثنا موسـى, قـال: حـدثنا عمـرو, قـال: حـدثنا أسبـاط, عـن السديّ, قال: خرجت مريـم إلـى جـانب الـمـحراب لـحيض أصـابها, وهـو قوله: فـانتبذت من أهلها مكانا شرقـيا: فـي شرقـيّ الـمـحراب.

وقوله: مَكانا شَرْقِـيّا يقول: فتنـحت واعتزلت من أهلها فـي موضع قِبَـلَ مَشرق الشمس دون مَغربها, كما:

17765ـ حدثنا الـحسن, قال: أخبرنا عبد الرزاق, قال: أخبرنا معمر, عن قتادة, فـي قوله: مَكانا شَرْقِـيّا قال: من قِبَل الـمشرق.

17766ـ حدثنـي إسحاق بن شاهين, قال: حدثنا خالد بن عبـد اللـه, عـن داود, عن عامر, عن ابن عبـاس, قـال: إنـي لأعلـم خـلق اللـه لأيّ شـيء اتـخذت النصـارى الـمشرق قبلـة؟ لقـول اللـه: فـانتبذت مـن أهلهـا مكانـا شرقـيا, فـاتـخذوا ميلاد عيسى قبلة.

حدثنا ابن الـمثنى, قال: ثنـي عبد الأعلـى, قال: حدثنا داود, عـن عـامر, عن ابن عبـاس, مثله.

17767ـ حدثنـي سلـيـمان بـن عبـد الـجبـار, قـال: أخبرنـا مـحمد بـن الصّلْت, قال: حدثنا أبو كُدَينة, عن قابوس, عن أبـيه, عن ابن عبـاس, قـال: إن أهل الكتاب كتب علـيهم الصلاة إلـى البـيت, والـحجّ للـه, ومـا صـرفهم عنهما إلا قـيـل ربك إذِ انْتَبَذَتْ مِـنْ أهْلِهـا مَكانـا شَرْقِـيّا فصـلوا قبـل مطلـع الشمس.

17768ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قـال: حـدثنا سـعيد, عـن قتـادة إذِ انْتَبَذَتْ مِنْ أهْلِهـا مَكانـا شَرْقِـيّا قـال: شاسـعا متنـحيا, وقـيـل: إنهـا إنـما صارت بـمكان يـلـي مشرق الشمس, لأن ما يـلـي الـمشرق عنـدهم كـان خيرا مـما يـلـي الـمغرب, وكذلك ذلك فـيـما ذُكر عند العرب.

وقوله: فـاتّـخَذَتْ مِنْ دُونِهِمْ حِجابـا يقول: فـاتـخذت من دون أهلها سترا يسترها عنهم وعن الناس. وذُكر عن ابن عبـاس, أنها صـارت بـمكان يـلـي الـمشرق, لأن الله أظلها بـالشمس, وجعل لها منها حجابـا.

17769ـ حدثنـي مـحمد بن سعد, قال: ثنـي أبـي, قال: ثنـي عمي, قال: ثنـي أبـي, عن أبـيه, عن ابن عبـاس, قوله: انْتَبَذَتْ مِنْ أهْلِها مَكانـا شَرْقِـيّا قال: مكانا أظلتها الشمس أن يراها أحد منهم.

وقال غيره فـي ذلك ما.

17770ـ حدثنا موسى, قال: حدثنا عمرو, قال: حدثنا أسبـاط, عن السديّ فـاتّـخَذَتْ مِنْ دونِهِمْ حِجابـا من الـجدران.

وقوله: فأرْسَلْنا إلَـيْها رُوحَنا يقول تعالـى ذكره: فأرسلنا إلـيها حين انتبذت من أهلها مكانا شرقـيا, واتـخذت من دونهم حجابـا: جبريـل. وبنـحو الـذي قلنا فـي ذلك قال أهل التأويـل. ذكر من قال ذلك:

17771ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة, قوله: فأرْسَلْنا إلَـيْها رُوحَنا قال: أرسل إليها فيما ذُكر لنا جبريل.
17772ـ حدثنا ابن حميد, قال: حدثنا سلمة, عن ابن إسحاق, عمن لا يتهم, عن وهب بن منبه, قال: وجدت عندها جبريل قد مثله الله بشرا سويا.
17773ـ حدثنا القاسم, قال: حدثنا الحسين, قال: ثني حجاج, عن ابن جريج, قوله: فأرْسَلْنا إلَـيْها رُوحَنا قال: جبريل.
حدثني محمد بن سهل, قال: حدثنا إسماعيل بن عبد الكريم, قال: ثني عبد الصمد بن معقل بن أخي وهب, قال: سمعت وهب بن منبه, قال: أرسل الله جبريل إلى مريم, فَمَثَلَ لها بشرا سويا.
17774ـ حدثنا موسى, قال: حدثنا عمرو, قال: حدثنا أسباط, عن السديّ, قال: فلما طهرت, يعني مريم من حيضها, إذا هي برجل معها, وهي قوله: فأرْسَلْنا إلَـيْها رُوحَنا فَتَـمَثّلَ لَها بَشَرا سَوِيّا يقول تعالى ذكره: فتشبه لها في صورة آدميّ سويّ الخلق منهم, يعني في صورة رجل من بني آدم معتدل الخلق.

الآية : 18 و 19

القول في تأويل قوله تعالى: {قَالَتْ إِنّيَ أَعُوذُ بِالرّحْمَـنِ مِنكَ إِن كُنتَ تَقِيّاً * قَالَ إِنّمَآ أَنَاْ رَسُولُ رَبّكِ لاِهَبَ لَكِ غُلاَماً زَكِيّاً }.
يقول تعالى ذكره: فخافت مريم رسولنا, إذ تمثّل لها بشرا سويا, وظنته رجلاً يريدها على نفسها.
17775ـ حدثنا القاسم, قال: حدثنا الحسين, قال: ثني حجاج, عن ابن جريج, قوله إنّي أعُوذُ بالرّحْمَنِ مِنْكَ إنْ كُنْتَ تَقِيّا قال: خشيت أن يكون إنما يريدها على نفسها.
17776ـ حدثنا موسى, قال: حدثنا عمرو, قال: حدثنا أسباط, عن السديّ فَتَـمَثّلَ لَهَا بَشَرا سَوِيّا فلما رأته فزعت منه وقالت: إنّي أعُوذُ بالرّحْمَنِ مِنْكَ إنْ كُنْتَ تَقِيّا.
فقالت: إني أعوذ أيها الرجل بالرحمن منك, تقول: أستجير بالرحمن منك أن تنال مني ما حرّمه عليك إن كنت ذا تقوى له تتقي محارمه, وتجتنب معاصيه لأن من كان لله تقيا, فإنه يجتنب ذلك. ولو وجه ذلك إلى أنها عَنَت: إني أعوذ بالرحمن منك إن كنت تتقي الله في استجارتي واستعاذتي به منك كان وجها. كما:
17777ـ حدثنا ابن حميد, قال: حدثنا سلمة, عن ابنِ إسحاق, عمن لا يتهم, عن وهب بن منبه قالَتْ إنّي أعُوذُ بالرّحْمَنِ مِنْكَ إنْ كُنْتَ تَقِيّا ولا ترى إلا أنه رجل من بني آدم.
17778ـ حدثنا أبو كريب, قال: حدثنا أبو بكر, عن عاصم, قال: قال ابن زيد: وذكر قَصَص مريم فقال: قد علمت أن التقيّ ذو نُهية حين قالت: إنّي أعُوذُ بالرّحْمَنِ مِنْكَ إنْ كُنْتَ تَقِيّا قالَ إنّمَا أنا رَسُولُ رَبّكِ.
يقول تعالى ذكره: فقال لها روحنا: إنما أنا رسول ربك يا مريم أرسلني إليك لأهَبَ لكِ غُلاما زكيا.
واختلفت القرّاء في قراءة ذلك, فقرأته عامّة قرّاء الحجاز والعراق غير أبي عمرو: لِاَهَبَ لَكِ بمعنى: إنما أنا رسول ربك: يقول: أرسلني إليك لأهب لك غُلاَما زَكِيّا على الحكاية. وقرأ ذلك أبو عمرو بن العلاء: «لِيَهَبَ

لَكِ غُلاما زَكِيّا» بـمعنى: إنـما أنا رسول ربك أرسلنـي إلـيك لـيهب اللـه لـك غلاما زكيا.
قال أبو جعفر: والصواب من القراءة فـي ذلك, مـا علـيه قـرّاء الأمصـار, وهـو لِاَهَـبَ لَـكِ بـالألف دون الـياء, لأن ذلـك كـذلك فـي مصـاحف الـمسلـمين, وعلـيه قراءة قديـمهم وحديثهم, غير أبـي عمـرو, وغيـر جـائز خلافهم فـيـما أجمعوا علـيه, ولا سائغ لأحد خلاف مصاحفهم, والغلام الزكيّ: هو الطاهر من الذنوب وكذلك تقول العرب: غلام زاكٍ وزكيّ, وعال وعلـيّ.

الآية : 20 و 21

القول فـي تأويـل قوله تعالـى: {قَالَتْ أَنّىَ يَكُـونُ لِـي غُلاَمٌ وَلَـمْ يَمْسَسْـنِي بَشَرٌ وَلَمْ أَكُ بَغِيّاً * قَالَ كَذَلِكَ قَالَ رَبّكَ هُوَ عَلَـيّ هَيّـنٌ وَلِنَجْعَلَـهُ آيَـةً لّلنّـاسِ وَرَحْمَةً مّنّا وَكَانَ أَمْراً مّقْضِيّاً }.
يقول تعالـى ذكره: قالت مريـم لـجبريـل: أنّـي يَكُونُ لـي غُلامٌ مـن أيّ وجه يكون لـي غلام؟ أمن قِبَل زوج أتزوّج, فأرزقه منه, أم يبتدىء الله فـيّ خـلقه ابتداء ولَـمْ يَـمْسَسْنِـي بَشَرٌ من ولـد آدم بنكـاح حلال ولَـمْ أكُ إذ لـم يـمسسنـي منهم أحد علـى وجه الـحلال بَغِيّا بغيت ففعلـت ذلـك مـن الـوجه الـحرام, فحملته من زنا, كما:
17779ـ حدثنا موسى, قال: حدثنا عمرو, قال: حدثنا أسبـاط, عن السديّ ولَـمْ أكُ بَغِيّا يقول: زانـية.
قالَ كَذلكِ قالَ رَبّكِ هُوَ عَلـيّ هَيّنٌ يقول تعالـى ذكـره: قـال لها جبريـل: هكذا الأمر كما تصفـين, من أنك لـم يـمسسك بشر ولـم تكونـي بغيا, ولكن ربك قال: هو علـيّ هين: أي خَـلْق الغلام الذي قلت أن أهبه لك علـيّ هين لا يتعذّر علـيّ خـلقه وهبته لك من غير فحل يفتـحلك.
وَلِنَـجْعَلَهُ آيَةً للنّاسِ يقول: وكي نـجعل الغلام الذي نهبه لك علامة وحجة علـى خـلقـي أهبه لكَ. وَرَحْمَةً مِنّا يقـول: ورحمـة منـا لـك, ولـمن آمـن بـه وصدّقه أخـلقه منك وكانَ أمْرا مَقْضِيّا يقول: وكان خـلقه منك أمرا قد قضاه الله, ومضى فـي حكمه وسابق علـمه أنه كائن منك. كما:
17780ـ حدثنا ابن حميد, قال: حدثنا سلـمة, عن ابن إسحاق, قال: ثنـي من لا أتهم, عن وهب بن منبه وكانَ أمْرا مَقْضِيّا أي إن اللـه قـد عـزم علـى ذلك, فلـيس منه بدّ.

الآية : 22 و 23

القول فـي تأويـل قوله تعالـى:{فَحَمَلَتْهُ فَانْتَبَذَتْ بِهِ مَكَاناً قَصِـيّاً * فَأَجَآءَهَـا الْمَخَاضُ إِلَىَ جِذْعِ النّخْلَةِ قَالَتْ يَلَيْتَنِي مِتّ قَبْلَ هَـذَا وَكُنتُ نَسْياً مّنسِيّاً }.
وفـي هذا الكلام متروك تُرِك ذكره استغناء بدلالة ما ذكر منه عنـه فَنَفَخْنـا فِـيهِ مِنْ رُوحِنا بغلام فحَمَلَتْهُ فـانْتَبَذَتْ بِهِ مَكانا قَصيّا وبذلك جاء تأويـل أهـل التأويـل. ذكر من قال ذلك:
17781ـ حدثنـي مـحمد بن سهل, قال: حدثنا إسماعيـل بن عبد الكريـم, قال: ثنـي عبد الصمد بن معقِل ابن أخي وهب بن منبه, قال: سـمعت وهبـا قال: لـما أرسل الله جبريـل إلـى مريـم تـمثّل لهـا بشـرا سـويا فقـالت لـه: إنّـي أعُوذُ بـالرّحْمَنِ مِنْكَ إنْ كُنْتَ تَقِـيّا ثم نفخ فـي جيب درعها حتـى وصلت النفخة إلـى الرحم فـاشتـملت.

حدثنا ابن حميد, قال: حدثنا سلمة, عن ابن إسحاق, عمن لا يتهم, عن وهب بن منبه اليماني, قال: لما قال ذلك, يعني لما قال جبريل قالَ كذلكِ قالَ رَبّكَ هُوَ عَليّ هَيّنٌ... الآية استسلمت لأمر الله, فنفخ في جيبها ثم انصرف عنها.

17782ـ حدثنا موسى, قال: حدثنا عمرو, قال: حدثنا أسباط, عن السديّ, قال: طرحَتْ عليها جلبابها لما قال جبريل ذلك لها, فأخذ جبريل بكميها, فنفخ في جيب درعها, وكان مشقوقا من قُدامها, فدخلت النفخة صدرها, فحملت, فأتتها أختها امرأة زكريا ليلة تزورها فلما فتحت لها الباب التزمتها, فقالت امرأة زكريا: يا مريم أشعرت أني حبلى, قالت مريم: أشعرت أيضا أني حُبلى, قالت امرأة زكريا: إني وجدت ما في بطني يسجد لما في بطنك, فذلك قوله مُصَدّقا بكَلِمَةٍ مِنَ اللّهِ.

17783ـ حدثنا القاسم, قال: حدثنا الحسين, قال: ثني حجاج, قال: قال ابن جريج: يقولون: إنه إنما نفخ في جيب درعها وكمها.

وقوله: فانْتَبَذَتْ بِهِ مَكانا قَصِيّا يقول: فاعتزلت بالذي حملته, وهو عيسى, وتنحّت به عن الناس مكانا قَصِيا يقول: مكانا نائيا قاصيا عن الناس, يقال: هو بمكان قاص, وقصيّ بمعنى واحد, كما قال الراجز:

لَتَقْعُدِنّ مَقْعَدَ القَصِيّمِنّي ذي القاذُورَةِ المَقْلِيّ

يقال منه: قصا المكان يقصو قصوا: إذا تباعد, وأقصيت الشيء: إذا أبعدته وأخّرته.

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

17784ـ حدثني محمد بن سعد, قال: ثني أبي, قال: ثني عمي, قال: ثني أبي, عن أبيه, عن ابن عباس, قوله: فانْتَبَذَتْ بِهِ مَكانا قَصِيّا قال: مكانا نائيا.

17785ـ حدثني محمد بن عمرو, قال: حدثنا أبو عاصم, قال: حدثنا عيسى وحدثني الحارث, قال: حدثنا الحسن, قال: حدثنا ورقاء, جميعا عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد, قوله: مَكانا قَصِيّا قال: قاصيا.

حدثنا القاسم, قال: حدثنا الحسين, قال: ثني حجاج, عن ابن جريج, عن مجاهد, مثله.

17786ـ حدثنا موسى, قال: حدثنا عمرو, قال: حدثنا أسباط, عن السديّ, قال: لما بلغ أن تضع مريم, خرجت إلى جانب المحراب الشرقي منه فأتت أقصاه.

وقوله: فأجاءَها المَخاضُ إلى جِذْعِ النّخْلَةِ يقول تعالى ذكره: فجاء بها المخاض إلى جذع النخلة, ثم قيل: لما أسقطت الباء منه أجاءها, كما يقال: أتيتك بزيد, فإذا حذفت الباء قيل آتيتك زيدا, كما قال جلّ ثناؤه: ائْتُونِي زُبُرَ الحَدِيدِ والمعنى: ائتوني بزُبَر الحديد, ولكن الألف مُدّت لما حذفت الباء, وكما قالوا: خرجت به وأخرجته, وذهبت به وأذهبته, وإنما هو أفعل من المجيء, كما يقال: جاء هو, وأجأته أنا: أي جئت به, ومثل من أمثال العرب: «شرّ ما أجاءني إلى مُخّة عرقوب», وأشاء ويقال: شرّ ما يُجِيئك ويُشِيئك إلى ذلك ومنه قول زهير:

وَجارٍ سارَ مُعْتَمِدا إلَيْكُمْأجاءَتْهُ المَحافَةُ وَالرّجاءُ

يعني: جاء به, وأجاءه إلينا وأشاءك: من لغة تميم, وأجاءك من لغة أهل العالية, وإنما تأوّل من تأوّل ذلك بمعنى: ألجأها, لأن المخاض لما جاءها

إلى جذع النخلة, كان قد ألجأها إليه. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

17787ـ حدثني محمد بن عمرو, قال: حدثنا أبو عاصم, قال: حدثنا عيسى وحدثني الحارث, قال: حدثنا الحسن, قال: حدثنا ورقاء, جميعا عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد, قوله: فأجاءَها المَخاضُ قال: المخاض ألجأها.

17788ـ حدثنا القاسم, قال: حدثنا الحسين, قال: ثني حجاج, عن ابن جريج, عن مجاهد, قال: ألجأها المخاض. قال ابن جريج: وقال ابن عباس: ألجأها المخاض إلى جذع النخلة.

17789ـ حدثنا موسى, قال: حدثنا عمرو, قال: حدثنا أسباط, عن السديّ فأجاءَها المَخاضُ إلى جِذْعِ النّخْلَةِ يقول: ألجأها المخاض إلى جذع النخلة.

17790ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة, قوله: فأجاءَها المَخاضُ إلى جِذْعِ النّخْلَةِ قال: اضطرّها إلى جذع النخلة.

واختلفوا في أيّ المكان الذي انتبذتْ مريم بعيسى لوضعه, وأجاءها إليه المخاض, فقال بعضهم: كان ذلك في أدنى أرض مصر, وآخر أرض الشأم, وذلك أنها هربت من قومها لما حملت, فتوجهت نحو مصر هاربة منهم. ذكر من قال ذلك:

17791ـ حدثنا محمد بن سهل, قال: حدثنا إسماعيل بن عبد الكريم, قال: ثني عبد الصمد بن معقِل, أنه سمع وهب بن منبه يقول: لما اشتملت مريم على الحمل, كان معها قَرابة لها, يقال له يوسف النجّار, وكانا منطلقين إلى المسجد الذي عند جبل صِهْيَون, وكان ذلك المسجد يؤمئذ من أعظم مساجدهم, فكانت مريم ويوسف يخدمان في ذلك المسجد, في ذلك الزمان, وكان لخدمته فضل عظيم, فرغبا في ذلك, فكانا يليان معالجته بأنفسهما, تحبيره وكناسته وطهوره, وكلّ عمل يعمل فيه, وكان لا يعمل من أهل زمانهما أحد أشدّ اجتهادا وعبادة منهما, فكان أوّل من أنكر حَمْل مريم صاحُبها يوسف فلما رأى الذي بها استفظعه, وعظُم عليه, وفُظِع به, فلم يدر على ماذا يضع أمرها, فإذا أراد يوسف أن يتهمها, ذكر صلاحها وبراءتها, وأنها لم تغب عنه ساعة قطّ وإذا أراد أن يبرئها, رأى الذي ظهر عليها فلما اشتدّ عليه ذلك كلّمها, فكان أوّل كلامه إياها أن قال لها: إنه قد حدث في نفسي من أمرك أمر قد خشيته, وقد حَرَصت على أن أميته وأكتمه في نفسي, فغلبني ذلك, فرأيت الكلام فيه أشفى لصدري, قالت: فقل قولاً جميلاً, قال: ما كنت لأقول لك إلا ذلك, فحدثيني, هل ينبت زرع بغير بذر؟ قالت: نعم, قال: فهل تنبت شجرة من غير غيث يصيبها؟ قالت: نعم, قال: فهل يكون ولد من غير ذكر؟ قالت: نعم, ألم تعلم أن الله تبارك وتعالى أنبت الزرع يوم خلقه من غير بذر, والبذر يومئذ إنما صار من الزرع الذي أنبته الله من غير بذر أو لم تعلم أن الله بقدرته أنبت الشجر بغير غيث, وأنه جعل بتلك القدرة الغيث حياة للشجر بعد ما خلق كلّ واحد منهما وحده, أم تقول: لن يقدر الله على أن ينبت الشجر حتى استعان عليه بالماء, ولولا ذلك لم يقدر على إنباته؟ قال يوسف لها: لا أقول هذا, ولكني أعلم أن الله تبارك وتعالى بقدرته على ما يشاء يقول لذلك كن فيكون, قالت مريم:

أو لم تعلم أن الله تبارك وتعالى خلق آدم وامرأته من غير أنثى ولا ذكر؟ قال: بلى, فلما قالت له ذلك, وقع في نفسه أن الذي بها شيء من الله تبارك وتعالى, وأنه لا يسعه أن يسألها عنه, وذلك لما رأى من كتمانها لذلك.

ثم تولى يوسف خدمة المسجد, وكفاها كلّ عمل كانت تعمل فيه, وذلك لما رأى من رقة جسمها, واصفرار لونها, وكلف وجهها, ونتوّ بطنها, وضعف قوّتها, ودأب نظرها, ولم تكن مريم قبل ذلك كذلك فلما دنا نفاسها أوحى الله إليها أن اخرجي من أرض قومك, فإنهم إن ظفروا بك عيروك, وقتلوا ولدك, فأفضت ذلك إلى أختها, وأختها حينئذ حُبلى, وقد بشرت بيحيى, فلما التقيا وجدت أمّ يحيى ما في بطنها خرّ لوجهه ساجدا معترفا لعيسى, فاحتملها يوسف إلى أرض مصر على حمار له ليس بينها حين ركبت وبين الإكاف شيء, فانطلق يوسف بها حتى إذا كان متاخما لأرض مصر في منقطع بلاد قومها, أدرك مريم النفاس, ألجأها إلى آريّ حمار, يعني مذود الحمار, وأصل نخلة, وذلك في زمان أحسبه بردا أو حرّا «الشكّ من أبي جعفر», فاشتدّ على مريم المخاض فلما وجدت منه شدّة التجأت إلى النخلة فاحتضنتها واحتوشتها الملائكة, قاموا صفوفا محدقين بها.

وقد رُوي عن وهب بن منبه قول آخر غير هذا, وذلك ما:

17792ـ حدثنا به ابن حميد, قال: حدثنا سلمة, عن ابن إسحاق, عمن لايتهم, عن وهب بن منبه, قال: لما حضر ولادُها, يعني مريم, ووجدت ما تجد المرأة من الطلق, خرجت من المدينة مغربة من إيلياء, حتى تدركها الولادة إلى قرية من إيلياء على ستة أميال يقال لها بيت لحم, فأجاءها المخاض إلى أصل نخلة إليها مذود بقرة تحتها ربيع من الماء, فوضعته عندها.

وقال آخرون: بل خرجت لما حضر وضعها م ا في بطنها إلى ج انب المحراب الشرقي منه, فأتت أقصاه فألجأها المخاض إلى جِذع النخلة, وذلك قول السدي, وقد ذكرت الرواية به قبل.

17793ـ حدثني زكريا بن يحيى بن أبي زائدة, قال: حدثنا حجاج, قال: قال ابن جريج: أخبرني المغيرة بن عثمان, قال: سمعت ابن عباس يقول: ما هي إلا أن حملت فوضعت.

حدثنا القاسم, قال: حدثنا الحسين, قال: ثني حجاج, عن ابن جريج, قال: وأخبرني المغيرة بن عثمان بن عبد الله أنه سمع ابن عباس يقول: ليس إلا أن حملتْ فولدتْ.

وقوله: يا لَيْتَنِي مِتّ قَبْلَ هَذَا ذكر أنها قالت ذلك في حال الطلق استحياء من الناس, كما:

17794ـ حدثنا موسى, قال: حدثنا عمرو, قال: حدثنا أسباط, عن السديّ, قال: قالت وهي تطلق من الحبل استحياء من الناس: يا لَيْتَنِي مِتّ قَبْلَ هَذَا وكُنْتُ نَسْيا مَنْسِيّا.

تقول: يا ليتني متّ قبل هذا الكرب الذي أنا فيه, والحزن بولادتي المولود من غير بَعْل, وكنت نِسيا منسيا: شيئا نُسي فُترك طلبه كخرق الحيض التي إذا ألقيت وطرحت لم تطلب ولم تذكر, وكذلك كل شيء نسي وترك ولم يطلب فهو نسيّ. ونسي بفتح النون وكسرها لغتان

معروفتان من لغات العرب بمعنى واحد, مثل الوَتر والوِتر, والجَسر والجِسر, وبأيتهما قرأ القاريء فمصيب عندنا وبالكسر قرأت عامة قرّاء الحجاز والمدينة والبصرة وبعض أهل الكوفة وبالفتح قرأه أهل الكوفة ومنه قول الشاعر:

كأنّ لَهَا فِي الأرْضِ نِسْيا تَقُصّهُإذَا ما غَدَتْ وَإنْ تُحَدّثْكَ تَبْلَتِ

ويعني بقوله: تقصه: تطلبه, لأنها كانت نسيته حتى ضاع, ثم ذكرته فطلبته, ويعني بقوله: تبلت: تحسن وتصدّق, ولو وجه النسي إلى المصدر من النسيان كان صوابا, وذلك أن العرب فيما ذكر عنها تقول: نسيته نسيانا ونسيا, كما قال بعضهم من طاعة الربّ وعصي الشيطان, يعني وعصيان, وكما تقول أتيته إتيانا وأتيا, كما قال الشاعر:

أتُي الفَوَاحِشِ فِيهِمُ مَعْرُوفَةٌويَرَوْنَ فِعْلَ المَكْرُماتِ حَرَامَا

وقوله مَنْسِيًّا مفعول من نسيت الشيء كأنها قالت: ليتني كنت الشيء الذي ألقي, فترك ونسي.

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

17795ـ حدثنا القاسم, قال: حدثنا الحسين, قال: ثني حجاج, عن ابن جريج, قال: أخبرني عطاء الخراساني عن ابن عباس, قوله: يا لَيْتَنِي مِتّ قَبْلَ هَذَا وكُنْتُ نَسْيا مَنْسِيّا لم أخلق, ولم أك شيئا.

17796ـ حدثنا موسى, قال: حدثنا عمرو, قال: حدثنا أسباط, عن السديّ وكُنْتُ نَسْيا مَنْسِيّا يقول: نِسيا: نُسي ذكري, ومنسيا: تقول: نسي أثري, فلا يُرى لي أثر ولا عين.

17797ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة وكُنْتُ نَسْيا مَنْسِيّا: أي شيئا لا يعرف ولا يذكر.

حدثنا الحسن, قال: أخبرنا عبد الرزاق, قال: أخبرنا معمر, عن قتادة, قوله وكُنْتُ نَسْيا مَنْسِيّا قال: لا أعرف ولا يدري من أنا.

17798ـ حدثنا القاسم, قال: حدثنا الحسين, قال: ثني حجاج, عن ابن جريج, عن أبي جعفر, عن الربيع بن أنس نَسْيا مَنْسِيّا قال: هو السقط.

17799ـ حدثني يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: قال ابن زيد, في قوله: يا لَيْتَنِي مِتّ قَبْلَ هَذَا وكُنْتُ نَسْيا مَنْسِيّا لم أكن في الأرض شيئا قط.

القول في تأويل قوله تعالى: {فَنَادَاهَا مِن تَحْتِهَآ أَلاّ تَحْزَنِي قَدْ جَعَلَ رَبّكِ تَحْتَكِ سَرِيّاً * وَهُزّىَ إِلَيْكِ بِجِذْعِ النّخْلَةِ تُسَاقِطْ عَلَيْكِ رُطَباً جَنِيّاً }.

اختلفت القرّاء في قراءة ذلك, فقرأته عامة قرّاء الحجاز والعراق فَنادَاها مِنْ تَحْتِها بمعنى: فناداها جبرائيل من بين يديها على اختلاف منهم في تأويله فمن متأوّل منهم إذا قرأه مِنْ تحْتِها كذلك ومن متأوّل منهم أنه عيسى, وأنه ناداها من تحتها بعد ما ولدته. وقرأ ذلك بعض قرّاء أهل الكوفة والبصرة: «فَنادَاها مِنْ تَحْتِها» بفتح التاءين من تحت, بمعنى: فناداها الذي تحتها, على أن الذي تحتها عيسى, وأنه الذي نادى أمه. ذكر من قال: الذي ناداها من تحتها المَلَك:

17800ـ حدثنا ابن حميد, قال: حدثنا يحيى بن واضح, قال: حدثنا عبد المؤمن, قال: سمعت ابن عباس قرأ: فَنادَاها مِنْ تَحْتِها يعني: جبرائيل.

17801ـ حدثني أحمد بن عبد الله أحمد بن يونس, قال: أخبرنا عبَثر, قال: حدثنا حصين, عن عمرو بن ميمون الأوْديّ, قال: الذي ناداها الملك.

17802ـ حدثنا ابن بشار, قال: حدثنا أبو أحمد, قال: حدثنا سفـيان, عـن الأعمش, عن إبراهيـم, عن علقمة, أنه قرأ: فخاطبها من تـحتها.
حدثنا أبو هشام الرفـاعي, قال: حدثنا يحيى, قال: حـدثنا سفـيان, عـن الأعمش, عن إبراهيـم, عن علقمة. أنه قرأ: فخاطبها من تـحتها.
حدثنا الرفـاعي, قال: حدثنا وكيع, عن أبـيه, عن الأعمش, عن إبراهيـم, عن علقمة أنه قرأها كذلك.
17803ـ حدثنا ابن بشار, قال: حدثنا أبو عامر, قال: حدثنا سفـيان, عـن جويبر, عن الضحاك فَنادَاها مِنْ تَـحْتِها قال: جبرائيـل.
حدثنا ابن بشار, قال: حدثنا أبو عاصم, عـن سفـيان, عـن جويـبر, عـن الضحاك, مثله.
17804ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة فَنادَاها مِنْ تَـحْتِها: أي من تـحت النـخـلة.
17805ـ حدثنا موسى, قال: حدثنا عمرو, قال: حدثنا أسبـاط, عن السديّ فَنادَاها جبرائيـل مِنْ تَـحْتِها أنْ لا تَـحْزَنِـي.
17806ـ حدثنا الـحسن, قال: أخبرنا عبد الرزاق, قال: أخبرنا معمر, عن قتادة, فـي قوله فَنادَاها مِنْ تَـحْتِها قال: الـمَلَك.
حُدثت عن الـحسين, قال: سمعت أبـا معاذ يقـول: أخبرنـا عبـيد, ق ال: سمعت الضحاك يقول فـي قوله فَنادَاهـا مِـنْ تَـحْتِها يعنـي: جبرائيـل كـان أسفل منها.
حدثنـي مـحمد بن سعد, قال: ثنـي أبـي, قال: ثنـي عمـي, قـال: ثنـي أبـي, عن أبـيه, عن ابن عبـاس, فَنادَاهـا مِـنْ تَـحْتِها قـال: ناداهـا جبرائيـل ولـم يتكلـم عيسى حتـى أتت قومها.
ذكر من قال: ناداها عيسى صلى الله عليه وسلم:
17807ـ حدثنا مـحمد بـن بشـار, قـال: حـدثنا أبـو عاصـم, قـال: حـدثنا سفـيان, عن ابن أبـي نـجيح, عن مـجاهد, قـوله: فَنادَاه ا مِـنْ تَـحْتِها ق ال: عيسى بن مريـم.
حدثنا ابن بشار, قال: حدثنا أبو عامر, قال: حدثنا سفـيان, عن ابن أبـ ي نـجيح, عن مـجاهد, مثله.
حدثنـي مـحمد بن عمرو, قال: حـدثنا أبـو عاصـم, ق ال: حـدثنا عيسـى. وحدثنـي الـحارث, قال: حدثنا الـحسن, قال: حدثنا ورقـاء, جميعـا عـن ابـن أبـي نـجيح, عن مـجاهد, مثله.
حدثنا القاسم, قال: حدثنا الـحسين, قال: ثنـي حجاج, عن ابن جريج, عن مـجاهد, مثله.
17808ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتـادة, عـن الـحسن فَنادَاها مِنْ تَـحْتِها ابنها.
حدثنا الـحسن, قال: أخبرنا عبد الرزاق, قال: أخبرنا معمر, عـن قتـادة, قال: قال الـحسن: هو ابنها.
17809ـ حدثنا ابن حميد, قال: حدثنا سلـمة, عـن ابـن إسـحاق, عمـن لا يتهم, عن وهب بن منبه فَنادَاها عيسى مِنْ تَـحْتِها أنْ لا تَـحْزَنِـي.
17810ـ حدثنـي أبو حميد أحمد بن الـمغيرة الـحمصي, قال: حدثنا عثمان بن سعيد, قال: حدثنا مـحمد بن مهاجر, عن ثابت بن عجلان, عن سـعيد بـن

جبير, قوله فَنادَاها مِنْ تَـحْتِها قال عيسى: أما تسـمع اللـه يقـول: فأشـارَتْ إلَـيْهِ.
17811ـ حدثنـي يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: قال ابن زيد فَنادَاها مِنْ تَـحْتِها قال: عيسى ناداها: أنْ لا تَـحْزَنِـي قَدْ جَعل رَبّكِ تَـحْتَكِ سَرِيّا.
17812ـ حُدثت عن عبد الله بن أبـي جعفر, عن أبـيه, عن الربـيع بن أنس, عن أبـي العالـية الرياحيّ, عن أبـيّ بن كعب قـال: الـذي خاطبهـا هـو الـذي حملته فـي جوفها ودخـل من فـيها.
قال أبو جعفر: وأولـى القولـين فـي ذلك عندنا قول من قال: الذي ناداهـا ابنها عيسى, وذلك أنه من كناية ذكره أقرب منـه مـن ذكـر جبرائيــل, فـردّه علـى الذي هو أقرب إلـيه أولـى من ردّه علـى الـذي هـو أبعـد منـه, ألا تـرى فـي سياق قوله فحَمَلَتْهُ فـانْتَبَذَتْ بِهِ مَكانا قَصِيّا يعنـي بـه: فحملـت عيسـى فـانتبذت به, ثم قـيـل: فناداها نسقا علـى ذلك من ذكر عيسى والـخبر عنـه. ولعلة أخرى, وهي قوله: فأشارَتْ إلَـيْهِ ولـم تشر إلـيه إن شـاء اللـه إلا وقـد علـمت أنه ناطق فـي حاله تلـك, وللـذي كـانت قـد عرفـت ووثقـت بـه منـه بـمخاطبته إياها بقوله لها: أنْ لا تَـحْزَنِـي قَدْ جَعَلَ رَبّكِ تَـحْتَكِ سَرِيّا وما أخـبر الله عنه أنه قال لها أشيري للقوم إلـيه, ولو كـان ذلـك قـولاً مـن جبرائيــل, لكان خـلـيقا أن يكون فـي ظاهر الـخبر, مبـينا أن عيسـى سـينطق, ويحتـجّ عنها للقوم, وأمر منه لها بأن تشير إلـيه للقوم إذا سألوها عن حالها وحاله.
فإذا كان ذلك هو الصواب من التأويـل الذي بـيّنا, فبـين أن كلتا القراءتـين, أعنـي مِنْ تَـحْتِها بــالكسر, و«مَـنْ تَــحْتَها» بـالفتــح صـواب. وذلـك أنـه إذا قرىء بـالكسر كان فـي قوله فَنادَاها ذكر من عيسى: وإذا قرىء مِنْ تَــحْتِها بـالفتـح كان الفعل لـمن وهو عيسـى. فتأويــل الكلام إذن: فناداهـا الــمولد من تـحتها أن لا تـحزنـي يا أمه قَدْ جَعَلَ رَبّكِ تَـحْتَكِ سَرِيّا كما:
17813ـ حدثنـي يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: قال ابن زيـد, فــي قوله فَنادَاها مِنْ تَـحْتِها أنْ لا تَـحْزَنِـي قالت: وكيـف لا أحـزن وأنـت معـي, لا ذات زوج فأقول ومن زوج, ولا مـملوكة فأقول من سيدي, أيّ شيء عــذري عند الناس يا لَـيْتَنِـي مِتّ قَبْلَ هَذَا وكُنْتُ نَسْيا مَنْسِـيّا فقـال لهـا عيسـى: أنـا أكفـيك الكلام.
واختلف أهل التأويـل فـي الـمعنـيّ بــالسريّ فــي هـذا الــموضع, فقـال بعضهم: عنـي به: النهر الصغير. ذكر من قال ذلك:
17814ـ حدثنا ابن بشار, قال: حدثنا أبو عاصم, قال: حدثنا سفـيان, عن أبـي إسحاق, عن البراء بن عازب قَدْ جَعَلَ رَبّكِ تَـحْتَكِ سَرِيّا قال: الـجدول.
حدثنا ابن بشار, قال: حدثنا مـحمد بن جعفر, قال: حدثنا شعبة, عن أبـي إسحاق, قال: سمعت البراء يقول فـي هذه الآية قَدْ جَعَلَ رَبّكِ تَــحْتَكِ سَـرِيّا قال: الـجدول.
17815ـ حدثنـي علـيّ, قال: حدثنا عبد الله, قال: ثنـي معاوية, عن علـيّ, عن ابن عبـاس, قوله قَدْ جَعَلَ رَبّكِ تَـحْتَكِ سَرِيّا وهو نهر عيسى.
حدثنـي مـحمد بن سعد, قال: ثنـي أبـي, قال: ثنــي عمـي, قـال: ثنــي أبـي, عن أبـيه, عن ابـن عبــاس, قـوله قَـدْ جَعَـلَ رَبّـكِ تَــحْتَكِ سَـرِيّا قـال: السريّ: النهر الذي كان تـحت مريـم حين ولدته كان يجري يسمى سَريا.

17816ـ حدثني أبو حصين, قال: حدثنا عبثر, قال: حدثنا حصين, عن عمرو بن ميمون الأَوْدِيّ, قال في هذه الآية: قَدْ جَعَلَ رَبّكِ تَحْتَكِ سَرِيّا قال: السريّ: نهر يُشرب منه.
حدثنا يعقوب وأبو كريب, قالا: حدثنا هشيم, قال: أخبرنا حصين, عن عمرو بن ميمون, في قوله: قَدْ جَعَلَ رَبّكِ تَحْتَكِ سَرِيّا قال: هو الجدول.
17817ـ حدثني محمد بن عمرو, قال: حدثنا أبو عاصم, قال: حدثنا عيسى, وحدثني الحارث, قال: حدثنا الحسن, قال: حدثنا ورقاء, جميعا عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد سَرِيّا قال: نهر بالسريانية.
حدثنا القاسم, قال: حدثنا الحسين, قال: ثني حجاج, عن ابن جريج, عن مجاهد, مثله, قال ابن جريج: نهر إلى جنبها.
17818ـ حدثنا محمد بن بشار, قال: حدثنا أبو داود, قال: حدثنا شعبة, عن قتادة, عن الحسن, في قوله قَدْ جَعَلَ رَبّكِ تَحْتَكِ سَرِيّا قال: كان سريا فقال حميد بن عبد الرحمن: إن السريّ: الجدول, فقال: غلبتنا عليك الأمراء.
17819ـ حدثنا القاسم, قال: حدثنا الحسين, قال: حدثنا أبو بكر بن عياش, عن أبي حصين, عن سعيد بن جبير قَدْ جَعَلَ رَبّكِ تَحْتَكِ سَرِيّا قال: هو الجدول, النهر الصغير, وهو بالنبطية: السريّ.
حدثني أبو حميد الحمصي, قال: حدثنا عثمان بن سعيد, قال: حدثنا محمد بن مهاجر, عن ثابت بن عجلان قال: سألت سعيد بن جبير, عن السريّ, قال: نهر.
17820ـ حدثنا أبو كريب, قال: حدثنا هشيم, عن مغيرة, عن إبراهيم, قال: النهر الصغير.
حدثني يعقوب, قال: حدثنا هشيم, قال: أخبرنا مغيرة, عن إبراهيم, أنه قال: هو النهر الصغير: يعني الجدول, يعني قوله قَدْ جَعَلَ رَبّكِ تَحْتَكِ سَرِيّا.
17821ـ حدثنا ابن وكيع, قال: حدثنا أبي, عن سلمة بن نبيط, عن الضحاك, قال: جدول صغير بالسريانية.
حُدثت عن الحسين, قال: سمعت أبا معاذ, قال: أخبرنا عبيد بن سليمان, قال: سمعت الضحاك يقول في قوله تَحْتَكِ سَرِيّا: الجدول الصغير من الأنهار.
17822ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة قَدْ جَعَلَ رَبّكِ تَحْتَكِ سَرِيّا والسريّ: هو الجدول, تسميه أهل الحجاز.
17823ـ حدثنا الحسن, قال: حدثنا عبد الرزاق, قال: أخبرنا معمر, في قوله سَرِيّا قال: هو جدول.
17824ـ حدثنا ابن حميد, قال: حدثنا سلمة, عن ابن إسحاق, عمن لا يتهم وعن وهب بن منبه قَدْ جَعَلَ رَبّكِ تَحْتَكِ سَرِيّا يعني ربيع الماء.
17825ـ حدثنا موسى بن هارون, قال: حدثنا عمرو, قال: حدثنا أسباط, عن السديّ قَدْ جَعَلَ رَبّكِ تَحْتَكِ سَرِيّا والسريّ: هو النهر.
وقال آخرون: عنى به عيسى. ذكر من قال ذلك:
17826ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة, عن الحسن قَدْ جَعَلَ رَبّكِ تَحْتَكِ سَرِيّا والسريّ: عيسى نفسه.

17827ـ حدثني يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: قال ابن زيد, في قوله قَدْ جَعَلَ رَبّكِ تَحْتَكِ سَرِيّا يعني نفسه, قال: وأيّ شيء أسرى منه, قال: والذين يقولون: السريّ: هو النهر ليس كذلك النهر, لو كان النهر لكان إنما يكون إلى جنبها, ولا يكون النهر تحتها.

قال أبو جعفر: وأولى القولين في ذلك عندي بالصواب قيل من قال: عنى به الجدول, وذلك أنه أعلمها ما قد أعطاها الله من الماء الذي جعله عندها, وقال لها وَهُزّي إلَيْكِ بِجِذْعِ النّخْلَةِ تُساقِطْ عَلَيْكِ رُطَبا جَنِيّا فَكُلِي مِن هذا الرطب وَاشْرَبِي من هذا الماء وَقَرّي عَيْنا بولدك, والسريّ معروف من كلام العرب أنه النهر الصغير ومنه قول لبيد:

فَتَوَسّطا عُرْضَ السّرِيّ وَصَدّعامَسْجُورَةً مُتَجاوِرا قُلاّمُها

ويُروى: مثلما مسجورة, ويُروى أيضا: فغارا.

وقوله: وَهُزّي إلَيْكِ بِجِذْعِ النّخْلَةِ ذكر أن الجذع كان جذعا يابسا, وأمرها أن تهزّه, وذلك في أيام الشتاء, وهزّها إياه كان تحريكه, كما:

17828ـ حدثني يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: قال ابن زيد, في قوله: وَهُزّي إلَيْكِ بِجِذْعِ النّخْلَةِ قال: حركيها. ذكر من قال ذلك:

17829ـ حدثني محمد بن سعد, قال: ثني أبي, قال: ثني عمي, قال: ثني أبي, عن أبيه, عن ابن عباس وَهُزّي إلَيْكِ بِجِذْعِ النّخْلَةِ قال: كان جذعا يابسا, فقال لها: هزّيه تُساقِطْ عَلَيْكِ رُطَبا جَنِيّا.

17830ـ حدثنا ابن حميد, قال: حدثنا يحيى بن واضح, قال: حدثنا عبد المؤمن, قال: سمعت أبا نهيك يقول: كانت نخلة يابسة.

17831ـ حدثني محمد بن سهل بن عسكر, قال: حدثنا إسماعيل بن عبد الكريم, قال: ثني عبد الصمد بن معقل قال: سمعت وهب بن منبه يقول في قوله: وَهُزّي إلَيْكِ بِجِذْعِ النّخْلَةِ فكان الرطب يتساقط عليها وذلك في الشتاء.

17832ـ حدثنا موسى بن هارون, قال: حدثنا عمرو, قال: حدثنا أسباط, عن السديّ وَهُزّي إلَيْكِ بِجِذْعِ النّخْلَةِ: وكان جذعا منها مقطوعا فهزّته, فإذا هو نخلة, وأجري لها في المحراب نهر, فتساقطت النخلة رطبا جنيا فَقال لها: كُلِي وَاشْرَبِي وَقَرّي عَيْنا.

وقال آخرون: بل معنى ذلك: وهزّي إليك بالنخلة. ذكر من قال ذلك:

17833ـ حدثنا ابن بشار, قال: حدثنا عبد الرحمن, قال: حدثنا سفيان, قال: قال مجاهد وَهُزّي إلَيْكِ بِجِذْعِ النّخْلَةِ قال: النخلة.

حدثنا ابن بشار, قال: حدثنا أبو أحمد, قال: حدثنا سفيان, عن عيسى بن ميمون, عن مجاهد, في قوله وَهُزّي إلَيْكِ بِجِذْعِ النّخْلَةِ قال: العجوة.

17834ـ حدثني يعقوب, قال: حدثنا هشيم, قال: أخبرنا حصين, عن عمرو بن ميمون, أنه تلا هذه الآية: وَهُزّي إلَيْكِ بِجِذْعِ النّخْلَةِ تُساقِطْ عَلَيْكِ رُطَبا جَنِيّا قال: فقال عمرو: ما من شيء خير للنفساء من التمر والرطب.

وأدخلت الباء في قوله: وَهُزّي إلَيْكِ بِجِذْعِ النّخْلَةِ كما يقال: زوجتك فلانة, وزوّجتك بفلانة وكما قال تَنْبُتُ بِالدّهْنِ بمعنى: تنبت الدهن. وإنما تفعل العرب بذلك, لأن الأفعال تكنى عنها بالباء, فيقال إذا كنيت عن ضربت عمرا: فعلت به, وكذلك كلّ فعل, فلذلك تدخل الباء في الأفعال وتخرِج, فيكون دخولها وخروجها بمعنى, فمعنى الكلام: وهزّي إليك جذع

النخـلة وقد كان لو أن الـمفسرين كانوا فسروه كذلك: وهزّي إلــيك رطبــا بجذع النخـلة, بــمعنى: علــى جـذع النخــلة, وجهـا صـحيحا, ولكـن لسـت أحفظ عن أحد أنه فسره كذلك. ومن الشاهد علـى دخول البـاء فـي موضـع دخولها وخروجها منه سواء قول الشاعر:

بِوَادٍ يَـمانٍ يُنْبِتُ السّدْرَ صَدْرُهُوأسْفَلُهُ بـالـمَرْخِ والشّبَهانِ

واختلف القرّاء فـي قراءة قوله: تُسَاقِطْ فقَرأ ذلـك عامّـة قـرّاء الــمدينة والبصرة والكوفة: «تَسّاقَطُ» بـالتاء من تساقط وتشـديد السـين, بــمعنى: تتساقط علـيك النـخـلة رطبـا جنـيا, ثـم تُـدغم إحـدى التـاءين فــي الأخـرى فتشدد, وكأن الذين قرأوا ذلك كذلك وجهوا معنى الكلام إلـي: وهـزّي إلــيك بجذع النـخـلة تساقط النـخـلة علـيك رطبـا. وقرأ ذلـك بع ض قـرّاء الكوفـة: «تَساقَطُ» بـالتاء وتـخفـيف السين, ووجه معنى الكلام, إلـى مثـل مـا وجـه إلـيه مشدّدوها, غير أنهم خالفوهم فـي القراءة. ورُوي عن البراء بن عــازب أنه قرأ ذلك: «يُساقِط» بـالـياء.

17835ـ حدثنـي بذلك أحمد بن يوسف, قال: حدثنا القاسم, قال: حـدثنا يزيد, عن جرير بن حازم, عن أبـي إسحاق قـال: سـمعت الـبراء بـن عـازب يقرؤه كذلك, وكـأنه وجـه معنـى الكلام إلــي: وهـزّي إلــيك بجـذع النـخــلة يتساقط الـجذع علـيك رطبـا جنـيا.

ورُوي عن أبـي نهيك أنه كان يقرؤه: «تُسْقِطُ» بضمّ التاء وإساقط الألف.

17836ـ حدثنا بذلك ابن حميد, قال: حدثنا يحيى بن واضـح, قـال: حـدثنا عبد الـمؤمن, قال: سمعت أبـا نَهيك يقرؤه كذلك, وكـأنه وجـه معنـى الكلام إلـي: تسقط النـخـلة علـيك رطبـا جنـيا.

قال أبو جعفر: والصواب من القـول فــي ذلـك عنـدي أن يقـال: إن هـذه القراءات الثلاث, أعنـي تَسّاقَطُ بـالتاء وتشـديد السـين, وبــالتاء وتـخفــيف السين, وبـالـياء وتشديد السين, قراءات متقاربـات الـمعانـي, قد قـرأ بكـل واحدة منهنّ قرّاء أهل معرفة بــالقرآن, فبـأيّ ذلـك قـرأ القـارىء فمصـيب الصواب فـيه, وذلك أن الـجذع إذا تساقط رطبــا, وهـو ثـابت غيـر مقطـوع, فقد تساقطت النـخـلة رطبـا, وإذا تساقطت النـخـلة رطبـا, فقد تســاقطت النـخـلة بأجمعها, جذعها وغيـر جـذعها, وذلـك أن النـخــلة مـا دامـت قائمـة علـى أصلها, فإنـما هي جـذع وجريـد وسـعف, فـإذا قطعـت صـارت جـذعا, فـالـجذع الـذي أمـرت مريــم بهـزّه لــم يـذكر أحـد نعلــمه أنـه كـان جـذعا مقطوعا غير السديّ, وقد زعم أنه عاد بهزّها إيـاه نـخــلة, فقـد صـار معنـاه ومعنى من قال: كان الـمتساقط علـيها رطبــا نـخــلة واحـدا, فتبــين بـذلك صحة ما قلنا.

وقوله: جَنِـيّا يعنـي مـجنـيا وإنـما كان أصله مفعـولاً فصـرف إلــى فعيــل والـمـجنـي: الـمأخوذ طريا, وكـل مـا أخـذ مـن ثمـرة, أو نقـل مـن موضـعه بطراوته فقد اجتنـي, ولذلك قـيـل: فلان يجتنـي الكمأة ومنه قول ابن أخـت جذيـمة:

هَذَا جَنايَ وخِيارُهُ فِـيهْإذْ كُلّ جانٍ يَدُهُ إلـى فِـيهْ

الآية : 24 و 25

القول فـي تأويـل قوله تعالـى:{فَحَمَلَتْهُ فَانْتَبَذَتْ بِهِ مَكَاناً قَصِـيّاً * فَأَجَآءَهَـا الْمَخَاضُ إِلَىَ جِذْعِ النَّخْلَةِ قَالَتْ يَلَيْتَنِي مِتّ قَبْلَ هَـذَا وَكُنتُ نَسْياً مّنسِيّاً }.

وفـي هذا الكلام متروك تُرِك ذكره استغناء بدلالة ما ذكر منه عنـه فَنَفَخْنـا فِـيهِ مِنْ رُوحِنا بغلام فحَمَلَتْهُ فـانْتَبَذَتْ بِهِ مَكانا قَصيّا وبذلك جاء تأويــل أهـل التأويـل. ذكر من قال ذلك:

17781ـ حدثنـي مـحمد بن سهل, قال: حدثنا إسماعيـل بن عبد الكريـم, قال: ثنـي عبد الصمد بن معقِل ابن أخي وهب بن منبه, قال: سـمعت وهبــا قال: لـما أرسل الله جبرِيـل إلـى مريـم تـمثّل لهـا بشـرا سـويا فقـالت لـه: إنّـي أعُوذُ بـالرّحْمَنِ مِنْكَ إنْ كُنْتَ تَقِـيّا ثم نفخ فـي جيب درعها حتـى وصلت النفخة إلـى الرحم فـاشتـملت.

حدثنا ابن حميد, قال: حدثنا سلـمة, عن ابن إسحاق, عمن لا يتهم, عـن وهب بن منبه الـيمانـي, قال: لـما قال ذلك, يعنـي لــما قـال جبريــل قـالَ كذلكِ قالَ رَبّكَ هُوَ عَلـيّ هَيّنٌ... الآية استسلـمت لأمر الله, فنفخ فـي جيبهــا ثم انصرف عنها.

17782ـ حدثنا موسـى, قـال: حـدثنا عمـرو, قـال: حـدثنا أسبــاط, عـن السديّ, قال: طرحَتْ علـيها جلبـابها لـما قال جبريـل ذلك لها, فأخذ جبريـل بكميها, فنفخ فـي جيب درعها, وكان مشقوقا من قُـدامها, فدخــلت النفخـة صدرها, فحملت, فأتتها أختها امرأة زكريـا لـيــلة تزورهـا فلــما فتــحت لهـا البـاب التزمتها, فقالت امرأة زكريا: يا مريــم أشـعرت أنــي حبلـى, قـالت مريـم: أشعرت أيضا أنـي حُبلـى, قالت امرأة زكريـا: إنــي وجـدت مـا فــي بطنـي يسجد لـما فـي بطنك, فذلك قوله مُصَدّقا بكَلِـمَةٍ مِنَ اللّهِ.

17783ـ حدثنا القاسم, قال: حدثنا الـحسين, قال: ثنـي حجاج, قال: قال ابن جريج: يقولون: إنه إنـما نفخ فـي جيب درعها وكمها.

وقوله: فـانْتَبَذَتْ بِهِ مَكانا قَصِـيّا يقـول: فــاعتزلت بــالذي حملتـه, وهـو عيسى, وتنـحّت بـه عـن النـاس مكانـا قَصِـيا يقـول: مكانـا نائيـا قاصـيا عـن الناس, يقال: هو بـمكان قاص, وقصيّ بـمعنى واحد, كما قال الراجز:

لَتَقْعُدِنّ مَقْعَدَ القَصِيّمِنّـي ذي القاذُورَةِ الـمَقْلِـيّ

يقال منه: قصا الــمكان يقصـو قصـوا: إذا تبــاعد, وأقصـيت الشـيء: إذا أبعدته وأخّرته.

وبنـحو الذي قلنا فـي ذلك قال أهل التأويـل. ذكر من قال ذلك:

17784ـ حدثنـي مـحمد بن سعد, قال: ثنـي أبـي, قال: ثنـي عمي, قال: ثنـي أبـي, عن أبـيه, عن ابن عبـاس, قوله: فـانْتَبَذَتْ بِـهِ مَكانـا قَصِـيّا قـال: مكانا نائيا.

17785ـ حدثنـي مـحمد بن عمرو, قال: حـدثنا أبـو عاصـم, قـال: حـدثنا عيسى وحدثنـي الـحارث, قال: حدثنا الــحسن, قـال: حـدثنا ورقـاء, جميعـا عن ابن أبـي نـجيح, عن مـجاهد, قوله: مَكانا قَصِيّا قال: قاصيا.

حدثنا القاسم, قال: حدثنا الـحسين, قال: ثنـي حجاج, عن ابن جريج, عن مـجاهد, مثله.

17786ـ حدثنا موسـى, قـال: حـدثنا عمـرو, قـال: حـدثنا أسبــاط, عـن السـديّ, قـال: لــما بلـغ أن تضـع مريــم, خرجـت إلــى جـانب الـمــحراب الشرقـي منه فأتت أقصاه.

وقوله: فأجاءَها الـمَخاضُ إلـى جِذْعِ النّـخْـلَةِ يقول تعالـى ذكره: فجاء بها الـمخاض إلـى جذع النـخـلة, ثم قـيـل: لـما أسقطت البـاء منه أجاءها, كمــا يقال: أتـيتك بزيد, فإذا حذفت البـاء قـيـل آتـيتك زيدا, كمـا قـال جـلّ ثنـاؤه:

آتُونِي زُبُرَ الحَدِيدِ والمعنى: ائتوني بِزُبَر الحديد, ولكن الألف مُدّت لما حذفت الباء, وكما قالوا: خرجت به وأخرجته, وذهبت به وأذهبته, وإنما هو أفعل من المجيء, كما يقال: جاء هو, وأجأته أنا: أي جئت به, ومثل من أمثال العرب: «شرّ ما أجاءني إلى مُخّة عرقوب», وأشاء ويقال: شرّ ما يُجِيئك ويُشِيئك إلى ذلك ومنه قول زهير:

وَجارٍ سارَ مُعْتَمِدا إلَيْكُمْأجاءَتْهُ المَحافَةُ وَالرّجاءُ

يعني: جاء به, وأجاءه إلينا وأشاءك: من لغة تميم, وأجاءك من لغة أهل العالية, وإنما تأوّل من تأوّل ذلك بمعنى: ألجأها, لأن المخاض لما جاءها إلى جذع النخلة, كان قد ألجأها إليه. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

17787ـ حدثني محمد بن عمرو, قال: حدثنا أبو عاصم, قال: حدثنا عيسى وحدثني الحارث, قال: حدثنا الحسن, قال: حدثنا ورقاء, جميعا عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد, قوله: فأجاءَها المَخاضُ قال: المخاض ألجأها.

17788ـ حدثنا القاسم, قال: حدثنا الحسين, قال: ثني حجاج, عن ابن جريج, عن مجاهد, قال: ألجأها المخاض. قال ابن جريج: وقال ابن عباس: ألجأها المخاض إلى جذع النخلة.

17789ـ حدثنا موسى, قال: حدثنا عمرو, قال: حدثنا أسباط, عن السديّ فأجاءَها المَخاضُ إلى جِذْعِ النّخْلَةِ يقول: ألجأها المخاض إلى جذع النخلة.

17790ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة, قوله: فأجاءَها المَخاضُ إلى جِذْعِ النّخْلَةِ قال: اضطرّها إلى جذع النخلة.

واختلفوا في أيّ المكان الذي انتبذتْ مريم بعيسى لوضعه, وأجاءها إليه المخاض, فقال بعضهم: كان ذلك في أدنى أرض مصر, وآخر أرض الشأم, وذلك أنها هربت من قومها لما حملت, فتوجهت نحو مصر هاربة منهم. ذكر من قال ذلك:

17791ـ حدثنا محمد بن سهل, قال: حدثنا إسماعيل بن عبد الكريم, قال: ثني عبد الصمد بن معقِل, أنه سمع وهب بن منبه يقول: لما اشتملت مريم على الحمل, كان معها قَرابة لها, يقال له يوسف النجّار, وكانا منطلقين إلى المسجد الذي عند جبل صِهْيَون, وكان ذلك المسجد يؤمئذ من أعظم مساجدهم, فكانت مريم ويوسف يخدمان في ذلك المسجد, في ذلك الزمان, وكان لخدمته فضل عظيم, فرغبا في ذلك, فكانا يليان معالجته بأنفسهما, تحبيره وكناسته وطهوره, وكلّ عمل يعمل فيه, وكان لا يعمل من أهل زمانهما أحد أشدّ اجتهادا وعبادة منهما, فكان أوّل من أنكر حَمْل مريم صاحُبها يوسف فلما رأى الذي بها استفظعه, وعظُم عليه, وفُظِع به, فلم يدر على ماذا يضع أمرها, فإذا أراد يوسف أن يتهمها, ذكر صلاحها وبراءتها, وأنها لم تغب عنه ساعة قطّ وإذا أراد أن يبرئها, رأى الذي ظهر عليها فلما اشتدّ عليه ذلك كلّمها, فكان أوّل كلامه إياها أن قال لها: إنه قد حدث في نفسي من أمرك أمر قد خشيته, وقد حَرَصت على أن أميته وأكتمه في نفسي, فغلبني ذلك, فرأيت الكلام فيه أشفى لصدري, قالت: فقل قولاً جميلاً, قال: ما كنت لأقول لك إلا ذلك, فحدثيني, هل ينبت زرع بغير بذر؟ قالت: نعم, قال:

فهل تنبت شجرة من غير غيث يصيبها؟ قالت: نعم, قال: فهل يكون ولد من غير ذكر؟ قالت: نعم, ألم تعلم أن الله تبارك وتعالى أنبت الزرع يوم خلقه من غير بذر, والبذر يومئذ إنما صار من الزرع الذي أنبته الله من غير بذر أو لم تعلم أن الله بقدرته أنبت الشجر بغير غيث, وأنه جعل بتلك القدرة الغيث حياة للشجر بعد ما خلق كلّ واحد منهما وحده, أم تقول: لن يقدر الله على أن ينبت الشجر حتى استعان عليه بالماء, ولولا ذلك لم يقدر على إنباته؟ قال يوسف لها: لا أقول هذا, ولكني أعلم أن الله تبارك وتعالى بقدرته على ما يشاء يقول لذلك كن فيكون, قالت مريم: أو لم تعلم أن الله تبارك وتعالى خلق آدم وامرأته من غير أنثى ولا ذكر؟ قال: بلى, فلما قالت له ذلك, وقع في نفسه أن الذي بها شيء من الله تبارك وتعالى, وأنه لا يسعه أن يسألها عنه, وذلك لما رأى من كتمانها لذلك.

ثم تولى يوسف خدمة المسجد, وكفاها كلّ عمل كانت تعمل فيه, وذلك لما رأى من رقة جسمها, واصفرار لونها, وكلف وجهها, ونتوّ بطنها, وضعف قوّتها, ودأب نظرها, ولم تكن مريم قبل ذلك كذلك فلما دنا نفاسها أوحى الله إليها أن اخرجي من أرض قومك, فإنهم إن ظفروا بك عيروك, وقتلوا ولدك, فأفضت ذلك إلى أختها, وأختها حينئذ حُبلى, وقد بشرت بيحيى, فلما التقيا وجدت أمّ يحيى ما في بطنها خرّ لوجهه ساجدا معترفا لعيسى, فاحتملها يوسف إلى أرض مصر على حمار له ليس بينها حين ركبت وبين الإكاف شيء, فانطلق يوسف بها حتى إذا كان متاخما لأرض مصر في منقطع بلاد قومها, أدرك مريم النفاس, ألجأها إلى آريّ حمار, يعني مذود الحمار, وأصل نخلة, وذلك في زمان أحسبه بردا أو حرّا «الشكّ من أبي جعفر», فاشتدّ على مريم المخاض فلما وجدت منه شدّة التجأت إلى النخلة فاحتضنتها واحتوشتها الملائكة, قاموا صفوفا محدقين بها.

وقد رُوي عن وهب بن منبه قول آخر غير هذا, وذلك ما:

17792ـ حدثنا به ابن حميد, قال: حدثنا سلمة, عن ابن إسحاق, عمن لايتهم, عن وهب بن منبه, قال: لما حضر ولادُها, يعني مريم, ووجدت ما تجد المرأة من الطلق, خرجت من المدينة مغربة من إيلياء, حتى تدركها الولادة إلى قرية من إيلياء على ستة أميال يقال لها بيت لحم, فأجاءها المخاض إلى أصل نخلة إليها مذود بقرة تحتها ربيع من الماء, فوضعته عندها.

وقال آخرون: بل خرجت لما حضر وضعها م ا في بطنها إلى جـ انب المحراب الشرقي منه, فأتت أقصاه فألجأها المخاض إلى جِذع النخلة, وذلك قول السدي, وقد ذكرت الرواية به قبل.

17793ـ حدثني زكريا بن يحيى بن أبي زائدة, قال: حدثنا حجاج, قال: قال ابن جريج: أخبرني المغيرة بن عثمان, قال: سمعت ابن عباس يقول: ما هي إلا أن حملت فوضعت.

حدثنا القاسم, قال: حدثنا الحسين, قال: ثني حجاج, عن ابن جريج, قال: وأخبرني المغيرة بن عثمان بن عبد الله أنه سمع ابن عباس يقول: ليس إلا أن حملتْ فولدتْ.

وقوله: يا لَـيْتَنِـي مِتّ قَبْلَ هَـذَا ذكـر أنهـا قـالت ذلـك فــي حـال الطلـق استـحياء من الناس, كما:

17794ـ حدثنا موسـى, قـال: حـدثنا عمـرو, قـال: حـدثنا أسبــاط, عـن السديّ, قال: قالت وهي تطلق من الـحبل استـحياء من النـاس: يـا لَـيْتَنِــي مِتّ قَبْلَ هَذَا وكُنْتُ نَسْيا مَنْسِيّا.

تقول: يا لـيتنـي متّ قبل هذا الكـرب الـذي أنـا فــيه, والــحزن بولادتــي الـمولود من غير بَعْل, وكنت نِسيا منسـيا: شـيئا نُسـي فُـترك طلبـه كخـرق الـحيض التـي إذا ألقـيت وطرحت لـم تطلب ولـم تذكر, وكـذلك كـل شـيء نسي وتـرك ولــم يطلـب فهـو نسـيّ. ونسـي بفتــح النـون وكسـرها لغتـان معروفتان مـن لغـات العـرب بــمعنى واحـد, مثـل الـوَتر والـوِتر, والــجَسر والـجِسر, وبأيتهما قرأ القاريء فمصيب عندنا وبــالكسر قـرأت عامـة قـرّاء الـحجاز والـمدينة والبصرة وبعض أهل الكوفة وبـالفتــح قـرأه أهـل الكوفـة ومنه قول الشاعر:

كأنّ لَهَا فِـي الأرْضِ نِسْيا تَقُصّهُإذَا ما غَدَتْ وَإنْ تُـحَدّثْكَ تَبْلَتِ

ويعنـي بقوله: تقَصه: تطلبه, لأنهـا كـانت نسـيته حتــى ضـاع, ثـم ذكرتـه فطلبتــه, ويعنــي بقــوله: تبلـت: تــحسن وتصـدّق, ولـو وجـه النسـي إلــى الـمصدر من النسيان كان صوابـا, وذلك أن العرب فـيــما ذكـر عنهـا تقـول: نسيته نسيانا ونسيا, كما قال بعضـهم مـن طاعـة الـربّ وعصـي الشـيطان, يعنـي وعصيان, وكما تقول أتـيته إتـيانا وأتـيا, كما قال الشاعر:

أتُـي الفَوَاحِشِ فِـيهِمُ مَعْرُوفَةٌويَرَوْنَ فِعْلَ الـمَكْرُماتِ حَرَامَا

وقوله مَنْسِيًّا مفعول من نسيت الشيء كأنها قالت: لـيتنـي كنـت الشـيء الذي أُلقـي, فترك ونسي.

وبنـحو الذي قلنا فـي ذلك قال أهل التأويـل. ذكر من قال ذلك:

17795ـ حدثنا القاسم, قال: حدثنا الـحسين, قال: ثنـي حجاج, عـن ابـن جريج, قال: أخبرنـي عطاء الـخراسانـي عن ابن عبــاس, قـوله: يـا لَـيْتَنِــي مِتّ قَبْلَ هَذَا وكُنْتُ نَسْيا مَنْسِيّا لـم أخـلق, ولـم أك شيئا.

17796ـ حدثنا موسى, قال: حدثنا عمرو, قال: حدثنا أسبـاط, عن السديّ وكُنْتُ نَسْيا مَنْسِيّا يقول: نِسيا: نُسي ذكري, ومنسيا: تقول: نسي أثري, فلا يُرى لـي أثر ولا عين.

17797ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة وكُنْتُ نَسْيا مَنْسِيّا: أي شيئا لا يعرف ولا يذكر.

حدثنا الـحسن, قال: أخبرنا عبد الرزاق, قال: أخبرنا معمر, عـن قتـادة, قوله وكُنْتُ نَسْيا مَنْسِيّا قال: لا أعرف ولا يدري من أنا.

17798ـ حدثنا القاسم, قال: حدثنا الـحسين, قال: ثنـي حجاج, عـن ابـن جريج, عن أبـي جعفر, عن الربـيع بن أنس نَسْيا مَنْسِيّا قال: هو السقط.

17799ـ حدثنـي يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: قال ابن زيـد, فــي قوله: يا لَـيْتَنِـي مِتّ قَبْلَ هَذَا وكُنْتُ نَسْيا مَنْسِـيّا لــم أكـن فــي الأرض شـيئا قط.

القول فـي تأويـل قوله تعالـى: {فَنَادَاهَا مِن تَحْتِهَآ أَلاّ تَحْزَنِي قَدْ جَعَلَ رَبّكِ تَحْتَكِ سَرِيّاً * وَهُزّىَ إِلَيْكِ بِجِذْعِ النّخْلَةِ تُسَاقِطْ عَلَيْكِ رُطَباً جَنِيّاً }.

اختلفت القرّاء فـي قراءة ذلـك, فقرأتـه عامـة قـرّاء الــحجاز والعـراق فَنادَاها مِنْ تَـحْتِها بــمعنى: فناداها جبرائيــل مـن بــين يـديها علــى اختلاف

منهم فـي تأويـله فمن متأوّل منهم إذا قـرأه مِـنْ تــحْتِها كـذلك ومـن متـأوّل منهم أنه عيسى, وأنه ناداها من تـحتها بعد ما ولدته. وقـرأ ذلـك بعـض قـرّاء أهـل الكوفـة والبصـرة: «فَنادَاهـا مِـنْ تَــحْتِها» بفتــح التـاءين مـن تــحت, بـمعنى: فناداها الذي تـحتها, علـى أن الذي تـحتها عيسى, وأنـه الـذي نـادى أمه. ذكر من قال: الذي ناداها من تـحتها الـمَلَك:

17800ـ حدثنا ابن حميد, قال: حدثنا يحيى بـن واضـح, قـال: حـدثنا عبـد الـمؤمن, قال: سمعت ابن عبـاس قرأ: فَنادَاها مِنْ تَـحْتِها يعنـي: جبرائيـل.

17801ـ حدثنـي أحمد بن عبد الله أحمد بـن يـونس, قـال: أخبرنـا عبَـثر, قال: حدثنا حصين, عن عمرو بن ميـمون الأَوْديّ, قال: الذي ناداها الـملك.

17802ـ حدثنا ابن بشار, قال: حدثنا أبو أحمد, قال: حدثنا سفــيان, عـن الأعمش, عن إبراهيـم, عن علقمة, أنه قرأ: فخاطبها من تـحتها.

حدثنا أبو هشام الرفـاعي, قال: حدثنا يحيى, قال: حـدثنا سفــيان, عـن الأعمش, عن إبراهيـم, عن علقمة. أنه قرأ: فخاطبها من تـحتها.

حدثنا الرفـاعي, قال: حدثنا وكيع, عن أبـيه, عن الأعمش, عن إبراهيـم, عن علقمة أنه قرأها كذلك.

17803ـ حدثنا ابن بشار, قال: حدثنا أبو عامر, قال: حدثنا سفــيان, عـن جويبر, عن الضحاك فَنادَاها مِنْ تَـحْتِها قال: جبرائيـل.

حدثنا ابن بشار, قال: حدثنا أبو عاصم, عـن سفــيان, عـن جويـبر, عـن الضحاك, مثله.

17804ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة فَنادَاها مِنْ تَـحْتِها: أي من تـحت النـخـلة.

17805ـ حدثنا موسى, قال: حدثنا عمرو, قال: حدثنا أسبـاط, عن السديّ فَنادَاها جبرائيـل مِنْ تَـحْتِها أنْ لا تَـحْزَنِـي.

17806ـ حدثنا الـحسن, قال: أخبرنا عبد الرزاق, قال: أخبرنا معمر, عن قتادة, فـي قوله فَنادَاها مِنْ تَـحْتِها قال: الـمَلَك.

حُدثت عن الـحسين, قال: سمعت أبـا معاذ يقـول: أخبرنـا عبــيد, ق ال: سمعت الضحاك يقول فـي قوله فَنادَاهـا مِـنْ تَــحْتِها يعنــي: جبرائيــل كـان أسفل منها.

حدثنـي مـحمد بن سعد, قال: ثنـي أبـي, قال: ثنــي عمـي, قـال: ثنــي أبـي, عن أبـيه, عن ابن عبـاس, فَنادَاهـا مِـنْ تَــحْتِها قـال: ناداهـا جبرائيــل ولـم يتكلـم عيسى حتـى أتت قومها.

ذكر من قال: ناداها عيسى صلى الله عليه وسلم:

17807ـ حدثنا مــحمد بـن بشـار, قـال: حـدثنا أبـو عاصـم, قـال: حـدثنا سفـيان, عن ابن أبـي نـجيح, عن مــجاهد, قـوله: فَنادَاه ا مِـنْ تَــحْتِها ق ال: عيسى بن مريـم.

حدثنا ابن بشار, قال: حدثنا أبو عامر, قال: حدثنا سفـيان, عن ابن أبـ ي نـجيح, عن مـجاهد, مثله.

حدثنـي مـحمد بن عمرو, قال: حـدثنا أبـو عاصـم, ق ال: حـدثنا عيسـى. وحدثنـي الـحارث, قال: حدثنا الـحسن, قال: حدثنا ورقـاء, جميعـا عـن ابـن أبـي نـجيح, عن مـجاهد, مثله.

حدثنا القاسم, قال: حدثنا الـحسين, قال: ثنـي حجاج, عن ابن جريج, عن مـجاهد, مثله.

17808ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة, عن الحسن فَنادَاها مِنْ تَحْتِها ابنها.
حدثنا الحسن, قال: أخبرنا عبد الرزاق, قال: أخبرنا معمر, عن قتادة, قال: قال الحسن: هو ابنها.
17809ـ حدثنا ابن حميد, قال: حدثنا سلمة, عن ابن إسحاق, عمن لا يتهم, عن وهب بن منبه فَنادَاها عيسى مِنْ تَحْتِها أنْ لا تَحْزَنِي.
17810ـ حدثني أبو حميد أحمد بن المغيرة الحمصي, قال: حدثنا عثمان بن سعيد, قال: حدثنا محمد بن مهاجر, عن ثابت بن عجلان, عن سعيد بن جبير, قوله فَنادَاها مِنْ تَحْتِها قال عيسى: أما تسمع الله يقول: فأشارَتْ إلَيْهِ.
17811ـ حدثني يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: قال ابن زيد فَنادَاها مِنْ تَحْتِها قال: عيسى ناداها: أنْ لا تَحْزَنِي قَدْ جَعل رَبّكِ تَحْتَكِ سَرِيّا.
17812ـ حُدثت عن عبد الله بن أبي جعفر, عن أبيه, عن الربيع بن أنس, عن أبي العالية الرياحيّ, عن أبيّ بن كعب قال: الذي خاطبها هو الذي حملته في جوفها ودخل من فيها.
قال أبو جعفر: وأولى القولين في ذلك عندنا قول من قال: الذي ناداها ابنها عيسى, وذلك أنه من كناية ذكره أقرب منه من ذكر جبرائيل, فردّه على الذي هو أقرب إليه أولى من ردّه على الذي هو أبعد منه, ألا ترى في سياق قوله فحَمَلَتْهُ فانْتَبَذَتْ بِهِ مَكانا قَصِيّا يعني به: فحملت عيسى فانتبذت به, ثم قيل: فناداها نسقا على ذلك من ذكر عيسى والخبر عنه. ولعلة أخرى, وهي قوله: فأشارَتْ إلَيْهِ ولم تشر إليه إن شاء الله إلا وقد علمت أنه ناطق في حاله تلك, وللذي كانت قد عرفت ووثقت به منه بمخاطبته إياها بقوله لها: أنْ لا تَحْزَنِي قَدْ جَعَلَ رَبّكِ تَحْتَكِ سَرِيّا وما أخبر الله عنه أنه قال لها أشيري للقوم إليه, ولو كان ذلك قولاً من جبرائيل, لكان خليقا أن يكون في ظاهر الخبر, مبينا أن عيسى سينطق, ويحتجّ عنها للقوم, وأمر منه لها بأن تشير إليه للقوم إذا سألوها عن حالها وحاله.
فإذا كان ذلك هو الصواب من التأويل الذي بيّنا, فبين أن كلتا القراءتين, أعني مِنْ تَحْتِها بالكسر, و«مَنْ تَحْتَها» بالفتح صواب. وذلك أنه إذا قرىء بالكسر كان في قوله فَنادَاها ذكر من عيسى: وإذا قرىء مِنْ تَحْتِها بالفتح كان الفعل لمن وهو عيسى. فتأويل الكلام إذن: فناداها المولد من تحتها أن لا تحزني يا أمه قَدْ جَعَلَ رَبّكِ تَحْتَكِ سَرِيّا كما:
17813ـ حدثني يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: قال ابن زيد, في قوله فَنادَاها مِنْ تَحْتِها أنْ لا تَحْزَنِي قالت: وكيف لا أحزن وأنت معي, لا ذات زوج فأقول ومن زوج, ولا مملوكة فأقول من سيدي, أيّ شيء عذري عند الناس يا لَيْتَنِي مِتّ قَبْلَ هَذَا وكُنْتُ نَسْيا مَنْسِيّا فقال لها عيسى: أنا أكفيك الكلام.
واختلف أهل التأويل في المعنيّ بالسريّ في هذا الموضع, فقال بعضهم: عني به: النهر الصغير. ذكر من قال ذلك:
17814ـ حدثنا ابن بشار, قال: حدثنا أبو عاصم, قال: حدثنا سفيان, عن أبي إسحاق, عن البراء بن عازب قَدْ جَعَلَ رَبّكِ تَحْتَكِ سَرِيّا قال: الجدول.

حدثنا ابن بشار, قال: حدثنا محمد بن جعفر, قال: حدثنا شعبة, عن أبي إسحاق, قال: سمعت البراء يقول في هذه الآية قَدْ جَعَلَ رَبّكِ تَحْتَكِ سَرِيّا قال: الجدول.

17815ـ حدثني عليّ, قال: حدثنا عبد الله, قال: ثني معاوية, عن عليّ, عن ابن عباس, قوله قَدْ جَعَلَ رَبّكِ تَحْتَكِ سَرِيّا وهو نهر عيسى.

حدثني محمد بن سعد, قال: ثني أبي, قال: ثني عمي, قال: ثني أبي, عن أبيه, عن ابن عباس, قوله قَدْ جَعَلَ رَبّكِ تَحْتَكِ سَرِيّا قال: السريّ: النهر الذي كان تحت مريم حين ولدته كان يجري يسمى سَريا.

17816ـ حدثني أبو حصين, قال: حدثنا عبثر, قال: حدثنا حصين, عن عمرو بن ميمون الأَوْدِيّ, قال في هذه الآية: قَدْ جَعَلَ رَبّكِ تَحْتَكِ سَرِيّا قال: السريّ: نهر يُشرب منه.

حدثنا يعقوب وأبو كريب, قالا: حدثنا هشيم, قال: أخبرنا حصين, عن عمرو بن ميمون, في قوله: قَدْ جَعَلَ رَبّكِ تَحْتَكِ سَرِيّا قال: هو الجدول.

17817ـ حدثني محمد بن عمرو, قال: حدثنا أبو عاصم, قال: حدثنا عيسى, وحدثني الحارث, قال: حدثنا الحسن, قال: حدثنا ورقاء, جميعا عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد سَرِيّا قال: نهر بالسريانية.

حدثنا القاسم, قال: حدثنا الحسين, قال: ثني حجاج, عن ابن جريج, عن مجاهد, مثله, قال ابن جريج: نهر إلى جنبها.

17818ـ حدثنا محمد بن بشار, قال: حدثنا أبو داود, قال: حدثنا شعبة, عن قتادة, عن الحسن, في قوله قَدْ جَعَلَ رَبّكِ تَحْتَكِ سَرِيّا قال: كان سريا فقال حميد بن عبد الرحمن: إن السريّ: الجدول, فقال: غلبتنا عليك الأمراء.

17819ـ حدثنا القاسم, قال: حدثنا الحسين, قال: حدثنا أبو بكر بن عياش, عن أبي حصين, عن سعيد بن جبير قَدْ جَعَلَ رَبّكِ تَحْتَكِ سَرِيّا قال: هو الجدول, النهر الصغير, وهو بالنبطية: السريّ.

حدثني أبو حميد الحمصي, قال: حدثنا عثمان بن سعيد, قال: حدثنا محمد بن مهاجر, عن ثابت بن عجلان قال: سألت سعيد بن جبير, عن السريّ, قال: نهر.

17820ـ حدثنا أبو كريب, قال: حدثنا هشيم, عن مغيرة, عن إبراهيم, قال: النهر الصغير.

حدثني يعقوب, قال: حدثنا هشيم, قال: أخبرنا مغيرة, عن إبراهيم, أنه قال: هو النهر الصغير: يعني الجدول, يعني قوله قَدْ جَعَلَ رَبّكِ تَحْتَكِ سَرِيّا.

17821ـ حدثنا ابن وكيع, قال: حدثنا أبي, عن سلمة بن نبيط, عن الضحاك, قال: جدول صغير بالسريانية.

حُدثت عن الحسين, قال: سمعت أبا معاذ, قال: أخبرنا عبيد بن سليمان, قال: سمعت الضحاك يقول في قوله تَحْتَكِ سَرِيّا: الجدول الصغير من الأنهار.

17822ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة قَدْ جَعَلَ رَبّكِ تَحْتَكِ سَرِيّا والسريّ: هو الجدول, تسميه أهل الحجاز.

17823ـ حدثنا الحسن, قال: حدثنا عبد الرزاق, قال: أخبرنا معمر, في قوله سَرِيّا قال: هو جدول.

17824ـ حدثنا ابن حميد, قال: حدثنا سلمة, عن ابن إسحاق, عمن لا يتهم وعن وهب بن منبه قَدْ جَعَلَ رَبّكِ تَحْتَكِ سَرِيّا يعني ربيع الماء.
17825ـ حدثنا موسى بن هارون, قال: حدثنا عمرو, قال: حدثنا أسباط, عن السديّ قَدْ جَعَلَ رَبّكِ تَحْتَكِ سَرِيّا والسريّ: هو النهر.
وقال آخرون: عنى به عيسى. ذكر من قال ذلك:
17826ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة, عن الحسن قَدْ جَعَلَ رَبّكِ تَحْتَكِ سَرِيّا والسريّ: عيسى نفسه.
17827ـ حدثني يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: قال ابن زيد, في قوله قَدْ جَعَلَ رَبّكِ تَحْتَكِ سَرِيّا يعني نفسه, قال: وأيّ شيء أسرى منه, قال: والذين يقولون: السريّ: هو النهر ليس كذلك النهر, لو كان النهر لكان إنما يكون إلى جنبها, ولا يكون النهر تحتها.
قال أبو جعفر: وأولى القولين في ذلك عندي بالصواب قيل من قال: عنى به الجدول, وذلك أنه أعلمها ما قد أعطاها الله من الماء الذي جعله عندها, وقال لها وَهُزّي إلَيْكِ بِجِذْعِ النّخْلَةِ تُساقِطْ عَلَيْكِ رُطَبا جَنِيّا فَكُلِي مِن هذا الرطب وَاشْرَبِي من هذا الماء وَقَرّي عَيْنا بولدك, والسريّ معروف من كلام العرب أنه النهر الصغير ومنه قول لبيد:
فَتَوَسّطا عُرْضَ السّرِيّ وَصَدّعامَسْجُورَةً مُتَجاوِرا قُلاّمُها
ويُروى: مثلما مسجورة, ويُروى أيضا: فغارا.
وقوله: وَهُزّي إلَيْكِ بِجِذْعِ النّخْلَةِ ذكر أن الجذع كان جذعا يابسا, وأمرها أن تهزّه, وذلك في أيام الشتاء, وهزّها إياه كان تحريكه, كما:
17828ـ حدثني يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: قال ابن زيد, في قوله: وَهُزّي إلَيْكِ بِجِذْعِ النّخْلَةِ قال: حركيها. ذكر من قال ذلك:
17829ـ حدثني محمد بن سعد, قال: ثني أبي, قال: ثني عمي, قال: ثني أبي, عن أبيه, عن ابن عباس وَهُزّي إلَيْكِ بِجِذْعِ النّخْلَةِ قال: كان جذعا يابسا, فقال لها: هزّيه تُساقِطْ عَلَيْكِ رُطَبا جَنِيّا.
17830ـ حدثنا ابن حميد, قال: حدثنا يحيى بن واضح, قال: حدثنا عبد المؤمن, قال: سمعت أبا نهيك يقول: كانت نخلة يابسة.
17831ـ حدثني محمد بن سهل بن عسكر, قال: حدثنا إسماعيل بن عبد الكريم, قال: ثني عبد الصمد بن معقل قال: سمعت وهب بن منبه يقول في قوله: وَهُزّي إلَيْكِ بِجِذْعِ النّخْلَةِ فكان الرطب يتساقط عليها وذلك في الشتاء.
17832ـ حدثنا موسى بن هارون, قال: حدثنا عمرو, قال: حدثنا أسباط, عن السديّ وَهُزّي إلَيْكِ بِجِذْعِ النّخْلَةِ: وكان جذعا منها مقطوعا فهزّته, فإذا هو نخلة, وأجري لها في المحراب نهر, فتساقطت النخلة رطبا جنيا فَقال لها: كُلِي وَاشْرَبِي وَقَرّي عَيْنا.
وقال آخرون: بل معنى ذلك: وهزّي إليك بالنخلة. ذكر من قال ذلك:
17833ـ حدثنا ابن بشار, قال: حدثنا عبد الرحمن, قال: حدثنا سفيان, قال: قال مجاهد وَهُزّي إلَيْكِ بِجِذْعِ النّخْلَةِ قال: النخلة.
حدثنا ابن بشار, قال: حدثنا أبو أحمد, قال: حدثنا سفيان, عن عيسى بن ميمون, عن مجاهد, في قوله وَهُزّي إلَيْكِ بِجِذْعِ النّخْلَةِ قال: العجوة.
17834ـ حدثني يعقوب, قال: حدثنا هشيم, قال: أخبرنا حصين, عن عمرو بن ميمون, أنه تلا هذه الآية: وَهُزّي إلَيْكِ بِجِذْعِ النّخْلَةِ تُساقِطْ

عَلَيْكِ رُطَبا جَنِيّا قال: فقال عمرو: ما من شيء خير للنفساء من التمر والرطب.

وأدخلت الباء في قوله: وَهُزّي إلَيْكِ بِجِذْعِ النّخْلَةِ كما يقال: زوجتك فلانة, وزوّجتك بفلانة وكما قال تَنْبُتُ بِالدّهْنِ بمعنى: تنبت الدهن. وإنما تفعل العرب بذلك, لأن الأفعال تكنى عنها بالباء, فيقال إذا كنيت عن ضربت عمرا: فعلت به, وكذلك كلّ فعل, فلذلك تدخل الباء في الأفعال وتخرج, فيكون دخولها وخروجها بمعنى, فمعنى الكلام: وهزّي إليك جذع النخلة وقد كان لو أن المفسرين كانوا فسروه كذلك: وهزّي إليك رطبا بجذع النخلة, بمعنى: على جذع النخلة, وجها صحيحا, ولكن لست أحفظ عن أحد أنه فسره كذلك. ومن الشاهد على دخول الباء في موضع دخولها وخروجها منه سواء قول الشاعر:

بِوَادٍ يَمانٍ يُنْبِتُ السّدْرَ صَدْرُهُوأسْفَلُهُ بالمَرْخِ والشّبَهانِ

واختلف القرّاء في قراءة قوله: تُسَاقِطْ فقرأ ذلك عامّة قرّاء المدينة والبصرة والكوفة: «تَسّاقَطُ» بالتاء من تساقط وتشديد السين, بمعنى: تتساقط عليك النخلة رطبا جنيا, ثم تُدغم إحدى التاءين في الأخرى فتشدد, وكأن الذين قرأوا ذلك كذلك وجهوا معنى الكلام إلي: وهزّي إليك بجذع النخلة تساقط النخلة عليك رطبا. وقرأ ذلك بعض قرّاء الكوفة: «تَساقَطُ» بالتاء وتخفيف السين, ووجه معنى الكلام, إلى مثل ما وجه إليه مشدّدوها, غير أنهم خالفوهم في القراءة. ورُوي عن البراء بن عازب أنه قرأ ذلك: «يُساقِط» بالياء.

17835ـ حدثني بذلك أحمد بن يوسف, قال: حدثنا القاسم, قال: حدثنا يزيد, عن جرير بن حازم, عن أبي إسحاق قال: سمعت البراء بن عازب يقرؤه كذلك, وكأنه وجه معنى الكلام إلي: وهزّي إليك بجذع النخلة يتساقط الجذع عليك رطبا جنيا.

ورُوي عن أبي نهيك أنه كان يقرؤه: «تُسْقِطُ» بضمّ التاء وإساقط الألف.

17836ـ حدثنا بذلك ابن حميد, قال: حدثنا يحيى بن واضح, قال: حدثنا عبد المؤمن, قال: سمعت أبا نَهِيك يقرؤه كذلك, وكأنه وجه معنى الكلام إلي: تسقط النخلة عليك رطبا جنيا.

قال أبو جعفر: والصواب من القول في ذلك عندي أن يقال: إن هذه القراءات الثلاث, أعني تَسّاقَطُ بالتاء وتشديد السين, وبالتاء وتخفيف السين, وبالياء وتشديد السين, قراءات متقاربات المعاني, قد قرأ بكل واحدة منهنّ قرّاء أهل معرفة بالقرآن, فبأيّ ذلك قرأ القارىء فمصيب الصواب فيه, وذلك أن الجذع إذا تساقط رطبا, وهو ثابت غير مقطوع, فقد تساقطت النخلة رطبا, وإذا تساقطت النخلة رطبا, فقد تساقطت النخلة بأجمعها, جذعها وغير جذعها, وذلك أن النخلة ما دامت قائمة على أصلها, فإنما هي جذع وجريد وسعف, فإذا قطعت صارت جذعا, فالجذع الذي أمرت مريم بهزّه لم يذكر أحد نعلمه أنه كان جذعا مقطوعا غير السديّ, وقد زعم أنه عاد بهزّها إياه نخلة, فقد صار معناه ومعنى من قال: كان المتساقط عليها رطبا نخلة واحدا, فتبين بذلك صحة ما قلنا.

وقوله: جَنِيّا يعني مجنيا وإنما كان أصله مفعولاً فصرف إلى فعيل والمجني: المأخوذ طريا, وكل ما أخذ من ثمرة, أو نقل من موضعه

بطراوته فقد اجتني, ولذلك قيل: فلان يجتني الكمأة ومنه قول ابن أخت جذيمة:
هَذَا جَنايَ وخِيارُهُ فِيهْإذْ كُلّ جانٍ يَدُهُ إلى فِيهْ

الآية : 26

القول في تأويل قوله تعالى: {فَكُلِي وَاشْرَبِي وَقَرّي عَيْناً فَإمّا تَرَيِنّ مِنَ البَشَرِ أَحَداً فَقُولِيَ إنّي نَذَرْتُ لِلرّحْمَنِ صَوْماً فَلَنْ أُكَلّمَ الْيَوْمَ إنِسِيّاً }.
يقول تعالى ذكره: فكلي من الرطب الذي يتساقط عليك, واشربي من ماء السريّ الذي جعله ربك تحتك, لا تخشي جوعا ولا عطشا وَقَرّي عَيْنا يقول: وطيبي نفسا وَافرحي بولادتك إياي ولا تحزني. ونصبت العين لأنها هي الموصوفة بالقرار. وإنما معنى الكلام: ولتقرِر عينك بولدك, ثم حوّل الفعل عن العين إلى المرأة صاحبة العين, فنصبت العين إذ كان الفعل لها في الأصل على التفسير, نظير ما فعل بقوله: فإنْ طِبْنَ لَكُمْ عَنْ شَيْءٍ مِنْهُ نَفْسا وإنما هو: فإن طابت أنفسهن لكم. وقوله: وَضَاقَ بِهِم ذَرْعا ومنه قوله: «يُساقِطْ عَلَيْكِ رُطَبا جَنِيّا» إنما هو يساقط عليك رطب الجذع, فحوّل الفعل إلى الجِذع, في قراءة من قرأه بالياء. وفي قراءة من قرأه: تُساقِطْ بالتاء, معناه: يساقط عليك رطب النخلة, ثم حوّل الفعل إلى النخلة.
وقد اختلفت القراء في قراءة قوله: وقَرّي فأما أهل المدينة فقرأوه: وَقَرّي بفتح القاف على لغة من قال: قَرِرت بالمكان أَقَرّ به, وقَرِرت عينا, أَقَرّ به قُرورا, وهي لغة قريش فيما ذكر لي وعليها القراءة. وأما أهل نجد فإنها تقول قررت به عينا أقربه قرارا وقررت بالمكان أقر به, فالقراءة على لغتهم: «وَقرِي عَيْنا» بكسر القاف, والقراءة عندنا على لغة قريش بفتح القاف.
وقوله: فإمّا تَرِيَنّ مِنَ البَشَرِ أحَدا يقول: فإن رأيت م ن بني آدم أحدا يكلمك أو يسائلك عن شيء من أمرك وأمر ولدك وسبب ولادتكه فَقُولي إنّي نَذَرْتُ للرّحْمَنِ صَوْما يقول: فقولي: إني أوجبت على نفس ي لله صمتا ألاّ أكلم أحدا من بني آدم اليوم فَلَنْ أُكَلّمَ اليَوْمَ إنْسِيّا.
وبنحو الذي قلنا في معنى الصوم, قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:
17837ـ حدثنا ابن عبد الأعلى, قال: حدثنا معتمر بن سليمان, عن أبيه, قال: سمعت أنس بن مالك يقول في هذه الآية إنّي نَذَرْتُ للرّحْمَنِ صَوْما صمتا.
حدثني زكريا بن يحيى بن أبي زائدة, قال: حدثنا حجاج, قال: أخبرنا ابن جريج, قال: أخبرني المغيرة بن عثمان, قال: سمعت أنس بن مالك يقول إنّي نَذَرْتُ للرّحْمَنِ صَوْما قال: صمتا.
17838ـ حدثني محمد بن سعد, قال: ثني أبي, قال: ثني عمي, قال: ثني أبي, عن أبيه, عن ابن عباس, قوله إنّي نَذَرْتُ للرّحْمَنِ صَوْما قال: يعني بالصوم: الصمت.
17839ـ حدثني يعقوب, قال: حدثنا ابن علية, عن سليمان التيميّ, قال: سمعت أنسا قرأ: «إنّي نَذَرْتُ للرّحْمَنِ صَوْما وَصَمْتا».

17840ـ حدثنا الحسن بن يحيى, قال: أخبرنا عبد الرزاق, قال: أخبرنا معمر, عن قتادة إنّي نَذَرْتُ للرّحْمَنِ صَوْما أما قوله: صَوْما فإنها صامت من الطعام والشراب والكلام.

17841ـ حُدثت عن الحسين, قال: سمعت أبا معاذ يقول: أخبرنا عبيد, قال: سمعت الضحاك يقول في قوله: نَذَرْتُ للرّحْمَنِ صَوْما قال: كان من بني إسرائيل من إذا اجتهد صام من الكلام كما يصوم من الطعام, إلا مِن ذكر الله, فقال لها ذلك, فقالت: إني أصوم من الكلام كما أصوم من الطعام, إلا من ذكر الله فلما كلموها أشارت إليه, فقالوا: كَيْفَ نُكَلّمُ مَنْ كانَ فِي المَهْدِ صَبِيّا فأجابهم فقال: إنّي عَبْدُ اللّهِ آتانِيَ الكِتابَ حتى بلغ ذلكَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمْ قَوْلَ الحَقّ الّذِي فِيهِ يَمترُونَ.

واختلفوا في السبب الذي من أجله أمرها بالصوم عن كلام البشر, فقال بعضهم: أمرها بذلك لأنه لم يكن لها حجة عند الناس ظاهرة, وذلك أنها جاءت وهي أيّم بولد بالكفّ عن الكلام ليكفيها فأمرت الكلام ولدها.. ذكر من قال ذلك:

17842ـ حدثنا هارون بن إسحاق الهمداني, قال: حدثنا مصعب بن المقدام, قال: حدثنا إسرائيل, قال: حدثنا أبو إسحاق, عن حارثة, قال: كنت عند ابن مسعود, فجاء رجلان فسلم أحدهما ولم يسلم الآخر, فقال: ما شأنك؟ فقال أصحابه: حلف أن لا يكلم الناس اليوم, فقال عبد الله: كلم الناس وسلم عليهم, فإن تلك امرأة علمت أن أحدا لا يصدّقها أنها حملت من غير زوج, يعني بذلك مريم عليها السلام.

17843ـ حدثني يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: قال ابن زيد لما قال عيسى لمريم لا تَحْزَنِي قالت: وكيف لا أحزن وأنت معي, لا ذات زوج ولا مملوكة, أيّ شيء عذري عند الناس يا لَيْتَنِي مِتّ قَبْلَ هَذَا وكُنْتُ نَسْيا مَنْسِيّا فقال لها عيسى: أنا أكفيك الكلام فإمّا تَرَيِنّ مِنَ البَشَرِ أحَدا فقُولي إنّي نَذَرْتُ للرّحْمَنِ صَوْما فَلَنْ أُكَلّمَ اليَوْمَ إنْسِيّا قال: هذا كلّه كلام عيسى لأمه.

17844ـ حدثنا ابن حميد, قال: حدثنا سلمة, عن ابن إسحاق, عمن لا يتهم, عن وهب بن منبه فإمّا تَرَيِنّ مِنَ البَشَرِ أحَدا فَقُولي إنّي نَذَرْتُ للرّحْمَنِ صَوْما فَلَنْ أُكَلّمَ اليَوْمَ إنْسِيّا فإني سأكفيك الكلام.

وقال آخرون: إنما كان ذلك آية لمريم وابنها. ذكر من قال ذلك:

17845ـ حدثنا الحسن, قال: أخبرنا عبد الرزاق, قال: أخبرنا معمر, عن قتادة, في قوله: إنّي نَذَرْتُ للرّحْمَنِ صَوْما قال في بعض الحروف: صمتا, وذلك أنك لا تلقي امرأة جاهلة تقول: نذرت كما نذرت مريم, ألا تكلم يوما إلى الليل, وإنما جعل الله تلك آية لمريم ولابنها, ولا يحلّ لأحد أن ينذر صمت يوم إلى الليل.

حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة, فقرأ: إنّي نَذَرْتُ للرّحْمَنِ صَوْما وكانت تقرأ في الحرف الأوّل: صمتا, وإنما كانت آية بعثها الله لمريم وابنها.

وقال آخرون: بل كانت صائمة في ذلك اليوم, والصائم في ذلك الزمان كان يصوم عن الطعام والشراب وكلام الناس, فأذن لمريم في قدر هذا الكلام ذلك اليوم وهي صائمة. ذكر من قال ذلك:

17846ـ حدثنا موسى, قال: حدثنا عمرو, قال: حدثنا أسباط, عن السديّ فإمّا تَرَيِنّ مِنَ البَشَرِ أحَدا يكلمك فَقُولي إنّي نَذَرْتُ للرّحْمَنِ صَوْما فَلَنْ أُكَلِمَ اليَوْمَ إنْسِيّا فكان من صام في ذلك الزمان لم يتكلم حتى يمسي, فقيل لها: لا تزيدي على هذا.

الآية : 27

القول في تأويل قوله تعالى: {فَأَتَتْ بِهِ قَوْمَهَا تَحْمِلُهُ قَالُواْ يَمَرْيَمُ لَقَدْ جِئْتِ شَيْئاً فَرِيّاً }.

يقول تعالى ذكره: فلما قال ذلك عيسى لأمه اطمأنت نفسها, وسلّمت لأمر الله, وحملته حتى أتت به قومها. كما:

17847ـ حدثنا ابن حميد, قال: حدثنا سلمة عن ابن إسحاق, عمن لا يتهم, عن وهب بن منبه, قال: أنساها يعني مريم كرب البلاء وخوف الناس ما كانت تسمع من الملائكة من البشارة بعيسى, حتى إذا كلّمها, يعني عيسى, وجاءها مصداق ما كان الله وعدها احتملته ثم أقبلت به إلى قومها.

وقال السديّ في ذلك ما:

17848ـ حدثنا موسى, قال: حدثنا عمرو, قال: حدثنا أسباط, عن السديّ, قال: لما ولدته ذهب الشيطان, فأخبر بني إسرائيل أن مريم قد ولدت, فأقبلوا يشتدّون, فدعوها فأتَتْ بِهِ قَوْمَها تَحْمِلُهُ.

وقوله: قالُوا يا مَرْيَمُ لَقَدْ جِئْتِ شَيْئاً فَرِيّا يقول تعالى ذكره: فلما رأوا مريم, ورأوا معها الولد الذي ولدته, قالوا لها: يا مريم لقد جئت بأمر عجيب, وأحدثت حدثا عظيما. وكلّ عامل عملاً أجاده وأحسنه فقد فراه, كما قال الراجز:

قَدْ أطْعَمَتِنِي دَقَلاً حُجْرِيّاقَدْ كُنْتِ تَفْرِينَ بِهِ الفَرِيّا

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

17849ـ حدثني محمد بن عمرو, قال: حدثنا أبو عاصم, قال: حدثنا عيسى وحدثني الحارث, قال: حدثنا الحسن, قال: حدثنا ورقاء, جميعا عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد في قول الله تعالى: فَرِيّا قال: عظيما.

حدثنا القاسم, قال: حدثنا الحسين, قال: ثني حجاج, عن ابن جريج, عن مجاهد, مثله.

17850ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة, قوله: لَقَدْ جِئْتِ شَيْئا فَرِيّا قال: عظيما.

17851ـ حدثنا موسى, قال: حدثنا عمرو, قال: حدثنا أسباط, عن السديّ لَقَدْ جِئْتِ شَيْئا فَرِيّا قال: عظيما.

17852ـ حدثنا ابن حميد, قال: حدثنا سلمة, عن ابن إسحاق, عمن لا يتهم, عن وهب بن منبه, قال: لما رأوها ورأوه معها, قالوا: يا مريم لَقَدْ جِئْتِ شَيْئا فَرِيّا: أي الفاحشة غير المقاربة.

الآية : 28

القول في تأويل قوله تعالى: {يَأُخْتَ هَارُونَ مَا كَانَ أَبُوكِ امْرَأَ سَوْءٍ وَمَا كَانَتْ أُمّكِ بَغِيّاً }.

اختلف أهل التأويل في السبب الذي من أجله قيل لها: يا أخت هارون, ومن كان هارون هذا الذي ذكره الله, وأخبر أنهم نسبوا مريم إلى أنها أخته, فقال بعضهم: قيل لها يا أُخْتَ هارُونَ نسبة منهم لها إلى الصلاح,

لأن أهل الصلاح فيهم كانوا يسمون ه ارون, وليس به ارون أخ ي موسى. ذكر من قال ذلك:

17853ـ حدثنا الحسن, قال: أخبرنا عبد الرزاق, قال: أخبرنا معمر, عن قتادة, في قوله: يا أُخْتَ هارُونَ قال: كان رجلاً صالحا في بني إسرائيل يسمى هارون, فشبّهوها به, فقالوا: يا شبيهة هارون في الصلاح.

17854ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة, قوله: يا أُخْتَ هارُونَ ما كانَ أبُوكِ امْرأ سَوْءٍ وَما كانَتِ أمّكِ بَغِيّا قال: كانت من أهل بيت يُعرفون بالصلاح, ولا يُعرفون بالفساد ومن الناس من يُعرفون بـ الصلاح ويتوالدون به, وآخرون يُعرفون بـ الفساد ويتوالدون به, وكـ ان هارون مصلحا محببا في عشيرته, وليس بهارون أخي موسى, ولكنه هارون آخر. قال: وذُكر لنا أنه شيع جنازته يوم مات أربعون ألفا, كلهم يسمون هارون من بني إسرائيل.

17855ـ حدثني يعقوب, قال: حدثنا ابن علية, عن سعيد بن أبي صدقة, عن محمد بن سيرين, قال: نبئت أن كعبا قال: إن قوله: يا أُخْتَ هارُونَ ليس بهارون أخي موسى, قال: فقالت له عائشة: كذبت, قال: يا أمّ المؤمنين, إن كان النبيّ صلى الله عليه وسلم قاله فهو أعلم وأخبر, وإلا فإني أجد بينهما ستّ مئة سنة, قال: فسكتت.

17856ـ حدثني يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: قال ابن زيد, في قوله: يا أُخْتَ هارُونَ قال: اسم واطأ اسما, كم بين هارون وبينهما من الأمم أمم كثيرة.

17857ـ حدثنا أبو كريب وابن المثنى وسفيان وابن وكيع وأبو السائب, قالوا: حدثنا عبد الله بن إدريس الأودي, قال: سمعت أبي يذكر عن سماك بن حرب, عن علقمة بن وائل, عن المغيرة بن شعبة, قال: بعثني رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى أهل نجران, فقالوا لي: ألستم تقرأون يا أُخْتَ هارُونَ؟ قلت: بلى وقد علمتم ما كان بين عيسى وموسى, فرجعت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم, فأخبرته, فقال: «أَلا أَخْبَرْتَهُمْ أنّهُمْ كانُوا يُسَمّونَ بأنْبِيائِهِمْ وَالصّالِحِينَ قَبْلَهُمْ».

حدثنا ابن حميد, قال: حدثنا الحكم بن بشير, قال: حدثنا عمرو, عن سماك بن حرب, عن علقمة بن وائل, عن المغيرة بن شعبة, قال: أرسلني النبيّ صلى الله عليه وسلم في بعض حوائجه إلى أهل نجران, فقالوا: أليس نبيك يزعم أن هارون أخو مريم هو أخو موسى؟ فلم أدر ما أردّ عليهم حتى رجعت إلى النبيّ صلى الله عليه وسلم, فذكرت له ذلك, فقال: «إنّهُمْ كانُوا يُسَمّونَ بأسْماءِ مَنْ كانَ قَبْلَهُمْ».

وقال بعضهم: عنى به هارون أخو موسى, ونُسبت مريم إلى أنها أخته لأنها من ولده, يقال للتميميّ: يا أخا تميم, وللمُضَرِيّ: يا أخا مُضَر. ذكر من قال ذلك:

17858ـ حدثنا موسى, قال: حدثنا عمرو, قال: حدثنا أسباط, عن السديّ يا أُخْتَ هارُونَ قال: كانت من بني هارون أخي موسى, وهو كما تقول: يا أخا بني فلان.

وقال آخرون: بل كان ذلك رجلاً منهم فاسقا معلن الفسق, فنسبوها إليه.

قال أبو جعفر: والصواب من القول في ذلك ما جاء به الخبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم الذي ذكرناه, وأنها نسبت إلى رجل من قومها.
وقوله: ما كانَ أبُوكِ امْرأ سَوْءٍ يقول: ما كان أبوك رجل سوء يأتي الفواحش وَما كانَتْ أُمُكِ بَغِيّا يقول: وما كانت أمك زانية, كما:
17859ـ حدثني موسى, قال: حدثنا عمرو, قال: حدثنا أسباط, عن السديّ وَما كانَتْ أُمّكِ بَغِيّا قال: زانية. وقال: وَما كانَتْ أُمّكِ بَغِيّا ولم يقل: بغيّة, لأن ذلك مما يوصف به النساء دون الرجال, فجري مجرى امرأة حائض وطالق, وقد كان بعضهم يشبه ذلك بقولهم: ملحفة جديدة وامرأة قتيل.

الآية : 29

القول في تأويل قوله تعالى:{فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ قَالُواْ كَيْفَ نُكَلِّمُ مَن كَانَ فِي الْمَهْدِ صَبِيّاً }.
يقول تعالى ذكره: فلما قال قومها ذلك لها قالت لهم ما أمرها عيسى بقيله لهم, ثم أشارت لهم إلى عيسى أن كلّموه, كما:
17860ـ حدثنا موسى, قال: حدثنا عمرو, قال: حدثنا أسباط, عن السديّ, قال: لما قالوا لها: ما كانَ أبُوكِ امْرأ سَوْءٍ وَما كانَتْ أُمّكِ بَغِيّا قالت لهم ما أمرها الله به, فلما أرادوها بعد ذلك على الكلام أشارت إليه, إلى عيسى.
17861ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة, قوله: فأشارَتْ إلَيهِ قال: أمرتهم بكلامه.
17862ـ حدثنا ابن حميد, قال: حدثنا سلمة, عن ابن إسحاق, عمن لا يتهم, عن وهب بن منبه فأشارَتْ إلَيهِ يقول: أشارت إليه أن كلّموه.
17863ـ حدثنا القاسم, قال: حدثنا الحسين, قال: ثني حجاج, عن ابن جريج, قوله فأشارَتْ إلَيهِ أن كلّموه.
وقوله: قالُوا كَيْفَ نُكَلّمُ مَنْ كانَ فِي المَهْدِ صَبِيّا يقول تعالى ذكره: قال قومها لها: كيف نكلم من وُجد في المهد؟ وكان في قوله مَنْ كانَ فِي المَهْدِ صَبِيّا معناها التمام, لا التي تقتضي الخبر, وذلك شبيه المعنى بكان التي في قوله هَلْ كُنْتُ إلاّ بَشَرا رَسُولاً وإنما معنى ذلك: هل أنا إلا بشر رسول؟ وهل وجدت أو بعثت وكما قال زهير بن أبي سُلْمَى:
زَجَرْتُ علَيْهِ حُرّةً أرْحَبِيّةًوَقَدْ كانَ لَوْنُ اللّيْلِ مِثْلَ الأرَنْدَجِ
بمعنى: وقد صار أو وُجد. وقيل: إنه عني بالمهد في هذا الموضع: حجر أمه. ذكر من قال ذلك:
17864ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة مَنْ كانَ فِي المَهْدِ صَبِيّا والمهد: الحجر.
قال أبو جعفر: وقد بيّنا معنى المهد فيما مضى بشواهده, فأغنى عن إعادته في هذا الموضع.
القول في تأويل قوله تعالى: {قَالَ إِنّي عَبْدُ اللّهِ آتَانِيَ الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيّاً * وَجَعَلَنِي مُبَارَكاً أَيْنَ مَا كُنتُ وَأَوْصَانِي بِالصّلاَةِ وَالزّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيّاً }.
يقول تعالى ذكره: فلما قال قوم مريم لها كَيْفَ نُكَلّمُ مَنْ كانَ فِي المَهْدِ صَبِيّا وظنوا أن ذلك منها استهزاء بهم, قال عيسى لها متكلما عن أمه: إنّي عَبْدُ اللّهِ آتانِيَ الكِتاب. وكانوا حين أشارت لهم إلى عيسى فيما ذُكر عنهم غضبوا, كما:

17865ـ حدثني موسى, قال: حدثنا عمرو, قال: حدثنا أسباط, عن السديّ, قال: لما أشارت لهم إلى عيسى غضبوا, وقالوا: لسخريتها بنا حين تأمرنا أن نكلم هذا الصبيّ أشدّ علينا من زناها قالُوا كَيْفَ نُكَلِّمُ مَنْ كانَ فِي الـمَهْدِ صَبِيّا.

17866ـ حدثنا ابن حميد, قال: حدثنا سلمة, عن ابن إسحاق, عمن لا يتهم, عن وهب بن منبه قالُوا كَيْفَ نُكَلِّمُ مَنْ كانَ فِي الـمَهْدِ صَبِيّا فأجابهم عيسى عنها فقال لهم إنّي عَبْدُ اللّهِ آتانِيَ الكِتابَ وَجَعَلَنِي نَبِيّا... الآية.

17867ـ حدثني يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: قال ابن زيد, في قوله: قالُوا كَيْفَ نُكَلِّمُ مَنْ كانَ فِي الـمَهْدِ صَبِيّا قال لهم: إنّي عَبْدُ اللّهِ آتانِيَ الكِتابَ وَجَعَلَنِي نَبِيّا فقرأ حتى بلغ ولَمْ يَجْعَلْنِي جَبّارا شَقِيّا فقالوا: إن هذا لأمر عظيم.

17868ـ حُدثت عن الحسين, قال: سمعت أبا معاذ يقول: أخبرنا عبيد بن سليمان, قال: سمعت الضحاك يقول: كَيْفَ نُكَلِّمُ مَنْ كانَ فِي الـمَهْدِ صَبِيّا قال إنّي عَبْدُ اللّهِ لم يتكلم عيسى إلا عند ذلك حين قالُوا كَيْفَ نُكَلِّمُ مَنْ كانَ فِي الـمَهْدِ صَبِيّا.

وقوله: آتانِيَ الكِتابَ يقول القائل: أو آتاه الكتاب والوحي قبل أن يخلق في بطن أمه فإن معني ذلك بخلاف ما يظنّ, وإنما معناه: وقضى يوم قضى أمور خلقه إليّ أن يؤتيني الكتاب, كما:

17869ـ حدثني بشر بن آدم, قال: حدثنا الضحاك, يعني ابن مخلد, عن سفيان, عن سماك, عن عكرمة قالَ آتانِيَ الكِتابَ قال: قضى أن يؤتيني الكتاب فيما مضى.

حدثنا محمد بن بشار, قال: حدثنا أبو عاصم, قال: أخبرنا سفيان, عن سماك, عن عكرمة, في قوله إنّي عَبْدُ اللّهِ آتانِيَ الكِتابَ قال: القضاء.

حدثنا الحسن, قال: أخبرنا عبد الرزّاق, عن إسرائيل, عن سماك, عن عكرمة, في قول الله إنّي عَبْدُ اللّهِ آتانِيَ الكِتابَ قال: قضى أن يؤتيني الكتاب.

وقوله: وَجَعَلَنِي نَبِيّا وقد بيّنت معنى النبيّ واختلاف المختلفين فيه, والصحيح من القول فيه عندنا بشواهده فيما مضى بما أغنى عن إعادته. وكان مجاهد يقول في معنى النبيّ وحده ما:

17870ـ حدثنا به محمد بن عمرو, قال: حدثنا أبو عاصم, قال: حدثنا عيسى وحدثني الحارث, قال: حدثنا الحسن, قال: حدثنا ورقاء, جميعا عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد, قال: النبيّ وحده الذي يكلم وينزل عليه الوحي ولا يرسل.

وقوله وَجَعَلَنِي مُبارَكا اختلف أهل التأويل في معنى ذلك, فقال بعضهم: معناه: وجعلني نفاعا. ذكر من قال ذلك:

17871ـ حدثني سليمان بن عبد الرحمن بن حماد الطلحي, قال: حدثنا العلاء, عن عائشة امرأة ليث, عن ليث, عن مجاهد وَجَعَلَنِي مُبارَكا قال: نفاعا.

وقال آخرون: كانت بركته الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. ذكر من قال ذلك:

17872ـ حدثني سليمان بن عبد الجبار, قال: حدثنا محمد بن يزيد بن خنيس المخزومي, قال: سمعت وُهيب بن ابن الورد مولى بني مخزوم,

قال: لقي عالم عالما لما هو فوقه في العلم, فقال له: يرحمك الله, ما الذي أعلن من علمي, قال: الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر, فإنه دين الله الذي بعث به أنبياءه إلى عباده, وقد اجتمع الفقهاء على قول الله وَجَعَلَنِي مُبارَكا أيْنَما كُنْتُ وقيل: ما بركته؟ قال: الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر أينما كان.

وقال آخرون: معنى ذلك: جعلني معلّم الخير. ذكر من قال ذلك:

17873ـ حدثني يونس بن عبد الأعلى, قال: حدثنا سفيان في قوله وَجَعَلَنِي مُبارَكا أيْنَما كُنْتُ قال: معلما للخير.

17874ـ حدثنا ابن حميد, قال: حدثنا جرير, عن ليث, عن مجاهد, قوله: وَجَعَلَنِي مُبارَكا أيْنَما كُنْتُ قال: معلما للخير حيثما كنت.

وقوله: وأوْصَانِي بالصّلاةِ وَالزّكاةِ يقول: وقضى أن يوصيني بالصلاة والزكاة, يعني المحافظة على حدود الصلاة وإقامتها على ما فرضها علـ يّ. وفـ ي الزكـ اة معنيان: أحدهما: زكـ اة الأموال أن يؤدّيها. والآخر: تطهير الجسد من دنس الذنوب فيكون معناه: وأوصاني بترك الذنوب واجتناب المعاصي.

وقوله: ما دُمْتُ حَيّا يقول: ما كنت حيا في الدنيا موجودا, وهذا يبين عن أن معنى الزكاة في هذا الموضع: تطهير البدن من الذنوب, لأن الذي يوصف به عيسى صلوات الله وسلامه عليه أنه كان لا يدّخر شيئا لغد, فتجب عليه زكاة المال, إلا أن تكون الزكاة التي كانت فرضت عليه الصدقة بكلّ ما فضل عن قوته, فيكون ذلك وجها صحيحا.

الآية : 30 و 31

القول في تأويل قوله تعالى:{فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ قَالُواْ كَيْفَ نُكَلِّمُ مَن كَانَ فِي الْمَهْدِ صَبِيّاً }.

يقول تعالى ذكره: فلما قال قومها ذلك لها قالت لهم ما أمرها عيسى بقيله لهم, ثم أشارت لهم إلى عيسى أن كلّموه, كما:

17860ـ حدثنا موسى, قال: حدثنا عمرو, قال: حدثنا أسباط, عن السديّ, قال: لما قالوا لها: ما كانَ أبُوكِ امْرأ سَوْءٍ وَما كانَتْ أمّكِ بَغِيّا قالت لهم ما أمرها الله به, فلما أرادوها بعد ذلك على الكلام أشارت إليه, إلى عيسى.

17861ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة, قوله: فأشارَتْ إلَيهِ قال: أمرتهم بكلامه.

17862ـ حدثنا ابن حميد, قال: حدثنا سلمة, عن ابن إسحاق, عمن لا يتهم, عن وهب بن منبه فأشارَتْ إلَيهِ يقول: أشارت إليه أن كلّموه.

17863ـ حدثنا القاسم, قال: حدثنا الحسين, قال: ثني حجاج, عن ابن جريج, قوله فأشارَتْ إلَيهِ أن كلّموه.

وقوله: قالُوا كَيْفَ نُكَلّمُ مَنْ كانَ فِي المَهْدِ صَبِيّا يقول تعالى ذكره: قال قومها لها: كيف نكلم من وُجد في المهد؟ وكان في قوله مَنْ كانَ فِي المَهْدِ صَبِيّا معناها التمام, لا التي تقتضي الخبر, وذلك شبيه المعنى بكان التي في قوله هَلْ كُنْتُ إلاّ بَشَرا رَسُولاً وإنما معنى ذلك: هل أنا إلا بشر رسول؟ وهل وجدت أو بعثت وكما قال زهير بن أبي سُلْمَى:

زَجَرْتُ عَلَيْهِ حُرّةً أرْحَبِيّةًوَقَدْ كانَ لَوْنُ اللّيْلِ مِثْلَ الأرَنْدَجِ

بـمعنى: وقد صار أو وُجد. وقـيـل: إنه عنـي بـالـمهد فــي هـذا الــموضع: حجر أمه. ذكر من قال ذلك:

17864ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عـن قتـادة مَـنْ كانَ فِـي الـمَهْدِ صَبِـيّا والـمهد: الـحجر.

قال أبو جعفر: وقد بـيّنا معنى الـمهد فـيـما مضى بشـواهده, فـأغنى عـن إعادته فـي هذا الـموضع.

القول فـي تأويـل قولهِ تعالـى: {قَالَ إِنّي عَبْدُ اللّـهِ آتَـانِيَ الْكِتَـابَ وَجَعَلَنِـي نَبِيّاً * وَجَعَلَنِي مُبَارَكاً أَيْنَ مَا كُنتُ وَأَوْصَانِي بِالصّلاَةِ وَالزّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيّاً }.

يقول تعالـى ذكره: فلـما قال قوم مريـم لها كَيْفَ نُكَلّــمُ مَـنْ كـانَ فِــي الـمَهْدِ صَبِـيّا وظنوا أن ذلك منها استهزاء بهم, قال عيسى لهـا متكلــما عـن أمه: إنّـي عَبْدُ اللّهِ آتانِـيَ الكِتاب. وكانوا حين أشارت لهم إلـى عيسى فـيـما ذُكر عنهم غضبوا, كما:

17865ـ حدثنـي موسى, قال: حدثنا عمـرو, قال: حـدثنا أسبــاط, عن السديّ, قال: لـما أشارت لهم إلـى عيسـى غضـبوا, وقـالوا: لسـخريتها بنـا حين تأمرنا أن نكلـم هذا الصبـيّ أشدّ علـينا من زناها قالُوا كَيْـفَ نُكَلّــمُ مَـنْ كانَ فِـي الـمَهْدِ صَبِـيّا.

17866ـ حدثنا ابن حميد, قال: حدثنا سلـمة, عـن ابـن إسـحاق, عمـن لا يتهم, عن وهب بن منبه قالُوا كَيْفَ نُكَلّـمُ مَنْ كانَ فِـي الـمَهْدِ صَبِـيّا فأجـابهم عيسى عنها فقال لهم إنّـي عَبْدُ اللّهِ آتانِـيَ الكِتابَ وَجَعَلَنِـي نَبِـيّا... الآية.

17867ـ حدثنـي يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: قال ابن زيـد, فــي قوله: قالُوا كَيْفَ نُكَلّـمُ مَنْ كانَ فِـي الـمَهْدِ صَبِـيّا قال لهـم: إنّــي عَبْـدُ اللّــهِ آتانِـيَ الكِتـابَ وَجَعَلَنِــي نَبِــيّا فقـراً حتـى بلـغ ولَــمْ يَجْعَلْنِــي جَبّــارا شَقِــيّا فقالوا: إن هذا لأمر عظيـم.

17868ـ حُدثت عن الـحسين, قال: سمعت أبـا معاذ يقول: أخبرنا عبــيد بن سلـيـمان, قال: سمعت الضحاك يقول: كَيْفَ نُكَلّـمُ مَنْ كانَ فِـي الــمَهْدِ صَبِـيّا قال إنّـي عَبْدُ اللّهِ لـم يتكلـم عيسى إلا عند ذلك حين قالُوا كَيْفَ نُكَلّــمُ مَنْ كانَ فِـي الـمَهْدِ صَبِـيّا.

وقوله: آتانِـيَ الكِتابَ يقول القائل: أو آتاه الكتاب والوحي قبل أن يخـلق فـي بطن أمه فإن معنى ذلـك بخلاف مـا يظـنّ, وإنــما معنـاه: وقضـى يـوم قضى أمور خـلقه إلـيّ أن يؤتـينـي الكتاب, كما:

17869ـ حدثنـي بشر بن آدم, قال: حدثنا الضحاك, يعنـي ابن مخـلد, عن سفـيان, عن سماك, عن عكرمة قالَ آتانِـيَ الكِتابَ قال: قضى أن يؤتـينــي الكتاب فـيـما مضى.

حدثنا مـحمد بن بشار, قال: حدثنا أبو عاصم, قال: أخبرنا سفـيان, عـن سماك, عن عكرمة, فـي قوله إنّـي عَبْدُ اللّهِ آتانِـيَ الكِتابَ قال: القضاء.

حدثنا الـحسن, قال: أخبرنا عبد الرزّاق, عن إسرائيـل, عن سماك, عن عكرمة, فـي قول الله إنّـي عَبْدُ اللّهِ آتانِـيَ الكِتابَ قـال: قضـى أن يؤتـينــي الكتاب.

وقوله: وَجَعَلَنِـي نَبِـيّا وقد بـيّنت معنى النبـيّ واختلاف الـمختلفــين فــيه, والصحيح من القول فـيه عندنا بشواهده فـيـما مضى بـما أغنى عـن إعـادته. وكان مـجاهد يقول فـي معنى النبـيّ وحده ما:

17870ـ حدثنا به محمد بن عمرو, قال: حدثنا أبو عاصم, قال: حدثنا عيسى وحدثني الحارث, قال: حدثنا الحسن, قال: حدثنا ورقاء, جميعا عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد, قال: النبيّ وحده الذي يكلم وينزل عليه الوحي ولا يرسل.

وقوله وَجَعَلَنِي مُبارَكا اختلف أهل التأويل في معنى ذلك, فقال بعضهم: معناه: وجعلني نفاعا. ذكر من قال ذلك:

17871ـ حدثني سليمان بن عبد الرحمن بن حماد الطلحي, قال: حدثنا العلاء, عن عائشة امرأة ليث, عن ليث, عن مجاهد وَجَعَلَنِي مُبارَكا قال: نفاعا.

وقال آخرون: كانت بركته الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. ذكر من قال ذلك:

17872ـ حدثني سليمان بن عبد الجبار, قال: حدثنا محمد بن يزيد بن خنيس المخزومي, قال: سمعت وُهيب بن ابن الورد مولى بني مخزوم, قال: لقي عالم عالما لما هو فوقه في العلم, فقال له: يرحمك الله, ما الذي أعلن من علمي, قال: الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر, فإنه دين الله الذي بعث به أنبياءه إلى عباده, وقد اجتمع الفقهاء على قول الله وَجَعَلَنِي مُبارَكا أيْنَما كُنْتُ وقيل: ما بركته؟ قال: الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر أينما كان.

وقال آخرون: معنى ذلك: جعلني معلّم الخير. ذكر من قال ذلك:

17873ـ حدثني يونس بن عبد الأعلى, قال: حدثنا سفيان في قوله وَجَعَلَنِي مُبارَكا أيْنَما كُنْتُ قال: معلما للخير.

17874ـ حدثنا ابن حميد, قال: حدثنا جرير, عن ليث, عن مجاهد, قوله: وَجَعَلَنِي مُبارَكا أيْنَما كُنْتُ قال: معلما للخير حيثما كنت.

وقوله: وأَوْصَانِي بالصّلاةِ وَالزّكاةِ يقول: وقضى أن يوصيني بالصلاة والزكاة, يعني المحافظة على حدود الصلاة وإقامتها على ما فرضها عليّ. وفي الزكاة معنيان: أحدهما: زكاة الأموال أن يؤدّيها. والآخر: تطهير الجسد من دنس الذنوب فيكون معناه: وأوصاني بترك الذنوب واجتناب المعاصي.

وقوله: ما دُمْتُ حَيّا يقول: ما كنت حيا في الدنيا موجودا, وهذا يبين عن أن معنى الزكاة في هذا الموضع: تطهير البدن من الذنوب, لأن الذي يوصف به عيسى صلوات الله وسلامه عليه أنه كان لا يدّخر شيئا لغد, فتجب عليه زكاة المال, إلا أن تكون الزكاة التي كانت فرضت عليه الصدقة بكلّ ما فضل عن قوته, فيكون ذلك وجها صحيحا.

الآية : 32 و 33

القول في تأويل قوله تعالى: {وَبَرّاً بِوَالِدَتِي وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبّاراً شَقِيّاً * وَالسّلاَمُ عَلَيّ يَوْمَ وُلِدْتّ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيّاً }.

يقول تعالى ذكره: مخبرا عن قيل عيسى للقوم: وجعلني مباركا وبرّا: أي جعلني برّا بوالدتي. والبرّ هو البارّ, يقال: هو برّ بوالده, وبارّ به, وبفتح الباء قرأتْ هذا الحرف قرّاء الأمصار. وروي عن أبي نهيك ما:

17875ـ حدثنا ابن حميد, قال: حدثنا يحيى بن واضح, قال: حدثنا عبد المؤمن, عن أبي نهيك أنه قرأ: وبَرّا بِوَالِدَتي من قول عيسى عليه

السلام, قال أبـو نهيـك: أوصانــي بــالصلاة والزكـاة والـبرّ بــالوالدين, كمـا أوصانـي بذلك.
فكأنّ أبـا نهيك وجه تأويـل الكلام إلـى قـوله وَبَـرّا بِوَالِدَتــي هـو مـن خـبر عيسى, عن وصية الله إياه به, كما أن قوله: وأوْصَانِـي بـالصّلاةِ والزّكاةِ من خبره عن وصية الله إياه بذلك. فعلـى هذا القول يجب أن يكـون نصـب الـبرّ بـمعنى عمل الوصية فـيه, لأن الصلاة والزكـاة وإن كانتـا مخفوضتــين فــي اللفظ, فإنهما بـمعنى النصب من أجل أنه مفعول بهما.
وقوله: ولَـمْ يَجْعَلْنِـي جَبّـارا شَقِـيّا يقول: ولـم يجعلنـي مستكبرا علـى الله فـيـما أمرنـي بـه, ونهانــي عنـه. شقــيا, ولكـن ذللنــي لطـاعته, وجعلنــي متواضعا, كما:
17876ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة, قال: ذكر لنا أنه يعنـي عيسى, كان يقول: سلونـي, فإن قلبـي لـيّن, وإنـي صـغير فـي نفسي مـما أعطاه الله من التواضع.
17877ـ وحدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة وَبَـرّا بِوَالِدَتـي ولَـمْ يَجْعَلْنِـي جَبّـارا شَقِـيّا ذكر لنا أن امرأة رأت ابن مَريــم يحيــي الـموتـى, ويُبرىء الأكمه والأبرص, فـي آيات سلطه اللـه علــيهنّ, وأذن لـه فـيهنّ, فقالت: طوبى للبطن الذي حملك, والثدي الذي أرضـعت بـه, فقـال نبـيّ الله ابن مريـم يجيبها: طوبى لـمن تلا كتاب اللـه, واتبـع مـا فــيه ولَــمْ يَكُنْ جَبّـارا شَقِـيّا.
17878ـ حدثنا القاسم, قال: حدثنا الـحسين, قال: حدثنا مـحمد بن كثـير, عن عبد الله بن واقد أبـي رجاء, عن بعض أهل العلـم, قال: لا تـجد عاقّــا إلا وجدته جبـارا شقـيا, ثم قرأ وَبَرّا بِوَالِدَتـي ولَـمْ يَجْعَلْنِـي جَبّــارا شَقِــيّا قـال: ولا تـجد سيىء الـمِلْكة إلا وجدته مختالاً فخورا, ثم قرأ ومَا مَلَكَـتْ أيــمَانُكُمْ إنّ اللّهَ لا يُحِبّ مَنْ كانَ مُخْتالاً فَخُورا.
وقوله: والسّلامُ عَلـيّ يَوْمَ وُلِدْتُ وَيَوْمَ أمُوتُ ويَوْمَ أُبْعَثُ حَيّا يقول: والأمنة من الله علـيّ من الشيطان وجنده يوم ولدت أن ينالوا منـي ما ينالون مـمن يولد عند الولادة, من الطعن فـيه, ويـوم أمـوت, مـن هـول الــمطلع, ويـوم أبعث حيا يوم القـيامة أن ينالنـي الفزع الذي ينال النـاس بــمعاينتهم أهـوال ذلك الـيوم, كما:
17879ـ حدثنا ابن حميد, قـال: حـدثنا سلــمة, عـن ابـن إسـحاق, عمـن لايتهم, عن وهب بن منبه وَالسّلامُ عَلـيّ يَوْمَ وُلِدْتُ وَيَوْمَ أمُـوتُ وَيَـوْمَ أُبْعَـثُ حَيّا قال: يخبرهم فـي قصة خبره عن نفسه, أنه لا أب له وأنـه سيــموت ثـم يُبعث حيا, يقول الله تبـارك وتعالـى: ذلـكَ عِيسَـى ابْـنُ مَرْيَــمَ قَـوْلَ الــحَقّ الّذِي فِـيهِ يَـمْتَرُونَ.

الآية : 34

القول فـي تأويـل قوله تعالـى: {ذَلِكَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ قَوْلَ الْحَقّ الّذِي فِيهِ يَمْتُرُونَ }.
يقول تعالـى ذكره: هذا الذي بـيّنت لكم صفته, وأخبرتكم خبره, من أمر الغلام الذي حملته مريـم, هو عيسى ابن مريـم, وهذه الصـفة صـفته, وهـذا الـخبر خبره, وهو قَوْلَ الـحَقّ يعنــي أن هـذا الــخبر الـذي قصصـته علــيكم قول الـحقّ, والكلام الذي تلوته علـيكم قول الله وخبره, لا خبر غيره, الــذي

يقع فيه الوهم والشكّ, والزيادة والنقصان, على ما كان يقول الله تعالى ذكره: فقولوا في عيسى أيها الناس, هذا القول الذي أخبركم الله به عنه, لا ما قالته اليهود, الذين زعموا أنه لغير رِشْدَة, وأنه كان ساحرا كذّابا, ولا ما قالته النصارى, من أنه كان لله ولدا, وإن الله لم يتخذ ولدا, ولا ينبغي ذلك له.

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

17880ـ حدثنا القاسم, قال: حدثنا الحسين, قال: ثنى حجاج, عن ابن جريج, عن مجاهد, قوله ذَلِكَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ قَوْلَ الحَقّ قال: الله الحقّ.

17881ـ حدثني يحيى بن إبراهيم المسعوديّ, قال: ثنى أبي, عن أبيه, عن جدّه, عن الأعمش, عن إبراهيم, قال: كانوا يقولون في هذا الحرف في قراءة عبد الله, قال: الّذِي فِيهِ يَمْتَرُونَ, قال: كلمة الله. ولو وُجّه تأويل ذلك إلى: ذلك عيسى بن مريم القول الحقّ, بمعنى ذلك القول الحقّ, ثم حذفت الألف واللام من القول, وأضيف إلى الحقّ, كما قيل: إنّ هَذَا لَهُوَ حَقّ اليَقِينِ. وكما قيل: وَعْدَ الصّدْقِ الّذِي كَانُوا يُوعَدُونَ, كان تأويلاً صحيحا.

وقد اختفلت القرّاء في قراءة ذلك, فقرأته عامّة قرّاء الحجاز والعراق: «قَوْلُ الحَقّ» برفع القول, على ما وصفت من المعنى, وجعلوه في إعرابه تابعا لعيسى, كالنعت له, وليس الأمر في إعرابه عندي على ما قاله الذين زعموا أنه رفع على النعت لعيسى, إلا أن يكون معنى القول الكلمة, على ما ذكرنا عن إبراهيم, من تأويله ذلك كذلك, فيصحّ حينئذٍ أن يكون نعتا لعيسى, وإلا فرفعه عندي بمضمر, وهو هذا قول الحقّ على الابتداء, وذلك أن الخبر قد تناهى عن قصة عيسى وأمه عند قوله ذَلِكَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ ثم ابتدأ الخبر بأن الحقّ فيما فيه تمتري الأمم من أمر عيسى, هو هذا القول, الذي أخبر الله به عنه عباده, دون غيره. وقد قرأ ذلك عاصم بن أبي النّجُود وعبد الله بن عامر بالنصب, وكأنهما أرادا بذلك المصدر: ذلك عيسى ابن مريم قولاً حقا, ثم أدخلت فيه الألف واللام. وأما ما ذُكر عن ابن مسعود من قراءته: «ذَلِكَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَم قالُ الحقّ», فإنه بمعنى قول الحقّ, مثل العاب والعيب, والذام والذيم.

قال أبو جعفر: والصواب من القراءة في ذلك عندنا: الرفع, لإجماع الحجة من القرّاء عليه.

وأما قوله تعالى ذكره: الّذِي فِيهِ يَمْتَرُونَ فإنه يعني: الذي فيه يختصمون ويختلفون, من قولهم: ماريت فلانا: إذا جادلته وخاصمته: وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

17882ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة, قوله ذلكَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ قَوْلَ الحَقّ الّذِي فيهِ يَمْتَرُونَ امَتَرت فيه اليهود والنصارى فأما اليهود فزعموا أنه ساحر كذّاب وأما النصارى فزعموا أنه ابن الله, وثالث ثلاثة, وإله, وكذبوا كلهم, ولكنه عبد الله ورسوله, وكلمته وروحه.

17883ـ حدثنا القاسم, قال: حدثنا الحسين, قال: ثني حجاج, عن ابن جريج, قوله: الّذِي فيهِ يَمْتَرُونَ قال: اختلفوا, فقالت فرقة: هو عبد الله ونبيه, فآمنوا به. وقالت فرقة: بل هو الله. وقالت فرقة: هو ابن الله.

تبارك وتعالى عما يقولون علوّا كبيرا. قال: فذلك قوله: فاخْتَلَفَ ٱلأحْزَابُ مِنْ بَيْنِهِمْ والتي في الزخرف. قال دِقْيوس ونسطور ومار يعقوب, قال أحدهم حين رفع الله عيسى: هو الله, وقال الآخر: ابن الله, وقال الآخر: كلمة الله وعبده, فقال المفتريان: إن قولي هو أشبه بقولك, وقولك بقولي من قول هذا, فهلمّ فلنقاتلهم, فقاتلوهم وأوطؤوهم إسرائيل, فأخرجوا منهم أربعة نفر, أخرج كلّ قوم عالمهم, فامتروا في عيسى حين رُفع, فقال أحدهم: هو الله هبط إلى الأرض وأحيا من أحيا, وأمات من أمات, ثم صعد إلى السماء, وهم اليعقوبية, فقال الثلاثة: كذبت, ثم قال اثنان منهم للثالث, قل أنت فيه, قال: هو ابن الله, وهم النسطورية, فقال الاثنان: كذبت, ثم قال أحد الاثنين للآخر: قل فيه, قال: هو ثالث ثلاثة: الله إله, وهو إله, وأمه إله, وهم الإسرائيلية ملوك النصارى قال الرابع: كذبت, هو عبد الله ورسوله وروحه وكلمته, وهم المسلمون, فكان لكل رجل منهم أتباع على ما قال, فاقتتلوا, فظهر على المسلمين, وذلك قول الله: وَيَقْتُلُونَ الَّذِينَ يأْمُرُونَ بالقِسْطِ مِنَ النّاسِ قال قتادة: هم الذين قال الله: فاخْتَلَفَ الأحْزَابُ اختلفوا فيه فصاروا أحزابا.

الآية : 35 و 36

القول في تأويل قوله تعالى.

{مَا كَانَ للَّهِ أَن يَتّخِذَ مِن وَلَدٍ سُبْحَانَهُ إِذَا قَضَىَ أَمْراً فَإِنّمَا يَقُولُ لَهُ كُن فَيَكُونُ * وَإِنّ اللَّهَ رَبّي وَرَبّكُمْ فَاعْبُدُوهُ هَـَذَا صِرَاطٌ مّسْتَقِيمٌ }.

يقول تعالى ذكره: لقد كفرت الذين قالوا: إن عيسى ابن الله, وأعظموا الفِرْية عليه, فما ينبغي لله أن يتخذ ولدا, ولا يصلح ذلك له ولا يكون, بل كلّ شيء دونه فخلقه, وذلك نظير قول عمرو بن أحمر:

في رأسِ خَلْقاءَ مِنْ عَنْقاءَ مُشْرِفَةٍلا يُبْتَغَى دُوَنها سَهْلٌ وَلا جَبَلُ

وأن من قوله أنْ يَتّخِذَ في موضع رفع بكان. وقوله: سُبْحانَهُ يقول: تنزيها لله وتبرئة له أن يكون له ما أضاف إليه الكافرون القائلون: عيسى ابن الله. وقوله: إذَا قَضَى أمْرا فإنّمَا يَقُول لَهُ كُنْ فَيَكُونُ يقول جل ثناؤه: إنما ابتدأ الله خلق عيسى ابتداء, وأنشأه إنشاء, من غير فحل افتحل أمه, ولكنه قال له: كُنْ فَيَكُونُ لأنه كذلك يبتدع الأشياء ويخترعها, إنما يقول, إذا قضى خلق شيء أو إنشاءه: كن فيكون موجودا حادثا, لا يعظم عليه خلقه, لأنه لا يخلقه بمعاناة وكلفة, ولا ينشئه بمعالجة وشدّة.

وقوله: وَإنّ اللّهَ رَبّي وَرَبّكُمْ فاعْبُدُوهُ اختلف القرّاء في قراءة ذلك, فقرأته عامّة قرّاء أهل المدينة والبصرة: «وأنّ اللّهَ رَبّي وَرَبكُمْ» واختلف أهل العربية في وجه فتح «أن» إذا فتحت, فقال بعض نحوّيي الكوفة: فُتحت ردّا على عيسى وعطفا عليه, بمعنى: ذلك عيسى ابن مريم, وذلك أن الله ربي وربكم. وإذا كان ذلك كذلك كانت أن رفعا, وتكون بتأويل خفض, كما قال: ذَلِكَ أَنْ لَمْ يَكُنْ رَبّكَ مُهْلِكَ القُرَى بِظُلْمٍ قال: ولو فتحت على قوله: وأوْصَانِي بأن الله, كان وجها. وكان بعض البصريين يقول: وذُكر ذلك أيضا عن أبي عمرو بن العلاء, وكان ممن يقرؤه بالفتح إنما فتحت أن بتأويل وَقَضَى أن الله ربي وربّكم. وكانت عامة قرّاء الكوفيين يقرؤونه: وَإنّ اللّهَ بكسر إن بمعنى النسق على قوله: فإنّما يَقُولُ لَهُ. وذُكر عن أبيّ بن كعب أنه كان يقرؤه: «فإنّما يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ إنّ اللّهَ رَبّي وَرَبّكُمْ» بغير واو.

قال أبو جعفر: والقراءة التي نختار في ذلك: الكسر على الابتداء. وإذا قرىء كذلك لم يكن لها موضع, وقد يجوز أنّ يكون عطفا على «إنّ» التي مع قوله قالَ إنّي عَبْدُ اللّهِ آتانِيَ الكِتابَ وَإنّ اللّهَ رَبّي وَرَبّكُمْ ولو قال قائل, ممن قرأ ذلك نصبا: نصب على العطف على الكتاب, بمعنى: آتاني الكتاب, وآتاني أن الله ربي وربّكم, كان وجها حسنا. ومعنى الكلام: وإني وأنتم أيها القوم جميعا الله عبيد, فإياه فاعبدوا دون غيره. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

17884ـ حدثنا ابن حميد, قال: حدثنا سلمة, عن ابن إسحاق, عمن لايتهم, عن وهب بن منبه, قال: عهد إليهم حين أخبرهم عن نفسه ومولده وموته وبعثه إنّ اللّهَ رَبّي وَرَبّكُمْ فاعْبُدُوهُ هذَا صِراطٌ مُسْتَقِيمٌ أي إني وإياكم عبيد الله, فاعبدوه ولا تعبدوا غيره.

وقوله: هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ يقول: هذا الذي أوصيتكم به, وأخبرتكم أن الله أمرني به هو الطريق المستقيم, الذي من سلكه نجا, ومن ركبه اهتدى, لأنه دين الله الذي أمر به أنبياءه.

الآية : 37

القول في تأويل قوله تعالى: {فَاخْتَلَفَ الأحْزَابُ مِن بَيْنِهِمْ فَوَيْلٌ لّلّذِينَ كَفَرُواْ مِن مّشْهِدِ يَوْمٍ عَظِيمٍ }.

يقول تعالى ذكره: فاختلف المختلفون في عيسى, فصاروا أحزابا متفرّقين من بين قومه, كما:

17885ـ حدثني محمد بن عمرو, قال: حدثنا أبو عاصم, قال: حدثنا عيسى وحدثني الحارث, قال: ثني الحسن, قال: حدثنا ورقاء, جميعا عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد, قوله: فاخْتَلَفَ الأحْزَابُ مِنْ بَيْنِهِمْ قال: أهل الكتاب.

حدثنا القاسم, قال: حدثنا الحسين, قال: ثني حجاج, عن ابن جريج, عن مجاهد, مثله.

17886ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة, قوله: فاخْتَلَفَ الأحْزَابُ مِنْ بَيْنِهِمْ ذُكر لنا أن لما رُفع ابن مريم, انتخبت بنو إسرائيل أربعة من فقهائهم, فقالوا للأوّل: ما تقول في عيسى؟ قال: هو الله هبط إلى الأرض, فخلق ما خلق, وأحيا ما أحيا, ثم صَعِد إلى السماء, فتابعه على ذلك ناس من الناس, فكانت اليعقوبية من النصارى وقال الثلاثة الآخرون: نشهد أنك كاذب, فقالوا للثاني: ما تقول في عيسى؟ قال: هو ابن الله, فتابعه على ذلك ناس من الناس, فكانت النّسطورية من النصارى وقال الاثنان الآخران: نشهد أنك كاذب, فقالوا للثالث: ما تقول في عيسى؟ قال: هو إله, وأمه إله, والله إله, فتابعه على ذلك ناس من الناس, فكانت الإسرائيلية من النصارى, فقال الرابع: أشهد أنك كاذب, ولكنه عبد الله ورسوله, هو كلمة الله وروحه فاختصم القوم, فقال المرء المسلم: أنشُدكم الله ما تعلمون أن عيسى كان يَطعم الطعام, وأن الله تبارك وتعالى: لا يطعم الطعام قالوا: اللهمّ نعم, قال: هل تعلمون أن عيسى كان ينام؟ قالوا: اللهمّ نعم, قال فخصمهم المسلم قال: فاقتتل القوم. قال: فذُكر لنا أن اليعقوبية ظهرت يومئذٍ وأصيب المسلمون,

فأنزل الله في ذلك القرآن: إنّ الّذِينَ يَكْفُرُونَ بآياتِ الله وَيَقْتُلُونَ النّبِيّينَ بغَيْرِ حَقّ وَيَقْتُلُونَ الّذِينَ يَأْمُرُونَ بِالقِسْطِ مِنَ النّاسِ فَبَشّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ.
حدثنا الحسن, قال: أخبرنا إسحاق, قال: أخبرنا عبد الرزاق, قال: أخبرنا معمر, عن قتادة فاخْتَلَفَ الأَحْزَابُ مِنْ بَيْنِهِمْ اختلفوا فيه فصاروا أحزابا..
وقوله: فَوَيْلٌ للّذِينَ كَفَرُوا مِنْ مَشْهَدِ يَوْمٍ عَظِيمٍ يقول: فوادي جهنم الذي يدعي ويلاً للذين كفروا بالله, من الزاعمين أن عيسى لله ولد, وغيرهم من أهل الكفر به من شهودهم يوما عظيما شأنه, وذلك يوم القيامة. وكان قتادة يقول في تأويل ذلك ما:

17887ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة, قال الله: فَوَيْلٌ للّذِينَ كَفَرُوا مِنْ مَشْهَدِ يَوْمٍ عَظِيمٍ شهدوا هولاً إذا عظيما.

الآية : 38

القول في تأويل قوله تعالى {أَسْمِعْ بِهِمْ وَأَبْصِرْ يَوْمَ يَأْتُونَنَا لَكِنِ الظّالِمُونَ الْيَوْمَ فِي ضَلاَلٍ مّبِينٍ }.
يقول تعالى ذكره مخبرا عن حال الكافرين به, الجاعلين له أندادا, والزاعمين أن له ولدا يوم ورودهم عليه في الآخرة: لئن كانوا في الدنيا عميا عن إبصار الحقّ, والنظر إلى حجج الله التي تدلّ على وحدانيته, صما عن سماع آي كتابه, وما دعتهم إليه رسل الله فيها من الإقرار بتوحيده, وما بعث به أنبياءه, فما أسمعهم يوم قدومهم على ربهم في الآخرة, وأبصرهم يومئذٍ حين لا ينفعهم الإبصار والسماع. وبنحو الذي قلنا في ذلك, قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:
17888ـ حدثنا بشر: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة, قوله: أَسْمِعْ بِهِمْ وأَبْصِرْ ذاك والله يوم القيامة, سمعوا حين لا ينفعهم السمع, وأبصروا حين لا ينفعهم البصر.
17889ـ حدثنا الحسن, قال أخبرنا عبد الرّزاق, قال: أخبرنا معمر, عن قتادة, في قوله أسمِعْ بِهِمْ وأبْصرْ قال: أسمعُ قوم وأبصرُهُم.
حدثنا القاسم, قال: حدثنا الحسين, قال: حدثنا أبو سفيان, عن معمر, عن قتادة, قال أسمِعْ بِهِمْ وأبْصِرْ يَوْمَ يأْتُوننا يوم القيامة.
17890ـ حدثنا القاسم, قال: حدثنا الحسن, قال: ثني حجاج, عن أبي جعفر, عن الربيع بن أنس,عن أبي العالية, قال: أسمِعْ بحديثهم اليوم وأبْصِرْ كيف يصنع بهم يَوْمَ يأْتُونَنا 17891ـ حدثني يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: قال ابن زيد, في قوله: أسمِعْ بِهِمْ وأبْصِرْ يَوْمَ يأْتُونَنا قال: هذا يوم القيامة, فأما الدنيا فلا, كانت على أبصارهم غشاوة, وفي آذانهم وقر في الدنيا فلما كان يوم القيامة أبصروا وسمعوا فلم ينتفعوا, وقرأ: رَبّنا أبْصَرْنا وسَمِعْنا فارْجِعْنا نَعْمَلَ صَالِحا إنا مُوقِنُونَ.
وقوله: لَكِنِ الظّالِمُونَ اليَوْمَ فِي ضَلالٍ مُبِينٍ يقول تعالى ذكره: لكن الكافرون الذين أضافوا إليه ما ليس من صفته, وافتروا عليه الكذب اليوم في الدنيا, في ضلال مبين يقول: في ذهاب عن سبيل الحقّ, وأخذ على غير استقامة, مبين أنه جائر عن طريق الرشد والهدى, لمن تأمله وفكّر فيه, فهُدِي لرشده.

الآية : 39

القول في تأويل قوله تعالى:

{وَأَنْذِرْهُمْ يَوْمَ الْحَسْرَةِ إِذْ قُضِيَ الأمْرُ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ وَهُمْ لاَ يُؤْمِنُونَ }.

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم: وأنذر يا محمد هؤلاء المشركين بالله يوم حسرتهم وندمهم, على ما فرّطوا في جنب الله, وأورثت مساكنهم من الجنة أهل الإيمان بالله والطاعة له, وأدخلوهم مساكن أهل الإيمان بالله من النار, وأيقن الفريقان بالخلود الدائم, والحياة التي لا موت بعدها, فيا لها حسرةً وندامة. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

17892ـ حدثنا محمد بن بشار, قال: حدثنا عبد الرحمن بن مهديّ, قال: حدثنا سفيان, عن سَلَمة بن كُهَيل, قال: حدثنا أبو الزعراء, عن عبد الله في قصة ذكرها, قال: ما من نفس إلا وهي تنظر إلى بيت في الجنة, وبيت في النار, وهو يوم الحسرة, فيرى أهل النار البيت الذي كان قد أعدّه الله لهم لو آمنوا, فيقال لهم: لو آمنتم وعملتم صالحا كان لكم هذا الذي ترونه في الجنة, فتأخذهم الحسرة, ويرى أهل الجنة البيت الذي في النار, فيقال: لولا أن مَنّ الله عليكم.

17893ـ حدثنا أبو السائب, قال: حدثنا معاوية, عن الأعمش, عن أبي صالح, عن أبي سعيد, قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «يُجاءُ بالمَوْتِ يَوْمَ القِيامَةِ فَيُوقَفُ بينَ الجَنّةِ والنّارِ كأنّه كَبْشٌ أمْلَحُ» قال: «فَيُقالُ: يا أهْلَ الجَنّةِ هَلْ تَعْرِفُونَ هَذَا؟ فَيَشْرِئَبّونَ وَيَنْظُرُونَ, فَيَقُولُونَ: نَعَمْ, هَذَا المَوْتُ, فَيُقالُ: يا أهْلَ النّارِ هَلْ تَعْرِفُونَ هَذَا؟ فَيَشْرَئبّونَ وَيَنْظُرُونَ, فَيَقُولُونَ: نَعَمْ هَذَا المَوْتُ, ثُمّ يُؤْمَرُ بِهِ فَيُذْبَحُ» قال: «فَيَقُولُ: يا أهْلَ الجَنّةِ خُلُودٌ فَلا مَوْت, وَيا أهْلَ النّارِ خُلُودٌ فَلا مَوْت» قال: ثم قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم: وأنْذِرْهُمْ يَوْمَ الحَسْرَةِ إذْ قُضِيَ الأمْرُ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ وَهُمْ لا يُؤْمِنُونَ وأشار بيده في الدنيا.

17894ـ حدثني عبيد بن أسباط بن محمد, قال: حدثنا أبي, عن الأعمش, عن أبي صالح, عن أبي هريرة, عن النبيّ صلى الله عليه وسلم في هذه الآية وأنْذِرْهُمْ يَوْمَ الحَسْرَةِ قال: «يُنادَى: يا أهْلَ الجَنّةِ, فَيَشْرَئِبّونَ, فَيَنْظُرونَ, ثُمّ يُنادَى: يا أهْلَ النّارِ فَيَشْرَئِبّونَ فَيَنْظُرونَ, فَيُقالُ: هَلْ تَعْرِفُونَ المَوْتَ؟ قال: فَيَقُولُونَ: لاَ, قال: فَيُجاءُ بالمَوْتِ في صُورَةِ كَبْشٍ أمْلَحَ, فيُقال: هَذَا المَوْتُ, ثُمّ يُؤْخَذُ فَيُذْبَحُ, قالَ: ثُمّ يُنادِي يا أهْلَ النّارِ خُلُودٌ فَلا مَوْتَ, وَيا أهْلَ الجَنّةِ خُلُودٌ فَلا مَوْت», قال: ثم قرأ وأنْذِرْهُمْ يَوْمَ الحَسْرَةِ إذْ قُضِيَ الأمْرُ.

17895ـ حدثنا القاسم, قال: حدثنا الحسين, قال: ثني حجاج, عن ابن جريج, قال: قال ابن عباس, في قوله: وأنْذِرْهُمْ يَوْمَ الحَسْرَةِ قال: يصوّر الله الموت في صورة كبش أملح, فيذبح, قال: فييأس أهل النار من الموت, فلا يرجونه, فتأخذهم الحسرة من أجل الخلود في النار, وفيها أيضا الفزع الأكبر, ويأمن أهل الجنة الموت, فلا يخشونه, وأمنوا الموت, وهو الفزع الأكبر, لأنهم يخلدون في الجنة, قال ابن جريج: يحشر أهل النار حين يذبح الموت والفريقان ينظرون, فذلك قوله: إذْ قُضِيَ الأمْرُ قال: ذبح الموت وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ.

17896ـ حدثنا القاسم, قال: حدثنا الحسين, قال ثني حجاج, عن ابن جريج, عن أبيه أنه أخبره أنه سمع عبيد بن عمير في قصصه يقول: يؤتَى بالموت كأنه دابة, فيذبح والناس ينظرون.

17897ـ حدثني يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: قال ابن زيد, في قوله: وأَنْذِرْهُمْ يَوْمَ الحَسْرَةِ قال: يوم القيامة, وقرأ أَنْ تَقُولَ نَفْسٌ يا حَسْرَتا عَلى ما فَرّطْتُ فِي جَنْبِ اللّهِ.
17898ـ حدثني عليّ, قال: حدثنا عبد الله, قال: ثني معاوية, عن عليّ, عن ابن عباس, قوله وأَنْذِرْهُمْ يَوْمَ الحَسْرَةِ من أسماء يوم القيامة, عظّمه الله, وحذّره عبادَه.
وقوله: إذْ قُضِيَ الأمْرُ يقول: إذ فُرِغ من الحكم لأهل النار بالخلود فيها, ولأهل الجنة بمقام الأبد فيها, بذبح الموت. وقوله: وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ يقول: وهؤلاء المشركون في غفلة عما الله فاعل بهم يوم يأتونه خارجين إليه من قبورهم, من تخليده إياهم في جهنم, وتوريثه مساكنهم من الجنة غيرهم وَهُمْ لا يُؤْمِنُونَ يقول تعالى ذكره: وهم لا يصدّقون بالقيامة والبعث, ومجازاة الله إياهم على سيىء أعمالهم, بما أخبر أنه مجازيهم به.

الآية : 40

القول في تأويل قوله تعالى: {إِنّا نَحْنُ نَرِثُ الأرْضَ وَمَنْ عَلَيْهَا وَإِلَيْنَا يُرْجَعُونَ }.
يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم: لا يحزنك تكذيب هؤلاء المشركين يا محمد فيما أتيتهم به من الحقّ, فإن إلينا مرجعهم ومصيرهم ومصير جميع الخلق غيرهم, ونحن وارثو الأرض ومن عليها من الناس, بفنائهم منها, وبقائها لا مالك لها غيرنا, ثم علينا جزاء كلّ عامل منهم بعمله, عند مرجعه إلينا, المحسن منهم بإحسانه, والمسيء بإساءته.

الآية : 41 و 42

القول في تأويل قوله تعالى: {وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِبْرَاهِيمَ إِنّهُ كَانَ صِدّيقاً نّبِيّاً * إِذْ قَالَ لأَبِيهِ يَأَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لاَ يَسْمَعُ وَلاَ يَبْصِرُ وَلاَ يُغْنِي عَنكَ شَيْئاً }.
يقول تعالى ذكره لنبيه: وَاذْكُرْ يا محمد في كتاب الله إِبْرَاهِيمَ خليل الرحمن, فاقصص على هؤلاء المشركين قصصه وقصص أبيه, إنّه كَانَ صِدّيقا يقول: كان من أهل الصدق في حديثه وأخباره ومواعيده لا يكذب, والصدّيق هو الفعيل من الصدق. وقد بيّنا ذلك فيما مضى, بما أغنى عن إعادته في هذا الموضع. نَبِيّا يقول: كان الله قد نبأه وأوحى إليه.
وقوله: إذْ قالَ لأبِيهِ يقول: اذكره حين قال لأبيه يا أَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ ما لا يَسْمَعُ يقول: ما تصنع بعبادة الوَثَن الذي لا يسمع وَلا يُبْصرُ شيئا وَلا يُغْنِي عَنْكَ شَيْئا يقول: ولا يدفع عنك ضرّ شيء, إنما هو صورة مصوّرة لا تضرّ ولا تنفع. يقول ما تصنع بعبادة ما هذه صفته؟ اعبد الذي إذا دعوته سمع دعاءك, وإذا أحيط بك أبصرك فنصرك, وإذا نزل بك ضرّ دفع عنك.
واختلف أهل العربية في وجه دخول الهاء في قوله يا أَبَتِ فكان بعض نحوّيي أهل البصرة يقول: إذا وقفت عليها قلت: يا أبه, وهي هاء زيدت نحو قولك: يا أمه, ثم يقال: يا أم إذا وصل, ولكنه لما كان الأب على حرفين, كان كأنه قد أخلّ به, فصارت الهاء لازمة, وصارت الياء كأنها بعدها, فلذلك قالوا: يا أبة أقبل, وجعل التاء للتأنيث, ويجوز الترخيم من يا أب أقبل, لأنه يجوز أن تدعو ما تضيفه إلى نفسك في المعنى مضموما, نحو قول العرب: يا ربّ اغفر لي, وتقف في القرآن: يا أبه في الكتاب.

وقد يقف بعض العرب على الهاء بالتاء. وقال بعض نحوّيي الكوفة: الهاء مع أبة وأمة هاء وقف, كثرت في كلامهم حتى صارت كهاء التأنيث, وأدخلوا عليها الإضافة, فمن طلب الإضافة, فهي بالتاء لا غير, لأنك تطلب بعدها الياء, ولا تكون الهاء حينئذٍ إلا تاء, كقولك: يا أبت لا غير, ومن قال: يا أبه, فهو الذي يقف بالهاء, لأنه لا يطلب بعدها ياء ومن قال: يا أبتا, فإنه يقف عليها بالتاء, ويجوز بالهاء فأما بالتاء, فلطلب ألف الندبة, فصارت الهاء تاء لذلك, والوقف بالهاء بعيد, إلا فيمن قال: «يا أميمةَ ناصِبِ» فجعل هذه الفتحة من فتحة الترخيم, وكأن هذا طرف الاسم, قال: وهذا يعيد.

الآية : 43

القول في تأويل قوله تعالى: {يَأَبَتِ إِنّي قَدْ جَآءَنِي مِنَ الْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ فَاتّبِعْنِيَ أَهْدِكَ صِرَاطاً سَوِيّاً }.

يقول تعالى ذكره: قال إبراهيم لأبيه: يا أبت إني قد آتاني الله من العلم ما لم يؤتك فاتبعني: يقول: فاقبل مني نصيحتي أَهْدِكَ صِرَاطا سَوِيّا يقول: أبصرك هدى الطريق المستوى الذي لا تضلّ فيه إن لزمته, وهو دين الله الذي لا اعوجاج فيه.

الآية : 44

القول في تأويل قوله تعالى: {يَأَبَتِ لاَ تَعْبُدِ الشّيْطَانَ إِنّ الشّيْطَانَ كَانَ لِلرّحْمَنِ عَصِيّاً }.

يقول تعالى ذكره: يا أبت لا تعبد الشيطان إن الشيطان كان لله عاصيا. والعصيّ هو ذو العصيان, كما العليم ذو العلم. وقد قال قوم من أهل العربية: العصيّ: هو العاصي, والعليم هو العالم, والعريف هو العارف, واستشهدوا لقولهم ذلك, بقول طريف بن تميم العنبريّ.

أوَ كُلّما وَرَدَتْ عُكاظَ قَبِيلَةٌ بَعَثُوا إليّ عَرِيفَهُمْ يَتَوَسّمُ

وقالوا: قال عريفهم وهو يريد: عارفهم, والله أعلم.

الآية : 45

القول في تأويل قوله تعالى: {يَأَبَتِ إِنّيَ أَخَافُ أَن يَمَسّكَ عَذَابٌ مّنَ الرّحْمَنِ فَتَكُونَ لِلشّيْطَانِ وَلِيّاً }.

يقول: يا أبت إني أعلم أنك إن متّ على عبادة الشيطان أنه يمسك عذاب من عذاب الله فَتَكُونَ لِلشيّطْانِ وَلِيّا يقول: تكون له وليا دون الله ويتبرأ الله منك, فتهلك, والخوف في هذا الموضع بمعنى العلم, كما الخشية بمعنى العلم, في قوله: فَخَشِينا أنْ يُرْهِقَهُما طُغْيانا وَكُفْرا.

الآية : 46

القول في تأويل قوله تعالى: {قَالَ أَرَاغِبٌ أَنتَ عَنْ آلِهَتِي يَإِبْرَاهِيمُ لَئِن لّمْ تَنتَهِ لأرْجُمَنّكَ وَاهْجُرْنِي مَلِيّاً }.

يقول تعالى ذكره: قال أبو إبراهيم لإبراهيم, حين دعاه إبراهيم إلى عبادة الله وترك عبادة الشيطان, والبراءة من الأوثان والأصنام: أَرَاغِبٌ أنْتَ يا إبراهيم عن عبادة آلهتي؟ لَئِن أنت لَمْ تَنْتَهِ عن ذكرها بسوء لأَرْجُمَنّكَ يقول: لأرجمنك بالكلام, وذلك السبّ, والقول القبيح. وبنحو ما قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

17899ـ حدثنا موسى, قال: حدثنا عمرو, قال: حدثنا أسباط, عن السديّ قال أَرَاغِبٌ أَنْتَ عَنْ آلِهَتِي يا إبْرَاهِيمُ لَئِنْ لَمْ تَنْتَهِ لأَرْجُمَنّكَ بالشتيمة والقول.
17900ـ حدثنا القاسم, قال: حدثنا الحسين, قال: ثني حجاج, قال: قال ابن جريج, في قوله: لَئِنَ لَمْ تَنْتَهِ لأَرْجُمَنّكَ قال: بالقول لأشتمنك.
17901ـ حُدثت عن الحسين, قال: سمعت أبا معاذ, يقول: أخبرنا عبيد بن سليمان, قال: سمعت الضحاك يقول في قوله: لأَرْجُمَنّكَ يعني: رجْم القول.
وأما قوله: وَاهْجُرْنِي مَلِيّا فإن أهل التأويل اختلفوا في تأويله, فقال بعضهم: معنى ذلك: واهجرني حينا طويلاً ودهرا. ووجّهوا معنى المليّ إلى المُلاوة من الزمان, وهو الطويل منه. ذكر من قال ذلك:
17902ـ حدثنا محمد بن بشار, قال: حدثنا عبد الرحمن, قال: حدثنا أبو داود, قال: حدثنا محمد بن أبي الوضاح, عن عبد الكريم, عن مجاهد, في قوله: وَاهجُرْنِي مَلِيّا قال: دهرا.
حدثني محمد بن عمرو, قال: حدثنا أبو عاصم, قال: حدثنا عيسى وحدثني الحارث, قال: حدثنا الحسن, قال: حدثنا ورقاء جميعا, عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد, قوله مَلِيّا قال حينا.
حدثنا القاسم, قال: حدثنا الحسين, قال: ثني حجاج, عن ابن جريج, عن مجاهد, مثله.
17903ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة, عن الحسن وَاهْجُرْنِي مَلِيّا قال: طويلاً.
حدثنا الحسن بن يحيى, قال: أخبرنا عبد الرزاق, قال: أخبرنا معمر, عن الحسن, في قوله وَاهْجُرْنِي مَلِيّا قال: زمانا طويلاً.
17904ـ حدثنا ابن حميد, قال: حدثنا سَلَمة, عن ابن إسحاق وَاهْجُرْنِي مَلِيّا يقزل: دهرا, والدهر: المليّ.
17905ـ حدثنا ابن بشار, قال: حدثنا عبد الرحمن, قال: حدثنا إسرائيل, عن أبي حصين, عن سعيد بن جبير وَاهْجُرْنِي مَلِيّا قال دهرا.
17906ـ حدثنا موسى, قال: حدثنا عمرو, حدثنا أسباط, عن السديّ وَاهْجُرْنِي مَلِيّا قال: أبدا. وقال آخرون: بل معنى ذلك: واهجرني سَوِيّا سالما من عقوبتي إياك, ووجّهوا معنى المليّ إلى قول الناس: فلان مليّ بهذا الأمر: إذا كان مضطلعا به غنيا فيه. وكأن معنى الكلام كان عندهم: واهجرني وعرضُك وافر من عقوبتي, وجسمك معافى من أذاي. ذكر من قال ذلك:
17907ـ حدثني عليّ بن داود, قال: حدثنا عبد الله بن صالح, قال: ثني معاوية بن صالح, عن عليّ بن أبي طلحة, عن ابن عباس وَاهْجُرْنِي مَلِيّا يقول: اجتنبني سَوِيّا.
حدثني محمد بن سعد, قال: ثني أبي, قال: ثني عمي, قال: ثني أبي, عن أبيه, عن ابن عباس, قوله:وَاهْجُرْنِي مَلِيّا قال: اجتنبني سالما قبل أن يصيبك مني عقوبة.
17908ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة, قوله: وَاهْجُرْنِي مَليّا قال: سالما.

حدثنا الحسن, قال: أخبرنا عبد الرزاق, قال: أخبرنا معمر, عن قتادة, مثله.

17909ـ حدثنا ابن بشار, قال: حدثنا يحيى بن كثير بن درهم أبو غسان, قال: حدثنا قرة بن خالد, عن عطية الجدلي وَاهْجُرْنِي مَلِيّا قال: سالما.

17910ـ حُدثت عن الحسين, قال: سمعت أبا معاذ يقول: أخبرنا عبيد, قال: سمعت الضحاك يقول في قوله وَاهْجُرْنِي مَلِيّا: اجتنبني سالما لا يصيبك مني معرّة.

قال أبو جعفر: وأولى القولين بتأويل الآية عندي قول من قال: معنى ذلك: واهجرني سويا, سِلما من عقوبتي, لأنه عقيب قوله: لَئِنْ لَمْ تَنْتَهِ لأَرْجُمَنّكَ وذلك وعيد منه له إن لم ينته عن ذكر آلهته بالسوء أن يرجمه بالقول السيىء, والذي هو أولى بأن يتبع ذلك التقدّم إليه بالانتهاء عنه قبل أن تناله العقوبة, فأما الأمر بطول هجره فلا وجه له.

الآية : 47 و 48

القول في تأويل قوله تعالى: {قَالَ سَلاَمٌ عَلَيْكَ سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبّيَ إِنّهُ كَانَ بِي حَفِيّاً * وَأَعْتَزِلُكُمْ وَمَا تَدْعُونَ مِن دُونِ اللّهِ وَأَدْعُو رَبّي عَسَىَ أَلاّ أَكُونَ بِدُعَآءِ رَبّي شَقِيّاً }.

يقول تعالى ذكره: قال إبراهيم لأبيه حين توعّده على نصيحته إياه ودعائه إلى الله بالقول السيىء والعقوبة: سلام عليك يا أبت, يقول: أمنة مني لك أن أعاودك فيما كرهت, ولدعائك إليّ ما توعدتني عليه بالعقوبة, ولكني سأسْتَغْفِرُ لَكَ رَبّي يقول: ولكني سأسأل ربي أن يستر عليك ذنوبك بعفوه إياك عن عقوبتك عليها إنّهُ كانَ بِي حَفِيّا يقول: إن ربي عهدته بي لطيفا يجيب دعائي إذا دعوته يقال منه: تحفى بي فلان. وقد بيّنت ذلك بشواهده فيما مضى, بما أغنى عن إعادته هاهنا. وبنحو ما قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

17911ـ حدثني عليّ, قال: حدثنا عبد الله, قال: ثني معاوية, عن عليّ, عن ابن عباس, قوله: إنّهُ كانَ بِي حَفيّا يقول: لطيفا.

17912ـ حدثني يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: قال ابن زيد, في قوله: إنّهُ كانَ بِي حَفِيّا قال: إنه كان بي لطيفا, فإن الحفيّ: اللطيف.

وقوله: وأعْتَزِلُكُمْ وَما تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللّهِ يقول: وأجتنبكم وما تدعون من دون الله من الأوثان والأصنام وأدْعُو رَبّي يقول: وأدعو ربي, بإخلاص العبادة له, وإفراده بالربوبية عَسَى أنْ لا أكُونَ بِدُعاءِ رَبّي شَقِيّا يقول: عسى أن لا أشقى بدعاء ربي, ولكن يجيب دعائي, ويعطيني ما أسأله.

الآية : 49 و 50

القول في تأويل قوله تعالى: {فَلَمّا اعْتَزَلَهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللّهِ وَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَكُلاّ جَعَلْنَا نَبِيّاً * وَوَهَبْنَا لَهُمْ مّن رّحْمَتِنَا وَجَعَلْنَا لَهُمْ لِسَانَ صِدْقٍ عَلِيّاً }.

يقول تعالى ذكره: فلما اعتزل إبراهيم قومه وعبادة ما كانوا يعبدون من دون الله من الأوثان آنسنا وحشته من فراقهم, وأبدلناه منهم بمن هو خير منهم وأكرم على الله منهم, فوهبنا له ابنه إسحاق, وابن ابنه يعقوب بن إسحاق وكُلاّ جَعَلْنا نَبِيّا يقول: وجعلناهم كلهم, يعني بالكلّ إبراهيم وإسحاق ويعقوب أنبياء وقال تعالى ذكره: وكُلاّ جَعَلْنا نَبِيّا فوحد, ولم يقل

أنبياء, لتوحيد لفظ كلّ وَوَهَبْنا لَهُمْ مِنْ رَحمَتِنا يقول جلّ ثناؤه: ورزقنا جميعهم, يعني إبراهيم وإسحاق ويعقوب من رحمتنا, وكان الذي وهب لهم من رحمته, ما بسط لهم في عاجل الدنيا من سعة رزقه, وأغناهم بفضله.

وقوله وَجَعَلْنا لَهُمْ لِسَانَ صِدْقٍ عَلِيّا يقول تعالى ذكره: ورزقناهم الثناء الحسن, والذكر الجميل من الناس, كما:

17913ـ حدثني عليّ, قال: حدثنا عبد الله, قال: ثني معاوية, عن عليّ, عن ابن عباس, قوله: وَجَعَلْنا لَهُمْ لِسانَ صِدْقٍ عَلِيّا يقول: الثناء الحسن.

وإنما وصف جلّ ثناؤه اللسان الذي جعل لهم بالعلوّ, لأن جميع أهل الملل تحسن الثناء عليهم, والعرب تقول: قد جاءني لسان فلان, تعني ثناءه أو ذمه ومنه قول عامر بن الحارث:

إنّي أتَتْنِي لِسانٌ لا أُسَرّ بِهَا مِنْ عَلْوَ لا عَجَبٌ مِنْها وَلا سَخَرُ

ويُروى: لا كذب فيها ولا سَخَر.

جاءَتْ مُرجَمّةً قد كُنْتُ أحْذَرُها لَوْ كانَ يَنْفَعُنِي الإشْفاقُ والحَذَرُ

مرجمّة: يظنّ بها.

الآية : 51

القول في تأويل قوله تعالى:

{وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ مُوسَىَ إِنّهُ كَانَ مُخْلِصاً وَكَانَ رَسُولاً نّبِيّاً }.

يقول تعالى ذكره لنبيه صلى الله عليه وسلم: واذكر يا محمد في كتابنا الذي أنزلناه إليك موسى بن عمران, واقصص على قومك أنه كان مخلصا.

واختلفت القراء في قراءة ذلك, فقرأته عامة قرّاء المدينة والبصرة وبعض الكوفيين: «إنّهُ كانَ مُخْلِصا» بكسر اللام من المُخْلِص, بمعنى: إنه كان يخلص لله العبادة, ويفرده بـ الألوهة, من غير أن يجعل له فيها شريكا. وقرأ ذلك عامة قرّاء أهل الكوفة خلا عاصم: إنّهُ كانَ مُخْلَصا بفتح اللام من مُخْلَص, بمعنى: إن موسى كان الله قد أخلصه واصطفاه لرسالته, وجعله نبيا مرسلاً.

قال أبو جعفر: والصواب من القول في ذلك عندي: أنه كان صلى الله عليه وسلم مُخْلِصا عبادة الله, مُخْلَصا للرسالة والنبوّة, فبأيتهما قرأ القارىء فمصيب الصواب.

وكانَ رَسُولاً يقول: وكان لله رسولاً إلى قومه بني إسرائيل, ومن أرسله إليه نبيا.

الآية : 52 و 53

القول في تأويل قوله تعالى. {وَنَادَيْنَاهُ مِن جَانِبِ الطّورِ الأيْمَنِ وَقَرّبْنَاهُ نَجِيّاً * وَوَهَبْنَا لَهُ مِن رّحْمَتِنَآ أَخَاهُ هَارُونَ نَبِيّاً }.

يقول تعالى ذكره: ونادينا موسى من ناحية الجبل, ويعني بالأيمن: يمين موسى, لأن الجبل لا يمين له ولا شمال, وإنما ذلك كما يقال: قام عن يمين القبلة وعن شمالها. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

17914ـ حدثنا الحسن بن يحيى, قال: أخبرنا عبد الرزاق, قال: أخبرنا معمر, عن قتادة, في قوله: مِنْ جانِبِ الطّورِ الأيمَنِ قال: جانب الجبل الأيمن.

وقد بـيّنا معنى الطور واختلاف الـمختلفـين فـيه, ودللنا علـى الصواب من القول فـيــما مضـى, بــما أغنـى عـن إعـادته فــي هـذا الــموضع. وقـوله: وَقَرّبْناهُ نَـجِيّا يقول تعالـى ذكره: وأدنـيناه مناجيا, كما يقال: فلان نديـم فلان ومنادمه, وجلـيس فلان ومــجالسه. وذُكـر أن اللـه جـلّ ثنـاؤه أدنـاه, حتــى سمع صريف القلـم. ذكر من قال ذلك:

17915ـ حدثنا ابن بشار, قال: حدثنا يحيى, قال: حدثنا سفـيان, عن عطاء بن السائب, عن سعيد بن جبـير, عن ابن عبـاس وَقَرّبْناهُ نــجِيّا قـال: أُدْنــيَ حتـى سمع صريف القلـم.

17916ـ حدثنا مـحمد بن منصور الطّوسِيّ, قال: حدثنا يحيى بن أبـي بكر, قال: حدثنا شبل, عن ابن أبـي نـجيح, قـال: أراه عـن مــجاهد, فــي قـوله: وَقَرّبْناهُ نَـجِيّا قال: بـين السـماء الرابعـة, أو قـال: السـابعة, وبــين العـرش سبعون ألف حجاب: حجـاب نـور, وحجـاب ظلــمة, وحجـاب نـور, وحجـاب ظلـمة فما زال يقرب موسى حتـى كان بـينه وبـينه حجـاب, وسـمع صَـريف القلـم قالَ رَبّ أَرِنِـي أَنْظُرْ إِلَـيْكَ.

17917ـ حدثنا علـيّ بن سهل, قال: ثنـي حجـاج, عـن أبــي جعفـر, عـن الربـيع, عن أبـي العالـية, قال: قرّبه منه حتـى سمع صريف القلـم.

17918ـ حدثنا ابن حميـد, قـال: حـدثنا جريـر, عـن عطـاء, عـن ميسـرة وَقَرّبْناهُ نَـجِيّا قال: أُدْنِـيَ حتـى سمع صريف القلـم فـي اللوح, وقال شـعبة: أردفه جبرائيـل علـيه السلام.

وقال قتادة فـي ذلك, ما:

17919ـ حدثنا به الـحسن بن يحيى, قال: أخبرنا عبد الرزاق, قال: أخبرنا معمر, عن قتادة, فـي قوله: وَقَرّبْناهُ نَـجِيّا قال: نـجا بصدقه.

وقوله: وَوَهَبْنا لَهُ منْ رَحْمَتنا أخاهُ هارُونَ يقول: ووهبنا لـموسى رحمة منا أخاه هارون نَبِـيّا يقول: أيّدناه بنبوّته, وأعنّاه بها, كما:

17920ـ حدثنـي يعقوب, قال: حدثنا ابن عُلَـية, عـن داود, عـن عكرمـة, قال: قال ابن عبـاس: قوله: وَوَهَبْنا لَهُ مـنْ رَحْمَتِنـا أخـاهُ هـارُونَ نَبِـيّا قـال: كان هارون أكبر من موسى, ولكن أراد وهب له نبوّته.

الآية : 54

القول فـي تأويـل قولهِ تعالـى: {وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِسْمَاعِيلَ إِنّهُ كَانَ صَادِقَ الْوَعْدِ وَكَانَ رَسُولاً نّبِيّاً }.

يقول تعالـى ذكره لنبـيه مـحمد صلى الله عليه وسلم: واذكر يـا مــحمد فـي الكتاب إسماعيـل بن إبراهيـم, فـاقصص خبره إنه كان لا يكذب وعــده, ولا يخـلف, ولكنه كان إذا وعد ربه, أو عبدا من عبـاده وعدا وفـى به, كما:

17921ـ حدثنا القاسم, قال: حدثنا الـحسين, قال: ثنـي حجاج, عـن ابـن جريج, قوله: إنّهُ كانَ صَادِقَ الوَعْدِ قال: لـم يَعِدْ ربه عِدة إلا أنـجزها.

17922ـ حدثنـي يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: أخبرنـي عمـرو بـن الـحارث أن سهل بن عقـيـل, حدّثه أن إسماعيــل علــيه السـلام وعـد رجلاً مكانا أن يأتـيه, فجاء ونسي الرجل, فظلّ به إسماعيــل, وبــات حتــى جـاء الرجل من الغد, فقال: ما برحـت مـن هاهنـا؟ قـال: لا, قـال: إنــي نسـيت, قال: لـم أكن لأبرح حتـى تأتـي, فبذلك كان صادقا.

الآية : 55

القول في تأويل قوله تعالى:{وَكَانَ يَأْمُرُ أَهْلَهُ بِالصّلاَةِ وَالزّكَاةِ وَكَانَ عِندَ رَبّهِ مَرْضِيّاً }.
يقول تعالى ذكره: وكانَ يأْمُرُ أهْلَهُ بِإقامة الصّلاةِ و إيتاء الزّكاةِ وكانَ عِنْدَ رَبّهِ مَرْضِيّا عمله, محمودا فيما كلفه ربه, غير مقصر في طاعته.
القول في تأويل قوله تعالى: {وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِدْرِيسَ إِنّهُ كَانَ صِدّيقاً نّبِيّاً * وَرَفَعْنَاهُ مَكَاناً عَلِيّاً }.
يقول تعالى ذكره: واذكر يا محمد في كتابنا هذا إدريس إنّهُ كانَ صِدّيقا لا يقول الكذب, نَبِيّانوحي إليه من أمرنا ما نشاء وَرَفَعْناهُ مَكانا عَلِيّا ذكر أن الله رفعه وهو حيّ إلى السماء الرابعة, فذلك معنى قوله: وَرَفَعْناهُ مَكانا عَلِيّا يعني به إلى مكان ذي علوّ وارتفاع. وقال بعضهم: رُفع إلى السماء السادسة. وقال آخرون: الرابعة. ذكر الرواية بذلك:
17923ـ حدثني يونس بن عبد الأعلى, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: أخبرني جرير بن حازم, عن سليمان الأعمش, عن شمر بن عطية, عن هلال بن يساف, قال: سأل ابن عباس كعبا وأنا حاضر, فقال له: ما قول الله تعالى لإدريس وَرَفَعْناهُ مَكانا عَلِيّا قال كعب: أما إدريس, فإن الله أوحى إليه: إني رافع لك كلّ يوم مثل عمل جميع بني آدم, فأحبّ أن تزداد عملاً, فأتاه خليل له من الملائكة, فقال: إن الله أوحى إليّ كذا وكذا, فكلمْ لي ملك الموت, فليؤخرني حتى أزداد عملاً, فحمله بين جناحيه, ثم صعد به إلى السماء فلما كان في السماء الرابعة, تلقاهم ملك الموت منحدرا, فكلم ملك الموت في الذي كلمه فيه إدريس, فقال: وأين إدريس؟ فقال: هوذا على ظهري, قال ملك الموت: فالعجب بعثت أقبض روح إدريس في السماء الرابعة, فجعلت أقول: كيف أقبض روحه في السماء الرابعة وهو في الأرض؟ فقبض روحه هناك, فذلك قول الله تبارك وتعالى: وَرَفَعْناهُ مَكانا عَلِيّا.
17924ـ حدثني محمد بن عمرو, قال: حدثنا أبو عاصم, قال: حدثنا عيسى وحدثني الحارث, قال: حدثنا الحسن, قال: حدثنا ورقاء, جميعا عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد, قوله: وَرَفَعْناهُ مَكانا عَلِيّا قال: إدريس رُفع فلم يمت, كما رُفع عيسى.
حدثنا القاسم, قال: ثني حجاج, عن ابن جريج, عن مجاهد, مثله, إلا أنه قال: ولم يمت.
17925ـ حدثني محمد بن سعد, قال: ثني أبي, قال: ثني عمي, قال: ثني أبي, عن أبيه, عن ابن عباس وَرَفَعْناهُ مَكانا عَلِيّا قال: رفع إلى السماء السادسة, فمات فيها.
17926ـ حدثت عن الحسين, قال: سمعت أبا معاذ يقول: أخبرنا عبيد بن سليمان, قال: سمعت الضحاك يقول في قوله: وَرَفَعْناهُ مكانا عليا إدريس أدركه الموت في السماء السادسة.
17927ـ حدثنا ابن بشار, قال: حدثنا عبد الرحمن, قال: حدثنا سفيان, عن منصور, عن مجاهد ورفعناه مكانا عليا قال: السماء الرابعة.
17928ـ حدثنا أبو كريب, قال: حدثنا ابن يمان, عن سفيان, عن أبي هارون العبدي, عن أبي سعيد الخدري ورفعناه مكانا عليا قال: في السماء الرابعة.

17929ـ حدثنا علـيّ بن سهيـل, قال: حدثنا حجاج, قال: حدثنا أبو جعفـر الرازي, عن الربـيع بن أنس, عن أبـي العالـية الرياحي, عن أبـــي هريـرة أو غيره «شكّ أبو جعفر الرازي» قـال: لــما أسـري بـالنبــيّ صـلى اللـه عليـه وسلم صعد به جبريـل إلـى السماء الرابعـة, فـاستفتــح فقيــل: مـن هـذا؟ قال: جبرائيـل, قالوا: ومن معه؟ قـال: مــحمد, قـالوا: أوقـد أرسـل إلــيه؟ قال: نعم, قالوا: حياه الله من أخ ومن خـليفة, فنعم الأخ ونعـم الـخلــيفة, ونعم الـمـجيء جاء, قال: فدخـل فإذا هو برجل, قال: هذا إدريس رفعه الله مكانا علـيا.

17930ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة, فــي قوله ورفعناه مكانا علـيا قال: حدثنا أنس بن مالـك أن نبــيّ اللـه حـدث أنـه لـما عرج به إلـى السماء قال: أتـيت علـى إدريس فـي السماء الرابعة.

الآية : 56 و 57

القول فـي تأويـل قوله تعالـى:{وَكَانَ يَأْمُرُ أَهْلَهُ بِالصّـلاَةِ وَالزّكَـاةِ وَكَانَ عِنـدَ رَبّهِ مَرْضِيّاً }.

يقول تعالـى ذكره: وكانَ يأْمُرُ أهْلَهُ بِإقامة الصّلاةِ و إيتاء الزّكاةِ وكانَ عِنْدَ رَبّهِ مَرْضِيّا عمله, مـحمودا فـيـما كلفه ربه, غير مقصر فـي طاعته.

القول فـي تأويـل قوله تعالـى: {وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِدْرِيسَ إِنّهُ كَـانَ صِـدّيقاً نّبِيّاً * وَرَفَعْنَاهُ مَكَاناً عَلِيّاً }.

يقول تعالـى ذكره: واذكر يا مـحمد فـي كتابنا هذا إدريس إنّهُ كانَ صِدّيقا لا يقول الكذب, نَبِـيّانوحي إلـيه من أمرنا ما نشاء وَرَفَعْناهُ مَكانا عَلِــيّا ذكـر أن اللـه رفعه وهو حيّ إلـى السماء الرابعة, فذلك معنـى قـوله: وَرَفَعْنـاهُ مَكانـا عَلِـيّا يعنـي به إلـى مكان ذي علوّ وارتفـاع. وقال بعضهم: رُفع إلـى السـماء السادسة. وقال آخرون: الرابعة. ذكر الرواية بذلك:

17923ـ حدثنـي يونس بن عبد الأعلـى, قـال: أخبرنـا ابـن وهـب, قـال: أخبرنـي جرير بن حازم, عن سلـيـمان الأعمش, عن شـمر بـن عطيـة, عـن هلال بن يساف, قال: سأل ابن عبـاس كعبـا وأنا حاضر, فقال لـه: مـا قـول الله تعالـى لإدريس وَرَفَعْناهُ مَكانا عَلِـيّا قـال كعـب: أمـا إدريـس, فـإن اللـه أوحى إلـيه: إنـي رافع لك كلّ يوم مثل عمل جميع بنـي آدم, فأحبّ أن تزداد عملاً, فأتاه خـلـيـل له من الـملائكة, فقال: إن اللـه أوحـى إلــيّ كـذا وكـذا, فكلـمْ لـي ملك الـموت, فلـيؤخرنـي حتـى أزداد عملاً, فحمله بـين جنــاحيه, ثم صعد به إلـى السماء فلـما كان فـي السماء الرابعة, تلقاهم ملك الـموت منـحدرا, فكلـم ملك الـموت فــي الـذي كلــمه فــيه إدريـس, فقـال: وأيـن إدريس؟ فقال: هوذا علـى ظهري, قال ملك الـموت: فـالعجب بعثت أقبـض روح إدريس فـي السماء الرابعـة, فجعلـت أقـول: كيـف أقبـض روحـه فــي السماء الرابعة وهو فـي الأرض؟ فقبض روحه هناك, فذلك قول الله تبــارك وتعالـى: وَرَفَعْناهُ مَكانا عَلِـيّا.

17924ـ حدثنـي مـحمد بن عمرو, قـال: حـدثنا أبـو عاصـم, قـال: حـدثنا عيسى وحدثنـي الـحارث, قال: حدثنا الــحسن, قـال: حـدثنا ورقـاء, جميعـا عن ابن أبـي نـجيح, عن مـجاهد, قوله: وَرَفَعْنـاهُ مَكانـا عَلِـيّا قـال: إدريـس رُفع فلـم يـمت, كما رُفع عيسى.

حدثنا القاسم, قال: ثنـي حجاج, عن ابن جريج, عن مـجاهد, مثله, إلا أنه قال: ولـم يـمت.

17925ـ حدثني محمد بن سعد, قال: ثني أبي, قال: ثني عمي, قال: ثني أبي, عن أبيه, عن ابن عباس وَرَفَعْنَاهُ مَكَانًا عَلِيّا قال: رفع إلى السماء السادسة, فمات فيها.
17926ـ حدثت عن الحسين, قال: سمعت أبا معاذ يقول: أخبرنا عبيد بن سليمان, قال: سمعت الضحاك يقول في قوله: وَرَفَعْنَاهُ مكانا عليا إدريس أدركه الموت في السماء السادسة.
17927ـ حدثنا ابن بشار, قال: حدثنا عبد الرحمن, قال: حدثنا سفيان, عن منصور, عن مجاهد ورفعناه مكانا عليا قال: السماء الرابعة.
17928ـ حدثنا أبو كريب, قال: حدثنا ابن يمان, عن سفيان, عن أبي هارون العبدي, عن أبي سعيد الخدري ورفعناه مكانا عليا قال: في السماء الرابعة.
17929ـ حدثنا عليّ بن سهيل, قال: حدثنا حجاج, قال: حدثنا أبو جعفر الرازي, عن الربيع بن أنس, عن أبي العالية الرياحي, عن أبي هريرة أو غيره «شكّ أبو جعفر الرازي» قال: لما أسري بالنبيّ صلى الله عليه وسلم صعد به جبريل إلى السماء الرابعة, فاستفتح فقيل: من هذا؟ قال: جبرائيل, قالوا: ومن معه؟ قال: محمد, قالوا: أوقد أرسل إليه؟ قال: نعم, قالوا: حياه الله من أخ ومن خليفة, فنعم الأخ ونعم الخليفة, ونعم المجيء جاء, قال: فدخل فإذا هو برجل, قال: هذا إدريس رفعه الله مكانا عليا.
17930ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة, في قوله ورفعناه مكانا عليا قال: حدثنا أنس بن مالك أن نبيّ الله حدث أنه لما عرج به إلى السماء قال: أتيت على إدريس في السماء الرابعة.

الآية : 58

القول في تأويل قوله تعالى: {أُولَـَئِكَ الّذِينَ أَنْعَمَ اللّهُ عَلَيْهِم مّـنَ النّبِيّيْـنَ مِن ذُرّيّةِ ءادَمَ وَمِمّنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ وَمِن ذُرّيّةِ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْرَائِيلَ وَمِمّنْ هَدَيْنَا وَاجْتَبَيْنَآ إِذَا تُتْلَىَ عَلَيْهِمْ آيَاتُ الرّحْمَـنِ خَرّواْ سُجّداً وَبُكِيّاً }.
يقول تعالى ذكره لنبيه صلى الله عليه وسلم: هؤلاء الذين اقتصصتُ عليك أنباءهم في هذه السورة يا محمد, الذين أنعم الله عليهم بتوفيقه, فهداهم لطريق الرشد من الأنبياء من ذريه آدم, ومن ذرية من حملنا مع نوح في الفُلك, ومن ذرية إبراهيم خليل الرحمن, ومن ذرية إسرائيل, ومن هدينا للإيمان بالله والعمل بطاعته واجتبينا: يقول: ومن اصطفينا واخترنا لرسالتنا ووحينا, فالذي عنى به من ذرية آدم إدريس, والذي عنى به من ذرية من حملنا مع نوح إبراهيم, والذي عنى به من ذرية إبراهيم إسحاق ويعقوب وإسماعيل, والذي عنى به من ذرية إسرائيل: موسى وهارون وزكريا وعيسى وأمه مريم, ولذلك فرق تعالى ذكره أنسابهم وإن كان يجمع جميعهم آدم لأن فيهم من ليس من ولد من كان مع نوح في السفينة, وهو إدريس, وإدريس جدّ نوح.
وقوله تعالى ذكره: إذَا تُتلى عَلَيهِمْ آياتُ الرّحمنِ يقول: إذا تتلى على هؤلاء الذين أنعم الله عليهم من النبيين أدلة الله وحججه التي أنزلها عليهم في كتبه, خرّوا لله سجدا, استكانة له وتذللاً وخضوعا لأمره وانقيادا, وَبُكِيّا يقول: خرّوا سجدا وهم باكون, والبُكِيّ: جمع باك, كما

العُتِيّ جمع عات والجُثِيّ: جمع جاث, فجمع وهو فاعل على فعول, كما يجمع القاعد قعودا, والجالس جلوسا, وكان القياس أن يكون: وبُكوّا وعتوّا, ولكن كرهت الواو بعد الضمة فقلبت ياء, كما قيل في جمع دلو أدل. وفي جمع البهو أبه, وأصل ذلك أفعل أدلو وأبهو, فقلبت الواو ياء لمجيئها بعد الضمة استثقالاً, وفي ذلك لغتان مستفيضتان, قد قرأ بكلّ واحدة علماء من القرّاء بالقرآن بكيا وعتوّا بالضمّ, وبكيا وعتيا بالكسر. وقد يجوز أن يكون البكيّ هو البكاء بعينه. وقد:

17931ـ حدثنا ابن بشاء, قال: حدثنا عبد الرحمن, قال: حدثنا سفيان, عن الأعمش, عن إبراهيم, قال: قرأ عمر بن الخطاب سورة مريم فسجد وقال: هذا السجود, فأين البكيّ؟ يريد: فأين البكاء.

الآية : 59

القول في تأويل قوله تعالى: {فَخَلَفَ مِن بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُواْ الصّلاَةَ وَاتّبَعُواْ الشّهَوَاتِ فَسَوْفَ يَلْقُونَ غَيّاً }.

يقول تعالى ذكره: فحدث من بعد هؤلاء الذين ذكرت من الأنبياء الذين أنعمت عليهم, ووصفت صفتهم في هذه السورة, خلْف سوء خلفوهم في الأرض أضاعو الصلاة.

ثم اختلف أهل التأويل في صفة إضاعتهم الصلاة, فقال بعضهم: كانت إضاعتهموها تأخيرهم إياها عن مواقيتها, وتضييعهم أوقاتها. ذكر من قال ذلك:

17932ـ حدثني عليّ بن سعد الكندي, قال: حدثنا عيسى بن يونس, عن الأوزاعي, عن موسى بن سليمان, عن القاسم بن مخيمرة, في قوله: فخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أضَاعُوا الصّلاةَ قال: إنما أضاعوا المواقيت, ولو كان تركا كان كفرا.

حدثنا إسحاق بن زيد الخطابي, قال: حدثنا الفريابي, عن الأوزاعي, عن القاسم بن مخيمرة, نحوه.

حدثنا عبد الكريم بن أبي عمير, قال: ثني الوليد بن مسلم, عن أبي عمرو, عن القاسم بن مخيمرة, قال: أضاعوا المواقيت, ولو تركوها لصاروا بتركها كفارا.

حدثني يونس بن عبد الأعلى, قال: حدثنا الوليد بن مسلم, عن الأوزاعي, عن القاسم, نحوه.

17933ـ حدثنا القاسم, قال: حدثنا الحسين, قال: حدثنا عيسى, عن الأوزاعي, عن إبراهيم بن يزيد, أن عمر بن عبد العزيز بعث رجلاً إلى مصر لأمر أعجله للمسلمين, فخرج إلى حرسه, وقد كان تقدم إليهم أن لا يقوموا إذا رأوه, قال: فأوسعوا له, فجلس بينهم فقال: أيكم يعرف الرجل الذي بعثناه إلى مصر؟ فقالوا: كلنا نعرفه, قال: فليقم أحدثكم سنا, فليدعه, فأتاه الرسول فقال: لا تعجلني أشدّ عليّ ثيابي, فأتاه فقال: إن اليوم الجمعة, فلا تبرحن حتى تصلي, وإنا بعثناك في أمر أعجله للمسلمين, فلا يعجلنك ما بعثناك له أن تؤخر الصلاة عن ميقاتها, فإنك مصليها لا محالة, ثم قرأ: فخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أضَاعُوا الصّلاةَ واتّبَعُوا الشّهَوَاتِ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيّا ثم قال: لم يكن إضاعتهم تركها, ولكن أضاعوا الوقت.

17934ـ حدثنا ابن وكيع, قال: حدثنا أبـي, عن الـمسعودي, عن القاسـم بن عبد الرحمن, والـحسن بن مسعود, عن ابن مسـعود, أنـه قـيـل لـه: إن الله يكثر ذكر الصلاة فـي القـرآن الّـذِينَ هُـمْ عَـنْ صَـلاتِهِمْ سَـاهُونَ و عَلـى صَلاَتِهِمْ دَائِمُونَ و عَلى صَلاَتِهِمْ يُحَافِظُونَ فقال ابن مسعود رضي الله عنـه: علـى مواقـيتها, قالوا: ما كنا نرى ذلك إلا علـى الترك, قال: ذاك الكفر.

17935ـ حدثنا القاسم, قال: حدثنا الـحسين, قال: حدثنا عمر أبو حفـص الأبـار, عن منصور بن الـمعتـمر, قال: قال مسـروق: لا يحـافظ أحـد علـى الصـلوات الـخمس, فـيكتب مـن الغافلـين, وفـي إفراطهـنّ الهلكـة, وإفراطهنّ: إضاعتهنّ عن وقتهنّ.

وقال آخرون: بل كانت إضاعتهموها: تركها. ذكر من قال ذلك:

17936ـ حدثنـي يونس بن عبد الأعلـى, قـال: أخبرنـا ابـن وهـب, قـال: أخبرنا أبو صخر, عن القرظي, أنه قال فـي هـذه الآيـة فَخَـلَفَ مِـنْ بَعْـدِهِمْ خَـلْفٌ أضَاعُوا الصّلاةَ واتّبَعُوا الشّهَوَاتِ يقول: تركوا الصلاة.

قال أبو جعفر: وأولـى التأويـلـين فـي ذلك عندي بتأويـل الآيـة, قـول مـن قال: أضعتـموها تركهم إياها لدلالة قول الله تعالـى ذكره بعده علـى أن ذلك كذلك, وذلك قوله جلّ ثناؤه: إلاّ مَنْ تابَ وآمَنَ وعَمِلَ صَالِـحا فلو كان الـذين وصفهم بأنهم ضيعوها مؤمنـين لـم يستثن منهـم مـن آمـن, وهـم مؤمنـون ولكنهم كانوا كفـارا لا يصـلون للـه, ولا يـؤدّون لـه فريضـة فسـقة قـد آثـروا شهوات أنفسهم علـى طاعة الله, وقد قـيـل: إن الـذين وصـفهم اللـه بهـذه الصفة قوم من هذه الأمة يكونون فـي آخر الزمان.

17937ـ حدثنـي مـحمد بن عمرو, ق ال: حـدثنا أبـو عاصـم, قـال: حـدثنا عيسى. وحدثنـي الـحارث, قال: حدثنا الـحسن. قال: حـدثنا ورقـاء, جميعـا عن ابن أبـي نـجيح, عن مـجاهد, قوله: فخَـلَفَ مِـنْ بَعْـدِهِمْ خَـلْفٌ أضَـاعُوا الصّلاة واتّبَعُوا الشّهَوَاتِ فَسَوْفَ يَـلْقَوْنَ غَيّا قال: عند قـيام الساعة, وذهاب صالـحي أمة مـحمد صلى الله عليـه وسـلم ينـزو بعضـهم علـى بعـض فـي الأزقة. قال مـحمد بن عمرو: زنا. وقال الـحارث: زناة.

حدثنا القاسم, قال: حدثنا الـحسين, قال: ثنـي حجاج, عن ابن جريج, عن مـجاهد مثله, وقال: زنا, كما قال ابن عمرو.

17938ـ حدثنا القاسم, قال: حدثنا الـحسين, قال: حدثنا أبو تـميـلة, عن أبـي حمزة, عن جابر, عن عكرمة ومـجاهد وعطاء بـن أبـي ربـاح فخَـلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَـلْفٌ... الآية, قال: هم أمة مـحمد.

17939ـ وحدثنـي الـحارث, قال: حدثنا الأشيب, قال: حدثنا شريك, عـن أبـي تـميـم بن مهاجر فـي قـول اللـه: فخَـلَفَ مِـنْ بَعْـدِهِمْ خَـلْفٌ أضَـاعُوا الصّلاة قـال: هـم فـي هـذه الأمـة يـتراكبون تراكـب الأنعـام والـحمر فـي الطرق, لا يخافون الله فـي السماء, ولا يستـحيون الناس فـي الأرض.

وأما قوله: فَسَوْفَ يَـلْقَوْنَ غَيّا فإنه يعنـي أن هؤلاء الـخـلْف الذين خـلفوا بعد أولئك الذين أنعم الله علـيهم من النبـيـين سيدخـلون غيا, وهـو اسـم واد من أودية جهنـم, أو اسم بئر من آبـارها, كما:

17940ـ حدثنـي عبـاس بن أبـي طالب, قال: حدثنا مـحمد بـن زيـاد بـن رزان, قال: حدثنا شرقـي بن قطامي, عن لقمان بن عامر الـخزاعي, قـال: جئت أبـا أمامة صديّ بن عجلان البـاهلـي, فقلت: حـدّثنا حـديثا سـمعته مـن رسول الله صلى الله عليه وسلم, قال: فدعا بطعام, ثم قـال: قـال رسـول

اللهصلى الله عليه وسلم: «لَوْ أنّ صخْرَةً زِنَةَ عَشْرِ أوَاقٍ قُذِفَ بِها مِنْ شَفيرِ جَهَنّمَ ما بَلَغَتْ قَعْرَها خَمْسينَ خَرِيفا, ثُمّ تَنْتَهي إلى غَيَ وأثامٍ», قال: قُلْتُ وَما غيّ وَما أثامٌ؟ قالَ: «بْئرَانِ في أسْفَلِ جَهَنّمَ يَسِيلُ فِيهِما صَدِيدُ أهْلِ النّارِ, وَهُما اللّتانِ ذَكَرَ اللّهُ فِي كِتابِهِ أضَاعُوا الصّلاةَ واتّبَعُوا الشّهَوَاتِ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيّاً, وقوله في الفُرقانِ: وَلا يَزْنُونَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذلكَ يَلْقَ أثاما».

17941ـ حدثنا محمد بن بشار, قال: حدثنا عمرو بن عاصم, قال: حدثنا المعتمر بن سليمان, عن أبيه, عن قتادة, عن أبي أيوب, عن عبد الله بن عمرو فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيّا قال: واديا في جهنم.

حدثنا محمد بن بشار, قال: حدثنا عبد الرحمن, قال: حدثنا سفيان, عن أبي إسحاق, عن أبي عبيدة, عن عبد الله فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيّا قال: واديا في النار.

17942ـ حدثنا محمد بن المثنى, قال: حدثنا محمد بن جعفر, قال: حدثنا شعبة, عن أبي إسحاق, عن أبي عبيدة, عن عبد الله أنه قال في هذه الآية فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيّا قال: نهر في جهنم خبيث الطعم بعيد القعر.

حدثني محمد بن عبيد المحاربي, قال: حدثنا أبو الأحوص, عن أبي إسحاق, عن أبي عبيدة, عن أبيه, في قوله: فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أضَاعُوا الصّلاةَ واتّبَعُوا الشّهَوَاتِ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيّا قال: الغيّ: نهر جهنم في النار, يعذّب فيه الذين اتبعوا الشهوات.

حدثنا القاسم, قال: حدثنا الحسين, قال: حدثنا أبو الأحوص, عن أبي إسحاق, عن أبي عبيدة, عن أبيه, في قوله فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أضَاعُوا الصّلاةَ واتّبَعُوا الشّهَوَاتِ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيّا قال: الغيّ: نهر جهنم في النار, يعذّب فيه الذين اتبعوا الشهوات.

حدثنا القاسم, قال: حدثنا الحسين, قال: حدثنا أبو الأحوص, عن أبي إسحاق, عن أبي عبيدة, عن عبد الله أضَاعُوا الصّلاةَ واتّبَعُوا الشّهَوَاتِ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيّا قال: نهر في النار يقذف فيه الذين اتبعوا الشهوات.

وقال آخرون: بل عنى بالغيّ في هذا الموضع: الخسران. ذكر من قال ذلك:

17943ـ حدثني عليّ, قال: حدثنا عبد الله, قال: ثني معاوية, عن عليّ, عن ابن عباس, قوله: فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيّا يقول: خسرانا.

وقال آخرون: بل عنى به الشرّ. ذكر من قال ذلك:

17944ـ حدثني يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: قال ابن زيد, في قوله: فسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيّا قال: الغيّ: الشرّ ومنه قول الشاعر:

فمَنْ يَلْقَ خَيْرا يحْمَدِ الناسُ أمْرَهُوَمَنْ يَغْوَ لا يَعْدَمْ على الغَيّ لائما

قال أبو جعفر: وكلّ هذه الأقوال متقاربات المعاني, وذلك أن من ورد البئرين اللتين ذكرهما النبيّ صلى الله عليه وسلم, والوادي الذي ذكره ابن مسعود في جهنم, فدخل ذلك, فقد لاقى خسرانا وشرّا, حسبه به شرّا.

الآية : 60

القول في تأويل قوله تعالى: {إِلاّ مَن تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحاً فَأُوْلَـئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنّةَ وَلاَ يُظْلَمُونَ شَيْئاً }.

يقول تعالى ذكره: فسوف يلقي هؤلاء الخلف السوء الذين وصف صفتهم غيا, إلا الذين تابوا فراجعوا أمرا الله, والإيمان به وبرسوله وعَمِلَ

صَالحا يقول: وأطاع الله فيما أمره ونهاه عنه, وأدّى فرائضه, واجتنب محارمه فأولَئِكَ يَدْخُلُونَ الجَنّةَ يقول: فإن أولئك منهم خاصة يدخلون الجنة دون من هلك منهم على كفره, وإضاعته الصلاة واتباعه الشهوات. وقوله: وَلا يُظْلَمُونَ شَيْئا يقول: ولا يُبخسون من جزاء أعمالهم شيئا, ولا يجمع بينهم وبين الذين هلكوا من الخلف السوء منهم قبل توبتهم من ضلالهم, وقبل إنابتهم إلى طاعة ربهم في جهنم, ولكنهم يدخلون مدخل أهل الإيمان.

الآية : 61

القول في تأويل قوله تعالى: {جَنّاتِ عَدْنٍ الّتِي وَعَدَ الرّحْمَنُ عِبَادَهُ بِالْغَيْبِ إِنّهُ كَانَ وَعْدُهُ مَأتِيّاً }.

يقول تعالى ذكره: فأولئك يدخلون الجنة جَنّاتِ عَدْنٍ. ولوله: جَنّاتِ عَدْنٍ نصب ترجمة عن الجنة. ويعني بقوله: جَنّاتِ عَدْنٍ: بساتين إقامة. وقد بيّنت ذلك فيما مضى قبل بشواهده المغنية عن إعادته. وقوله: التي وَعَدَ الرّحْمَنُ عِبادَهُ بالغَيْبِ يقول: هذه الجنات التي وعد الرحمن عباده المؤمنين أن يدخلوها بالغيب, لأنهم لم يروها ولم يعاينوها, فهي غيب لهم. وقوله: إنّهُ كانَ وَعْدهُ مأتِيّا يقول تعالى ذكره: إن الله كان وعده, ووعده في هذا الموضع موعوده, وهو الجنة مأتيا يأتيه أولياؤه وأهل طاعته الذين يدخلهموها الله. وقال بعض نحويي الكوفة: خرج الخبر على أن الوعد هو المأتيّ, ومعناه: أنه هو الذي يأتي, ولم يقل: وكان وعده آتيا, لأن كلّ ما أتاك فأنت تأتيه, وقال: ألا ترى أنك تقول: أتيت على خمسين سنة, وأتت علىّ خمسون سنة, وكلّ ذلك صواب, وقد بيّنت القول فيه, والهاء في قوله إنّهُ من ذكر الرحمن.

الآية : 62

القول في تأويل قوله تعالى: {لاّ يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْواً إِلاّ سَلاَماً وَلَهُمْ رِزْقُهُمْ فِيهَا بُكْرَةً وَعَشِيّاً }.

يقول تعالى ذكره: لا يسمع هؤلاء الذين يدخلون الجنة فيها لغوا, وهو الهَذْي والباطل من القول والكلام إلاّ سَلاَما وهذا من الاستثناء المنقطع, ومعناه: ولكن يسمعون سلاما, وهو تحية الملائكة إياهم. وقوله: ولَهُمْ رِزْقُهُمْ فِيهَا بُكْرَةً وَعَشِيّا يقول: ولهم طعامهم وما يشتهون من المطاعم والمشارب في قدر وقت البُكرة ووقت العشيّ من نهار أيام الدنيا, وإنما يعني أن الذي بين غدائهم وعشائهم في الجنة قدر ما بين غداء أحدنا في الدنيا وعشائه, وكذلك ما بين العشاء والغداء وذلك لأنه لا ليل في الجنة ولا نهار, وذلك كقوله: خَلَقَ الأرْضَ في يومَيْنِ و خَلَقَ السّمَوَاتِ والأرْضَ فِي سِتّةِ أيّام يعني به: من أيام الدنيا, كما:

17945ـ حدثنا عليّ بن سهل, قال: حدثنا الوليد بن مسلم, قال: سألت زهير بن محمد, عن قول الله: ولَهُمْ رِزْقهُمْ فِيها بُكْرَةٍ وَعَشِيّا قال: ليس في الجنة ليل, هم في نور أبدا, ولهم مقدار الليل والنهار, يعرفون مقدار الليل بارخاء الحجب وإغلاق الأبواب, ويعرفون مقدار النهار برفع الحجب, وفتح الأبواب.

17946ـ حدثنا عليّ, قال: حدثنا الوليد, عن خليد, عن الحسن, وذكر أبواب الجنة, فقال: أبواب يُرى ظاهرها من باطنها, فَتكلم وَتكلم, فتهمهم انفتحي انغلقي, فتفعل.

17947ـ حدثني ابن حرب, قال: حدثنا موسى بن إسماعيل, قال: حدثنا عامر بن يساف, عن يحيى, قال: كانت العرب في زمانهم من وجد منهم عشاء وغداء, فذاك الناعم في أنفسهم, فأنزل الله وَلَهُمْ رِزْقُهُم فِيها بُكْرَةٍ وَعَشِيّا: قدر ما بين غدائكم في الدنيا إلى عشائكم.

17948ـ حدثنا الحسن بن يحيى, قال: أخبرنا عبد الرزاق, قال: أخبرنا معمر, عن قتادة, في قوله: وَلَهُمْ رِزْقُهُمْ فِيها بُكْرَةً وَعَشِيّا قال: كانت العرب إذا أصاب أحدُهم الغداء والعشاء عجب له, فأخبرهم الله أن لهم في الجنة بكرة وعشيا, قدر ذلك الغداء والعشاء.

17949ـ حدثنا الحسن, قال: أخبرنا عبد الرزاق, قال: أخبرنا الثوريّ, عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد, قال: ليس بكرة ولا عشيّ, ولكن يؤتون به على ما كانوا يشتهون في الدنيا.

17950ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة, قوله وَلَهُمْ رِزْقُهُمْ فِيها بُكْرَةٍ وعَشِيّا فيها ساعتان بكرة وعشيّ, فإن ذلك لهم ليس ثم ليل, إنما هو ضوء ونور.

الآية : 63

القول في تأويل قوله تعالى: {تِلْكَ الْجَنّةُ الّتِي نُورِثُ مِنْ عِبَادِنَا مَن كَانَ تَقِيّاً }.

يقول تعالى ذكره: هذه الجنة التي وصفت لكم أيها الناس صفتها, هي الجنة التي نورثها, يقول: نورث مساكن أهل النار فيها مِنْ عِبادِنا مَنْ كانَ تَقِيّا يقول: من كان ذا اتقاء عذاب الله بأداء فرائضه, واجتناب معاصيه.

الآية : 64

القول في تأويل قوله تعالى: {وَمَا نَتَنَزّلُ إِلاّ بِأَمْرِ رَبّكَ لَهُ مَا بَيْنَ أَيْدِينَا وَمَا خَلْفَنَا وَمَا بَيْنَ ذَلِكَ وَمَا كَانَ رَبّكَ نَسِيّاً }.

ذُكر أن هذه الآية نزلت من أجل استبطاء رسول الله صلى الله عليه وسلم جبرائيل بالوحي, وقد ذكرت بعض الرواية, ونذكر إن شاء الله باقي ما حضَرنا ذكره مما لم نذكر قبل. ذكر من قال ذلك:

17951ـ حدثنا أبو كريب, قال: حدثنا عبد الله, قال: حدثنا عبد الله بن أبان العجلي, وقبيصة ووكيع وحدثنا سفيان بن وكيع قال: حدثنا أبي, جميعا عن عمر بن ذرّ, قال: سمعت أبي يذكر عن سعيد بن جبير, عن ابن عباس, أن محمدا قال لجبرائيل: «ما يَمْنَعُكَ أنْ تَزُورَنا أكْثَرَ مِمّا تَزُورُنا» فنزلت هذه الآية: ومَا نَتَنّزلُ إلاّ بأمْرِ رَبّكَ لَهُ ما بينَ أيْدِينا ومَا خَلْفَنا ومَا بينَ ذلكَ ومَا كانَ رَبّكَ نَسِيّا قال: هذا الجواب لمحمد صلى الله عليه وسلم.

حدثني محمد بن معمر, قال: حدثنا عبد الملك بن عمرو, قال: حدثنا عمر بن ذرّ, قال: ثني أبي, عن سعيد بن جبير, عن ابن عباس, أن النبيّ صلى الله عليه وسلم قال لجبرائيل: «ما يَمْنَعُكَ أن تَزُوُرَنا أكْثَرَ مِمّا تَزُورُنا؟ فنزلت ومَا نَتَنّزلُ إلاّ بأمْرِ رَبّكَ» حدثني محمد بن سعد, قال: ثني أبي, قال ثني عمي, قال: ثني أبي, عن أبيه, عن ابن عباس, قوله ووَمَا نَتَنّزلُ إلاّ بأمْرِ رَبّكَ... إلى ومَا كانَ رَبّكَ نَسِيّا قال: احتبس جبرائيل عن النبيّ صلى الله عليه وسلم, فوجِد رسول الله صلى الله عليه وسلم من ذلك وحزن, فأتاه جبرائيل فقال: يا محمد ومَا نَتَنّزلُ إلاّ بأمْرِ رَبّكَ لَهُ ما بينَ أيْدِينا ومَا خَلْفَنا ومَا بينَ ذلكَ ومَا كانَ رَبّكَ نَسِيّا.

17952ـ حدثنا الحسن بن يحيى, قال: أخبرنا عبد الرزاق, قال: أخبرنا معمر, عن قتادة, قال: لبث جبرائيل عن النبيّ صلى الله عليه وسلم, فكأن النبيّ استبطأه, فلما أتاه قال له جبرائيل: ومَا نَتَنّزلُ إلاّ بأمْرِ رَبّكَ... الآية.

17953ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة ومَا نَتَنّزلُ إلاّ بأمْرِ رَبّكَ لَهُ ما بينَ أيْدِينا ومَا خَلْفَنا قال: هذا قول جبرائيل, احتبس جبرائيل في بعض الوحي, فقال نبيّ الله صلى الله عليه وسلم: «ما جِئْتَ حتى اشْتَقْتُ إلَيْكَ» فقال له جبرائيل: ومَا نَتَنّزلُ إلاّ بأمْرِ رَبّكَ لَهُ ما بينَ أيْدِينا ومَا خَلْفَنا».

17954ـ حدثني محمد بن عمرو, قال: حدثنا أبو عاصم, قال: حدثنا عيسى وحدثني الحارث, قال: حدثنا الحسن, قال: حدثنا ورقاء, جميعا عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد, في قول الله تبارك وتعالى ومَا نَتَنّزلُ إلاّ بأمْرِ رَبّكَ قال: قول الملائكة حين استراثهم محمد صلى الله عليه وسلم, كالتي في الضحى.

17955ـ حدثنا القاسم, قال حدثنا الحسين, قال: ثني حجاج, عن ابن جريج, عن مجاهد, قال: لبث جبرائيل عن محمد اثنتي عشرة ليلة, ويقولون: قُلي, فلما جاءه قال: أيْ جَبْرائِيلُ لَقَدْ رِثْتَ عَليّ حتى لَقَدْ ظَنّ المُشْرِكُونَ كُلّ ظَنّ» فنزلت: ومَا نَتَنّزلُ إلاّ بأمْرِ رَبّكَ لَهُ ما بينَ أيْدِينا ومَا خَلْفَنا ومَا بينَ ذلكَ ومَا كانَ رَبّكَ نَسِيّا.

17956ـ حُدثت عن الحسين, قال: سمعت أبا معاذ, يقول: حدثنا عبيد, قال: سمعت الضحاك يقول في قوله: ومَا نَتَنّزلُ إلاّ بأمْرِ رَبّكَ احتبس عن نبيّ الله صلى الله عليه وسلم حتى تكلم المشركون في ذلك, واشتدّ ذلك على نبيّ الله, فأتاه جبرائيل, فقال: اشتدّ عليك احتباسنا عنك, وتكلم في ذلك المشركون, وإنما أنا عبد الله ورسوله, إذا أمرني بأمر أطعته ومَا نَتَنّزلُ إلاّ بأمْرِ رَبّكَ يقول: بقول ربك. ثم اختلف أهل التأويل في تأويل قوله: لَهُ ما بينَ أيْدِينا ومَا خَلْفَنا ومَا بينَ ذلكَ فقال بعضهم: يعني بقوله ما بينَ أيْدِينا من الدنيا, وبقوله: ومَا خَلْفَنا الآخرة ومَا بينَ ذلكَ النفختين. ذكر من قال ذلك:

17957ـ حدثنا ابن حميد, قال: حدثنا حكام, عن أبي جعفر, عن الربيع لَهُ ما بينَ أيْدِينا يعني الدنيا ومَا خَلْفَنا الآخرة ومَا بينَ ذلكَ النفختين.

17958ـ حدثنا القاسم, قال: حدثنا الحسين, قال: ثني حجاج, عن أبي جعفر, عن الربيع, عن أبي العالية, قال ما بينَ أيْدِينا من الدنيا ومَا خَلْفَنا من أمر الآخرة ومَا بينَ ذلكَ ما بين النفختين.

وقال آخرون: ما بينَ أيْدِينا الآخرة ومَا خَلْفَنا الدنيا ومَا بينَ ذلكَ ما بين الدنيا والآخرة. ذكر من قال ذلك:

17959ـ حدثني محمد بن سعد, قال: ثني أبي, قال: ثني عمي, قال: ثني أبي, عن أبيه, عن ابن عباس بينَ أيْدِينا الآخرة ومَا خَلْفَنا من الدنيا.

17960ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة لَهُ ما بينَ أيْدِينا من أمر الآخرة ومَا خَلْفَنا من أمر الدنيا ومَا بينَ ذلكَ ما بين الدنيا والآخرة ومَا كانَ رَبّكَ نَسِيّا.

حدثنا الحسن بن يحيى, قال: أخبرنا عبد الرزاق, قال: أخبرنا معمر, عن قتادة لَهُ ما بينَ أيْدِينا من الآخرة وَما خَلْفَنا من الدنيا وَما بينَ ذلكَ ما بين النفختين.

17961ـ حُدثت عن الحسين, قال: سمعت أبا معاذ يقول: أخبرنا عبيد, قال: سمعت الضحاك يقول في قوله: ما بينَ أيْدِينا من الآخرة وَما خَلْفَنا من الدنيا.

وقال آخرون في ذلك بما:

17962ـ حدثنا القاسم, قال: حدثنا الحسين, قال: ثني حجاج, عن ابن جريج ما بينَ أيْدِينا قال: ما مضى أمامنا من الدنيا وَما خَلْفَنا ما يكون بعدنا من الدنيا والآخرة وَما بينَ ذلكَ قال: ما بين ما مضى أمامهم, وبين ما يكون بعدهم.

وكان بعض أهل العربية من أهل البصرة يتأوّل ذلك له ما بينَ أيْدِينا قبل أن نخلق وَما خَلْفَنا بعد الفناء وَما بينَ ذلكَ حين كنا.

قال أبو جعفر: وأولى الأقوال في ذلك بالصواب, قول من قال: معناه: له ما بين أيدينا من أمر الآخرة, لأن ذلك لم يجيء وهو جاء, فهو بين أيديهم, فإن الأغلب في استعمال الناس إذا قالوا: هذا الأمر بين يديك, أنهم يعنون به ما لم يجيء, وأنه جاء, فلذلك قلنا: ذلك أولى بالصواب. وما خلفنا من أمر الدنيا, وذلك ما قد خلفوه فمضى, فصار خلفهم بتخليفهم إياه, وكذلك تقول العرب لما قد جاوزه المرء وخلفه هو خلفه, ووراءه وما بين ذلك: ما بين ما لم يمض من أمر الدنيا إلى الآخرة, لأن ذلك هو الذي بين ذينك الوقتين.

وإنما قلنا: ذلك أولى التأويلات به, لأن ذلك هو الظاهر الأغلب, وإنما يحمل تأويل القرآن على الأغلب من معانيه, ما لم يمنع من ذلك ما يجب التسليم له. فتأمل الكلام إذن: فلا تستبطئنا يا محمد في تخلفنا عنك, فإنا لا نتنزّل من السماء إلى الأرض إلا بأمر ربك لنا بالنزول إليها, لله ما هو حادث من أمور الآخرة التي لم تأت وهي آتية, وما قد مضى فخلفناه من أمر الدنيا, وما بين وقتنا هذا إلى قيام الساعة. بيده ذلك كله, وهو مالكه ومصرّفه, لا يملك ذلك غيره, فليس لنا أن نحدث في سلطانه أمرا إلا بأمره إيانا به وَما كانَ رَبّكَ نَسِيّا يقول: ولم يكن ربك ذا نسيان, فيتأخر نزولي إليك بنسيانه إياك بل هو الذي لا يعزُب عنه شيء في السماء ولا في الأرض فتبارك وتعالى ولكنه أعلم بما يدبر ويقضي في خلقه. جل ثناؤه. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

17963ـ حدثنا القاسم, قال: حدثنا الحسين, قال: ثني حجاج, عن ابن جريج, عن مجاهد وَما كانَ رَبّكَ نَسِيّا قال: ما نسيك ربك.

الآية : 65

القول في تأويل قوله تعالى: {رّبّ السّمَاوَاتِ وَالأرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا فَاعْبُدْهُ وَاصْطَبِرْ لِعِبَادَتِهِ هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيّاً }.

يقول تعالى ذكره: لم يكن ربك يا محمد ربّ السموات والأرض وما بينهما نسيا, لأنه لو كان نسيا لم يستقم ذلك, ولهلك لولا حفظه إياه, فالربّ مرفوع ردّا على قوله رَبّكَ.

وقوله: فاعْبُدْه يقول: فالزم طاعته, وذلّ لأمره ونهيه وَاصْطَبِرْ لِعِبادَتِهِ يقول: واصبر نفسك على النفوذ لأمره ونهيه, والعمل بطاعته, تفز برضاه

عنك, فإنه الإله الذي لا مثل له ولا عدل ولا شبيه في جوده وكرمه وفضله هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيّا يقول: هل تعلم يا محمد لربك هذا الذي أمرناك بعبادته, والصبر على طاعته مثلاً في كرمه وجوده, فتعبده رجاء فضله وطوله دونه؟ كلا, ما ذلك بموجود. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

17964ـ حدثني عليّ, قال: حدثنا عبد الله, قال: ثني معاوية, عن عليّ, عن ابن عباس, قوله: هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيّا يقول: هل تعلم للربّ مثلاً أو شبيها.

حدثني سعيد بن عثمان التنوخي, قال: حدثنا إبراهيم بن مهدي, عن عباد بن عوّام, عن شعبة, عن الحسن بن عمارة, عن رجل, عن ابن عباس, في قوله هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيّا قال: شبيها.

17965ـ حدثني يحيى بن إبراهيم المسعودي, قال: حدثنا أبي, عن أبيه, عن جدّه, عن الأعمش, عن مجاهد في هذه الآية هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيّا قال: هل تعلم له شبيها, هل تعلم له مثلاً تبارك وتعالى.

17966ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة, قوله: هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيّا لا سميّ لله ولا عِدل له, كلّ خلقه يقرّ له, ويعترف أنه خالقه, ويعرف ذلك, ثم يقرأ هذه الآية: وَلَئِنْ سألْتَهُمْ مَنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنّ اللّهُ.

17967ـ حدثنا القاسم, قال: حدثنا الحسين, قال: ثني حجاج, عن ابن جريج, في قوله: هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيّا قال: يقول: لا شريك له ولا مثل.

الآية : 66 و 67

القول في تأويل قوله تعالى: {وَيَقُولُ الإِنْسَانُ أَإِذَا مَا مِتّ لَسَوْفَ أُخْرَجُ حَيّاً * أَوَلاَ يَذْكُرُ الإِنْسَانُ أَنّا خَلَقْنَاهُ مِن قَبْلُ وَلَمْ يَكُ شَيْئاً }.

يقول تعالى ذكره: ويقولُ الإنسانُ الكافر الذي لا يصدق بالبعث بعد الموت: أخرج حيا, فأبعث بعد الممات وبعد البلاء والفناء إنكارا منه ذلك. يقول الله تعالى ذكره: أوَ لاَ يذكرُ الإنسانُ المتعجب من ذلك المنكر قدرة الله على إحيائه بعد فنائه, وإيجاده بعد عدمه في خلق نفسه, أن الله خلقه من قبل مماته, فأنشأه بشرا سويا من غير شيء ولَمْ يكُ من قبل إنشائه إياه شَيئا فيعتبر بذلك ويعلم أن من أنشأه من غير شيء لا يعجز عن إحيائه بعد مماته, وإيجاده بعد فنائه.

وقد اختلفت القرّاء في قراءة قوله أوَلا يَذْكُرُ الإنْسانُ فقرأه بعض قرّاء المدينة والكوفة: أوَلا يَذْكُرُ بتخفيف الذال, وقد قرأ ذلك عامة قرّاء الكوفة والبصرة والحجاز: «أوَلا يَذّكّرُ» بتشديد الذال والكاف, بمعنى: أو لا يتذكر, والتشديد أعجب إليّ, وإن كانت الأخرى جائزة, لأن معنى ذلك: أو لا يتفكر فيعتبر.

الآية : 68

القول في تأويل قوله تعالى: {فَوَرَبّكَ لَنَحْشُرَنّهُمْ وَالشّيَاطِينَ ثُمّ لَنُحْضِرَنّهُمْ حَوْلَ جَهَنّمَ جِثِيّاً }.

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم: فوربك يا محمد لنحشرنّ هؤلاء القائلين: أئذا متنا لسوف نخرج أحياء يوم القيامة من قبورهم, مقرنين بأوليائهم من الشياطين ثُمّ لَنُحْضِرَنّهُمْ حَوْلَ جَهَنّمَ جِثِيّا والجثي: جمع الجاثي. كما:

17968ـ حدثني محمد بن سعد, قال: ثني أبي, قال: ثني عمي, قال: ثني أبي, عن أبيه, عن ابن عباس قوله: ثُمّ لَنُحْضِرَنّهُمْ حَوْلَ جَهَنّمَ جِثِيّا يعني: القعود, وهو مثل قوله: وَتَرَى كُلّ أُمةٍ جاثِيَةً.

الآية : 69

لقول في تأويل قوله تعالى: {ثُمّ لَنَنزِعَنّ مِن كُلّ شِيعَةٍ أَيّهُمْ أَشَدّ عَلَى الرّحْمَنِ عِتِيّاً }.

يقول تعالى ذكره, ثم لنأخذنَ من كلّ جماعة منهم أشدّهم على الله عتوّا, وتمرّدا فلنبدأنّ بهم. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

17969ـ حدثنا ابن بشار, قال: حدثنا عبد الرحمن, قال: حدثنا سفيان, عن عليّ بن الأقمر, عن أبي الأحوص ثُمّ لَنَنْزِعَنّ مِنْ كُلّ شِيعَةٍ أيّهُمْ أشَدّ عَلى الرّحْمَنِ عِتِيّا قال: نبدأ بالأكابر فالأكابر جرما.

17970ـ حدثني محمد بن سعد, قال: ثني أبي, قال: ثني عمي, قال: ثني أبي, عن أبيه, عن ابن عباس, قوله: ثُمّ لَنَنْزِعَنّ مِنْ كُلّ شِيعَةٍ أيّهُمْ أشَدّ عَلى الرّحْمَنِ عِتِيّا يقول: أيهم أشدّ للرحمن معصية, وهي معصيته في الشرك.

حدثني عليّ, قال: حدثنا عبد الله, قال: ثني معاوية, عن عليّ, عن ابن عباس, قوله: أيّهُمْ أشَدّ عَلى الرّحْمَنِ عِتِيّا يقول: عصيا.

17971ـ حدثني محمد بن عمرو, قال: حدثنا أبو عاصم, قال: حدثنا عيسى. وحدثني الحارث, قال: حدثنا الحسن, قال: حدثنا ورقاء, جميعا عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد, قوله: مِنْ كُلّ شِيعَةٍ قال: أمة. وقوله عِتِيّا قال: كفرا.

حدثنا القاسم, قال: حدثنا الحسين, قال: ثني حجاج, عن ابن جريج, عن مجاهد, مثله, وزاد فيه ابن جريج: فلنبدأنّ بهم.

قال أبو جعفر: والشيعة هم الجماعة المتعاونون على الأمر من الأمور, يقال من ذلك: تشايع القوم: إذا تعاونوا ومنه قولهم للرجل الشجاع: إنه لمشيع: أي معان, فمعنى الكلام: ثم لننزعنّ من كلّ جماعة تشايعت على الكفر بالله, أشدّهم على الله عتوّا, فلنبدأنّ بإصلائه جهنم. والتشايع في غير هذا الموضع: التفرّق ومنه قول الله عزّ ذكره: وكانُوا شيَعا يعني: فرقا ومنه قول ابن مسعود أو سعد. إني أكره أن آتي رسول الله صلى الله عليه وسلم, فيقول: شيّعت بين أمتي, بمعنى: فرّقت.

الآية : 70

القول في تأويل قوله تعالى: {ثُمّ لَنَحْنُ أَعْلَمُ بِالّذِينَ هُمْ أَوْلَىَ بِهَا صِلِيّاً }.

يقول تعالى ذكره: ثم لنحن أعلم من هؤلاء الذين ننزعهم من كلّ شيعة أولاهم بشدّة العذاب, وأحقهم بعظيم العقوبة. وذكر عن ابن جريج أنه كان يقول في ذلك ما:

17972ـ حدثنا القاسم, قال: حدثنا الحسين, قال: ثني حجاج, عن ابن جريج ثُمّ لَنَحْنُ أعْلَمُ بالّذِينَ هُمْ أوْلَى بِها صِلِيّا قال: أولى بالخلود في جهنم.

قال أبو جعفر: وهذا الذي قاله ابن جريج, قول لا معنى له, لأن الله تعالى ذكره أخبر أن الذين ينزعهم من كلّ شيعة من الكفرة أشدّهم كفرا, ولا شكّ أنه لا كافر بالله إلا مخلّد في النار, فلا وجه, وجميعهم مخلدون في

جهنم, لأن يقال: ثم لنحن أعلم بالذين هم أحقّ بالخلود من هؤلاء المخلدين, ولكن المعنى في ذلك ما ذكرنا. وقد يحتمل أن يكون معناه: ثم لنحن أعلم بالذين هم أولى ببعض طبقات جهنم صليا. والصليّ: مصدر صليت تصلي صليا, والصلي: فعول, ولكن واوها انقلبت ياء فأدغمت في الياء التي بعدها التي هي لام الفعل, فصارت ياء مشدّدة.

الآية : 71

القول في تأويل قوله تعالى: {وَإِن مّنكُمْ إِلاّ وَارِدُهَا كَانَ عَلَىَ رَبّكَ حَتْماً مّقْضِيّاً }.

يقول تعالى ذكره: وإن منكم أيها الناس إلا وارد جهنم, كان على ربك يا محمد إيرادهموها قضاء مقضيا, قد قضى ذلك وأوجبه في أمّ الكتاب.

واختلف أهل العلم في معنى الورود الذي ذكره الله في هذا الموضع, فقال بعضهم: الدخول. ذكر من قال ذلك:

17973ـ حدثنا الحسن بن يحيى, قال: أخبرنا عبد الرزاق, قال: أخبرنا ابن عيينة عن عمرو, قال: أخبرني من سمع ابن عباس يخاصم نافع بن الأزرق, فقال ابن عباس: الورود: الدخول, وقال نافع: لا, فقرأ ابن عباس: إنّكُمْ وَما تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللّهِ حَصَبُ جَهَنّمَ أَنْتُمْ لَهَا وَارِدُونَ أورود هو أم لا؟ وقال: يَقْدُمُ قَوْمَهُ يَوْمَ القِيامَةِ فأوْرَدَهُمُ النّارَ وَبِئْسَ الوِرْدُ المَوْرُودُ أورود هو أم لا؟ أما أنا وأنت فسندخلها, فانظر هل نخرج منها أم لا؟ وما أرى الله مخرجك منها بتكذيبك, قال: فضحك نافع.

17974ـ حدثنا القاسم, قال: حدثنا الحسين, قال: ثني حجاج, عن ابن جريج, عن عطاء بن أبي رباح, قال: قال أبو راشد الحَروريّ: ذكروا هذا فقال الحروريّ: لا يسمعون حَسيسها, قال ابن عباس: ويلك أمجنون أنت؟ أين قوله تعالى: يَقْدُمُ قَوْمَهُ يَوْمَ القِيامَةِ فأوْرَدَهُمُ النّارَ وَبِئْسَ الوِرْدِ المَوْرُودُ. وَنَسُوقُ المُجْرِمِينَ إلى جَهَنّمَ وِرْدا, وقوله: وَإِنْ مِنْكُمْ إلاّ وَارِدُها والله إن كان دعاء من مضى: اللهمّ أخرجني من النار سالما, وأدخلني الجنة غانما.

قال ابن جريج: يقول: الورود الذي ذكره الله في القرآن: الدخول, ليردنها كل برّ وفاجر في القرآن أربعة أوراد فأوْرَدَهُمُ النّارَ وَحَصَبُ جَهَنّمَ أَنْتُمْ لَهَا وَارِدُونَ وَنَسُوقُ المُجْرِمِينَ إلى جَهَنّمَ وِرْدا, وقوله: وَإِنْ مِنْكُمْ إلاّ وَارِدُها.

حدثني محمد بن سعد, قال: ثني أبي, قال: ثني عمي, قال: ثني أبي, عن أبيه, عن ابن عباس, قوله: وَإِنْ مِنْكُمْ إلاّ وَارِدُها كانَ عَلى رَبّكَ حَتْما مَقْضِيّا يعرف البرّ والفاجر, ألم تسمع إلى قول الله تعالى لفرعون: يَقْدُمُ قَوْمَهُ يَوْمَ القِيامَةِ فأوْرَدَهُمُ النّارَ وَبِئْسَ الوِرْدِ المَوْرُودُ, وقال وَنَسوق المُجْرِمِينَ إلى جَهَنّمَ وِرْدا فسمى الورود في النار دخولاً, وليس بصادر.

17975ـ حدثنا الحسن بن عرفة, قال: حدثنا مروان بن معاوية, عن بكار بن أبي مروان, عن خالد بن معدان, قال: قال أهل الجنة بعد ما دخلوا الجنة: ألم يعدنا ربنا الورود على النار؟ قال: قد مررتم عليها وهي خامدة.

قال ابن عرفة, قال مروان بن معاوية, قال بكار بن أبي مروان, أو قال: جامدة.

17976ـ حدثنا محمد بن المثنى, قال: حدثنا مرحوم بن عبد العزيز, قال: ثني أبو عمران الجَوْنيّ, عن أبي خالد قال: تكون الأرض يوما نارا, فماذا أعددتم لها؟ قال: فذلك قول الله: وَإِنْ مِنْكُمْ إِلاّ وَارِدُها كانَ عَلى رَبّكَ حَتْما مَقْضِيّا ثُمّ نُنَجّي الّذِينَ اتّقَوْا وَنَذَرُ الظّالِمِينَ فِيها جِثِيّا.

17977ـ حدثني يعقوب بن إبراهيم, قال: حدثنا ابن علية, عن الجريريّ, عن أبي السليل, عن غنيم بن قيس, قال: ذكروا ورود النار, فقال كعب: تُمْسَكُ النارُ للناس كأنها متن إهالة, حتى يستويَ عليها أقدام الخلائق بَرّهم وفاجرهم, ثم يناديها مناد: أن أمسكي أصحابك, ودعي أصحابي, قال: فيُخْسَف بكلّ وليّ لها, ولهي أعلم بهم من الرجل بولده, ويخرج المؤمنون ندية أبدانهم. قال: وقال كعب: ما بين منكبي الخازن من خزنتها مسيرة سنة, مع كلّ واحد منهم عمود له شعبتان, يدفع به الدّفْعة, فيصرع به في النار سبع مئة ألف.

17978ـ حدثنا أبو كريب, قال: حدثنا ابن يمان, عن مالك بن مغول, عن أبي إسحاق, قال: كان أبو ميسرة إذا أوى إلى فراشه, قال: يا ليت أمي لم تلدني, ثم يبكي, فقيل: وما يبكيك يا أبا ميسرة؟ قال: أخبرنا أنا واردوها, ولم يُخبرنا أنا صادرون عنها.

17979ـ حدثنا ابن حميد, قال: حدثنا حكام, عن إسماعيل, عن قيس, قال: بكى عبد الله بن رواحة في مرضه, فبكت امرأته, فقال: ما يبكيكِ, قالت: رأيتك تبكي فبكيت, قال ابن رواحة: إني قد علمت إني وارد النار فما أدري أناج منها أنا أم لا؟.

17980ـ حدثنا القاسم, قال: حدثنا الحسين, قال: حدثنا أبو عمرو داود بن الزبرقان, قال: سمعت السديّ يذكر عن مرّة الهمداني, عن ابن مسعود وَإِنْ مِنْكُمْ إِلاّ وَارِدُها قال: داخلها.

حدثنا القاسم, قال: حدثنا الحسين, قال: ثني حجاج, عن ابن جريج, عن مجاهد, عن ابن عباس, في قوله وَإِنْ مِنْكُمْ إِلاّ وَارِدُها قال: يدخلها.

حدثنا الحسن بن يحيى, قال: أخبرنا عبد الرزاق, عن ابن عيينة, عن إسماعيل بن أبي خالد, عن قيس بن أبي حازم, قال: كان عبد الله بن رواحة واضع رأسه في حجر امرأته, فبكى, فبكت امرأته, قال: ما يبكيك؟ قالت: رأيتك تبكي فبكيت, قال: إني ذكرت قول الله وَإِنْ مِنْكُمْ إِلاّ وَارِدُها فلا أدري أنجو منها, أم لا؟.

وقال آخرون: بل هو المَرّ عليها. ذكر من قال ذلك:

17981ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة وَإِنْ مِنْكُمْ إِلاّ وَارِدُها يعني جهنم مرّ الناس عليها.

حدثنا الحسن, قال: أخبرنا عبد الرزاق, قال: أخبرنا معمر, عن قتادة في قوله وَإِنْ مِنْكُمْ إِلاّ وَارِدُها قال: هو المرّ عليها.

17982ـ حدثنا خلاد بن أسلم, قال: أخبرنا النضر, قال: أخبرنا إسرائيل, قال: أخبرنا أبو إسحاق, عن أبي الأحوص, عن عبد الله في قوله: وَإِنْ مِنْكُمْ إِلاّ وَارِدُها قال: الصراط على جهنم مثل حدّ السيف, فتمرّ الطبقة الأولى كالبرق, والثانية كالريح, والثالثة كأجود الخيل, والرابعة كأجود البهائم. ثم يمرّون والملائكة يقولون: اللهمّ سلم سلم.

وقال آخرون: بل الورود: هو الدخول, ولكنه عنى الكفار دون المؤمنين. ذكر من قال ذلك:

17983ـ حدثنا ابن المثنى, قال: حدثنا أبو داود, قال: حدثنا شعبة, قال: أخبرني عبد الله بن السائب, عن رجل سمع ابن عباس يقرؤها وَإنْ مِنْكُمْ إلاّ وَارِدُها يعني الكفار, قال: لا يردها مؤمن.
17984ـ حدثنا محمد بن بشار, قال: حدثنا عبد الرحمن, قال: حدثنا عمرو بن الوليد الشّنّي, قال: سمعت عكرمة يقول وَإنْ مِنْكُمْ إلاّ وَارِدُها يعني الكفار.
وقال آخرون: بل الورود عام لكلّ مؤمن وكافر, غير أن ورود المؤمن المرور, وورود الكافر الدخول. ذكر من قال ذلك:
17985ـ حدثني يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: قال ابن زيد, في قوله: وَإنْ مِنْكُمْ إلاّ وَارِدُها ورود المسلمين المرور على الجسر بين ظهريها وورود المشركين أن يدخلوها, قال: وقال النبيّ صلى الله عليه وسلم: «الزّالّونَ والزّالاّتُ يَوْمَئِذٍ كَثِيرٌ, وَقَدْ أحاطَ الجِسْرَ سِماطانِ مِنَ المَلائكَةِ, دَعْوَاهُمْ يَوْمَئِذٍ يا أللّهُ سَلّمْ سَلّمْ».
وقال آخرون: ورود المؤمن ما يصيبه في الدنيا من حمّى ومرض. ذكر من قال ذلك:
17986ـ حدثنا أبو كريب, قال: حدثنا ابن يمان, عن عثمان بن الأسود, عن مجاهد قال: الحمى حظّ كلّ مؤمن من النار, ثم قرأ: وَإنْ مِنْكُمْ إلاّ وَارِدُها.
17987ـ حدثني عمران بن بكار الكلاعي, قال: حدثنا أبو المغيرة, قال: حدثنا عبد الرحمن بن يزيد بن تميم, قال: حدثنا إسماعيل بن عبيد الله, عن أبي صالح, عن أبي هريرة قال: خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم يعود رجلاً من أصحابه وبه وعك وأنا معه, ثم قال: «إن الله يقول: هي ناري أسلطها على عبدي المؤمن, لتكون حظه من النار في الآخرة».
وقال آخرون: يردُها الجميع, ثم يصدر عنها المؤمنون بأعمالهم. ذكر من قال ذلك:
17988ـ حدثنا ابن المثنى, قال: حدثنا يحيى بن سعيد, عن شعبة, قال: ثني السدي, عن مرّة, عن عبد الله وَإنْ مِنْكُمْ إلاّ وَارِدُها قال: يردُونها ثم يصدرون عنها بأعمالهم.
حدثنا ابن المثنى, قال: حدثنا عبد الرحمن بن مهدي, قال: حدثنا شعبة, عن السديّ, عن مرّة, عن عبد الله, بنحوه.
17989ـ حدثني محمد بن عبيد المحاربي, قال: حدثنا أسباط, عن عبد الملك, عن عبيد الله, عن مجاهد, قال: كنت عند ابن عباس, فأتاه رجل يقال له أبو راشد, وهو نافع بن الأزرق, فقال له: يا ابن عباس أرأيت قول الله وَإنْ مِنْكُمْ إلاّ وَارِدُها كانَ عَلى رَبّكَ حَتْما مَقْضِيّا قال: أما أنا وأنت يا أبا راشد فسنردها, فانظر هل نصدر عنها أم لا؟.
17990ـ حدثنا ابن بشار, قال: حدثنا أبو عاصم, قال: حدثنا ابن جريج, قال: أخبرني أبو الزبير أنه سمع جابر بن عبد الله يُسأل عن الورود, فقال: «نحن يوم القيامة على كوى أو كرى, فوق الناس, فتدعي الأمم بأوثانها, وما كانت تعبد الأوّل فالأوّل, فينطلق بهم ويتبعونه, قال: ويعطي كلّ إنسان منافق ومؤمن نورا, ويغشى ظلمة ثم يتبعونه, وعلى جسر جهنم كلاليب تأخذ من شاء الله, فَيُطْفأ نور المنافق, وينجو المؤمنون, فتنجو أوّل زمرة كالقمر ليلة البدر, وسبعون ألفا لا حساب عليهم, ثم الذين

يلونهم كأضوأ نجم في السماء, ثم كذلك, ثم تحلّ الشفاعة فيشفعون, ويخرج من النار من قال لا إله إلا الله ممن في قلبه وزن شعيرة من خير, ثم يلقون تلقاء الجنة, ويهريق عليهم أهل الجنة الماء, فينبتون نبات الشيء في السيل, ثم يسألون فيجعل لهم الدنيا وعشرة أمثالها».

17991ـ حدثنا القاسم, قال: حدثنا الحسين, قال: ثني حجاج, عن ابن المبارك, عن الحسن, قال: قال رجل لأخيه: هل أتاك بأنك وارد النار؟ قال: نعم, قال: فهل أتاك أنك صادر عنها؟ قال: لا, قال: ففيم الضحك؟ قال: فما رؤي ضاحكا حتى لحق بالله.

17992ـ حدثنا يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: أخبرنا عمرو بن الحارث أن بكيرا حدّثه أنه قال لبسر بن سعيد: إن فلانا يقول: إن ورود النار القيام عليها. قال بسر: أما أبو هريرة فسمعته يقول: «إذا كان يوم القيامة, يجتمع الناس نادى مناد: ليلحق كل أناس بما كانوا يعبدون, فيقوم هذا إلى الحجر, وهذا إلى الفرس, وهذا إلى الخشبة حتى يبقى الذين يعبدون الله, فيأتيهم الله, فإذا رأوه قاموا إليه, فيذهب بهم فيسلك بهم على الصراط, وفيه عليق, فعند ذلك يؤذن بالشفاعة, فيمرّ الناس, والنبيون يقولون: اللهمّ سلم سلم». قال بكير: فكان ابن عميرة يقول: فناج مسلم ومنكوس في جهنم ومخدوش, ثم ناج.

وأولى الأقوال في ذلك بالصواب قول من قال: يردها الجميع ثم يصدر عنها المؤمنون, فينجيهم الله, ويهوي فيها الكفار وورودهموها هو ما تظاهرت به الأخبار عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من مرورهم على الصراط المنصوب على متن جهنم, فناج مسلم ومكدس فيها.

ذكر الأخبار المروية عن رسول الله صلى الله عليه وسلم بذلك:

17993ـ حدثنا أبو كريب, قال: حدثنا ابن إدريس, عن الأعمش, عن أبي سفيان, عن جابر, عن أمّ مبشر امرأة زيد بن حارثة, قالت: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو في بيت حفصة: «لا يَدْخُلُ النّارَ أحَدٌ شَهِدَ بَدْرا والحُدَيْبِيَةَ». قالت: فقالت حفصة: يا رسول الله, أليس الله يقولَ: وَإنْ مِنْكُمْ إلاّ وَارِدُها؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «فمَهْ ثُمّ يَنَجّي اللّهُ الّذِين اتّقُوا».

حدثنا الحسن بن مدرك, قال: حدثنا يحيى بن حماد, قال: حدثنا أبو عوانة, عن الأعمش, عن أبي سفيان, عن جابر, عن أمّ مبشر, عن رسول الله صلى الله عليه وسلم, بمثله.

حدثنا أبو كريب, قال: حدثنا أبو معاوية, عن الأعمش, عن أبي سفيان, عن جابر, عن أمّ مبشر, عن حفصة, قالت: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إنّي لاَرْجُو أنْ لا يَدْخُلَ النّارَ أحَدٌ شَهِدَ بَدْرا والحُدَيْبِيَةَ», قالت: فقلت يا رسول الله, أليس الله يقول وَإنْ مِنْكُمْ إلاّ وَارِدُها؟ قال: «فَلَمْ تَسْمَعِيهِ يَقُولُ: ثُمّ نُنَجّي الّذِينَ اتّقَوْا وَنَذَرُ الظّالِمِينَ فِيها جِثِيّا»؟

17994ـ حدثني يعقوب بن إبراهيم, قال: حدثنا ابن عُلَية, عن محمد بن إسحاق, قال: ثني عبيد الله بن المغيرة بن معيقب, عن سليمان بن عمرو بن عبد العِنْواريّ, أحد بني ليث, وكان في حجر أبي سعيد, قال: سمعت أبا سعيد الخُدريّ يقول: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «يُوضَعُ الصّرَاطُ بينَ ظَهْرَيْ جَهَنّمَ, عَلَيْهِ حَسكٌ كحَسكِ السّعْدانِ, ثُمّ يَسْتَجِيزُ النّاسُ, فنَاجٍ مُسْلِمٌ ومَجْرُوحٌ بِهِ, ثمّ ناجٍ ومُحْتَبِسٌ ومُكَدّسٌ

فِيها, حتى إذَا فَرَغَ اللّهُ مِنَ القَضَاءِ بينَ العِبادِ تَفَقّدَ المُؤْمِنُونَ رِجالاً كانُوا مَعَهُمْ فِي الدّنْيا يُصَلّونَ صَلاَتَهُمْ, وَيُزَكّونَ زَكاتَهُمْ وَيَصُومُون صِيامَهُمْ, ويَحُجّونَ حَجّهُمْ, ويَغْزُونَ غَزْوَهُمْ, فَيَقُولُونَ: أيّ رَبّنا عِبادٌ مِنْ عِبادِكَ كانُوا مَعَنا فِي الدنْيا, يُصَلّونَ صَلاتَنا, وَيُزَكّونَ زَكاتَنا, وَيَصُومُونَ صِيامَنا, ويَحُجّونَ حَجّنا, ويَغْزُونَ غَزْونا, لا نَرَاهُمْ, فَيَقُولُ: اذْهَبُوا إلى النّارِ, فَمَنْ وَجَدْتُمْ فِيها مِنْهُمْ فأخْرِجُوهُ, فَيَجِدُونَهُمْ قَدْ أخَذَتْهُمُ النّارُ عَلى قَدْرِ أعمالِهِمْ, فَمِنْهُمْ مَنْ أخَذَتْهُ النّارُ إلى قَدَمَيْهِ, وَمِنْهُمْ مَنْ أخَذَتْهُ إلى نِصْفِ ساقَيهِ, وَمِنْهُمْ مَنْ أخَذَتْهُ إلى رُكْبَتَيْهِ, وَمِنْهُمْ مَنْ أخَذَتْهُ إلى ثَدِيَيْهِ, وَمِنْهُمْ مَنْ أخَذَتْهُ إلى عُنُقِهِ ولَمْ تَغْشَ الوُجُوهَ, فَيَسْتَخْرِجُونَهُمْ مِنْها, فَيَطْرَحُونَهُمْ فِي ماءِ الحَياةِ» قِيلَ: وَما ماءُ الحَياةِ يا رَسول اللّهِ؟ قال: «غُسْلُ أهْلِ الجَنّةِ, فَيَنْبُتُونَ كمَا تَنْبُتُ الزّرْعَةُ فِي غُثاءِ السّيْلِ, ثُمّ تَشْفَعُ الأنْبِياءُ فِي كُلّ مَنْ كانَ يَشْهَدُ أنْ لا إلهَ إلاّ اللّهُ مُخْلِصا, فَيَسْتَخْرِجُونَهُمْ مِنْها, ثُمّ يَتَحَننُ اللّهُ برحْمَتِهِ عَلى مَنْ فِيها, فَمَا يَتْرُكُ فِيها عَبْدا فِي قَلْبِهِ مِثْقالُ ذَرّةٍ مِنَ الإيمَانِ إلاّ أخْرَجَهُ مِنْها».

17995ـ حدثني محمد بن عبد الله بن عبد الحكم, قال: حدثنا أبي وشعيب بن الليث, عن الليث بن خالد, عن يزيد بن أبي هلال, عن زيد بن أسلم, عن عطاء بن يسار, عن أبي سعيد الخُدريّ, أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «يُؤْتَى بالجِسْرِ يعني يوم القيامة فَيُجْعَلُ بينَ ظَهْرَيْ جَهَنمَ» قلنا: يا رسول الله وما الجسر؟ قال: «مَدحَضَةٌ مزَلّةٌ, عَلَيْهِ خَطاطِيفُ وكَلالِيبُ وحَسْكَةٌ مُفَلْطَحَةٌ لها شَوْكة عُقَيْفاءُ تَكُونُ بِنَجْدٍ, يُقالُ لَهَا السّعْدانُ, يَمُرّ المُؤْمِنُونَ عَلَيْها كالطّرْفِ والبَرْقِ وكالرّيحِ, وكأجاوِدِ الخَيْلِ والرّكابِ, فَناجٍ مُسْلِم, ومَخْدُوشٌ مُسْلِمٌ, ومَكْدُوسٌ فِي جَهَنّمَ, ثُمّ يَمُرّ آخِرُهُمْ يُسْحَبُ سَحْبا, فَمَا أنْتُمْ بأشَدّ مُناشَدَةٍ لي فِي الحَقّ قَد تَبَيّنَ لَكُمْ, مِنَ المُؤْمِنِينَ يَوْمَئِذٍ للجَبّارِ تَبارَك وَتَعالى, إذَا رأوْهُمْ قَدْ نَجَوا وَبَقِيَ إخْوانُهُمْ».

17996ـ حدثني أحمد بن عيسى, قال: حدثنا سعيد بن كثير بن عُفَير, قال: حدثنا ابن لَهيعة, عن أبي الزبير, قال: سألت جابر بن عبد الله عن الورود, فقال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «هُوَ الدّخولُ, يَردُونَ النّارَ حتى يَخْرُجُوا مِنْها, فآخِرُ مَنْ يَبْقَى رَجُلٌ عَلى الصّراطِ يَزْحَفُ, فَيرْفَعُ اللّهُ لَهُ شَجَرَةً, قالَ: فَيَقُولُ: أيْ رَبّ أدْنَنِي مِنْها, قالَ: فَيُدْنِيهِ اللّهُ تَبارَكَ وتَعَالى مِنْها, قالَ: ثُمّ يَقُولُ: أيْ رَبّ أدْخِلْنِي الجَنّةَ, قالَ: فَيَقُولُ: سَلْ, قالَ: فَيَسألُ, قال: فَيَقُولُ: ذلكَ لَكَ وَعَشْرَةُ أضْعافِهِ أوْ نَحْوُها قالَ: فَيَقُولُ: يا رَبّ تَسْتَهْزِئُ بِي؟ قالَ: فَيَضْحَكُ حتى تَبْدُو لَهْوَاتُهُ وأضْرَاسُهُ».

17997ـ حدثني يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: أخبرني يحيى بن أيوب «ح» وحدثنا أبو كريب, قال: حدثنا محمد بن زيد, عن رشدين, جميعا عن زياد بن فائد, عن سهل بن معاذ, عن أبيه, عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: «مَنْ حَرَسَ وَرَاءَ المُسْلِمِينَ فِي سَبِيلِ اللّهِ مُتَطَوّعا, لا يأخُذُهُ سُلْطانٌ بحرَسٍ, لَمْ يَرَ النّارَ بعَيْنِهِ إلاّ تَحِلّةَ القَسَمِ, فإنّ اللّهَ تَعالى يَقُولُ وَإنْ مِنْكُمْ إلاّ وَارِدُها».

17998ـ حدثنا الحسن بن يحيى, قال: أخبرنا عبد الرّزاق, قال: أخبرنا معمر, أخبرني الزهريّ, عن ابن المسيب عن أبي هريرة, أن النبيّ صلى

الله عليه وسلم قال: «مَنْ ماتَ لَهُ ثَلاثَةٌ لَـمْ تَـمَسّهُ النّارُ إلاّ تَـحِلّةَ القَسَـمِ» يعنـي: الورود.

وأما قوله: كانَ عَلَـى رَبّكَ حَتْـما مَقْضِيّا فإن أهل التأويــل اختلفـوا فــي تأويـله, فقال بعضهم معناه: كان على ربك قضاء مقضيا. ذكر من قال ذلك:

17999ـ حدثنـي مـحمد بن عمرو, قـال: حـدثنا أبـو عاصـم, قـال: حـدثنا عيسى وحدثنـي الـحارث, قال: حدثنا الـحسن قال: حدثنا ورقاء, جميعا عن ابن أبـي نـجيح, عن مـجاهد, قوله: حَتْـما قال: قضاء.

18000ـ حدثنا القاسم, قال: حدثنا الـحسين, قال: ثنـي حجاج, عـن ابـن جريج حَتْـما مَقْضِيّا قال: قضاء.

وقال آخرون: بل معناه: كان علـى ربك قسما واجبـا. ذكر من قال ذلك:

18001ـ حدثنا القاسم, قال: حدثنا الـحسين, قال: حدثنا أبـو عمـرو داود بن الزّبْرِقـان, قـال: سـمعت السـديّ يـذكر عـن مـرّة الهمدانــيّ, عـن ابـن مسعود كانَ عَلـى رَبّكَ حَتْـما مَقْضِيّا قال: قسما واجبـا.

18002ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قَتـادة كـانَ عَلـى رَبّكَ حَتْـما مَقْضِيّا يقول: قسما واجبـا.

قال أبو جعفر: وقد بـيّنت القول فـي ذلك.

الآية : 72

القول فـي تأويـل قوله تعالـى {ثُمّ نُنَجّي الّذِينَ اتّقَـواْ وّنَـذَرُ الظّـالِمِينَ فِيهَـا جِثِيّاً }.

يقول تعالـى ذكره: ثم ننـجي من النار بعد ورود جميعهم إياها, الذين اتقوا فخافوه, بأداء فرائضه واجتناب معاصيه وَنَذَرُ الظّالِـمِينَ فِـيها جِثِـيّا يقول جلّ ثناؤه: وندع الذين ظلـموا أنفسهم, فعبدوا غير الله, وعصَوا ربهـم, وخـالفوا أمره ونهيه من النار, جثـيا, يقول: بروكا علـى ركبهم. وبنـحو الذي قلنا فــي ذلك, قال أهل التأويـل. ذكر من قال ذلك:

18003ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتـادة وَنَـذَرُ الظّالِـمِينَ فِـيها جثِـيا علـى ركبهم.

حدثنا الـحسن ابن يحيى, قال: أخبرنا عبد الرزّاق, قال: أخبرنا معمر, عن قتادة وَنَذَرُ الظّالِـمينَ فِـيها جِثِـيّا علـى ركبهم.

18004ـ حدثنـي يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: قـال ابـن زيـد فــي قوله: وَنَذَرُ الظّالِـمِينَ فِـيها جِثِـيّا قـال: الـجُثِــيّ: شـرّ الــجلوس, لا يجلـس الرجل جاثـيا إلاّ عند كرب ينزل به.

18005ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة, قوله ثُمّ نُنَـجّي الّذِينَ اتّقَوْا وَنَذَرُ الظّالِـمِينَ فِـيها جِثِـيّا إن الناس وردوا جهنـم وهي سوداء مظلـمة, فأما الـمؤمنون فأضاءت لهم حسناتهم, فأنـجوا منهـا. وأمـا الكفـار فأوبقتهم أعمالهم, واحْتُبِسوا بذنوبهم.

الآية : 73

القول فـي تأويـل قوله تعالــى {وَإِذَا تُتْلَـىَ عَلَيْهِـمْ آيَاتُنَـا بِيّنَـاتٍ قَـالَ الّـذِينَ كَفَرُواْ لِلّذِينَ آمَنُوَاْ أَيّ الْفَرِيقَيْنِ خَيْرٌ مّقَاماً وَأَحْسَنُ نَدِيّاً }.

يقول تعالـى ذكره: وإذا تتلـى علــى النـاس آياتنـا التــي أنزلناهـا علــى رسولنا مـحمد بـينات, يعنـي واضحات لـمن تأمّلها وفكّر فـيها أنها أدلة علـى ما جعلها الله أدلة علـيه لعبـاده, قال الذين كفروا بـالله وبكتابه وآياته, وهــم قريش, للذين آمنوا فصـدّقوا بـه, وهـم أصـحاب مــحمد أيّ الفَرِيقَــيْنِ خَيْـرٌ

مَقاما يَعْني بالمَقام: موضع إقامتهم, وهي مساكنهم ومنازلهم وأحْسَنُ نَدِيّا وهو المجلس, يقال منه: ندوت القوم أندوهم نَدْوا: إذا جمعتهم في مجلس, ويقال: هو فـي نديّ قومه وفي ناديهم: بمعنى واحد. ومن النديّ قول حاتم:

ودُعِيتُ فِي أُولى النّدِيّ ولَمْيُنْظَرْ إلـيّ بأعْيُنٍ خُزْرِ

وتأويل الكلام: وإذا تُتلى عليهم آياتنا بـيّنات, قال الذين كفروا للذين آمنوا: أيّ الفريقين منا ومنكم أوسع عيشا, وأنعم بالاً, وأفضل مسكنا, وأحسن مجلسا, وأجمع عددا وغاشية في المجلس, نحن أم أنتم؟ وبنحو الذي قلنا في ذلك, قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

18006ـ حدثنا محمد بن بشار, قال: حدثنا مؤمل, قال: حدثنا سفيان, عن الأعمش, عن أبي ظبيان, عن ابن عباس, قوله: خَيْرٌ مَقاما وأحْسَنُ نَدِيّا قال: المقام: المنزل, والنديّ: المجلس.

حدثنا ابن المثنى, قال: حدثنا ابن أبي عديّ, عن شعبة, عن سليمان, عن أبي ظَبْيان, عن ابن عباس بمثله.

18007ـ حدثني محمد بن سعد, قال: ثني أبي, قال: ثني عمي, قال: ثني أبي, عن أبيه, عن ابن عباس وَإذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ آياتُنا بَيّناتٍ قالَ الّذِينَ كَفَرُوا للّذِينَ آمَنُوا أيّ الفَرِيقَيْنِ خَيْرٌ مَقاما وَأحْسَنُ نَدِيّا؟ قال: المقام: المسكن, والنديّ: المجلس والنّعمة والبهجة التي كانوا فيها, وهو كما قال الله لقوم فرعون, حين أهلكهم وقصّ شأنهم في القرآن فقال: كَمْ تَرَكُوا مِنْ جَنّاتٍ وَعُيُونٍ وكُنُوزٍ وَمَقامٍ كَرِيمٍ وَنَعْمَةٍ كانُوا فِيها فاكِهِينَ فالمقام: المسكن والنعيم, والنديّ: المجلس والمجمع الذي كانوا يجتمعون فيه, وقال الله فيما قصّ على رسوله في أمر لوط إذ قال وَتأْتُونَ فِي نادِيكُمُ المُنْكَرَ, والعرب تسمي المجلس: النادي.

حدثني عليّ, قال: حدثنا عبد الله, قال: ثني معاوية, عن عليّ, عن ابن عباس, قوله وأحْسَن نَدِيّا يقول: مجلسا.

18008ـ حدثني محمد بن عمرو, قال: حدثنا أبو عاصم, قال: حدثنا عيسى, وحدثني الحارث, قال: حدثنا الحسن, قال: حدثنا ورقاء, جميعا عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد, في قول الله: أيّ الفَرِيقَيْنِ قال: قريش تقولها لأصحاب محمد صلى الله عليه وسلم وأحْسَنُ نَدِيّا قال: مجالسهم, يقولونه أيضا.

حدثنا القاسم, قال: حدثنا الحسين قال: ثني حجاج, عن ابن جريج, عن مجاهد, نحوه.

18009ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة, قوله: وَإذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ آياتُنا بَيّناتٍ قالَ الّذِينَ كَفَرُوا للّذِينَ آمَنُوا أيّ الفَرِيقَيْنِ خَيْرٌ مَقاما وأحْسَنُ نَدِيّا رأوا أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم في عيشهم خشونة, وفيهم قَشافة, فَعَرّض أهل الشرك بما تسمعون قوله وأحْسَنُ نَدِيّا يقول: مجلسا.

حدثنا الحسن بن يحيى, قال: أخبرنا عبد الرّزاق, قال: أخبرنا معمر, عن قتادة, في قوله: أيّ الفَرِيقَيْنِ خَيْرٌ مَقاما وأحْسَنُ نَدِيّا قال: النديّ: المجلس, وقرأ قول الله تعالى: فَلْيَدْعُ نادِيَهْ قال: مجلسه.

الآية : 74

القول في تأويل قوله تعالى {وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مّن قَرْنٍ هُمْ أَحْسَنُ أَثَاثاً وَرِءْياً }.

يقول تعالى ذكره: وكم أهلكنا يا محمد قبل هؤلاء القائلين من أهل الكفر للمؤمنين, إذا تُتلى عليهم آيات الرحمن, أيّ الفريقين خير مقاما, وأحسن نديا, مجالس من قرن هم أكثر متاع منازل من هؤلاء, وأحسن منهم منظرا وأجمل صورا, فأهلكنا أموالهم, وغيرنا صورهم ومن ذلك قول علقمة بن عبدة:

كُمَيْتٌ كَلَوْنِ الأَرْجُوَانِ نَشَرْتهُلبَيْعِ الرّئي فِي الصّوَانِ الـمُكَعّبِ

يعني بالصوان: التخت الذي تصان فيه الثياب. وبنحو الذي قلنا في ذلك, قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

18010ـ حدثنا محمد بن بشار, قال: حدثنا مؤمل, قال: حدثنا سفيان, عن الأعمش, عن أبي ظبيان, عن ابن عباس أَحْسَنُ أثاثا وَرِئْيا قال: الرئي: المنظر, والأثاث: المتاع.

حدثنا ابن المثنى, قال: حدثنا ابن أبي عديّ عن شعبة عن سليمان عن أبي ظبيان عن ابن عباس قال: الرئي المنظر.

حدثني عليّ, قال: حدثنا عبد الله, قال: ثني معاوية, عن عليّ, عن ابن عباس, قوله أَحْسَنُ أثاثا وَرِئْيا يقول: منظرا.

حدثني محمد بن سعد, قال: ثني أبي, قال: حدثنا عمي, قال: ثني أبي, عن أبيه, عن ابن عباس أَحْسَنُ أثاثا وَرِئْيا الأثاث: المال, والرّئي: المنظر.

18011ـ حدثنا ابن بشار, قال: حدثنا هوذة, قال: حدثنا عوف, عن الحسن, في قوله أثاثا وَرِئْيا قال: الأثاث: أحسن المتاع, والرّئي: قال: المال.

18012ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة, يقول الله تبارك وتعالى: وكَمْ أَهْلَكْنا قَبْلَهُمْ منْ قَرْنٍ هُمْ أَحْسَنُ أثاثا وَرِئْيا: أي أكثر متاعا وأحسن منزلة ومستقرّا, فأهلك الله أموالهم, وأفسد صورهم عليهم تبارك وتعالى.

حدثنا الحسن بن يحيى, قال: أخبرنا عبد الرزاق, قال: أخبرنا معمر, عن قتادة, قوله أَحْسَنُ أثاثا وَرِئْيا قال: أحسن صورا, وأكثر أموالاً.

18013ـ حدثني محمد بن عمرو, قال: حدثنا أبو عاصم, قال: حدثنا عيسى وحدثني الحارث, قال: حدثنا الحسن, قال: حدثنا ورقاء, جميعا عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد أثاثا قال: المتاع وَرِئْيا قال: فيما يرى الناس.

حدثنا القاسم, قال: حدثنا الحسين, قال: ثني حجاج, عن ابن جريج, عن مجاهد, بنحوه.

حدثنا ابن حميد وبشر بن معاذ, قالا: حدثنا جرير بن قابوس, عن أبيه, عن ابن عباس: الأثاث: المال, والرّئي: المنظر الحسن.

حدثنا القاسم, قال: ثني حجاج, عن ابن جريج, عن عطاء الخراساني, عن ابن عباس وَرِئْيا: منظرا في اللون والحسن.

حدثنا القاسم, قال: ثني حجاح, عن ابن جريج, عن عطاء الخراساني, عن ابن عباس وَرِئيا منظرا في اللون والحسن.

18014ـ حدثني يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: قال ابن زيد, في قوله: أَحْسَنُ أثاثا وَرِئْيا قال: الرئي: المنظر, والأثاث: المتاع, أحسن متاعا, وأحسن منظرا.

18015ـ حُدثت عن الحسين, قال: سمعت أبا معاذ يقول في قوله: أَحْسَنُ أثاثا يعني المال وَرِئْيا يعني: المنظر الحسن.

واختلفت القرّاء في قراءة ذلك, فقرأته عامة قرّاء أهل المدينة: «وَرِيّا» غير مهموز, وذلك إذا قرىء كذلك يتوجه لوجهين: أحدهما: أن يكون قارئه أراد الهمزة, فأبدل منها ياء, فاجتمعت الياء المُبدلة من الهمز والياء التي هي لام الفعل, فأدغمتا, فجعلتا ياء واحدة مشددة ليُلْحِقُوا ذلك, إذ كان رأس آية, بنظائره من سائر رؤوس الآيات قبله وبعده والآخر أن يكون من رويت أروي روية وريّا, وإذا أريد به ذلك كان معنى الكلام: وكم أهلكنا قبلهم من قرن, هم أحسن متاعا, وأحسن نظرا لماله, ومعرفة لتدبيره وذلك أن العرب تقول: ما أحسن رؤية فلان في هذا الأمر إذا كان حسن النظر فيه والمعرفة به. وقرأ ذلك عامة قرّاء العراق والكوفة والبصرة وَرِئْيا بهمزها, بمعنى: رؤية العين, كأنه أراد: أحسن متاعا ومَرآة. وحُكي عن بعضهم أنه قرأ: «أحسن أثاثا وزيا», بالزاي, كأنه أراد أحسن متاعا وهيئة ومنظرا, وذلك أن الزيّ هو الهيئة والمنظر من قولهم: زيّيت الجارية, بمعنى: زينتها وهيأتها.

قال أبو جعفر: وأولى القراءات في ذلك بالصواب, قراءة من قرأ أثاثا وَرِئْيا بالراء والهمز, لإجماع الحجة من أهل التأويل على أن معناه: المنظر, وذلك هو من رؤية العين, لا من الروية, فلذلك كان المهموز أولى به, فإن قرأ قارىء ذلك بترك الهمز, وهو يريد هذا المعنى, فغير مخطىء في قراءته. وأما قراءته بالزاي فقراءة خارجة, عن قراءة القرّاء, فلا أستجيز القراءة بها لخلافها قراءتهم, وإن كان لهم في التأويل وجه صحيح.

واختلف أهل العربية في الأثاث أجمع هو أم واحد, فكان الأحمر فيما ذُكر لي عنه يقول: هو جمع, واحدتها أثاثه, كما الحمام جمع واحدتها حمامة, والسحاب جمع واحدتها سحابة. وأما الفراء فإنه كان يقول: لا واحد له, كما أن المتاع لا واحد له. قال: والعرب تجمع المتاع: أمتعة, وأماتيع, ومتع. قال: ولو جمعت الأثاث لقلت: ثلاثة أثّةٍ وأثث. وأما الرئي فإن جمعه: آراء.

الآية : 75

القول في تأويل قوله تعالى {قُلْ مَن كَانَ فِي الضّلاَلَةِ فَلْيَمْدُدْ لَهُ الرّحْمَنُ مَدّاً حَتّىَ إِذَا رَأَوْاْ مَا يُوعَدُونَ إِمّا العَذَابَ وَإِمّا السّاعَةَ فَسَيَعْلَمُونَ مَنْ هُوَ شَرّ مّكَاناً وَأَضْعَفُ جُنداً }.

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم: قل يا محمد لهؤلاء المشركين بربهم, القائلين: إذا تتلى عليهم آياتنا, أيّ الفريقين منا ومنكم خير مقاما وأحسن نديا, من كان منا ومنكم في الضلالة جائرا عن طريق الحقّ. سالكا غير سبيل الهدى, فليمدد له الرحمن مدّا يقول: فليطوّل له الله في ضلالته, وليمله فيها إملاء. وبنحو الذي قلنا في ذلك, قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

18016ـ حدثني محمد بن عمرو, قال: حدثنا أبو عاصم, قال: حدثنا عيسى, عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد, في قوله: فِي الضّلالَةِ فَلْيَمْدُدْ لَهُ الرّحْمَنُ مَدّا فليَدعْه الله في طغيانه.

وحدثني الحارث, قال: حدثنا الحسن, قال: حدثنا ورقاء, عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد, مثله.

حدثنا القاسم, قال: حدثنا الحسين, قال: ثني حجاج, عن ابن جريج, عن مجاهد, مثله.

وقوله: حتى إذَا رَأوْا ما يُوعَدُونَ إمّا العَذَابَ وإمّا السّاعَةَ يقول تعالى ذكره: قل لهم: من كان منا ومنكم في الضلالة, فليمدد له الرحمن في ضلالته إلى أن يأتيهم أمر الله, إما عذاب عاجل, أو يلقوا ربهم عند قيام الساعة التي وعد الله خلقه أن يجمعهم لها, فإنهم إذا أتاهم وعد الله بأحد هذين الأمرين فَسَيَعْلَمُونَ مَنْ هُوَ شَرّ مَكانا ومسكنا منكم ومنهم وأضْعَفُ جُنْدا أهم أم أنتم؟ ويتبينون حينئذٍ أيّ الفريقين خير مقاما, وأحسن نديا.

الآية : 76

القول في تأويل قوله تعالى {وَيَزِيدُ اللّهُ الّذِينَ اهْتَدَواْ هُدًى وَالْبَاقِيَاتُ الصّالِحَاتُ خَيْرٌ عِندَ رَبّكَ ثَوَاباً وَخَيْرٌ مّرَدّاً }.

يقول تعالى ذكره: ويزيد الله من سلك قصد المحجة, واهتدى لسبيل الرشد, فآمن بربه, وصدّق بآياته, فعمل بما أمره به, وانتهى عما نهاه عنه هدى بما يتجدّد له من الإيمان بالفرائض التي يفرضها عليه. ويقرّ بلزوم فرضها إياه, ويعمل بها, فذلك زيادة من الله في اهتدائه بآياته هدى على هداه, وذلك نظير قوله: وإذَا أُنْزِلَتْ سُورَةٌ فَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ أيّكُمْ زَادَتْهُ هَذِهِ إيمانا فأمّا الّذِينَ آمَنُوا فَزَادَتْهُمْ إيمَانا وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ. وقد كان بعضهم يتأوّل ذلك: ويزيد الله الذين اهتدوا هُدىً بناسخ القرآن ومنسوخه, فيؤمن بالناسخ, كما آمن من قبل بالمنسوخ, فذلك زيادة هدىً من الله له على هُداه من قبل وَالباقِياتُ الصّالحات خَيْرٌ عِنْدَ رَبّكَ ثَوَابا يقول تعالى ذكره: والأعمال التي أمر الله بها عباده ورضيها منهم. الباقيات لهم غير الفانيات الصالحات, خير عند ربك جزاء لأهلها وَخَيْرٌ مَرَدّا عليهم من مقامات هؤلاء المشركين بالله, وأنديتهم التي يفتخرون بها على أهل الإيمان في الدنيا.

وقد بيّنا معنى الباقيات الصالحات, وذكرنا اختلاف المختلفين في ذلك, ودللنا على الصواب من القول فيه فيما مضى بما أغنى عن إعادته في هذا الموضع.

18017ـ حدثنا الحسن بن يحيى, قال: أخبرنا عبد الرزاق, قال: أخبرنا عمر بن راشد, عن يحيى بن أبي كثير عن أبي سلمة بن عبد الرحمن بن عوف, قال: جلس النبيّ صلى الله عليه وسلم ذات يوم, فأخذ عودا يابسا, فحطّ ورقه ثم قال: «إنّ قَوْلَ لا إلَهَ إلاّ اللّهُ, وَاللّهُ أكْبَرُ, والحَمْدُ لِلّهِ وَسُبْحانَ اللّهِ, تَحطّ الخَطايا, كمَا تَحُطّ وَرَقَ هَذِهِ الشّجَرَةِ الرّيحُ, خُذْهُنّ يا أبا الدّرْدَاءِ قَبْلَ أنْ يُحالَ بَيْنَكَ وَبَيْنَهُنّ, هُنّ الباقِياتُ الصّالِحاتُ, وَهُنّ مِنْ كُنُوزِ الجَنّةِ», قال أبو سلمة: فكان أبو الدرداء إذا ذكر هذا الحديث قال: لأهللنّ الله, ولأكبرنّ الله, ولأسبحنّ الله, حتى إذا رآني الجاهل حسب أني مجنون.

الآية : 77 و 78

القول في تأويل قوله تعالى {أَفَرَأَيْتَ الّذِي كَفَرَ بِآيَاتِنَا وَقَالَ لأُوتَيَنّ مَالاً وَوَلَداً * أَطّلَعَ الْغَيْبَ أَمِ اتّخَذَ عِندَ الرّحْمَنِ عَهْداً }.

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم: أفَرأيْتَ يا محمد الّذِي كَفَرَ بآياتِنا حججنا فلم يصدّق بها, وأنكر وعيدنا من أهل الكفر وَقالَ وهو بالله كافر وبرسوله لأوتَينّ في الآخرة مالاً وَوَلَدا. وذُكر أن هذه الآيات أنزلت في العاص بن وائل السهمي أبي عمرو بن العاص. ذكر الرواية بذلك:

18018ـ حدثنا أبو السائب وسعيد بن يحيى, قالا: حدثنا أبو معاوية, عن الأعمش, عن مسلم, عن مسروق, عن خباب, قال: كنت رجلاً قَيْنا, وكان لي على العاص بن وائل دين, فأتيته أتقاضاه, فقال: والله لا أقضيك حتى تكفر بمحمد, فقلت: والله لا أكفر بمحمد حتى تموت ثم تبعث, قال: فقال: فإذا أنا متّ ثم بُعثت كما تقول, جئتني ولي مال وولد, قال: فأنزل الله تعالى: أفَرأيْتَ الّذِي كَفَرَ بآياتِنا وَقالَ لأوتَينّ مالاً وَوَلَدا أطّلَعَ الغَيْبَ أمِ اتّخَذَ عِنْدَ الرّحْمنِ عَهْدا... إلى قوله: ويَأتينا فَرْدا.

حدثني به أبو السائب, وقرأ في الحديث: وولدا.

18019ـ حدثني محمد بن سعد, قال: ثني أبي, قال: ثني عمي, قال: ثني أبي, عن أبيه, عن ابن عباس, أن رجالاً من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم كانوا يطلبون العاصَ بن وائل السّهْمِيّ بدين, فأتوه يتقاضونه, فقال: ألستم تزعمون أن في الجنة فضة وذهبا وحريرا, ومن كلّ الثمرات؟ قالوا: بلى, قال: فإن موعدكم الآخرة, فوالله لأوتينّ مالاً وولدا, ولأوتينّ مثل كتابكم الذي جئتم به, فضرب الله مثله في القرآن, فقال: أفَرأيْتَ الّذِي كَفَرَ بآياتِنا وَقالَ لأوتَينّ مالاً... إلى قوله ويَأتِينا فَرْدا.

18020ـ حدثني محمد بن عمرو, قال: حدثنا أبو عاصم, قال: حدثنا عيسى وحدثني الحارث, قال: حدثنا الحسن, قال: حدثنا ورقاء, جميعا عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد, في قول الله: لأوتَينّ مالاً وَوَلَدا قال: العاصُ بن وائل يقوله.

حدثنا القاسم, قال: حدثنا الحسين, قال: ثني حجاج, عن ابن جريج, عن مجاهد, مثله.

18021ـ حدثنا بشر بن معاذ, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة, قوله: أفَرأيْتَ الّذِي كَفَرَ بآياتِنا وَقالَ لأوتَينّ مالاً وَوَلَدا فذُكر لنا أن رجالاً من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم, أتوا رجلاً من المشركين يتقاضونه دينا, فقال: أليس يزعم صاحبكم أن في الجنة حريرا وذهبا؟ قالوا: بلى, قال فميعادكم الجنة, فوالله لا أومن بكتابكم الذي جئتم به, استهزاء بكتاب الله, ولأوتينّ مالاً وولدا. يقول الله: أطّلَعَ الغَيْبَ أمِ اتّخَذَ عِنْدَ الرّحْمَنِ عَهْدا؟

18022ـ حدثنا الحسن بن يحيى, قال: أخبرنا عبد الرّزاق, قال: أخبرنا الثوريّ, عن الأعمش, عن أبي الضحى, عن مسروق, قال: قال خَبّاب بن الأرَتّ: كنت قَيْنا بمكة, فكنت أعمل للعاص بن وائل, فاجتمعت لي عليه دراهم, فجئت لأتقاضاه, فقال لي: لا أقضيك حتى تكفر بمحمد, قال: قلت: لا أكفر بمحمد حتى تموت ثم تبعث, قال: فإذا بُعثت كان لي مال وولد, قال: فذكرت ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم, فأنزل الله

تبارك وتعالى: أفَرأيْتَ الّذِي كَفَرَ بآياتِنا وَقالَ لأوتَينّ مالاً وَوَلَدا... إلى وَيأتِيَنا فَرْدا.
واختلفت القرّاء في قراءة قوله وَوَلدا فقرأته عامّة قرّاء المدينة والبصرة وبعض أهل الكوفة: وَوَلَدا بفتح الواو من الولد في كلّ القرآن, غير أن أبا عمرو بن العلاء خَصّ التي في سورة نوح بالضمّ, فقرأها: مالُهُ وَوُلْدُهُ. وأما عامّة قرّاء الكوفة غير عاصم, فإنهم قرأوا من هذه السورة من قوله مالاً وَوَلَدا إلى آخر السورة, واللتين في الزخرف, والتي في نوح, بالضمّ وسكون اللام.
وقد اختلف أهل العربية في معنى ذلك إذا ضمت واوه, فقال بعضهم: ضمها وفتحها واحد, وإنما هما لغتان, مثل قولهم العُدْم والعَدَم, والحُزْن والحَزَن. واستشهدوا لقيلهم ذلك بقول الشاعر:
فَلَيْتَ فُلانا كانَ في بَطْنِ أمّهِوَلَيْتَ فُلانا كانَ وُلْدَ حِمارِ
ويقول الحارث بن حِلّزة:
وَلَقَدْ رأيْتُ مَعاشِراقَدْ ثَمّرُوا مالاً وَوُلْدَا
وقول رُؤْبة:
الْحَمْد لِلّهِ العَزِيزِ فَرْدَالَمْ يَتّخِذْ مِنْ وُلْدِ شَيْءٍ وُلْدَا
وتقول العرب في مثلها: وُلْدُكِ مِن دَمّى عَقِبَيْكِ, قال: وهذا كله واحد, بمعنى الولد. وقد ذُكر لي أن قيسا تجعل الوُلْد جمعا, والوَلد واحدا. ولعلّ الذين قرأوا ذلك بالضمّ فيما اختاروا فيه الضمّ, إنما قرأوه كذلك ليفرقوا بين الجمع والواحد.
قال أبو جعفر: والذي هو أولى بالصواب من القول في ذلك عندي أن الفتح في الواو من الوَلد والضمّ فيها بمعنى واحد, وهما لغتان, فبأيتهما قرأ القارىء فمصيب الصواب, غير أن الفتح أشهر اللغتين فيها. فالقراءة به أعجبُ إليّ لذلك.
وقوله: أطّلَعَ الغَيْبَ يقول عزّ ذكره: أعلِمَ هذا القائل هذا القول علم الغيب, فعلم أن له في الآخرة مالاً وولدا باطلاعه على علم ما غاب عنه أمِ اتّخَذَ عِنْدَ الرّحْمَنِ عَهْدا يقول: أم آمن بالله وعمل بما أمر به, وانتهى عما نهاه عنه, فكان له بذلك عند الله عهدا أن يؤتيه ما يقول من المال والولد, كما:
18023ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة أطّلَعَ الغَيْبَ أمِ اتّخَذَ عِنْدَ الرّحْمَنِ عَهْدا بعمل صالح قدّمه.
الآية : 79 و 80
القول في تأويل قوله تعالى{كَلاّ سَنَكْتُبُ مَا يَقُولُ وَنَمُدّ لَهُ مِنَ الْعَذَابِ مَدّاً * وَنَرِثُهُ مَا يَقُولُ وَيَأتِينَا فَرْداً }.
يعني تعالى ذكره بقوله كلا: ليس الأمر كذلك, ما اطلع الغيب, فعلم صدق ما يقول, وحقيقة ما يذكر, ولا اتخذ عند الرحمن عهدا بالإيمان بالله ورسوله, والعمل بطاعته, بل كذب وكفر. ثم قال تعالى ذكره: سَنَكْتُبُ ما يَقُولُ: أي سنكتب ما يقول هذا الكافر بربه, القائل لأوتيَنّ في الآخرة مالاً وَوَلَدا ونَمُدّ لَهُ مِنَ العَذَابِ مَدّا يقول: ونزيده من العذاب في جهنم بقيله الكذب والباطل في الدنيا, زيادة على عذابه بكفره بالله.
وقوله: وَنَرِثُهُ ما يَقُولُ يقول عزّ ذكره: ونسلب هذا القائل: لأوتينّ في الآخرة مالاً وولَدا, ماله وولده, ويصير لنا ماله وولده دونه, ويأتينا هو يوم

القيامة فردا, وحدَه لا مال معه ولا ولد. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:
18024ـ حدثني محمد بن عمرو, قال: حدثنا أبو عاصم, قال: حدثنا عيسى «ح» وحدثني الحارث, قال: حدثنا الحسن, قال: حدثنا ورقاء, جميعا عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد, قوله: وَنَرِثُهُ ما يَقُولُ: ماله وولده, وذلك الذي قال العاصي بن وائل.
حدثنا القاسم, قال: حدثنا الحسين, قال: ثني حجاج, عن ابن جريج, عن مجاهد, مثله.
18025ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة, قوله: وَنَرِثُهُ ما يَقُولُ ويَأْتِينا فَرْدا: لا مال له ولا ولد.
18026ـ حدثنا الحسن بن يحيى, قال: أخبرنا عبد الرّزاق, قال: أخبرنا معمر, عن قتادة, في قوله: وَنَرِثُهُ ما يَقُولُ قال: ما عنده, وهو قوله لأوتَينّ مالاً وَوَلَدا وفي حرف ابن مسعود: ونرثه ما عنده.
18027ـ حدثني يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: قال ابن زيد, في قوله: وَنَرِثُهُ ما يَقُولُ قال: ما جمع من الدنيا وما عمل فيها. قال ويَأْتِينا فَرْدا قال: فردا من ذلك, لا يتبعه قليل ولا كثير.
18028ـ حدثني عليّ, قال: حدثنا عبد الله, قال: ثني معاوية, عن عليّ, عن ابن عباس, قوله: وَنَرِثُهُ ما يَقُولُ: نرثه.

الآية : 81 و 82

القول في تأويل قوله تعالى {وَاتّخَذُواْ مِن دُونِ اللّهِ آلِهَةً لّيَكُونُواْ لَهُمْ عِزّاً * كَلاّ سَيَكْفُرُونَ بِعِبَادَتِهِمْ وَيَكُونُونَ عَلَيْهِمْ ضِدّاً }.
يقول تعالى ذكره: واتخذ يا محمد هؤلاء المشركون من قومك آلهة يعبدونها من دون الله, لتكون هؤلاء الآلهة لهم عزّا, يمنعونهم من عذاب الله, ويتخذون عبادتهموها عند الله زُلْفَى.
وقوله: كَلاّ يقول عزّ ذكره: ليس الأمر كما ظنوا وأمّلُوا من هذه الآلهة التي يعبدونها من دون الله, في أنها تنقذهم من عذاب الله, وتنجيهم منه, ومن سوء إن أراده بهم ربّهم. وقوله: سَيَكْفُرُونَ بِعِبادَتِهِمْ يقول عزّ ذكره: ولكن سيكفر الآلهة في الآخرة بعبادة هؤلاء المشركين يوم القيامة إياها, وكفرهم بها قيلهم لربهم: تبرأنا إليك م ا كانوا إيانا يعبدون, فجحدوا أن يكونوا عبدوهم أو أمروهم بذلك, وتبرّأوا منهم, وذلك كفرهم بعبادتهم. وأما قوله: وَيَكُونُونَ عَلَيْهِمْ ضِدّا فإن أهل التأويل اختلفوا في تأويله, فقال بعضهم: معنى ذلك: وتكون آلهتهم عليهم عونا, وقالوا: الضدّ: العون. ذكر من قال ذلك:
18029ـ حدثنا عليّ, قال: حدثنا عبد الله, قال: ثني معاوية, عن عليّ, عن ابن عباس, قوله وَيَكُونُونَ عَلَيْهِمْ ضِدّا يقول: أعوانا.
18030ـ حدثني محمد بن عمرو, قال: حدثنا أبو عاصم, قال: حدثنا عيسى «ح» وحدثني الحارث, قال: حدثنا الحسن, قال: حدثنا ورقاء, جميعا عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد وَيَكُونُونَ عَلَيْهِمْ ضِدّا قال: عونا عليهم تخاصمهم وتكذّبهم.

18031ـ حدثنا القاسم, قال: حدثنا الحسين, قال: ثني حجاج, عن ابن جريج, عن مجاهد وَيَكُونُونَ عَلَيْهِمْ ضِدّا قال: أوثانهم يوم القيامة في النار.

وقال آخرون: بل عنى بالضدّ في هذا الموضع: القُرَناء. ذكر من قال ذلك:

18032ـ حدثني محمد بن سعد, قال: ثني أبي, قال: ثني عمي, قال: ثني أبي, عن أبيه, عن ابن عباس, قوله وَيَكُونُونَ عَلَيْهِمْ ضِدّا يقول: يكونون عليهم قرناء.

18033ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة, قوله: وَيَكُونُونَ عَلَيْهِمْ ضِدّا قرناء في النار, يلعن بعضهم بعضا, ويتبرأ بعضهم من بعض.

حدثنا الحسن, قال: أخبرنا عبد الرزاق, قال: أخبرنا معمر, عن قتادة, في قوله ضِدّا قال: قرناء في النار.

وقال آخرون: معنى الضدّ ههنا: العدوّ. ذكر من قال ذلك:

18034ـ حُدثت عن الحسين, قال: سمعت أبا مُعاذ يقول: أخبرنا عبيد, قال: سمعت الضحاك يقول في قوله وَيَكُونُونَ عَلَيْهِمْ ضِدّا قال: أعداء.

وقال آخرون: معنى الضدّ في هذا الموضع: البلاء. ذكر من قال ذلك:

18035ـ حدثني يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: قال ابن زيد, في قوله: وَيَكُونُونَ عَلَيْهِمْ ضِدّا قال: يكونون عليهم بلاء.

الضدّ: البلاء, والضدّ في كلام العرب: هو الخلاف, يقال: فلان يضادّ فلانا في كذا, إذا كان يخالفه في صنيعه, فيفسد ما أصلحه, ويصلح ما أفسده, وإذ كان ذلك معناه, وكانت آلهة هؤلاء المشركين الذين ذكرهم الله في هذا الموضع يتبرّؤون منهم, وينتفعون يومئذٍ, صاروا لهم أضدادا, فوصفوا بذلك.

وقد اختلف أهل العربية في وجه توحيد الضدّ, وهو صفة لجماعة. فكان بعض نحويّي البصرة يقول: وحد لأنه يكون جماعة, وواحدا مثل الرصد والأرصاد. قال: ويكون الرّصَد أيضا لجماعة. وقال بعض نحويي الكوفة وحّد, لأن معناه عونا, وذكر أن أبا نهيك كان يقرأ ذلك, كما:

18036ـ حدثنا ابن حميد, قال: حدثنا يحيى بن واضح, قال: حدثنا عبد المؤمن, قال: سمعت أبا نهيك الأزدي يقرأ: كَلاّ سَيَكْفُرُون يعني الآلهة كلها أنهم سيكفرون بعبادتهم.

الآية : 83 و 84

القول في تأويل قوله تعالى {أَلَمْ تَرَ أَنَّآ أَرْسَلْنَا الشَّيَاطِينَ عَلَى الْكَافِرِينَ تَؤُزُّهُمْ أَزّاً * فَلاَ تَعْجَلْ عَلَيْهِمْ إِنَّمَا نَعُدّ لَهُمْ عَدّاً }.

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم: ألم تر يا محمد أنا أرسلنا الشياطين على أهل الكفر بالله تَؤزّهُمْ يقول: تحرّكهم بالإغواء والإضلال, فتزعجهم إلى معاصي الله, وتغريهم بها حتى يواقعوها أزّا إزعاجا وإغواء. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

18037ـ حدثنا عليّ, قال: حدثنا عبد الله, قال: ثني معاوية, عن عليّ, عن ابن عباس, قوله: أزّا يقول: تغريهم إغراء.

حدثنا القاسم, قال: حدثنا الحسين, قال: ثني حجاج, عن ابن جريج, قال: قال ابن عباس: تؤز الكافرين إغراء في الشرك: امضِ امضِ في هذا الأمر, حتى توقعهم في النار, امضوا في الغيّ امضوا.

18038ـ حدثنا أبو كريب, قال: حدثنا أبو إدريس, عن جويبر, عن الضحاك, في قوله تَوزّهُمْ أزّا قال: تغريهم إغراء.

18039ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة, قوله: تَوزّهُمْ أزّا قال: تزعجهم إزعاجا في معصية الله.

حدثنا محمد بن بشار, قال: حدثنا ابن عثمة, قال: حدثنا سعيد بن بشير, عن قتادة في قول الله تَوزّهُمْ أزّا قال: تزعجهم إلى معاصي الله إزعاجا.

حدثنا الحسن بن يحيى, قال: أخبرنا عبد الرزاق, قال: أخبرنا معمر, عن قتادة, في قوله تَوزّهُمْ أزّا قال تزعجهم إزعاجا في معاصي الله.

18040ـ حدثني يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: قال ابن زيد, في قوله: أَلَمْ تَرَ أنّا أرْسَلْنا الشّياطِينَ على الكافِرِينَ تَـوزّهُمْ أزّا فقرأ: وَمَنْ يَعْشُ عَنْ ذِكْرِ الرّحْمَنِ نُقَيّضْ لَهُ شَيْطانا فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ قال: توزّهم أزّا, قال: تشليهم إشلاءً على معاصي الله تبارك وتعالى, وتغريهم عليها, كما يغري الإنسان الآخر على الشيء.

يقال منه: أزَزْت فلانا بكذا, إذا أغريته به أؤزّه أزّا وأزيزا, وسمعت أزيز القدر: وهو صوت غليانها على النار ومنه حديث مطرف عن أبيه, أنه انتهى إلى النبيّ صلى الله عليه وسلم وهو يصلي, ولجوفه أزيز كأزيز المرجل.

وقوله: فَلا تَعْجَلْ عَلَيْهِمْ إنّمَا نَعُدّ لَهُمْ عَدّا يقول عزّ ذكره: فلا تعجل على هؤلاء الكافرين بطلب العذاب لهم والهلاك, يا محمد إنما تعدّ لهم عدّا يقول: فإنما نؤخر إهلاكهم ليزدادوا إثما, ونحن نعدّ أعمالهم كلها ونحصيها حتى أنفاسهم لنجازيهم على جميعها, ولم نترك تعجيل هلاكهم لخير أردناه بهم. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

18041ـ حدثنا عليّ, قال: حدثنا عبد الله, قال: ثني معاوية, عن عليّ, عن ابن عباس, قوله: إنّما نَعُدّ لَهُمْ عَدّا يقول: أنفاسهم التي يتنفسون في الدنيا, فهي معدودة كسنهم وآجالهم.

الآية : 85 و 86

القول في تأويل قوله تعالى: {يَوْمَ نَحْشُرُ الْمُتّقِينَ إِلَى الرّحْمَنِ وَفْداً * وَنَسُوقُ الْمُجْرِمِينَ إِلَىَ جَهَنّمَ وِرْداً }.

يقول تعالى ذكره: يوم نجمع الذين اتقوا في الدنيا فخافوا عقابه, فاجتنبوا لذلك معاصيه, وأدّوا فرائضه إلى ربهم وَفْدا يعني بالوفد: الركبان. يقال: وفدت على فلان: إذا قدمت عليه, وأوفد القوم وفدا على أميرهم, إذا بعثوا من قبلهم بعثا. والوفد في هذا الموضع بمعنى الجمع, ولكنه واحد, لأنه مصدر واحدهم وافد, وقد يجمع الوفد: الوفود, كما قال بعض بني حنيفة:

إنّي لَمُمْتَدِحٌ فَمَا هُوَ صَانِعُرأسُ الْوفُودِ مُزاحِمُ بنَ جِساسِ

وقد يكون الوفود في هذا الموضع جمع وافد, كما الجلوس جمع جالس. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

18042ـ حدثني زكريا بن يحيى بن أبي زائدة, قال: حدثنا ابن فضيل, عن عبد الرحمن بن إسحاق, عن النعمان بن سعد, عن عليّ, في قوله: يَوْمَ نَحْشُرُ الـمُتّقِينَ إلى الرّحْمَنِ وَفْدا قال: أما والله ما يحشر الوفد على أرجلهم, ولا يساقون سوقا, ولكنهم يؤتون بنوق لم ير الخلائق مثلها, عليها رِحال الذهب, وأزمتها الزبرجد, فيركبون عليها حتى يضربوا أبواب الجنة.
18043ـ حدثنا محمد بن المثنى, قال: حدثنا عبد الرحمن بن مهدي, عن شعبة, عن إسماعيل, عن رجل, عن أبي هريرة يَوْمَ نَحْشُرُ الـمُتّقِينَ إلى الرّحْمَنِ وَفْدا قال: على الإبل.
18044ـ حدثنا عليّ, قال: حدثنا عبد الله, قال: ثني معاوية, عن عليّ, عن ابن عباس, قوله: يَوْمَ نَحْشُرُ الـمُتّقِينَ إلى الرّحْمَنِ وَفْدا يقول: ركبانا.
18045ـ حدثنا ابن حميد, قال: حدثنا الحكم بن بشير, قال: حدثنا عمرو بن قيس الملائي, قال: إن المؤمن إذا خرج من قبره استقبله أحسن صورة, وأطيبها ريحا, فيقول: هل تعرفني؟ فيقول: لا إلا أن طيب ريحك وحسّن صورتك, فيقول: كذلك كنت في الدنيا أنا عملك الصالح طالما ركبتك في الدنيا, فاركبني أنت اليوم, وتلا: يَوْمَ نَحْشُرُ الـمُتّقِينَ إلى الرّحْمَنِ وَفْدا.
18046ـ حدثنا الحسن, قال: أخبرنا عبد الرزاق, قال: أخبرنا معمر, عن قتادة إلى الرّحْمَنِ وَفْدا قال: وفدا إلى الجنة.
18047ـ حدثنا القاسم, قال: حدثنا الحسين, قال: ثني حجاج, عن ابن جريج, في قوله: يَوْمَ نَحْشُرُ الـمُتّقِينَ إلى الرّحْمَنِ وَفْدا قال: على النجائب.
18048ـ حدثنا القاسم, قال: حدثنا الحسين, قال: ثني حجاج, قال: سمعت سفيان الثوري يقول: يَوْمَ نَحْشُرُ الـمُتّقِينَ إلى الرّحْمَنِ وَفْدا قال: على الإبل النوق.
وقوله: وَنَسُوقُ الـمُجْرِمينَ إلى جَهَنّـمَ وِرْدا يقول تعالى ذكره: ونسوق الكافرين بالله الذين أجرموا إلى جهنم عطاشا. والوِرد: مصدر من قول القائل: وردت كذا أرِده وردا, ولذلك لم يجمع, وقد وصف به الجمع. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:
18049ـ حدثني عليّ, قال: ثني عبد الله, قال: ثني معاوية, عن عليّ, عن ابن عباس, قوله: وَنَسُوقُ الـمُجْرِمينَ إلى جَهَنّـمَ وِرْدا يقول: عطاشا.
18050ـ حدثنا محمد بن المثنى, قال: حدثنا عبد الرحمن بن مهدي, عن شعبة, عن إسماعيل, عن رجل, عن أبي هريرة وَنَسُوقُ الـمُجْرِمينَ إلى جَهَنّـمَ وِرْدا قال: عطاشا.
18051ـ حدثني يعقوب والفضل بن صباح, قالا: حدثنا إسماعيل بن عُلَيّة, عن أبي رجاء, قال: سمعت الحسن يقول في قوله: وَنَسُوقُ الـمُجْرِمينَ إلى جَهَنّـمَ وِرْدا قال: عطاشا.
حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن يونس, عن الحسن, مثله.
18052ـ حدثنا الحسن بن يحيى, قال: أخبرنا عبد الرزاق, قال: أخبرنا معمر, عن قتادة, في قوله: إلى جَهَنّـمَ وِرْدا قال: ظماء إلى النار.

حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة وَنَسُوقُ الْمُجْرِمِينَ إلى جَهَنّمَ وِرْدا سوقوا إليها وهم ظمء عطاش.
18053ـ حدثنا القاسم, قال: حدثنا الحسين, قال: ثني حجاج, قال: سمعت سفيان يقول في قوله: وَنَسُوقُ الْمُجْرِمِينَ إلى جَهَنّمَ وِرْدا قال: عطاشا.

الآية : 87

القول في تأويل قوله تعالى: {لاّ يَمْلِكُونَ الشّفَاعَةَ إِلاّ مَنِ اتّخَذَ عِندَ الرّحْمَنِ عَهْداً }.
يقول تعالى ذكره: لا يملك هؤلاء الكافرون بربهم يا محمد, يوم يحشر الله المتقين إليه وفدا الشفاعة, حين يشفع أهل الإيمان بعضهم لبعض عند الله, فيشفع بعضهم لبعض إلاّ مَن اتّخَذَ منهم عِنْدَ الرّحْمَنِ في الدنيا عَهْدا بالإيمان به, وتصديق رسوله, والإقرار بما جاء به, والعمل بما أمر به. كما:
18054ـ حدثني عليّ, قال: حدثنا عبد الله, قال: ثني معاوية, عن عليّ, عن ابن عباس, قوله: إلاّ مَن اتّخَذَ عِنْدَ الرّحْمَنِ عَهْدا قال: العهد: شهادة أن لا إله إلا الله, ويتبرأ إلى الله من الحول والقوّة ولا يرجو إلا الله.
18055ـ حدثنا القاسم, قال: حدثنا الحسين, قال: ثني حجاج, عن ابن جُرَيج, قوله: لا يَمْلِكُونَ الشّفاعَةَ إلاّ مَنِ اتّخَذَ عِنْدَ الرّحْمَنِ عَهْدا قال: المؤمنون يومئذ بعضهم لبعض شفعاء إلاّ مَنِ اتّخَذَ عِنْدَ الرّحْمَنِ عَهْدا قال: عملاً صالحا.
18056ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة, قوله: لا يَمْلِكُونَ الشّفاعَةَ إلاّ مَنِ اتّخَذَ عِنْدَ الرّحْمَنِ عَهْدا: أي بطاعته, وقال في آية أخرى: لا تَنْفَعُ الشّفَاعَةُ إلاّ مَنْ أذِنَ لَهُ الرّحْمَنُ وَرَضي لَهُ قَوْلاً ليعلموا أن الله يوم القيامة يشفع المؤمنين بعضهم في بعض, ذكر لنا أن نبيّ الله صلى الله عليه وسلم كان يقول: «إنّ فِي أُمّتِي رَجُلاً لَيُدْخِلَنّ اللّهُ بِشَفاعَتِهِ الجَنّةَ أكْثَرَ مِنْ بني تمِيمٍ», وكنّا نحدّث أن «الشهيد يشفع في سبعين من أهل بيته».
18057ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة, عن أبي المليح, عن عوف بن مالك, قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إنّ شفَاعَتِي لِمَنْ ماتَ مِنْ أُمّتِي لا يُشْرِكُ باللّهِ شَيْئا».
و «مَن» في قوله: إلاّ مَنْ في موضع نصب على الاستثناء, ولا يكون خفضا بضمير اللام, ولكن قد يكون نصبا في الكلام في غير هذا الموضع, وذلك كقول القائل: أردت المرور اليوم إلا العدوّ, فإني لا أمر به, فيستثنى العدوُ من المعنى, وليس ذلك كذلك في قوله: لا يَمْلِكُونَ الشّفاعَةَ إلاّ مَنِ اتّخَذَ عِنْدَ الرّحْمَنِ عَهْدا لأن معنى الكلام: لا يملك هؤلاء الكفار إلا من آمن بالله, فالمؤمنون ليسوا من أعداد الكافرين, ومن نصبه على أن معناه إلا لمن اتخذ عند الرحمن عهدا, فإنه ينبغي أن يجعل قوله لا يملكون الشفاعة للمتقين, فيكون معنى الكلام حينئذ يوم نحشر المتقين إلى الرحمن وفدا, لا يملكون الشفاعة, إلا من اتخذ عند الرحمن عهدا. فيكون معناه عند ذلك: إلا لمن اتخذ عند الرحمن عهدا. فأما إذا جعل لا يملكون الشفاعة خبرا عن المجرمين, فإن «من» تكون

حينئذ نصبا على أنه استثناء منقطع, فيكون معنى الكلام: لا يملكون الشفاعة, لكن من اتخذ عند الرحمن عهدا يملكه.

الآية : 88 -90

القول في تأويل قوله تعالى: {وَقَالُواْ اتّخَذَ الرّحْمَنُ وَلَداً * لَقَدْ جِئْتُمْ شَيْئاً إِدّاً * تَكَادُ السّمَاوَاتُ يَتَفَطّرْنَ مِنْهُ وَتَنشَقّ الأرْضُ وَتَخِرّ الْجِبَالُ هَدّاً }.

يقول تعالى ذكره: وقال هؤلاء الكافرون بالله اتّخَذَ الرّحْمَنُ وَلَدا لَقَدْ جِئْتُمْ شَيْئا إدّا يقول تعالى ذكره للقائلين ذلك من خلقه: لقد جئتم أيها الناس شيئا عظيما من القول منكرا. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

18058ـ حدثني عليّ, قال: حدثنا عبد الله, قال: ثني معاوية, عن عليّ, عن ابن عباس, قوله: شَيْئا إدّا يقول: قولاً عظيما.

حدثني محمد بن سعد, قال: ثني أبي, قال: ثني عمي, قال: ثني أبي, عن أبيه, عن ابن عباس قوله: لَقَدْ جِئْتُمْ شَيْئا إدّا يقول: لقد جئتم شيئا عظيما وهو المنكر من القول.

18059ـ حدثني محمد بن عمرو, قال: حدثنا أبو عاصم, قال: حدثنا عيسى وحدثني, قال: حدثنا الحسن, قال: حدثنا ورقاء, جميعا عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد, قوله شَيْئا إدّا قال: عظيما.

حدثنا القاسم, قال: حدثنا الحسين, قال: ثني حجاج, عن ابن جريج, عن مجاهد, مثله.

18060ـ حدثنا الحسن بن يحيى, قال: أخبرنا عبد الرزاق, قال: أخبرنا معمر, عن قتادة, في قوله شَيْئا إدّا قال: عظيما.

18061ـ حدثني يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: قال ابن زيد في قوله: لَقَدْ جِئْتُمْ شَيْئا إدّا قال: جئتم شيئا كبيرا من الأمر حين دعوا للرحمن ولداً.

وفي الإدّ لغات ثلاث, يقال: لقد جئت شيئا إدّا, بكسر الألف, وأدّا بفتح الألف, ومدّها, على مثال مادّ فاعل. وقرأ قرّاء الأمصار, وبها نقرأ, وقد ذكر عن أبي عبد الرحمن السلمي أنه قرأ ذلك بفتح الألف, ولا أرى قراءته كذلك لخلافها قراءة قرّاء الأمصار, والعرب تقول لكلّ أمر عظيم: إدّ, وإمر, ونكر ومنه قوله الراجز:

قَدْ لَقِيَ الأعْدَاءُ مِنّي نُكْرَادَاهِيَةٌ دَهْياءَ إدّا إمْرا

ومنه قول الآخر:

فِي لَهَثٍ مِنْهُ وَحَثْلٍ إدا

وقوله: تَكَادُ السّمَوَاتُ يَتَفَطّرْنَ مِنْهُ يقول تعالى ذكره: تكاد السموات يتشّقّقن قطعا من قيلهم: اتّخَذَ الرّحْمَنُ وَلَدا, ومنه قيل: فَطَر نابُه: إذا انشقّ. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

18062ـ حدثني عليّ, قال: حدثنا عبد الله, قال: ثني معاوية, عن عليّ, عن ابن عباس, قوله: تَكَادُ السّمَوَاتُ يَتَفَطّرْنَ مِنْهُ وَتَنْشَقّ الأرْضُ وتَخِرّ الجِبالُ هَدّا أنْ دَعَوْا للرّحْمَنِ وَلَدا قال: إن الشرك فزعت منه السموات والأرض والجبال, وجميع الخلائق إلا الثقلين, وكادت أن تزول منه لعظمة الله, وكما لا ينفع مع الشرك إحسان المشرك, كذلك نرجو أن يغفر الله ذنوب الموحّدين. وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «لَقّنُوا مَوْتاكُمْ

شَهادَةَ أنْ لا إلهَ إلاّ اللّهُ, فَمَنْ قَالَها عِنْدَ مَـوْتِهِ وَجَبَـتْ لَـهُ الـجَنّةُ» قـالُوا: يـا رسول الله, فمن قالها فـي صحته؟ قال: «تلكَ أوْجَـبُ وأوْجَـبُ». ثـم قـال: «وَالّذِي نَفْسِي بـيَدِهِ لَوْ جِيءَ بـالسّمَوَاتِ والأرَضِـينَ وَمـا فـيهِنّ وَمـا بَـيْنَهُنّ وَما تَـحْتَهُنّ, فَوُضِعْنَ فـي كِفّةِ الـمِيزَانِ, وَوُضِـعَتْ شَـهادَةُ أنْ لا إلـهَ إلاّ اللّـهُ فِـي الكِفّةِ الأخْرَى, لَرَجَحَتْ بِهِنّ».

18063ـ حدثنا القاسم, قال: حدثنا الـحسين, قال: ثنـي حجاج, عـن ابـن جُرَيـج, عـن مـجاهد تَكَـادُ السّـمَوَاتُ يَتَفَطّـرْنَ مِنْـهُ وَتَنْشَـقّ الأرْضُ وتَـخِرّ الـجِبـالُ هَدّا ذُكر لنا أن كعبـا كان يقول: غضبت الـملائكة, واستعرت جهنـم, حين قالوا ما قالوا.

وقوله: وَتَنْشَقّ الأرْضُ يقول: وتكاد الأرض تنشقّ, فتنصدع من ذلك وتَـخِرّ الـجبـالُ هَدّا يقول: وتكاد الـجبـال يسقط بعضها علـى بعض سقوطا. والهدّ: السقوط, وهو مصدر هددت, فأنا أهدّ هدّا. وبنـحو الذي قلنا فـي ذلـك قـال أهل التأويـل. ذكر من قال ذلك:

18064ـ حدثنـي علـيّ, قال: حدثنا عبد الله, قال: ثنـي معاوية, عن علـيّ, عن ابن عبـاس, قوله: وتَـخِرّ الـجِبـالُ هَدّا يقول: هدما.

حدثنا القاسم, قال: حدثنا الـحسين, قال: ثنـي حجاج, عـن ابـن جُريـج, قال: قال ابن عبـاس: وتَـخِرّ الـجِبـالُ هَدّا قال: الهدّ: الانقضاض.

18065ـ حدثنـي يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: قال ابن زيـد, فـي قوله: وتَـخِرّ الـجِبـالُ هَدّا قال: غضبـا لله. قال: ولقد دعا هؤلاء الذين جعلـوا لله هذا الذي غضبت السموات والأرض والـجبـال من قولهم, لقـد اسـتتابهم ودعاهم إلـى التوبة, فقال: لَقَدْ كَفَرَ الّذِينَ قالُوا إنّ اللّهَ ثالِثُ ثَلاثَةٍ قالوا: هـو وصاحبته وابنه, جعلوها إلهين معه وَما مِـنْ إلـه إلاّ إلـهٌ وَاحِـدٌ... إلـى قـوله: وَيَسْتَغْفِرُنَهُ وَاللّهُ غَفُورٌ رَحيـمٌ.

الآية : 91 - 93

القول فـي تأويـل قـوله تعالـى: {أَن دَعَـوْا لِلرّحْمَـنِ وَلَـداً * وَمَـا يَنبَغِـي لِلرّحْمَـنِ أَن يَتّخِـذَ وَلَـداً * إِن كُـلّ مَـن فِـي السّـمَاوَاتِ وَالأرْضِ إِلاّ آتِـي الرّحْمَـنِ عَبْداً }.

يقول تعالـى ذكره: وتكاد الـجبـال أن تـخرّ انقضاضا, لأنْ دَعَوا للرحمـن ولدا. ف «أن» فـي موضع نصـب فـي قـول بعـض أهـل العربـيـة, لاتصـالها بـالفعل, وفـي قـول غيـره فـي موضع خفـض بضـمير الـخافض وقـد بـيّنا الصواب من القول فـي ذلك فـي غير موضع من كتابنـا هـذا بـما أغنـى عـن إعادته فـي هذا الـموضع.

وقال: أنْ دَعَوْا للرّحْمَنِ وَلَدا يعنـي بقوله: أنْ دَعَوْا: أن جعلوا له ولدا, كما قال الشاعر:

ألا رُبّ مَنْ تَدْعُو نَصِيحا وَإنْ تَغِبْتَـجِدْهُ بغَيْبٍ غيرَ مُنْتَصِحِ الصّدْرِ

وقال ابن أحمر:

أهْوَى لَهَا مِشْقَصا حَشْرا فَشَبْرَقَهاوكنتُ أدْعُو قَذَاها الإثمِدَ القَرِدَا

وقوله: وَما يَنْبَغِي للرّحْمَنِ أنْ يَتّـخِذَ وَلَدا يقول: وما يصلـح للـه أن يتـخذ ولدا, لأنه لـيس كالـخـلق الذين تغلبهم الشهوات, وتضـطرهم اللـذّات إلـى جماع الإناث, ولا ولد يحدث إلا من أنثى, والله يتعالـى عن أن يكون كخـلقه, وذلك كقول ابن أحمر:

فِـي رأسِ خَـلْقاءَ مِنْ عَنْقاءَ مُشْرِفَةٍما ينبغي دُونَها سَهْلٌ وَلا جَبَلُ
يعنـي: لا يصلـح ولا يكون.
إنْ كُلّ مَنْ فِـي السّمَوَاتِ والأرْضِ إلاّ آتـى الرّحْمَنِ عَبْدا يقول: مـا جميـع من فـي السموات من الـملائكة, وفـي الأرض من البشر والإنس والـجنّ إلاّ آتـى الرّحْمَنِ عَبْدا يقول: إلا يأتـي ربه يوم القـيامة عبـدا لـه, ذلـيلاً خاضـعا, مقرّا له بـالعبودية, لا نسب بـينه وبـينه. وقوله: آتـى الرّحْمَنِ إنـما هو فـاعل من أتـيته, فأنا آتـيه.

الآية : 94 و 95

القول فـي تأويـل قوله تعالـى: {لّقَدْ أَحْصَاهُمْ وَعَدّهُمْ عَـدّاً * وَكُلّهُـمْ آتِيـهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَرْداً }.
يقول تعالـى ذكره: لقد أحصى الرحمن خـلقه كلهـم, وعـدّهم عـدا, فلا يخفـى علـيه مبلغ جميعهم, وعرف عددهم, فلا يعزب عنه منهم أحـد وكُلّهُـمْ آتِـيهِ يَوْمَ القِـيامَةِ فَـرْدا يقـول: وجميـع خـلقه سـوف يـرد علـيه يـوم تقـوم الساعة وحيدا لا ناصر له من الله, ولا دافع عنه, فـيقضي اللـه فـيه مـا هـو قاض, ويصنع به ما هو صانع.

الآية : 96 و 97

القـول فـي تأويـل قـوله تعالـى: {إِنّ الّـذِينَ آمَنُـواْ وَعَمِلُـواْ الصّـالِحَاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرّحْمَـنُ وُدّاً * فَإِنّمَا يَسّرْنَاهُ بِلَسَانِكَ لِتُبَشّرَ بِهِ الْمُتّقِيـنَ وَتُنْـذِرَ بِهِ قَوْماً لّدّاً }.
يقول تعالـى ذكره: إن الذين آمنوا بـالله ورسوله, وصدّقوا بـما جاءهم من عند ربهم, فعملوا به, فأحلوا حلاله, وحرّموا حرامه سيجعلُ لهمُ الرحمنُ ودا فـي الدنـيا, فـي صدور عبـاده الـمؤمنـين. وبنـحو الذي قلنا فـي ذلـك قـال أهل التأويـل. ذكر من قال ذلك:
18066ـ حدثنـي يحيـى بـن طلـحة, قـال: حـدثنا شـريك, عـن مسلـم الـملائي, عن مـجاهد, عن ابن عبـاس, فـي قوله: سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرّحْمَـنُ وُدّا قال: مـحبة الناس فـي الدنـيا.
حدثنـي علـيّ, قال: حدثنا عبد الله, قال: ثنـي معاوية, عن علـيّ, عن ابن عبـاس, فـي قوله: سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرّحْمَنُ وُدّا قال: حبـا.
18067ـ حدثنـي مـحمد بن سعد, قال: ثنـي أبـي, قال: ثنـي عمي, قال: ثنـي أبـي, عن أبـيه, عن ابن عبـاس, قوله: سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرّحْمَـنُ وُدّا قـال: الودّ من الـمسلـمين فـي الدنـيا, والرزق الـحسن. واللسان الصادق.
18068ـ حدثنـي يحيى بن طلـحة, قال: حدثنا شريك, عن عبـيد الـمُكْتِبِ, عـن مـجاهد, فـي قـوله سَـيَجْعَلُ لَهُـمُ الرّحْمَـنُ وُدّا قـال: مـحبة فـي الـمسلـمين فـي الدنـيا.
حدثنا ابن حميد, قال: حدثنا حكام, عن عنبسة, عن القاسم بن أبـي بزّة, عن مـجاهد, فـي قوله: سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرّحْمَنُ وُدّا قال: يحبهم ويحببهـم إلـى خـلقه.
حدثنـي مـحمد بن عمرو, قـال: حـدثنا أبـو عاصـم, قـال: حـدثنا عيسـى وحدثنـي الـحارث, قال: حدثنا الـحسن, قال: حدثنا ورقـاء, جميعـا عـن ابـن أبـي نـجيح, عن مـجاهد سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرّحْمَنُ وُدّا قال: يحبهم ويحببهـم إلـى الـمؤمنـين.

حدثنا القاسم, قال: حدثنا الحسين, قال: ثني حجاج, عن ابن جريج, عن مجاهد, مثله.
حدثنا القاسم, قال: حدثنا الحسين, قال: حدثنا عليّ بن هاشم, عن أبي ليلى, عن الحكم, عن سعيد بن جبير, عن ابن عباس, قال: يحبهم ويحببهم.
18069ـ حدثنا ابن حميد, قال: حدثنا الحكم بن بشير, قال: حدثنا عمرو, عن قتادة, في قوله: سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرّحْمَنُ وُدّا قال: ما أقبل عبد الله إلا أقبل الله بقلوب العباد إليه, وزاده من عنده.
حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة, قوله: إنّ الّذِينَ آمَنُوا وعَمِلُوا الصّالِحاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرّحْمَنُ وُدّا: إي والله في قلوب أهل الإيمان. ذُكر لنا أن هَرِم بن حيان كان يقول: ما أقبل عبد بقلبه إلى الله, إلا أقبل الله بقلوب المؤمنين إليه, حتى يرزقه مودّتهم ورحمتهم.
18070ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة, أن عثمان بن عفان كان يقول: ما من الناس عبد يعمل خيرا ولا يعمل شرّا, إلا كساه الله رداء عمله.
حدثنا الحسن بن يحيى, قال: أخبرنا عبد الرزاق, عن الثوريّ, عن مسلم, عن مجاهد, عن ابن عباس, في قوله: سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرّحْمَنُ وُدّا قال: محبة.
وذُكر أن هذه الآية نزلت في عبد الرحمن بن عوف.
18071ـ حدثني محمد بن عبد الله بن سعيد الواسطيّ, قال: أخبرنا يعقوب بن محمد, قال: حدثنا عبد العزيز بن عمران, عن عبد الله بن عثمان بن أبي سليمان بن جُبير بن مطعم, عن أبيه, عن أمه أمّ إبراهيم ابنة أبي عبيدة بن عبد الرحمن بن عوف, عن أبيها, عن عبد الرحمن بن عوف, أنه لما هاجر إلى المدينة, وجَد في نفسه على فراق أصحابه بمكة, منهم شيبة بن ربيعة, وعتبة بن ربيعة, وأميّة بن خلف, فأنزل الله تعالى: إنّ الّذِينَ آمَنُوا وعَمِلُوا الصّالِحاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرّحْمَنُ وُدّا.
وقوله: فإنّما يَسّرْناهُ بِلِسانِكَ لِتُبَشّر بِهِ المُتّقِينَ يقول تعالى ذكره: فإنّما يسّرنا يا محمد هذا القرآن بلسانك تقرؤه, لتبشر به المتقين الذين اتقوا عقاب الله, بأداء فرائضه, واجتناب معاصبه, بالجنة. وَتُنْذِرَ بِهِ قَوْما لُدّا يقول: ولتنذر بهذا القرآن عذاب اللّه قومكَ من قريش, فإنهم أهل لَددَ وجدل بالباطل, لا يقبلون الحقّ. واللّدّ: شدّة الخصومة. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:
18072ـ حدثني محمد بن عمرو, قال: حدثنا أبو عاصم, قال: حدثنا عيسى وحدثني الحارث, قال: حدثنا الحسين, قال: حدثنا ورقاء, جميعا عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد, قوله: لُدّا قال: لا يستقيمون.
حدثنا القاسم, قال: حدثنا الحسين, قال: ثني حجاج, عن ابن جريج, عن مجاهد, مثله.
18073ـ حدثني محمد بن سعد, قال: ثني أبي, قال: ثني عمي, قال: ثني أبي, عن أبيه, عن ابن عباس, قوله وَتُنْذِرَ بِهِ قَوْما لُدّا يقول: لتنذر به قوما ظَلَمة.
18074ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة وَتُنْذِرَ بِهِ قَوْما لُدّا: أي جدالاً بالباطل, ذوي لَددَ وخصومة.

18075ـ حدثنا القاسم, قال: حدثنا الحسين, قال: حدثنا محمد بن فضيل, عن ليث, عن مجاهد, في قوله: وَتُنْذِرَ بِهِ قَوْما لُدّا قال: فُجّارا.
حدثنا الحسن, قال: أخبرنا عبد الرزاق, قال: أخبرنا معمر, عن قتادة, في قوله قَوْما لُدّا قال: جدالاً بالباطل.
18076ـ حدثني يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: قال ابن زيد, في قوله: وَتُنْذِرَ بِهِ قَوْما لُدّا قال: الألدّ: الظلوم, وقرأ قول الله: وَهُوَ أَلَدّ الخِصَام.
18077ـ حدثنا أبو صالح الضراريّ, قال: حدثنا العلاء بن عبد الجبار, قال: حدثنا مهدي بن ميمون, عن الحسن في قول الله عزّ وجلّ: وَتُنْذِرَ بِهِ قَوْما لُدّا قال: صُما عن الحقّ,
حدثني ابن سنان, قال: حدثنا أبو عاصم, عن هارون, عن الحسن, مثله.
وقد بيّنا معنى الألدّ فيما مضى بشواهده, فأغنى ذلك عن إعادته في هذا الموضع.

الآية : 98

القول في تأويل قوله تعالى: {وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مّن قَرْنٍ هَلْ تُحِسّ مِنْهُمْ مّنْ أَحَدٍ أَوْ تَسْمَعُ لَهُمْ رِكْزاً }.
يقول تعالى ذكره: وكثيرا أهلكنا يا محمد قبل قومك من مشركي قريش, من قرن, يعني من جماعة من الناس, إذا سلكوا في خلافي وركوب معاصيّ مسلكهم, هل تحس منهم من أحد: يقول: فهل تحسّ أنت منهم أحدا يا محمد, فتراه وتعاينه أوْ تَسْمَعُ لَهُمْ رِكْزا يقول: أو تسمع لهم صوتا, بل بادوا وهلكوا, وخَلَت منهم دورهم, وأوحشت منهم منازلهم, وصاروا إلى دار لا ينفعهم فيها إلا صالح من عمل قدّموه, فكذلك قومك هؤلاء, صائرون إلى ما صار إليه أولئك, إن لم يُعاجلوا التوبة قبل الهلاك.
وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:
18078ـ حدثني عليّ, قال: حدثنا عبد الله, قال: حدثنا معاوية, عن عليّ, عن ابن عباس, قوله: أوْ تَسْمَعُ لَهُمْ رِكْزا قال: صوتا.
18079ـ حدثنا الحسن بن يحيى, قال: أخبرنا عبد الرزّاق, قال: أخبرنا معمر, عن قتادة, قوله: هَلْ تُحِسّ مِنْهُمْ مِنْ أَحَدٍ أوْ تَسْمَعُ لَهُمْ رِكْزا؟ قال: هل ترى عينا, أو تسمع صوتا.
حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة, قوله: هَلْ تُحِسّ مِنْهُمْ أَحَدٍ أوْ تَسْمَعُ لَهُمْ رِكْزا؟ يقول: هل تسمع من صوت, أو ترى من عين؟.
18080ـ حُدثت عن الحسين, قال: سمعت أبا معاذ, يقول: حدثنا عبيد, قال: سمعت الضحاك يقول, في قوله: أوْ تَسْمَعُ لَهُمْ رِكْزا يعني: صوتا.
حدثنا أبو كيب, قال: حدثنا ابن عيينة, عن عمرو, عن عطاء, عن ابن عباس, قال: رِكْز الناس: أصواتهم. قال أبو كريب: قال سفيان: هَلْ تُحِسّ مِنْهُمْ مِنْ أَحَدٍ أوْ تَسْمَعُ لَهُمْ رِكْزا؟.
18081ـ حدثني يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: قال ابن زيد, في قوله: هَلْ تُحِسّ مِنْهُمْ مِنْ أَحَدٍ أوْ تَسْمَعُ لَهُمْ رِكْزا قال: أو تسمَع لهم حِسّا. قال: والركز: الحس.

قال أبـو جعفـر: والركـز فــي كلام العـرب: الصـوت الـخفــيّ, كمـا قـال الشاعر:

فَتَوَجّسَتْ ذِكْرَ الأنِـيسِ فَراعَها عَنْ ظَهْرِ غَيْبٍ والأنِـيسُ سقَامُها

سورة طه

سُورَة طه مَكيّة

وآياتها خمسٌ وثلاثونَ وَمائة

بِسمِ اللّهِ الرحمَن الرّحِيـمِ

الآية : 1-3

القول فـي تأويـل قوله تعالـى:

{طه * مَآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لِتَشْقَىَ * إِلاّ تَذْكِرَةً لّمَــن يَخْشَىَ }.

قال أبو جعفر مـحمد بن جرير: اختلف أهل التأويـل فـي تأويـل قوله: طَهَ فقال بعضهم: معناه يا رجل. ذكر من قال ذلك:

18082ـ حدثنا ابن حميد, قال: حدثنا أبو تـميـلة, عن الــحسن بـن واقـد, عن يزيد النـحويّ, عن عكرمة, عن ابن عبـاس: طه: بـالنّبَطية: يا رجل.

18083ـ حدثنـي مـحمد بن سعد, قال: ثنـي أبـي, قال: ثنـي عمي, قال: ثنـي أبـي, عن أبـيه, عن ابن عبــاس, قـوله: طـه مـا أنْزَلْنـا عَلَـيْكَ القُـرآنَ لِتَشْقَـى فإن قومه قالوا: لقد شَقِـي هـذا الرجـل بربـه, فـأنزل اللـه تعالــى ذكره طَهَ يعنـي: يا رجل ما أنْزَلْنا عَلَـيْكَ القُرآنَ لِتَشْقَـى.

18084ـ حدثنا القاسم, قال: حدثنا الـحسين, قال: ثنـي حجاج, عـن ابـن جريج, قال: أخبرنـي عبد الله بن مسلـم, أو يعلـى بن مسلـم, عن سعيد بن جبـير أنه قال: طه: يا رجل بـالسريانـية.

قال ابن جريج: وأخبرنـي زمعة بن صالـح, عن سلــمة بـن وهـرام, عـن عكرمة, عن ابن عبـاس, بذلك أيضا. قـال ابـن جُرَيـج, وقـال مــجاهد, ذلـك أيضا.

18085ـ حدثنا عمران بن موسـى القـزّاز, قـال: حـدثنا عبـد الـوارث بـن سعيد, قال: حدثنا عُمارة, عن عكرمة, فـي قوله: طَهَ قال: يا رجـل, كلــمه بـالنبطية.

حدثنا ابن حميد, قال: حدثنا يحيى بن واضح, قال: حدثنا عبـد اللـه, عـن عكرمة, فـي قوله طَهَ قال: بـالنبطية: يا إنسان.

18086ـ حدثنا مـحمد بن بشار, قال: حدثنا أبو عاصم, عن قرة بن خالد, عن الضحاك, فـي قوله طَه قال: يا رجل بـالنبطية.

حدثنا مـحمد بن بشار, قال: حدثنا عبد الرحمن, قال: حدثنا سفـيان, عن حُصَين, عن عكرمة فـي قوله طَهَ قال: يا رجل.

18087ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة, قوله طَهَ قال: يا رجل, وهي بـالسريانـية.

18088ـ حدثنا الـحسن, قال: أخبرنا عبد الرّزاق, قال: أخبرنا معمر, عن قتادة والـحسن فـي قوله: طَهَ قالا: يا رجل.

حُدثت عن الـحسين, قال: سمعت أبـا معاذ, يقول: أخبرنا عبـيد, يعنــي ابن سلـيـمان, قال: سمعت الضحاك يقول فـي قوله طَهَ قال: يا رجل.

وقال آخرون: هو اسم من أسماء الله, وقَسَم أقسم الله به. ذكر من قال ذلك:

18089ـ حدثنا علـيّ, قال: حدثنا عبد الله, قال: ثنـي معاوية, عن علــيّ, عن ابن عبـاس, فـي قوله: طَهَ قال: فإنه قسم أقسم الله به, وهو اسم من أسماء الله.

وقال آخرون: هو حروف هجاء.

وقال آخرون: هو حروف مقطّعة يدلّ كلّ حرف منها على معنى, واختلفوا فـي ذلك اختلافهم فــي الــم, وقـد ذكرنـا ذلـك فــي مواضـعه, وبــيّنا ذلـك بشواهده.

والذي هو أولـى بـالصواب عندي من الأقوال فـيه: قول من قال: معناه: يا رجل, لأنها كلـمة معروفة فـي عكَ فـيـما بلغنـي, وأن معناها فـيهم: يا رجل, أنشدت لـمتـمـم بن نُويرة:

هَتَفْتُ بِطَهَ فِـي القِتالِ فَلَـمْ يُجبْ فخِفْتُ عَلَـيْهِ أنْ يَكونَ مُوَائِلا

وقال آخر:

إنّ السّفـاهَةَ طَهَ مِنْ خَلائِقِ كُمْلا بـارَكَ اللّهُ فِـي القَوْمِ الـمَلاعِينِ

فإذا كان ذلك معروفـا فـيهم علـى ما ذكرنـا, فــالواجب أن يـوجه تأويــله إلـى الـمعروف فـيهم من معناه, ولا سيـما إذا وافق ذلك تأويـل أهل العلــم من الصحابة والتابعين.

فتأويـل الكلام إذن: يا رجل ما أنزلنا علــيك القـرآن لتشقــى, مـا أنزلنـاه علـيك فنكلفك ما لا طاقة لك به من العمل. وذُكر أنه قـيـل له ذلك بسبب ما كان يـلقـى من النّصَب والعناء والسهر فـي قـيام اللـيـل. ذكر من قال ذلك:

18090ـ حدثنـي مـحمد بن عمرو, قـال: حـدثنا أبـو عاصـم, قـال: حـدثنا عيسى وحدثنـي الـحارث, قال: حدثنا الــحسن, قـال: حـدثنا ورقـاء, جميعـا عن ابن أبـي نـجيح, عن مـجاهد ما أنْزَلْنا عَلَـيْكَ القُـرآنَ لِتَشْقَــى قـال: هـي مثل قوله: فـاقْرَءُوا ما تَـيَسّرَ مِنْهُ فكانوا يعلقون الـحبـال فـي صدورهم فـي الصلاة.

18091ـ حدثنا القاسم, قال: حدثنا الـحسين, قال: ثنـي حجاج, عـن ابـن جريج, عن مـجاهد ما أنْزَلْنا عَلَـيْكَ القُرآنَ لِتَشْقَـى قال: فـي الصلاة كقــوله: فـاقْرَءُوا ما تَـيَسّرَ مِنْهُ فكانوا يعلقون الـحبـال بصدورهم فـي الصلاة.

18092ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حـدثنا سـعيد, عـن قتـادة مـا أنْزَلْنا عَلَـيْكَ القُرآنَ لِتَشْقَـى لا والله ما جعله الله شقـيا, ولكن جعلــه رحمــة ونورا, ودلـيلاً إلـى الـجنة.

وقوله: إلاّ تَذْكِرَةً لِـمَنْ يَخْشَى يقول تعالـى ذكره: ما أنزلنـا علــيك هـذا القــرآن إلاّ تـذكرة لــمن يخشـى عقـاب اللــه, فـيتقــيه بـأداء فرائـض ربــه واجتناب مـحارمه, كما:

18093ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة, قوله: إلاّ تَذْكِرَةً لِـمَنْ يَخْشَى وإن الله أنزل كتبه, وبعث رسله رحمة رحم اللــه بهـا العبـاد, لـيتذكر ذاكر, وينتفع رجل بـما سمع من كتاب الله, وهو ذكر له أنزل الله فـيه حلاله وحرامه, فقال: تَنْزِيلاً مِـمّنْ خَـلَقَ الأرْضَ والسّمَوَاتِ العُلَـى.

18094ـ حدثنـي يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: قال ابن زيـد, فــي قوله: إلاّ تَذْكِرَةً لِـمَنْ يَخْشَى قال: الذي أنزلناه علـيك تذكرة لـمن يخشى.

فمعنى الكلام إذن: يا رجل ما أنزلنا عليك هذا القرآن لتشقى به, ما أنزلناه إلاّ تذكرة لمن يخشى.

وقد اختلف أهل العربية في وجه نصب تذكرة, فكان بعض نحويي البصرة يقول: قال: إلاّ تذكرة بدلاً من قوله لتشقى, فجعله: ما أنزلنا عليك القرآن إلاّ تذكرة. وكان بعض نحويي الكوفة يقول: نصبت على قوله: ما أنزلناه إلاّ تذكرة. وكان بعضهم ينكر قول القائل: نصبت بدلاً من قوله لِتَشْقَى, ويقول: ذلك غير جائز, لأن لِتَشْقَى في الجحد, و إلاّ تَذْكِرَةً في التحقيق, ولكنه تكرير. وكان بعضهم يقول: معنى الكلام: ما أنزلنا عليك القرآن إلاّ تذكرة لمن يخشى, لا لتشقى.

الآية : 4 و 5

القول في تأويل قوله تعالى: {تَنزِيلاً مّمّنْ خَلَق الأرْضَ وَالسّمَاوَاتِ الْعُلَى * الرّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَىَ }.

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم: هذا القرآن تنزيل من الربّ الذي خلق الأرض والسموات العلى. والعُلَى: جمع عليا.

واختلف أهل العربية في وجه نصب قوله: تَنْزِيلاً فقال بعض نحويي البصرة: نصب ذلك بمعنى: نزّل الله ذلك تنزيلاً. وقال بعض من أنكر ذلك من قيله هذا من كلامين, ولكن المعنى: هو تنزيل, ثم أسقط هو, واتصل بالكلام الذي قبله, فخرج منه, ولم يكن من لفظه.

قال أبو جعفر: والقولان جميعا عندي غير خطأ.

وقوله: الرّحْمَنُ عَلى العَرْشِ اسْتَوَى يقول تعالى ذكره: الرحمن على عرشه ارتفع وعلا.

وقد بيّنا معنى الاستواء بشواهده فيما مضى وذكرنا اختلاف المختلفين فيه فأغنى ذلك عن إعادته في هذا الموضع. وللرفع في الرحمن وجهان: أحدهما بمعنى قوله: تنزيلاً, فيكون معنى الكلام: نزله من خلق الأرض والسموات, نزله الرحمن الذي على العرش استوى. والآخر بقوله: عَلى العَرْشِ اسْتَوَى لأن في قوله استوى, ذكرا من الرحمن.

الآية : 6

القول في تأويل قوله تعالى: {لَهُ مَا فِي السّمَاوَاتِ وَمَا فِي الأرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَمَا تَحْتَ الثّرَىَ }.

يقول تعالى ذكره: لله ما في السموات وما في الأرض وما بينهما, وما تحت الثرى, ملكا له, وهو مدبر ذلك كله, ومصرّف جميعه. ويعني بالثرى: الندى. يقال للتراب الرطب المبتلّ: ثرى منقوص, يقال منه: ثريت الأرض تثرى, ثرى منقوص, والثرى: مصدر. وبنحو الذي قلنا في ذلك, قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

18095ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة, قوله: وَما تَحْتَ الثّرَى والثّرَى: كلّ شيء مبتلّ.

18096ـ حُدثت عن الحسين بن الفرج, قال: سمعت أبا معاذ يقول: أخبرنا عبيد, قال: سمعت الضحاك يقول في قوله: وَما تَحْتَ الثّرَى ما حفر من التراب مبتلاً.

وإنما عنى بذلك: وما تحت الأرضين السبع. كالذي:

18097ـ حدثني محمد بن إبراهيم السليمي المعروف بابن صدران, قال: حدثنا أبو عاصم, قال: حدثنا محمد بن رفاعة, عن محمد بن كعب وَما تَـحْتَ الثّرَى قال: الثرى: سبع أرضين.

الآية : 7 و 8

القول في تأويل قوله تعالى: {وَإِن تَجْهَرْ بِالْقَوْلِ فَإِنّهُ يَعْلَمُ السّرّ وَأَخْفَى * اللّهُ لآ إِلَـَهَ إِلاّ هُوَ لَهُ الأسْمَآءُ الْحُسْنَىَ }.

يقول تعالى ذكره: وإن تجهر يا محمد بالقول, أو تخف به, فسواء عند ربك الذي له ما في السموات وما في الأرض فإنّهُ يَعْلَمُ السّرّ يقول: فإنه لا يخفى عليه ما استسررته في نفسك, فلم تبده بجوارحك ولم تتكلم بلسانك, ولم تنطق به وأخفى.

ثم اختلف أهل التأويل في المعنيّ بقوله وأخْفَى فقال بعضهم: معناه: وأخفى من السرّ, قال: والذي هو أخفى من السرّ ما حدّث به المرء نفسه ولم يعمله. ذكر من قال ذلك:

18098ـ حدثنا ابن حميد, قال: حدثنا حكام, عن عمرو, عن عطاء, عن سعيد بن جبير, عن ابن عباس يَعْلَمُ السّرّ وأخْفَى قال: السرّ: ما عملته أنت وأخفى: ما قذف الله في قلبك مما لم تعمله.

حدثني محمد بن سعد, قال: ثني أبي, قال: ثني عمي, قال: ثني أبي, عن أبيه, عن ابن عباس, قوله يَعْلَمُ السّرّ وأخْفَى يعني بأخفى: ما لم يعمله, وهو عامله وأما السرّ: فيعني ما أسرّ في نفسه.

حدثني عليّ, قال: حدثنا عبد الله, قال: ثني معاوية, عن عليّ, عن ابن عباس, قوله يَعْلَمُ السّر وأخْفَى قال: السرّ: ما أسرّ ابن آدم في نفسه. وأخفى: قال: ما أخفى ابن آدم مما هو فاعله قبل أن يعمله, فالله يعلم ذلك, فعلمه فيما مضى من ذلك, وما بقي علم واحد, وجميع الخلائق عنده في ذلك كنفس واحدة, وهو قوله: مَا خَـلْقُكُمْ وَلا بَعْثُكُمْ إلاّ كَنَفْسٍ وَاحِدَةٍ.

حدثنا القاسم, قال: حدثنا الحسين, قال: ثني حجاج, قال: قال ابن جريج, قال سعيد بن جُبير, عن ابن عباس: السرّ: ما أسرّ الإنسان في نفسه وأخفى: ما لا يعلم الإنسان مما هو كائن.

18099ـ حدثني زكريا بن يحيى بن أبي زائدة ومحمد بن عمرو, قالا: حدثنا أبو عاصم, عن عيسى وحدثني الحارث, قال: حدثنا الحسن, قال: حدثنا ورقاء, جميعا عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد, في قول الله: يَعْلَمُ السّرّ وأخْفَى قال: أخفى: الوسوسة. زاد ابن عمرو والحارث في حديثيهما: والسرّ: العمل الذي يسرّون من الناس.

حدثنا القاسم, قال: حدثنا الحسين, قال: ثني حجاج, عن ابن جريج, عن مجاهد وأخْفَى قال: الوسوسة.

18100ـ حدثنا هناد, قال: حدثنا أبو الأحوص, عن سماك, عن عكرمة, في قوله يَعْلَمُ السّرّ وأخْفَى قال: أخفى حديث نفسك.

18101ـ حدثنا ابن بشار, قال: حدثنا الحسين بن الحسن الأشقر, قال: حدثنا أبو كُدَينة, عن عطاء, عن سعيد بن جبير, عن ابن عباس, في قوله يَعْلَمُ السّرّ وأخْفَى قال: السرّ: ما يكون في نفسك اليوم. وأخفى: ما يكون في غد وبعد غد, لا يعلمه إلاّ الله.

وقال آخرون: بل معناه: وأخفى من السرّ ما لم تحدّث به نفسك. ذكر من قال ذلك:

18102ـ حدثنا الفضل بن الصباح, قال: حدثنا ابن فضيل, عن عطاء, عن سعيد بن جُبير, في قوله: يَعْلَمُ السّرّ وأخْفَى قال: السرّ: ما أسررت في نفسك وأخفى من ذلك: ما لم تحدّث به نفسك.

18103ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قَتادة وَإنْ تَجْهَرْ بالقَوْلِ فإنّهُ يَعْلَمُ السّرّ وأخْفَى كنا نحدث أن السرّ ما حدّثت به نفسك, وأن أخفى من السرّ: ما هو كائن مما لم تحدّث به نفسك.

18104ـ حدثنا محمد بن بشار, قال: حدثنا سليمان بن حرب, قال: حدثنا أبو هلال, قال: حدثنا أبو قتادة, قوله في يَعْلَمُ السّرّ وأخْفَى قال: يعلم ما أسررت في نفسك, وأخفى: ما لم يكن وهو كائن.

حدثنا الحسن بن يحيى, قال: أخبرنا عبد الرزاق, قال: أخبرنا معمر, عن قتادة, في قوله يَعْلَمُ السّرّ وأخْفَى قال: أخفى من السرّ: ما حدّثت به نفسك, وما لم تحدث به نفسك أيضا مما هو كائن.

18105ـ حُدثت عن الحسين بن الفرج, قال: سمعت أبا معاذ, قال: حدثنا عبيد, قال: سمعت الضحاك يقول في قوله: يَعْلَمُ السّرّ وأخْفَى أما السرّ: فما أسررت في نفسك. وأما أخفى من السرّ: فما لم تعمله وأنت عامله, يعلم الله ذلك كله.

وقال آخرون: بل معنى ذلك: إنه يعلم سرّ العباد, وأخفى سرّ نفسه, فلم يطلع عليه أحدا. ذكر من قال ذلك:

18106ـ حدثني يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: قال ابن زيد, في قوله يَعْلَمُ السّرّ وأخْفَى قال: يعلم أسرار العباد, وأخفى سرّه فلا يعلم.

قال أبو جعفر: وكأن الذين وجّهوا ذلك إلى أن السرّ هو ما حدّث به الإنسان غيره سرّا, وأن أخفى: معناه: ما حدّث به نفسه, وجهوا تأويل أخفى إلى الخفيّ. وقال بعضهم: قد توضع أفعل موضع الفاعل, واستشهدوا لقيلهم ذلك بقول الشاعر:

تَمَنّى رِجالٌ أنْ أمُوتَ وَإنْ أمُتْفتلكَ طَرِيقٌ لَسْتُ فِيها بأوْحَدِ

والصواب من القول في ذلك, قول من قال: معناه: يعلم السرّ وأخفى من السرّ, لأن ذلك هو الظاهر من الكلام ولو كان معنى ذلك ما تأوّله ابن زيد, لكان الكلام: وأخفى الله سرّه, لأن أخفى: فعل واقع متعدّ, إذ كان بمعنى فعل على ما تأوّله ابن زيد, وفي انفراد أخفى من مفعوله, والذي يعمل فيه لو كان بمعنى فعل الدليل الواضح على أنه بمعنى أفعل, وأن تأويل الكلام: فإنه يعلم السرّ وأخفى منه. فإذ كان ذلك تأويله, فالصواب من القول في معنى أخفى من السرّ أن يقال: هو ما علم الله مما أخفى عن العباد, ولم يعلموه مما هو كائن ولما يكن, لأن ما ظهر وكان فغير سرّ, وأن ما لم يكن وهو غير كائن فلا شيء, وأن ما لم يكن وهو كائن فهو أخفى من السرّ, لأن ذلك لا يعلمه إلاّ الله, ثم من أعلمه ذلك من عباده.

وأما قوله تعالى ذكره: اللّهُ لا إلهَ إلاّ هُوَ فإنه يعني به: المعبود الذي لا تصلح العبادة إلاّ له. يقول: فإياه فاعبدوا أيها الناس دون ما سواه من الآلهة والأوثان لَهُ الأسْماءُ الحُسْنَى يقول جلّ ثناؤه: لمعبودكم أيها الناس الأسماء الحسنى, فقال: الحسنى, فوحّد, وهو نعت للأسماء, ولم يقل

الأحاسن, لأن الأسماء تقع عليها هذه, فيقال: هذه أسماء, وهذه في لفظة واحدة ومنه قول الأعشى:

وَسَوْفَ يُعْقِبُنِيهِ إنْ ظَفِرْتُ بِهِرَبّ غَفُورٌ وَبِيضٌ ذاتُ أطْهارِ

فوحد ذات, وهو نعت للبيض لأنه يقع عليه هذه, كما قال: حَدائقَ ذاتَ بهجةٍ ومنه قوله جلّ ثناؤه: مآرِبُ أُخْرَى فوحد أخرى, وهي نعت لمآرب, والمآرب: جمع, واحدتها: مأربة, ولم يقل أخر, لما وصفنا, ولو قيل: أخَر, لكان صوابا.

الآية : 9 و 10

القول في تأويل قوله تعالى: {وَهَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ مُوسَىَ * إِذْ رَأَى نَاراً فَقَالَ لأَهْلِهِ امْكُثُوَاْ إِنّيَ آنَسْتُ نَاراً لّعَلّيَ آتِيكُمْ مّنْهَا بِقَبَسٍ أَوْ أَجِدُ عَلَى النّارِ هُدًى }.

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم مسليه عما يلقى من الشدّة من مشركي قومه, ومعرفه ما إليه صائر أمره وأمرهم, وأنه معليه عليهم, وموهن كيد الكافرين, ويحثه على الجدّ في أمره, والصبر على عبادته, وأن يتذكر فيما ينوبه فيه من أعدائه من مُشركي قومه وغيرهم, وفيما يزاول من الاجتهاد في طاعته ما ناب أخاه موسى صلوات الله عليه من عدوّه, ثم من قومه, ومن بني إسرائيل وما لقـ ي فيه م ن البلاء والشدّة طفلاً صغيرا, ثم يافعا مترعرعا, ثم رجلاً كاملاً: وَهَل أتاكَ يا محمد حَدِيثُ مُوسَى ابن عمران إذْ رأى نارا؟ ذكر أن ذلك كان في الشتاء ليلاً, وأن موسى كان أضلّ الطريق فلما رأى ضوء النار قالَ لأَهْلِهِ ما قال. ذكر من قال ذلك:

18107ـ حدثنا موسى بن هارون, قال: حدثنا عمرو, قال: حدثنا أسباط, عن السديّ, عن أبي مالك, وعن أبي صالح, عن ابن عباس, قال: لما قضى موسى الأجل, سار بأهله فضلّ الطريق. قال عبد الله بن عبـ اس: كان في الشتاء, ورُفعت لهم نار فلما رآها ظنّ أنها نار, وكانت من نور الله قالَ لأَهْلِهِ امْكُثُوا إنّي آنَسْتُ نارا.

18108ـ حدثنا ابن حميد, قال: حدثنا سلمة, عن ابن إسحاق, عن وهب بن منبه اليماني, قال: لما قضى موسى الأجل, خرج ومعه غنم له, ومعه زند له, وعصاه في يده يهشّ بها على غنمه نهارا, فإذا أمسى اقتدح بزنده نارا, فبات عليها هو وأهله وغنمه, فإذا أصبح غدا بأهله وبغنمه, فتوكأ على عصاه, فلما كانت الليلة التي أراد الله بموسى كرامته, وابتداءه فيها بنبوّته وكلامه, أخطأ فيه الطريق حتى لا يدري أين يتوجه, فأخرج زنده ليقتدح نارا لأهله ليبيتوا عليها حتى يصبح, ويعلم وجه سبيله, فأصلد زنده فلا يورى له نارا, فقدح حتى أعياه, لاحت النار فرآها, ف قَالَ لأهلِهِ امْكُثُوا إنّي آنَسْتُ نارا لَعَلّي آتِيكُمْ مِنْها بقَبَسٍ أوْ أَجِدُ عَلى النّارِ هُدًى. وعنى بقوله: آنَسْتُ نارا وجدت, ومن أمثال العرب: بعد اطلاع إيناس, ويقال أيضا: بعد طلوع إيناس, وهو مأخوذ من الأنس.

وقوله: لَعَلّي آتِيكُمْ مِنْها بقَبَسٍ يقول: لعلي أجيئكم من النار التي آنست بشُعْلة. والقَبَس: هو النار في طَرَف العود أو القصبة. يقول القائل لصاحبه: أقبسني نارا, فيعطيه إياها في طرف عود أو قصبة. وإنما أراد موسى بقوله لأهله: لَعَلّي آتِيكُمْ مِنْها بقَبَسٍ لعلي آتيكم بذلك لتصطلوا به, كما:

18109ـ حدثنا ابن حميد, قال: حدثنا سلمة, عن ابن إسحاق, عن وهب بن منبه لَعَلّي آتِيكُمْ مِنْها بِقَبَسٍ قال: بقبس تَصْطَلون.
وقوله: أوْ أجِدُ عَلى النّارِ هُدًى دلالة تدلّ على الطريق الذي أضللناه, إما من خبر هاد يهدينا إليه, وإما من بيان وعلم نتبينه به ونعرفه. وبنحو الذي قلنا في ذلك, قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:
18110ـ حدثني عليّ, قال: حدثنا عبد الله, قال: ثني معاوية, عن عليّ, عن ابن عباس, قوله: أوْ أجِدُ عَلى النّارِ هُدًى يقول: من يدلّ على الطريق.
18111ـ حدثني محمد بن عمرو, قال: حدثنا أبو عاصم, قال: حدثنا عيسى وحدثني الحارث, قال: حدثنا الحسن, قال: حدثنا ورقاء, جميعا عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد, في قول الله: أوْ أجِدُ عَلى النّارِ هُدًى قال: هاديا يهديه الطريق.
حدثنا القاسم, قال: حدثنا الحسين, قال: ثني حجاج, عن ابن جريج, عن مجاهد, مثله.
18112ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد عن قتادة قوله: أوْ أجِدُ عَلى النّارِ هُدًى: أي هداة يهدونه الطريق.
18113ـ حدثني أحمد بن المقدام, قال: حدثنا المعتمر, قال: سمعت أبي يحدّث, عن قتادة, عن صاحب له, عن حديث ابن عباس, أنه زعم أنها أيلة أوْ أجِدُ عَلى النّارِ هُدًى. وقال أبيّ: وزعم قتادة أنه هدى الطريق.
حدثنا الحسن, قال: أخبرنا عبد الرزاق, قال: أخبرنا معمر, عن قتادة, في قوله أوْ أجِدُ عَلى النّارِ هُدًى قال: من يهديني إلى الطريق.
18114ـ حدثنا ابن حميد, قال: حدثنا سلمة, عن ابن إسحاق, عن وهب بن منبه أوْ أجِدُ عَلى النّارِ هُدًى قال: هدى عن علم الطريق الذي أضللنا بنعت من خبر.
18115ـ حدثني يونس, قال: أخبرنا سفيان, عن أبي سعيد, عن عكرمة, قال: قال ابن عباس لَعَلّي آتِيكُمْ مِنْها بِقَبَسٍ أوْ أجِدُ عَلى النّارِ هُدًى قال: كانوا أضلوا عن الطريق, فقال: لعلي أجد من يدلني على الطريق, أو آتيكم بقبس لعلكم تصطلون.

الآية : 11 و 12

القول في تأويل قوله تعالى: {فَلَمّآ أَتَاهَا نُودِيَ يَمُوسَىَ * إِنّيَ أَنَاْ رَبّكَ فَاخْلَعْ نَعْلَيْكَ إِنّكَ بِالْوَادِ الْمُقَدّسِ طُوًى }.
يقول تعالى ذكره: فلما أتى النار موسى, ناداه ربه: يا مِوسَى إنّي رَبّك فاخْلَعْ نَعْلَيْكَ كما:
18116ـ حدثنا ابن حميد, قال: حدثنا سلمة, عن ابن إسحاق, عن وهب بن منبه, قال: خرج موسى نحوها, يعني نحو النار, فإذا هي في شجر من العليق, وبعض أهل الكتاب يقول في عوسجة فلما دنا استأخرت عنه فلما رأى استئخارها رجع عنها, وأوجس في نفسه منها خيفة فلما أراد الرجعة, دنت منه ثم كلم من الشجرة, فلما سمع الصوت استأنس, وقال الله تبارك وتعالى: يا مُوسَى اخْلَعْ نَعْلَيْكَ إنّكَ بالوَادِ المُقَدّسِ طُوًى فخلعها فألفاها.

واختلف أهل العلم في السبب الذي من أجله أمر الله موسى بخلع نعليه, فقال بعضهم: أمره بذلك, لأنهما كانتا من جلد حمار ميت, فكره أن يطأ بهما الوادي المقدّس, وأراد أن يمسه من بركة الوادي. ذكر من قال ذلك:

18117ـ حدثنا محمد بن بشار, قال: حدثنا عبد الرحمن, قال: حدثنا سفيان, عن عاصم, عن أبي قلابة, عن كعب, أنه رآهم يخلعون نعالهم اخْلَعْ نَعْلَيْكَ إنّكَ بالوَادِ المُقَدّسِ طُوى فقال: كانت من جلد حمار ميت, فأراد الله أن يمسه القدس.

18118ـ حدثنا ابن حميد, قال: حدثنا يحيى بن واضح, قال: حدثنا الحسين, عن يزيد, عن عكرمة, في قوله فاخْلَعْ نَعْلَيْكَ قال: كانتا من جلد حمار ميت.

18119ـ حدثنا بِشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعد, عن قَتادة, قال: حدثنا, أن نعليه كانتا من جلد حمار, فخلعهما ثم أتاه.

حدثنا الحسن, قال: أخبرنا عبد الرزاق, قال: أخبرنا معمر, عن قَتادة, في قوله فاخْلَعْ نَعْلَيْكَ قال: كانتا من جلد حمار, فقيل له اخلعهما.

18120ـ حدثنا القاسم, قال: حدثنا الحسين, قال: ثني حجاج, عن ابن جُرَيج. قال: وأخبرني عمر بن عطاء عن عكرمة وأبو سفيان, عن معمر, عن جابر الجعفي, عن عليّ بن أبي طالب فاخْلَعْ نَعْلَيْكَ قال: كانتا من جلد حمار, فقيل له اخلعهما. قال: وقال قَتادة مثل ذلك.

وقال آخرون: كانتا من جلد بقر, ولكن الله أراد أن يطأ موسى الأرض بقدميه, ليصل إليه بركتها. ذكر من قال ذلك:

18121ـ حدثنا القاسم, قال: حدثنا الحسين, قال: ثني حجاج, قال: قال ابن جريج, قال الحسن: كانتا, يعني نعلي موسى, من بقر, ولكن إنما أراد الله أن يباشر بقدميه بركة الأرض, وكان قد قدس مرّتين. قال ابن جُرَيْج: وقيل لمجاهد: زعموا أن نعليه كانتا من جلد حمار أو ميتة, قال: لا, ولكنه أمر أن يباشر بقدميه بركة الأرض.

18122ـ حدثني يعقوب, قال: قال أبو بشر, يعني ابن علية, سمعت ابن أبي نجيح, يقول في قوله: فاخْلَعْ نَعْلَيْكَ إنّكَ بالْوَادِ المُقَدّسِ طُوًى قال: يقول: أفض بقدميك إلى بركة الوادي.

قال أبو جعفر: وأولى القولين في ذلك بالصواب قول من قال: أمره الله تعالى ذكره بخلع نعليه ليباشر بقدميه بركة الوادي, إذ كان واديا مقدسا.

وإنما قلنا ذلك أولى التأويلين بالصواب, لأنه لا دلالة في ظاهر التنزيل على أنه أمر بخلعهما من أجل أنهما من جلد حمار ولا لنجاستهما, ولا خبر بذلك عمن يلزم بقوله الحجة, وإن في قوله إنّكَ بالوَادِ المُقَدّسِ بعقبه دليلاً واضحا, على أنه إنما أمره بخلعهما لما ذكرنا. ولو كان الخبر الذي:

18123ـ حدثنا به بشر قال: حدثنا خلف بن خليفة عن حميد بن عبد الله بن الحارث, عن ابن مسعود, عن نبيّ الله صلى الله عليه وسلم, قال: «يَوْمَ كَلّمَ اللّهُ مُوسَى, كانَتْ عَلَيْهِ جُبّةُ صُوفٍ وكساءُ صُوفٍ, وسَرَاوِيلُ صُوفٍ, وَنَعْلانِ مِنْ جِلْدِ حِمارٍ غيرِ مُذَكّى» صحيحا لم نعده إلى غيره, ولكن في إسناده نظر يجب التثبت فيه.

واختلفت القراءة في قراءة قوله: إنّي أنا رَبّكَ فقرأ ذلك بعض قرّاء المدينة والبصرة: «نُودِيَ يا مُوسَى أنّي» بفتح الألف من «أنـي», فأنّ على قراءتهم في موضع رفع بقوله: نودي, فإن معناه كان عندهم: نودي هذا القول. وقرأه بعض عامة قرّاء المدينة والكوفة بالكسر: نُودِيَ يا موسى إني على الابتداء, وأن معنى ذلك قيل: يا موسى إني.

قال أبو جعفر: والكسر أولى القراءتين عندنا بالصواب, وذلك أن النداء قد حال بينه وبين العمل في أن قوله «يا موسى», وحظ قوله «نودي» أن يعمل في أن لو كانت قبل قوله «يا موسى», وذلك أن يقال: نودي أن يا موسى إني أنا ربك, ولا حظّ لها في «إن» التي بعد موسى.

وأما قوله: إنّكَ بالوَادِ المُقَدّسِ فإنه يقول: إنك بالوادي المطهر المبارك, كما:

18124ـ حدثني عليّ, قال: حدثنا عبد الله, قال: ثني معاوية, عن عليّ, عن ابن عباس, قوله: إنّكَ بالوَادِ المُقَدّسِ يقول: المبارك.

18125ـ حدثنا القاسم, قال: حدثنا الحسين, قال: ثني حجاج, عن ابن جريج, قال: قال مجاهد, قوله إنّكَ بالوَادِ المُقَدّسِ طُوًى قال: قُدّس بُورك مرّتين.

18126ـ حدثني يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: قال ابن زيد, قوله: إنّكَ بالوَادِ المُقَدّسِ طُوًى قال: بالوادي المبارك.

واختلف أهل التأويل في تأويل قوله طُوًى فقال بعضهم: معناه: إنك بالوادي المقدس طويته, فعلى هذا القول من قولهم طوى مصدر خرج من غير لفظه, كأنه قال: طويت الوادي المقدس طوى. ذكر من قال ذلك:

18127ـ حدثني محمد بن سعد, قال: ثني أبي, قال: ثني عمي, قال: ثني أبي, عن أبيه, عن ابن عباس: قوله: إنّكَ بالوَادِ المُقَدّسِ طُوًى يعني الأرض المقدسة, وذلك أنه مرّ بواديها ليلاً فطواه, يقال: طويت وادي كذا وكذا طوى من الليل, وارتفع إلى أعلى الوادي, وذلك نبيّ الله موسى صلى الله عليه وسلم.

وقال آخرون: بل معنى ذلك: مرّتين, وقال: ناداه ربه مرّتين فعلى قول هؤلاء طوى مصدر أيضا من غير لفظه, وذلك أن معناه عندهم: نودي يا موسى مرّتين نداءين. وكان بعضهم ينشد شاهدا لقوله طوى, أنه بمعنى مرّتين, قول عديّ بن زيد العبادي:

أعاذِلَ إنّ اللّوْمَ فِي غَيْرِ كُنْهِهِعَلَيّ طُوىً مِنْ غَيّكِ المُتَرَدّدِ

وروى ذلك آخرون: «علـيّ ثِنىً»: أي مرّة بعد أخرى, وقالوا: طُوىً ونِثىً بمعنى واحد. ذكر من قال ذلك:

18128ـ حدثنا بِشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة, فاخْلَعْ نَعْلَيْكَ إنّكَ بالوَادِ المُقَدّسِ طُوًى كنا نحدّث أنه واد قدّس مرّتين, وأن اسمه طُوَى.

وقال آخرون: بل معنى ذلك: إنه قدّس طوى مرّتين. ذكر من قال ذلك:

18129ـ حدثنا القاسم, قال: حدثنا الحسين, قال: ثني حجاج, قال: قال ابن جُرَيج, قال الحسن: كان قد قدّس مرّتين.

وقال آخرون: بل طُوى: اسم الوادي. ذكر من قال ذلك:

18130ـ حدثني عليّ بن داود, قال: حدثنا عبد الله, قال: ثني معاوية, عن عليّ, عن ابن عباس, قوله: طُوَى: اسم للوادي.

18131ـ حدثني محمد بن عمرو, قال: حدثنا أبو عاصم, قال: حدثنا عيسى وحدثني الحارث, قال: حدثنا الحسن, قال: حدثنا ورقاء, جميعا عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد: طُوى: قال: اسم الوادي.
18132ـ حدثني يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: قال ابن زيد, في قوله بالوَادِ المُقَدّسِ طُوًى قال: ذاك الوادي هو طوى, حيث كان موسى, وحيث كان إليه من الله ما كان. قال: وهو نحو الطور.
وقال آخرون: بل هو أمر من الله لموسى أن يطأ الوادي بقدميه. ذكر من قال ذلك:
18133ـ حدثنا محمد بن منصور الطوسي, قال: حدثنا صالح بن إسحاق, عن جعفر بن برقان, عن عكرمة, عن ابن عباس, في قول الله تبارك وتعالى: اخْلَعْ نَعْلَيْكَ إنّكَ بالوَادِ المُقَدّسِ طُوًى قال: طأ الوادي.
18134ـ حدثنا ابن حميد, قال: حدثنا يحيى, قال: حدثنا الحسن, عن يزيد, عن عكرمة, في قوله: طُوًى قال: طأ الوادي.
18135ـ حدثنا محمد بن عمرو, قال: حدثنا أبو عاصم, قال: حدثنا عيسى وحدثني الحارث, قال: حدثنا الحسن, قال: حدثنا ورقاء, جميعا عن ابن أبي نجيح, عن سعيد بن جبير, في قول الله طُوًى قال: طأ الأرض حافيا, كما تدخل الكعبة حافيا, يقول: من بركة الوادي.
18136ـ حدثنا القاسم, قال: حدثنا الحسين, قال: ثني حجاج, عن ابن جُرَيج, عن مجاهد طُوًى طأ الأرض حافيا.
واختلفت القرّاء في قراءة ذلك, فقرأه بعض قرّاء المدينة: «طُوَى» بضم الطاء وترك التنوين, كأنهم جعلوه اسم الأرض التي بها الوادي, كما قال الشاعر:
نَصَرُوا نَبِيّهُمُ وَشَدّوا أزْرَهُبِحُنَيْنَ حِينَ تَوَاكُلِ الأبْطالِ
فلم يجرّ حنين, لأنه جعله اسما للبلدة لا للوادي ولو كان جعله اسما للوادي لأجراه كما قرأت القرّاء: وَيَوْمَ حُنَيْنٍ, إذْ أعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ, وكما قال الآخر:
ألَسْنا أكْرَمَ الثّقَلَيْنِ رَحْلاًوأعْظَمَهُمْ بِبَطْنِ حرَاءَ نارَا
فلم يجرّ حراء, وهو جبل, لأنه جعله اسما للبلدة, فكذلك «طُوَى» في قراءة من لم يجره جعله اسما للأرض. وقرأ ذلك عامّة قرّاء أهل الكوفة: طُوًى بضم الطاء والتنوين وقارئو ذلك كذلك مختلفون في معناه على ما قد ذكرت من اختلاف أهل التأويل فأما من أراد به المصدر من طويت, فلا مؤنة في تنوينه وأما من أراد أن يجعله اسما للوادي, فإنه إنما ينوّنه لأنه اسم ذكر لا مؤنث, وأن لام الفعل منه ياء, فزاده ذلك خفة فأجراه كما قال الله: وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إذ كان حنين اسم واد, والوادي مذكر.
قال أبو جعفر: وأولى القولين عندي بالصواب قراءة من قرأه بضم الطاء والتنوين, لأنه إن يكن اسما للوادي فحظه التنوين لما ذكر قبل من العلة لمن قال ذلك, وإن كان مصدرا أو مفسرا, فكذلك أيضا حكمه التنوين, وهو عندي اسم الوادي. وإذ كان ذلك كذلك, فهو في موضع خفض ردّا على الوادي.

الآية : 13 و 14

القول في تأويل قوله تعالى: {وَأَنَا اخْتَرْتُكَ فَاسْتَمِعْ لِمَا يُوحَىَ * إِنّنِيَ أَنَا اللّهُ لآ إِلَـَهَ إِلاّ أَنَاْ فَاعْبُدْنِي وَأَقِمِ الصّلاَةَ لِذِكْرِيَ }.

اختلفت القرّاء في قراءة ذلك, فقرأته عامة القرّاء الذين قرأوا: «وأنّا» بتشديد النون, و أنا بفتح الألف من «أنا» ردّا على: نودي يا موسى, كأنه معنى الكلام عندهم: نودي يا موسى إني أنا ربك, وأنا اخترتك, وبهذه القراءة قرأ ذلك عامّة قرّاء الكوفة. وأما عامة قرّاء المدينة والبصرة وبعض أهل الكوفة فقرأوه: وأنا اخْتَرْتُكَ بتخفيف النون على وجه الخبر من الله عن نفسه أنه اختاره.

قال أبو جعفر: والصواب من القول في ذلك عندي أن يقال: إنهما قراءتان قد قرأ بكلّ واحدة منهما قرّاء أهل العلم بالقرآن, مع اتفاق معنييهما. فبأيتهما قرأ القارىء فمصيب الصواب فيه. وتأويل الكلام: نودي أنّا اخترناك. فاجتبيناك لرسالتنا إلى من نرسلك إليه فاسْتَمِعْ إلى ما يُوحَى يقول: فاستمع لوحينا الذي نوحيه إليك وعه, واعمل به إنّنِي أنا اللّهُ يقول تعالى ذكره: إنني أنا المعبود الذي لا تصلح العبادة إلاّ له, لا إلَهَ إلاّ أنا فلا تعبد غيري, فإنه لا معبود تجوز أو تصلح له العبادة سواي فاعْبُدْنِي يقول: فأخلص العبادة لي دون كلّ ما عبد من دوني وأقِمِ الصّلاةَ لِذِكْرِي.

واختلف أهل التأويل في تأويل ذلك فقال بعضهم: معنى ذلك: أقم الصلاة لي فإنك إذا أقمتها ذكرتني. ذكر من قال ذلك:

18137ـ حدثني محمد بن عمرو, قال: حدثنا أبو عاصم, قال: حدثنا عيسى وحدثني الحارث, قال: حدثنا الحسن, قال: حدثنا ورقاء جميعا, عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد, في قوله: أقِمِ الصّلاةَ لِذِكْرِي قال: إذا صلى ذكر ربه.

حدثنا القاسم, قال: حدثنا الحسين, قال: ثني حجاج, عن ابن جُرَيج, عن مجاهد, قوله وَأقِمِ الصّلاةَ لِذِكْرِي قال: إذا ذكر عَبَد ربه.

قال آخرون: بل معنى ذلك: وأقم الصلاة حين تذكرها.ذكر من قال ذلك:

18138ـ حدثنا محمد بن بشار, قال: حدثنا أبو عاصم, قال: حدثنا سفيان, عن مُغيرة, عن إبراهيم في قوله: وأقِمِ الصّلاةَ لِذِكْرِي قال: يصليها حين يذكرها.

18139ـ حدثني أحمد بن عبد الرحمن بن وهب, قال: ثني عمي عبد الله بن وهب, قال: ثني ويونس ومالك بن شهاب, قال: أخبرني سعيد بن المسيب, عن أبي هريرة, أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «مَنْ نَسِيَ صَلاةً فَلْيُصَلّها إذَا ذَكَرَها, قال اللّهُ: أقِمِ الصّلاةَ لِذِكْرِي». وكان الزهري يقرؤها: أقِمِ الصّلاةَ لِذِكْرِي بمنزلة فعلى.

قال أبو جعفر: وأولى التأويلين في ذلك بالصواب تأويل من قال: معناه: أقم الصلاة لتذكرني فيها, لأن ذلك أظهر معنييه ولو كان معناه: حين تذكرها, لكان التنزيل: أقم الصلاة لذكركها. وفي قوله: لِذِكْرِي دلالة بينة على صحة ما قال مجاهد في تأويل ذلك ولو كانت القراءة التي ذكرناها عن الزهري قراءة مستفيضة في قَراءة الأمصار, كان صحيحا تأويل من تأوّله بمعنى: أقم الصلاة حين تذكرها, وذلك أن الزهري وجّه بقراءته أقِمِ الصّلاةَ لِذِكْرَى بالألف لا بالإضافة, إلى أقم لذكراها, لأن الهاء والألف حذفتا, وهما مرادتان في الكلام ليوفق بينها وبين سائر رؤوس الآيات, إذ كانت بالألف والفتح. ولو قال قائل في قراءة الزهري هذه التي ذكرنا عنه, إنما قصد الزهري بفتحها تصييره الإضافة ألفا للتوفيق بينه

وبين رؤوس الآيات قبله وبعده, لأنه خالف بقراءته ذلك كذلك من قرأه بالإضافة, وقال: إنما ذلك كقول الشاعر:
أُطَوّفُ ما أُطَوّفُ ثُمّ آوِيإلى أُمّا وَيُرْوِينِي النّقِيعُ
وهو يريد: إلى أمي, وكقول العرب: يا أبا وأما, وهي تريد: يا أبي وأمي, كان له بذلك مقال.

الآية : 15 و 16

القول في تأويل قوله تعالى: {إِنّ السّاعَةَ آتِيَةٌ أَكَادُ أُخْفِيهَا لِتُجْزَىَ كُلّ نَفْسٍ بِمَا تَسْعَىَ * فَلاَ يَصُدّنّكَ عَنْهَا مَن لاّ يُؤْمِنُ بِهَا وَاتّبَعَ هَوَاهُ فَتَرْدَىَ }.
يقول تعالى ذكره: إن الساعة التي يبعث الله فيها الخلائق من قبورهم لموقف القيامة جائية أكادُ أُخْفِيها فعلى ضمّ الألف من أخفيها قراءة جميع قرّاء أمصار الإسلام, بمعنى: أكاد أخفيها من نفسي, لئلا يطلع عليها أحد, وبذلك جاء تأويل أكثر أهل العلم. ذكر من قال ذلك:
18140ـ حدثني عليّ, قال: حدثنا عبد الله, قال: ثني معاوية, عن عليّ, عن ابن عباس, قوله: أكادُ أُخْفِيها يقول: لا أظهر عليها أحدا غيري.
18141ـ حدثني محمد بن سعد, قال: ثني أبي, قال: ثني عمي, قال: ثني أبي, عن أبيه, عن ابن عباس, قوله: إنّ السّاعَةَ آتِيَةٌ أكادُ أُخْفِيها قال: لا تأتيكم إلاّ بغتة.
18142ـ حدثنا ابن بشار, قال: حدثنا أبو أحمد, قال: حدثنا سفيان, عن ليث, عن مجاهد إنّ السّاعَةَ آتِيَةٌ أكادُ أُخْفِيها قال: من نفسي.
حدثنا محمد بن عمرو, قال: حدثنا أبو عاصم, قال: حدثنا عيسى وحدثني الحارث, قال: حدثنا الحسن, قال: حدثنا ورقاء, جميعا عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد, في قول الله: أكادُ أُخْفِيها قال: من نفسي.
حدثنا القاسم, قال: حدثنا الحسين, قال: ثني حجاج, عن ابن جريج, عن مجاهد, مثله.
حدثنا ابن حميد, قال: حدثنا جرير, عن عطاء بن السائب, عن سعيد بن جبير, عن ابن عباس أكادُ أُخْفِيها قال: من نفسي.
18143ـ حدثني عبد الأعلى بن واصل, قال: حدثنا محمد بن عبيد الطنافسي, قال: حدثنا إسماعيل بن أبي خالد, عن أبي صالح, في قوله: أكادُ أُخْفِيها قال: يخفيها من نفسه.
18144ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قَتادة, قوله: أكادُ أُخْفِيها وهي في بعض القراءة: «أخفيها من نفسي». ولعمري لقد أخفاها الله من الملائكة المقرّبين, ومن الأنبياء المرسلين.
حدثنا الحسن, قال: أخبرنا عبد الرزاق, قال: أخبرنا معمر, عن قَتادة, قال: في بعض الحروف: «إنّ السّاعَةَ آتِيَةٌ أكادُ أُخْفِيها مِنْ نَفْسِي».
وقال آخرون: إنما هو: «أكادُ أَخْفِيها» بفتح الألف من أخفيها بمعنى: أظهرها. ذكر من قال ذلك:
18145ـ حدثنا ابن حميد, قال: حدثنا يحيى بن واضح, قال: حدثنا محمد بن سهل, قال: سألني رجل في المسجد عن هذا البيت.
دَابَ شَهْرَيْنِ ثُمّ شَهْرا دَمِيكابِأَرِيكَيْنِ يَخْفيانِ غَمِيرا
فقلت: يظهران, فقال ورقاء بن إياس وهو خلفي: أقرأنيها سعيد بن جبير: «أكادُ أَخْفِيها» بنصب الألف.

وقد رُوي عن سعيد بن جبير وفاق لقول الآخرين الذين قالوا: معناه: أكاد أخفيها من نفسي. ذكر الرواية عنه بذلك:

18146ـ حدثنا ابن بشار, قال: حدثنا عبد الرحمن, قال: حدثنا سفيان, عن عطاء, عن سعيد بن جبير ومنصور, عن مجاهد, قالا إنّ السّاعَةَ آتِيَةٌ أكادُ أُخْفِيها قالا: من نفسي.

حدثني عبيد بن إسماعيل الهباري, قال: حدثنا ابن فضيل, عن عطاء بن السائب, عن سعيد بن جبير أكادُ أُخْفِيها قال: من نفسي.

قال أبو جعفر: والذي هو أولى بتأويل الآية من القول, قول من قال: معناه: أكاد أخفيها من نفسي, لأن تأويل أهل التأويل بذلك جاء. والذي ذُكر عن سعيد بن جبير من قراءة ذلك بفتح الألف قراءة لا أستجيز القراءة بها لخلافها قراءة الحجة التي لا يجوز خلافها فيما جاءت به نقلاً مستفيضا.

فإن قال قائل: ولم وجهت تأويل قوله أكادُ أُخْفِيها بضم الألف إلى معنى: أكاد أخفيها من نفسي, دون توجيهه إلى معنى: أكاد أظهرها, وقد علمت أن للإخفاء في كلام العرب وجهين: أحدهما الإظهار, والآخر الكتمان وأن الإظهار في هذا الموضع أشبه بمعنى الكلام, إذ كان الإخفاء من نفسه يكاد عند السامعين أن يستحيل معناه, إذ كان محالاً أن يخفي أحد عن نفسه شيئا هو به عالم, والله تعالى ذكره لا يخفى عليه خافية؟ قيل: الأمر في ذلك بخلاف ما ظننت, وإنما وجّهنا معنى أُخْفِيها بضمّ الألف إلى معنى: أسترها من نفسي, لأن المعروف من معنى الإخفاء في كلام العرب: الستر. يقال: قد أخفيت الشيء: إذا سترته. وأن الذين وجّهوا معناه إلى الإظهار, اعتمدوا على بيت لامرىء القيس ابن عابس الكندي.

18147ـ حُدثت عن معمر بن المثنى أنه قال: أنشدنيه أبو الخطاب, عن أهله في بلده:

فإنْ تُدْفِنُوا الدّاءَ لا نُخْفِهوإنْ تَبْعَثُوا الحَرْبَ لا نَقْعُدُ

بضمّ النون من لا نخفه, ومعناه: لا نظهره, فكان اعتمادهم في توجيه الإخفاء في هذا الموضع إلى الإظهار على ما ذكروا من سماعهم هذا البيت, على ما وصفت من ضم النون من نخفه. وقد أنشدني الثقة عن الفرّاء:

فإنْ تَدْفِنُوا الدّاءَ لا نَخْفِهِ

بفتح النون من نخفه, من خفيته أخفيه, وهو أولى بالصواب لأنه المعروف من كلام العرب. فإذا كان ذلك كذلك, وكان الفتح في الألف من أخفيها غير جائز عندنا لما ذكرنا, ثبت وصحّ الوجه الآخر, وهو أن معنى ذلك: أكاد استرها من نفسي.

وأما وجه صحة القول في ذلك, فهو أن الله تعالى ذكره خاطب بالقرآن العرب على ما يعرفونه من كلامهم وجرى به خطابهم بينهم فلما كان معروفا في كلامهم أن يقول أحدهم إذا أراد المبالغة في الخبر عن إخفائه شيئا هو له مسرّ: قد كدت أن أخفي هذا الأمر عن نفسي من شدّة استسراري به, ولو قدرت أخفيه عن نفسي أخفيته, خاطبهم على حسب ما قد جرى به استعمالهم في ذلك من الكلام بينهم, وما قد عرفوه في منطقهم. وقد قيل في ذلك أقوال غير ما قلنا, وإنما اخترنا هذا القول على غيره من الأقوال لموافقة أقوال أهل العلم من الصحابة والتابعين, إذ

كنا لا نستجيز الخلاف عليهم, فيما استفاض القول به منهم, وجاء عنهم مجيئا يقطع العذر. فأما الذين قالوا في ذلك غير قولنا ممن قال فيه على وجه الانتزاع من كلام العرب, من غير أن يعزوه إلى إمام من الصحابة أو التابعين, وعلى وجه يحتمل الكلام غير وجهه المعروف, فإنهم اختلفوا في معناه بينهم, فقال بعضهم: يحتمل معناه: أريد أخفيها قال: وذلك معروف في اللغة. وذُكر أنه حُكي عن العرب أنهم يقولون: أولئك أصحابي الذين أكاد أنزل عليهم, وقال: معناه: لا أنزل إلاّ عليهم. قال: وحُكي: أكاد أبرح منزلي: أي ما أبرح منزلي, واحتجّ ببيت أنشده لبعض الشعراء:

كادَتْ وكِدْتُ وَتِلكَ خَيْرُ إرَادَةٍلَوْ عادَ مِنْ عَهْد الصّبابَةِ ما مَضَى

وقال: يريد: بكادت: أرادت قال: فيكون المعنى: أريد أخفيها لتجزى كلّ نفس بما تسعى. قال: ومما يُشبه ذلك قول زيد الخيل:

سَرِيعٌ إلى الهَيْجاءِ شاكٍ سِلاحُهُفَمَا إنْ يَكادُ قِرْنُهُ يَتَنَفّسُ

وقال: كأنه قال: فما يتنفس قرنه, وإلا ضعف المعنى قال: وقال ذو الرّمّة:

إذا غَيّرَ النّأْيُ المُحِبّينَ لَمْ يَكَدْرَسِيسُ الهَوَى مِنْ حُبّ مَيّةَ يَبْرَحُ

قال: وليس المعنى: لم يكد يبرح: أي بعد يُسر, ويبرح بعد عُسر وإنما المعنى: لم يبرح, أو لم يرد يبرح, وإلا ضعف المعنى قال: وكذلك قول أبي النجم:

وَإنْ أتاكَ نَعِيّ فانْدُبَنّ أباقَدْ كادَ يَصْطَلِعُ الأعْداءَ والخُطَبَا

وقال: يكون المعنى: قد اضطلع الأعداء, وإلاّ لم يكن مدحا إذا أراد كاد ولم يرد يفعل.

وقال آخرون: بل معنى ذلك: إن الساعة آتية أكاد, قال: وانتهى الخبر عند قوله أكاد لأن معناه: أكاد أن آتي بها قال: ثم ابتدأ فقال: ولكني أخفيها لتجزى كلّ نفس بما تسعى. قال: وذلك نظير قول ابن ضابىء:

هَمَمْتُ ولَمْ أفْعَلْ وكِدْتُ ولَيْتَنِيتَرَكْتُ على عُثمانَ تَبْكِي أقارِبُهُ

فقال: كدت, ومعناه: كدت أفعل.

وقال آخرون: معنى أخفيها: أظهرها, وقالوا: الإخفاء والإسرار قد توجههما العرب إلى معنى الإظهار, واستشهد بعضهم لقيله ذلك ببيت الفرزدق:

فَلَمّا رأى الحَجّاجَ جَرّدَ سَيْفَهُأسَرّ الحَرُورِيّ الّذِي كانَ أضْمَرَا

وقال: عَنَى بقوله: أسرّ: أظهر. قال: وقد يجوز أن يكون معنى قوله: وأسَرّوا النّدَامَةَ وأظهروها. قال: وذلك أنهم قالوا: يا لَيْتَنا نُرَدّ وَلا نُكَذّبَ بآياتِ رَبّنا. وقال جميع هؤلاء الذين حكينا قولهم جائز أن يكون قول من قال: معنى ذلك: أكاد أخفيها من نفسي, أن يكون أراد: أخفيها من قِبلي ومن عندي. وكلّ هذه الأقوال التي ذكرنا عمن ذكرنا توجيه منهم للكلام إلى غير وجهه المعروف, وغير جائز توجيه معاني كلام الله إلى غير الأغلب عليه من وجوهه عند المخاطبين به, ففي ذلك مع خلافهم تأويل أهل العلم فيه شاهد عدل على خطأ ما ذهبوا إليه فيه.

وقوله: لِتُجْزَى كُلّ نَفْسٍ بِمَا تَسْعَى يقول تعالى ذكره: إن الساعة آتية لتجزى كلّ نفس يقول: لتثاب كلّ نفس امتحنها ربها بالعبادة في الدنيا بما تسعى, يقول: بما تعمل من خير وشرّ, وطاعة ومعصية. وقوله: فَلاَ

يَصُدّنّكَ عَنْها يقول تعالى ذكره: فلا يردّنك يا موسى عن التأهّب للساعة, من لا يؤمن بها, يعني: من لا يقرّ بقيام الساعة, ولا يصدّق بالبعث بعد الممات, ولا يرجو ثوابا, ولا يخاف عقابا. وقوله: وَاتّبَعَ هَوَاهُ يقول: اتبع هوى نفسه, وخالف أمر الله ونهيه فَتَرْدَى يقول: فتهلك إن أنت أنصددت عن التأهّب للساعة, وعن الإيمان بها, وبأن الله باعث الخلق لقيامها من قبورهم بعد فنائهم بصدّ من كفر بها. وكان بعضهم يزعم أن الهاء والألف من قوله فَلا يَصُدّنّك عَنْها كناية عن ذكر الإيمان, قال: وإنما قيل عنها وهي كناية عن الإيمان كما قيل إنّ رَبّكَ مِنْ بَعْدِها لَغَفُورٌ رَحِيمٌ يذهب إلى الفعلة, ولم يجر للإيمان ذكر في هذا الموضع, فيجعل ذلك من ذكره, وإنما جرى ذكر الساعة, فهو بأن يكون من ذكرها أولى.

الآية : 17

القول في تأويل قوله تعالى: {وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ يَمُوسَىَ }.

يقول تعالى ذكره: وما هذه التي في يمينك يا موسى؟ فالباء في قوله بِيَمِينِكَ من صلة تلك, والعرب تصل تلك وهذه كما تصل الذي ومنه قول يزيد بن مفرغ:

عَدسْ ما لِعَبّادٍ عَلَيْكِ إمارَةٌأمِنْتِ وَهَذَا تَحْمَلِينَ طَلِيقُ

كأنه قال: والذي تحملين طليق.

ولعلّ قائلاً أن يقول: وما وجه استخبار الله موسى عما في يده؟ ألم يكن عالما بأن الذي في يده عصا؟ قيل له: إن ذلك على غير الذي ذهبتَ إليه, وإنما قال ذلك عزّ ذكره له إذا أراد أن يحوّلها حية تسعى, وهي خشبة, فنبهه عليها, وقرّره بأنها خشبة يتوكأ عليها, ويهشّ بها على غنمه, ليعرّفه قُدرته على ما يشاء, وعظم سلطانه, ونفاذ أمره فيما أحبّ بتحويله إياها حيّة تسعى, إذا أراد ذلك به ليجعل ذلك لموسى آية مع سائر آياته إلى فرعون وقومه.

الآية : 18

القول في تأويل قوله تعالى: {قَالَ هِيَ عَصَايَ أَتَوَكّأُ عَلَيْهَا وَأَهُشّ بِهَا عَلَىَ غَنَمِي وَلِيَ فِيهَا مَآرِبُ أُخْرَىَ }.

يقول تعالى ذكره مخبرا عن موسى: قال موسى مجيبا لربه: هِيَ عَصَايَ أَتَوَكّأُ عَلَيْها وأَهُشّ بِها عَلى غَنَمِي يقول: أضرب بها الشجر اليابس فيسقط ورقها وترعاه غنمي, يقال منه: هشّ فلان الشجر يهشّ هشا: إذا اختبط ورق أغصانها فسقط ورقها كما قال الراجز:

أهُشّ بالْعُصَا عَلى أغْنامِيمِنْ ناعِمِ الأرَاكِ والْبَشامِ

وبنحو الذي قلنا في ذلك, قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

18148ـ حدثنا الحسن بن يحيى, قال: أخبرنا عبد الرزاق, قال: أخبرنا معمر, عن قَتادة, في قوله: وأهُشّ بِها عَلى غَنَمِي قال: أخبط بها الشجر.

حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة وأهُشّ بِها عَلى غَنَمِي قال: أخبط.

حدثنا بِشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة وأهُشّ بِها عَلى غَنَمي قال: كان نبيّ الله موسى صلى الله عليه وسلم يهشّ على غنمه ورق الشجر.

18149ـ حدثني موسى, قال: حدثنا عمرو, قال: حدثنا أسباط, عن السديّ وأَهُشّ بِها عَلى غَنَمِي يقول: أضرب بها الشجر للغنم, فيقع الورق.
18150ـ حدثني يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: قال ابن زيد, في قوله: هيَ عَصَايَ أتَوَكّأُ عَلَيْها وأهُشّ بِها عَلى غَنَمي قال: يتوكأ عليها حين يمشي مع الغنم, ويهشّ بها, ويحرّك الشجر حتى يسقط الورق الحبَلة وغيرها.
18151ـ حدثنا ابن حميد, قال: حدثنا يحيى بن واضح, قال: حدثنا الحسن, عن عكرمة وأهُشّ بِها عَلى غَنَمِي قال: أضرب بها الشجر, فيسقط من ورقها عليّ.
حدثني عبد الله بن أحمد بن شبويه, قال: حدثنا عليّ بن الحسن, قال: حدثنا حسين, قال: سمعت عكرِمة يقول وأهُشّ بِها عَلى غَنَمِي قال: أضرب بها الشجر, فيتساقط الورق على غنمي.
18152ـ حُدثت عن الحسين, قال: سمعت أبا مُعاذ يقول: حدثنا عبيد, قال: سمعت الضحاك يقول في قوله وأهُشّ بِا عَلى غَنَمِي يقول: أضرب بها الشجر حتى يسقط منه ما تأكل غنمي.
وقوله: وَلِيَ فيها مآرِبُ أُخْرَى يقول: ولي في عصاي هذه حوائج أخرى, وهي جمع مأربة, وفيها للعرب لغات ثلاث: مأرُبة بضم الراء, ومأرَبة بفتحها, ومأرِبه بكسرها, وهي مفعلة من قولهم: لا أرب لي في هذا الأمر: أي لا حاجة لي فيه. وفيل «أخرى» وهن مآرب جمع, ولم يقل أُخر, كما قيل: لَهُ الأسْماءُ الحُسْنَى وقد بيّنت العلة في توجيه ذلك هنالك. وبنحو الذي قلنا في معني المآرب, قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:
18153ـ حدثنا أحمد بن عبدة الضبي, قال: حدثنا حفص بن جميع, قال: حدثنا سماك بن حرب, عن عكرِمة, عن ابن عباس, في قوله: وَلي فِيها مآرِبُ أُخْرَى قال: حوائج أخرى قد علمتها.
حدثني عليّ, قال: حدثنا عبد الله, قال: ثني معاوية, عن عليّ, عن ابن عباس, قوله وَلي فِيها مآرِبُ أُخْرَى يقول: حاجة أخرى.
18154ـ حدثني محمد بن عمرو, قال: حدثنا أبو عاصم, قال: حدثنا عيسى عن ابن أبي نجيح عن مجاهد وَلِيَ فِيها مآرِبُ أُخْرَى قال: حاجات.
18155ـ حدثني الحارث, قال: حدثنا الحسن, قال: حدثنا ورقاء, جميعا عن ابن أبي نجيح وَلِيَ فِيها مآرِبُ أُخْرَى قال: حاجات ومنافع.
حدثنا القاسم, قال: حدثنا الحسين, قال: ثني حجاج, عن ابن جُرَيج, عن مجاهد وَلِيَ فِيها مآرِبُ أُخْرَى قال: حاجات.
18156ـ حدثنا موسى, قال: حدثنا عمرو بن حماد, قال: حدثنا أسباط, عن السديّ وَلِيَ فِيها مآرِبُ أُخْرَى يقول: حوائج أخرى أحمل عليها المزود والسقاء.
18157ـ حدثنا بِشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة وَلِيَ فِيها مآرِبُ أُخْرَى قال: حوائج أخرى.
حدثنا الحسن, قال: أخبرنا عبد الرزاق, قال: أخبرنا معمر, عن قَتادة, في قوله وَلِيَ فِيها مآرِبُ أُخْرَى قال: حاجات منافع أخرى.
18158ـ حدثنا ابن حميد, قال: حدثنا سلمة, عن ابن إسحاق, عن وهب بن منبه وَلِيَ فِيها مآرِبُ أُخْرَى: أي منافع أخرى.

18159ـ حدثني يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: قال ابن زيد, في قوله: وَلِيَ فِيها مآرِبُ أُخْرَى قال: حوائج أخرى سوى ذلك.
18160ـ حُدثت عن الحسين, قال: سمعت أبا معاذ يقول: حدثنا عبيد, قال: سمعت الضحاك يقول في قوله مآرِبُ أُخْرَى قال: حاجات أخرى.

الآية : 19 - 21

القول في تأويل قوله تعالى: {قَالَ أَلْقِهَا يَمُوسَىَ * فَأَلْقَاهَا فَإِذَا هِيَ حَيّةٌ تَسْعَىَ * قَالَ خُذْهَا وَلاَ تَخَفْ سَنُعِيدُهَا سِيرَتَهَا الأُولَىَ }.
يقول تعالى ذكره: قال الله لموسى: ألق عصاك التي بيمينك يا موسى, يقول الله جل جلاله: فألقاها موسى, فجعلها الله حية تسعى, وكانت قبل ذلك خشبة يابسة, وعصا يتوكأ عليها ويهشّ بها على غنمه, فصارت حية بأمر الله, كما:
18161ـ حدثنا أحمد بن عبدة الضبي, قال: حدثنا حفص بن جميع, قال: حدثنا سماك بن حرب, عن عكرمة, عن ابن عباس قال: لما قيل لموسى: ألقها يا موسى, ألقاها فإذَا هِيَ حَيّةٌ تَسْعَى ولم تكن قبل ذلك حية قال: فمرّت بشجرة فأكلتها, ومرّت بصخرة فابتلعتها قال: فجعل موسى يسمع وقع الصخرة في جوفها قال: فولى مدبرا, فنودي أن يا موسى خذها, فلم يأخذها ثم نودي الثانية: أن خُذْهَا وَلا تخفْ, فلم يأخذها فقيل له في الثالثة: إنّكَ مِنَ الآمِنِين فأخذها.
18162ـ حدثني موسى بن هارون, قال: حدثنا عمرو, قال: حدثنا أسباط, عن السديّ, قال: قال له, يعني لموسى ربه: ألْقِها يا مُوسَى يعني فألْقاها فإذَا هِيَ حَيّةٌ تَسْعَى فلَمّا رآها تَهْتَزّ كأنّها جانّ وَلّى مُدْبِرا ولَمْ يُعَقّبْ فنودي: يا مُوسَى لا تَخَفّ إنّي لا يَخافُ لَدَيّ المُرْسَلُونَ.
18163ـ حدثنا ابن حميد, قال: حدثنا سلمة, عن ابن إسحاق, عن وهب بن منبه, قال ألْقِها يا مُوسَى فألْقاها فإذَا هِيَ حَيّةٌ تَسْعَى تهتزّ, لها أنياب وهيئة كما شاء الله أن تكون, فرأى أمرا فظيعا, فولى مُدْبِرا, ولَم يُعقّب فناداه ربه: يا مُوسَى أقبلْ وَلا تخفْ سَنُعِيدُها سِيرَتها الأولى.
وقوله: قالَ خُذْها وَلا تَخَفْ يقول تعالى ذكره قال الله لموسى: خذ الحية, والهاء والألف من ذكر الحية. وَلا تَخَفْ يقول: ولا تخف من هذه الحية سَنُعِيدُها سِيرَتها الأُولى يقول: فإنا سنعيدها لهيئتها الأولى التي كانت عليها قبل أن نصيّرها حية, ونردّها عصا كما كانت. يقال لكل من كان على أمر فتركه, وتحوّل عنه ثم راجعه: عاد فلان سيرته الأولى, وعاد لسيرته الأولى, وعاد إلى سيرته الأولى. وبنحو الذي قلنا في ذلك, قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:
18164ـ حدثني عليّ, قال: حدثنا عبد الله, قال: ثني معاوية, عن عليّ, عن ابن عباس, قوله سِيرَتها الأُولى يقول: حالتها الأولى.
18165ـ حدثني محمد بن عمرو, قال: حدثنا أبو عاصم, قال: حدثنا عيسى وحدثني الحارث, قال: حدثنا الحسن, قال: حدثنا ورقاء, جميعا عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد سِيرَتها الأُولى قال: هيئتها.
حدثنا القاسم, قال: حدثنا الحسين, قال: ثني حجاج, عن ابن جُرَيج, عن مجاهد, مثله.
18166ـ حدثنا ابن حميد, قال: حدثنا سلمة, عن ابن إسحاق, عن وهب بن منبه سَنُعِيدُها سِيرَتها الأُولى أي سنردّها عصا كما كانت.

18167ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة سَنُعِيدُها سِيرَتها الأُولى قال: إلى هيئتها الأولى.

الآية : 22 و 23

القول في تأويل قوله تعالى: {وَاضْمُمْ يَدَكَ إِلَىَ جَنَاحِكَ تَخْرُجْ بَيْضَآءَ مِنْ غَيْرِ سُوَءٍ آيَةً أُخْرَىَ * لِنُرِيَكَ مِنْ آيَاتِنَا الْكُبْرَىَ }.

يقول تعالى ذكره: واضمم يا موسى يدك, فضعها تحت عضدك والجناحان هما اليدان, كذلك رُوي الخبر عن أبي هُريرة وكعب الأحبار. وأما أهل العربية, فإنهم يقولون: هما الجنبان. وكان بعضهم يستشهد لقوله ذلك بقول الراجز:

أضُمّهُ للصّدْرِ والجَناحِ

وبنحو الذي قلنا في تأويل ذلك, قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

18168ـ حدثنا محمد بن عمرو, قال: حدثنا أبو عاصم, قال: حدثنا عيسى وحدثني الحارث, قال: حدثنا الحسن, قال: حدثنا ورقاء, جميعا عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد, قوله: إلى جَناحِكَ قال: كفه تحت عضده.

حدثنا القاسم, قال: حدثنا الحسين, قال: ثني حجاج, عن ابن جُرَيج, عن مجاهد, مثله.

الآية : 24 - 30

وقوله: تَخْرُجْ بَيْضَاءَ مِنْ غيرِ سُوءٍ ذكر أن موسى عليه السلام كان رجلا آدم, فأدخل يده في جيبه, ثم أخرجها بيضاء من غير سوء, من غير برص, مثل الثلج, ثم ردّها, فخرجت كما كانت على لونه.

18169ـ حدثنا بذلك ابن حميد, قال: حدثنا سلمة, عن ابن إسحاق, عن وهب بن منبه.

18170ـ حدثنا إسماعيل بن موسى الفزاري, قال: حدثنا شريك, عن يزيد بن أبي زياد, عن مقسم, عن ابن عباس, في قوله تَخْرُجْ بَيْضَاءَ مِنْ غيرِ سُوءٍ قال: من غير برص.

18171ـ حدثنا محمد بن عمرو, قال: حدثنا أبو عاصم, قال: حدثنا عيسى وحدثني الحارث, قال: حدثنا الحسن, قال: حدثنا ورقاء, جميعا عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد مِنْ غيرِ سُوءٍ قال: من غير برص.

18172ـ حدثنا الحسن, قال: أخبرنا عبد الرزاق, عن معمر, عن قَتادة, في قوله بَيْضاءَ مِنْ غيرِ سُوءٍ قال: من غير برص.

حدثنا القاسم, قال: حدثنا الحسين, قال: ثني حجاج, عن ابن جُرَيج, عن مجاهد, مثله.

حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قَتادة مِنْ غيرِ سُوءٍ قال: من غير برص.

18173ـ حدثنا موسى, قال: حدثنا عمرو, قال: حدثنا أسباط, عن السديّ تَخْرُجْ بَيْضَاءَ مِنْ غيرِ سُوءٍ قال: من غير برص.

18174ـ حُدثت عن الحسين بن الفرج, قال: سمعت أبا معاذ يقول: أخبرنا عبيد, قال: سمعت الضحاك يقول في قوله مِنْ غيرِ سُوءٍ قال: من غير برص.

18175ـ حدثنا ابن بشار, قال: حدثنا حماد بن مسعدة, قال: حدثنا قـرة, عن الـحسن فـي قول الله: بَـيْضَاءَ مِنْ غيرِ سُوءٍ قالَ: أخرجها الله مـن غيـر سوء, من غير برص, فعلـم موسى أنه لقـي ربه.

وقوله: آيَةً أُخْرَى يقول: وهذه علامة ودلالة أخرى غير الآية التـي أريـنـاك قبلها من تـحويـل العصا حية تسعى علـى حقـيقة ما بعثناك بـه م ـن الرسـالة لـمن بعثناك إلـيه. ونصب آية علــى اتصـالها بــالفعل, إذ لــم يظهـر لهـا مـا يرفعها من هذه أو هي. وقوله: لِنُرِيَكَ مِنْ آياتِنا الكُبْرَى يقـول تعالــى ذكـره: واضمـم يدك يا موسى إلـى جناحَكَ, تـخرج بـيضاء من غير سوء, كـي نريـك من أدلتنا الكبرى علـى عظيـم سلطاننا وقُدرتنا. وقال: الكبرى, فوحّد, وقـد قال: مِنْ آياتِنا كما قال: لَهُ الأسْماءُ الـحُسْنَى وقـد بـيّنا ذلـك هنالـك. وكـان بعض أهل البصرة يقول: إنـما قـيـل الكـبرى, لأنـه أريـد بهـا التقديـم, كـأن معناها عنده: لنريك الكـبرى مـن آياتنـا.) القـول فـي تأويــل قـوله تعالــى: {اذْهَبْ إِلَىَ فِرْعَوْنَ إِنّهُ طَغَىَ * قَـالَ رَبّ اشْـرَحْ لِـي صَـدْرِي * وَيَسّـرْ لِـيَ أَمْرِي * وَاحْلُلْ عُقْدَةً مّن لّسَانِي * يَفْقَهُواْ قَوْلِي * وَاجْعَل لّـي وَزِيـراً مّـنْ أَهْلِي * هَارُونَ أَخِي }.

يقول تعالـى ذكره لنبـيه موسى صلوات الله علـيه: اذْهَبْ يا موسى إلـى فِرْعَوْنَ إنّهُ طَغَى يقول: إنه تـجاوز قدره, وتـمرّد علـى ربه وقـد بـيّنا معنـى الطغيان بـما مضى بـما أغنى عن إعـادته, فــي هـذا الــموضع وفــي الكلام مـحذوف استغنـي بفهم السامع بـما ذكر منه, وهو قوله: اذْهَبْ إلـى فِرْعَوْنَ إنّهُ طَغَى فـادعه إلـى توحيد الله وطاعته, وإرسال بنـي إسرائيـل معك قــالَ رَبّ اشْرَحْ لـي صَدْرِي يقول: ربّ اشرح لـي صدري, لأعـي عنـك مـا تـودعه من وحيك, وأجترىء به علـى خطاب فرعون وَيَسّرْ لـي أمْرِي يقول: وسـهل علـيّ القـيام بـما تكلفنـي من الرسالة, وتـحملنـي من الطاعة. وبنـحو الذي قلنا فـي ذلك, قال أهل التأويـل. ذكر من قال ذلك:

18176ـ حدثنـي يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: قال ابن زيـد, فــي قول الله: رَبّ اشْرَحْ لـي صَدْرِي قال: جرأة لـي.

وقوله: وَاحْلُلْ عُقْدَةً مِنْ لِسانِـي يقول: وأطلق لسانـي بـالـمنطق, وكانت فـيه فـيـما ذكر عُجمة عن الكلام الذي كان من إلقائه الـجمرة إلـى فـيه يوم همّ فرعون بقتله. ذكر الرواية بذلك عمن قاله:

18177ـ حدثنـي مـحمد بن عمرو, ق ال: حـدثنا أبـو عاصـم, قـال: حـدثنا عيسى, عن ابن أبـي نـجيح, عـن سـعيد بـن جبــير, فــي قـوله: عُقْـدَةً مِـنْ لِسانِـي قال: عجمة لـجمرة نار أدخـلها فـي فـيه عن أمر امرأة فرعون, تردّ به عنه عقوبة فرعون, حين أخذ موسى بلـحيته وهو لا يعقل, فقال: هذا عدوّ لـي, فقالت له: إنه لا يعقل.

حدثنـي الـحارث, قال: حدثنا الـحسن, قال: حدثنا ورقاء, عن ابـن أبــي نـجيح وَاحْلُلْ عُقْدَةً مِنْ لِسانِـي لـجمرة نار أدخـلها فـي فـيه عن أمــر امـرأة فرعون, تدرأ به عنه عقوبة فرعون, حين أخذ موسى بلــحيته وهـو لا يعقـل, فقال: هذا عدوّ لـي, فقالت له: إنه لا يعقل, هذا قول سعيد بن جبـير.

18178ـ حدثنا القاسم, قال: حدثنا الـحسين, قال: ثنـي حجاج, ع ـن اب ـن جرَيج, عن مـجاهد, قوله: وَاحْلُلْ عُقْدَةً مِنْ لِسانِـي قال: عجمة الـجمرة نار أدخـلها فـي فـيه, عن أمر امرأة فرعون تردّ به عنه عقوبة فرعون حين أخـذ بلـحيته.

18179ـ حدثنا موسى, قال: حدثنا عمرو, قال: حدثنا أسباط, عن السديّ, قال: لما تحرّك الغلام, يعني موسى, أورته أمه آسية صبيا, فبينما هي ترقصه وتلعب به, إذ ناولته فرعون, وقالت: خذه فلما أخذه إليه أخذ موسى بلحيته فنتفها, فقال فرعون: علـيّ بالذباحين, قالت آسية: لا تَقْتُلُوهُ عَسَى أنْ يَنْفَعَنا أوْ نَتّخِذَهُ وَلَدا إنما هو صبيّ لا يعقل, وإنما صنع هذا من صباه, وقد علمتَ أنه ليس في أهل مصر أحلى منى أنا أضع له حليا من الياقوت, وأضع له جمرا, فإن أخذ الياقوت فهو يعقل فاذبحه, وإن أخذ الجمر فإنما هو صبيّ فأخرجت له ياقوتها ووضعت له طستا من جمر, فجاء جبرائيل صلى الله عليه وسلم, فطرح في يده جمرة, فطرحها موسى في فيه, فأحرقت لسانه, فهو الذي يقول الله عزّ وجلّ وَاحْلُلْ عُقْدَةً مِنْ لِسانِي يَفْقَهُوا قَوْلي, فزالت عن موسى من أجل ذلك.

وقوله: يَفْقَهُوا قَوْلي يقول: يفقهوا عني ما أخاطبهم وأراجعهم به من الكلام وَاجْعَلْ لي وَزِيرا مِنْ أهْلِي يقول: واجعلي لي عونا من أهل بيتي هارُون أخِي. وفي نصب هارون وجهان: أحدهما أن يكون هارون منصوبا على الترجمة عن الوزير.

18180ـ حدثنا القاسم, قال: حدثنا الحسين, قال: ثني حجاج, عن ابن جُرَيج, قال: قال ابن عباس: كان هارون أكبر من موسى.

الآية : 31 - 35

القول في تأويل قوله تعالى: {اشْدُدْ بِهِ أَزْرِي * وَأَشْرِكْهُ فِيَ أَمْرِي * كَيْ نُسَبّحَكَ كَثِيراً * وَنَذْكُرَكَ كَثِيراً * إِنّكَ كُنتَ بِنَا بَصِيراً }.

يقول تعالى ذكره مخبرا عن موسى أنه سأل ربه أن يشدد أزره بأخيه هارون. وإنما يعني بقوله: اشْدُدْ بِهِ أزْرِي قوّ ظهري, وأعنّي به. يقال منه: قد آزر فلان فلانا: إذا أعانه وشدّ ظهره. وبنحو الذي قلنا في ذلك, قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

18181ـ حدثني محمد بن سعد, قال: ثني أبي, قال: ثني عمي, قال: ثني أبي, عن أبيه, عن ابن عباس, قوله: اشْدُدْ بِهِ أزْرِي يقول: أشدد به ظهري.

18182ـ حدثني يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: قال ابن زيد, في قوله: اشْدُدْ بِهِ أزْرِي يقول: اشدد به أمري, وقوّني به, فإن لي به قوّة.

وقوله: وأَشْرِكْهُ فِي أمْرِي يقول: واجعله نبيا مثل ما جعلتني نبيا, وأرسله معي إلى فرعون كَيْ نُسَبّحكَ كَثِيرا يقول: كي نعظمك بالتسبيح لك كثيرا وَنَذكُرَكَ كَثِيرا فنحمدك إنّكَ كُنْتَ بِنا بَصِيرا يقول: إنك كنت ذا بصر بنا لا يخفى عليك من أفعالنا شيء.

وذُكر عن عبد الله بن أبي إسحاق أنه كان يقرأ: «أَشْدُد بِهِ أزْرِي» بفتح الألف من أشدد «وأَشْرِكْه فِي أمْرِي» بضم الألف من أشركه, بمعنى الخبر من موسى عن نفسه, أنه يفعل ذلك, لا على وجه الدعاء. وإذا قرىء ذلك كذلك جزم أشدد وأشرك على الجزاء, أو جواب الدعاء, وذلك قراءة لا أرى القراءة بها, وإن كان لها وجه مفهوم, لخلافها قراءة الحجة التي لا يجوز خلافها.

الآية : 36 -38

القول في تأويل قوله تعالى: {قَالَ قَدْ أُوتِيتَ سُؤْلَكَ يَمُوسَىَ * وَلَقَدْ مَنَنّا عَلَيْكَ مَرّةً أُخْرَىَ * إِذْ أَوْحَيْنَآ إِلَىَ أُمّكَ مَا يُوحَىَ }.

يقول تعالى ذكره: قال الله لموسى صلى الله عليه وسلم: قد أعطيت ما سألت يا موسى ربك من شرحه صدرك وتيسيره لك أمرك, وحلّ عقدة لسانك, وتصيير أخيك هارون وزيرا لك, وشدّ أزرك به, وإشراكه في الرسالة معك وَلَقَدْ مَنَنّا عَلَيْكَ مَرّةً أُخْرَى يقول تعالى ذكره: ولقد تطوّلنا عليك يا موسى قبل هذه المرّة مرّة أخرى, وذلك حين أوحينا إلى أمك, إذ ولدتك في العام الذي كان فرعون يقتل كلّ مولود ذكر من قومك ما أوحينا إليها ثم فسّر تعالى ذكره ما أوحى إلى أمه, فقال: هو أن اقذفيه في التابوت فأن في موضع نصب ردّا على «ما» التي في قوله: ما يُوحَى, وترجمة عنها.

الآية : 39

القول في تأويل قوله تعالى: {أَنِ اقْذِفِيهِ فِي التّابُوتِ فَاقْذِفِيهِ فِي الْيَمّ فَلْيُلْقِهِ الْيَمّ بِالسّاحِلِ يَأْخُذْهُ عَدُوّ لّي وَعَدُوّ لّهُ وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبّةً مّنّي وَلِتُصْنَعَ عَلَىَ عَيْنِيَ }.

يقول تعالى ذكره: ولقد مننا عليك يا موسى مرّة أخرى حين أوحينا إلى أمك, أن اقذفي ابنك موسى حين ولدتك في التابوت فاقْذِفِيهِ فِي اليَمّ يعني باليم: النيل فَلْيُلْقِهِ اليَمّ بالساحِلِ يقول: فاقذفيه في اليم, يلقه اليم بالساحل, وهو جزاء أخرج مخرج الأمر, كأن اليم هو المأمور, كما قال جلّ ثناؤه: اتّبِعُوا سَبِيلَنَا ولْنَحْمِلْ خَطَاياكُمْ يعني: اتبعوا سبيلنا نحمل عنكم خطاياكم, ففعلت ذلك أمه به فألقاه اليم بمَشْرَعة آل فرعون, كما:

18183ـ حدثنا ابن حميد, قال: حدثنا سلمة, عن ابن إسحاق, قال: لما ولدت موسى أمه أرضعته, حتى إذا أمر فرعون بقتل الولدان من سنته تلك عمدت إليه, فصنعت به ما أمرها الله تعالى, جعلته في تابوت صغير, ومهدت له فيه, ثم عمدت إلى النيل فقذفته فيه, وأصبح فرعون في مجلس له كان يجلسه على شفير النيل كلّ غداة, فبينا هو جالس, إذ مرّ النيل بالتابوت فقذف به وآسية ابنة مُزَاحم امرأته جالسة إلى جنبه, فقال: إن هذا لشيء في البحر, فأتوني به, فخرج إليه أعوانه حتى جاءوا به, ففتح التابوت فإذا فيه صبيّ في مهده, فألقى الله عليه محبته, وعطف عليه نفسه. وعنى جلّ ثناؤه بقوله: يأْخُذْهُ عَدُوّ لي وَعَدُوّ لَهُ فرعون هو العدوّ, كان لله ولموسى.

18184ـ حدثنا موسى, قال: حدثنا عمرو, قال: حدثنا أسباط, عن السديّ, في قوله: فاقْذِفِيهِ فِي اليَمّ وهو البحر, وهو النيل.

واختلف أهل التأويل في معنى المحبة التي قال الله جلّ ثناؤه وأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبّةً مِنّي فقال بعضهم: عنى بذلك أنه حببه إلى عباده. ذكر من قال ذلك:

18185ـ حدثني الحسين بن عليّ الصدائي والعباس بن محمد الدوري, قالا: حدثنا حسين الجعفي عن موسى بن قيس الحضرمي, عن سلمة بن كهيل, في قول الله: وأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبّةً منّي قال عباس: حببتك إلى عبادي وقال الصّدَائي: حببتك إلى خلقي.

وقال آخرون: بل معنى ذلك: أي حسنت خلقك. ذكر من قال ذلك:
18186ـ حدثنا القاسم, قال: حدثنا الحسين, قال: ثني إبراهيم بن مهدي, عن رجل, عن الحكم بن أبان, عن عكرمة, قوله: وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِنّي قال: حسنا وملاحة.
قال أبو جعفر: والذي هو أولى بالصواب من القول في ذلك أن يقال: إن الله ألقى محبته على موسى, كما قال جلّ ثناؤه وأَلْقَيْتَ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِنّي فحببه إلى آسية امرأة فرعون, حتى تبنّته وغذّته وربّته, وإلى فرعون, حتى كفّ عنه عاديته وشرّه. وقد قيل: إنما قيل: وألقيت عليك محبة مني, لأنه حببه إلى كل من رآه. ومعنى أَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِنّي حببتك إليهم يقول الرجل لآخر إذا أحبه: ألقيت عليك رحمتي: أي محبتي.

الآية : 40

القول في تأويل قوله تعالى: {إِذْ تَمْشِيَ أُخْتُكَ فَتَقُولُ هَلْ أَدُلّكُمْ عَلَىَ مَن يَكْفُلُهُ فَرَجَعْنَاكَ إِلَىَ أُمّكَ كَيْ تَقَرّ عَيْنُهَا وَلاَ تَحْزَنَ وَقَتَلْتَ نَفْساً فَنَجّيْنَاكَ مِنَ الْغَمّ وَفَتَنّاكَ فُتُوناً فَلَبِثْتَ سِنِينَ فِيَ أَهْلِ مَدْيَنَ ثُمّ جِئْتَ عَلَىَ قَدَرٍ يَمُوسَىَ }.
اختلف أهل التأويل في تأويل قوله وَلِتُصْنَعَ عَلى عَيْنِي فقال بعضهم: معناه: ولتغذى وتربى على محبتي وإرادتي. ذكر من قال ذلك:
18187ـ حدثنا الحسن بن يحيى, قال: أخبرنا عبد الرزاق, قال: أخبرنا معمر, عن قَتادة, في قوله: وِلِتُصْنَعَ عَلى عَيْنِي قال: هو غذاؤه, ولتُغذى على عيني.
18188ـ حدثني يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: قال ابن زيد, في قوله وَلِتُصْنَعَ عَلى عَيْنِي قال: جعله في بيت الملك ينعم ويترف غذاؤه عندهم غذاء الملك, فتلك الصنعة.
وقال آخرون: بل معنى ذلك: وأنت بعيني في أحوالك كلها. ذكر من قال ذلك:
18189ـ حدثنا القاسم, قال: حدثنا الحسين, قال: ثني حجاج, عن ابن جُرَيج وَلِتُصْنَعَ عَلى عَيْنِي قال: أنت بعيني إذ جعلتك أمك في التابوت, ثم في البحر, و إِذْ تَمْشِي أُخْتُكَ. وقرأ ابن نهيك: «وَلِتَصْنَعَ» بفتح التاء. وتأوّله كما:
18190ـ حدثنا ابن حميد, قال: حدثنا يحيى بن واضح, قال: حدثنا عبد المؤمن, قال: سمعت أبا نهيك يقرأ «وَلِتَصْنَعَ عَلى عَيْنِي» فسألته عن ذلك, فقال: ولتعمل على عيني.
قال أبو جعفر: والقراءة التي لا أستجيز القراءة بغيرها وَلِتُصْنَعَ بضم التاء, لإجماع الحجة من القرّاء عليها. وإذا كان ذلك كذلك, فأولى التأويلين به, التأويل الذي تأوّله قَتادَة, وهو: وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبّةً مِنّي ولتغذى على عيني, ألقيت عليك المحبة مني. وعنى بقوله: عَلى عَيْنِي بمرأى مني ومحبة وإرادة.
وقوله: إِذْ تَمْشِي أُخْتُكَ فَتَقُولُ هَلْ أَدُلّكُمْ عَلى مَنْ يَكْفُلُهُ يقول تعالى ذكره: حين تمشي أختك تتبعك حتى وجدتك, ثم تأتي من يطلب المراضع لك, فتقول: هل أدلكم على من يكلفه؟ وحذف من الكلام ما ذكرت بعد

قوله إذْ تَـمْشِي أُخْتُكَ استغناء بدلالة الكلام علـيه. وإنـما قالت أخت موسـى ذلك لهم لِـما:

18191ـ حدثنا موسى بن هارون, قال: حدثنا عمرو, قال: حدثنا أسبـاط, عن السديّ, قال: لـما ألقته أمه فـي الـيـم قالَتْ لإخْتِهِ قُصّيهِ فلــما التقطـه آل فرعون, وأرادوا له الـمرضعات, فلـم يأخذ من أحـد مـن النسـاء, وجعـل النساء يطلبن ذلك لـينزلن عند فرعون فـي الرضاع, فأبى أن يأخـذ, فقـالت أخته: هَلْ أدُلّكُمْ عَلـى أهْلِ بَـيْتٍ يَكْفُلُونَهُ لَكُـمْ وَهُـمْ لَـهُ ناصِحُونَ؟ فأخـذوها وقالوا: بل قد عرفِت هذا الغُلام, فدلّـينا علـى أهله, قالت: ما أعرفه, ولكـن إنـما قلت هم للـملك ناصحون.

18192ـ حدثنا ابن حميد, قال: حدثنا سلـمة, عن ابن إسحاق, قال: قالت, يعنـي أمّ موسى لأخته: قصّيه فـانظري ماذا يفعلون به, فخرجـت فــي ذلـك فَبَصُرَتْ بِهِ عَنْ جُنُبٍ وَهُـمْ لا يَشْـعُرُونَ وقـد احتـاج إلــى الرضـاع والتــمس الثدي, وجمعـوا لـه الــمراضع حيـن ألقــى اللـه مــحبتهم علــيه, فلا يؤتــى بـامرأة, فـيقبل ثديها, فــيرمضهم ذلـك, فـيؤتــى بــمرضع بعـد مرضـع, فلا يقبل شيئا منهم, فقالت لهم أخته حين رأت من وجدهم بـه وحرصـهم علــيه هَلْ أدُلّكُمْ عَلـى أهْلِ بَـيْتٍ يَكْفُلُونَهُ لكُم وَهُمْ لَهُ ناصِحُونَ أي لـمنزلته عِنـدكم وحرصكم علـى مسرّة الـملك, وعنى بقوله: هَلْ أدُلّكُمْ عَلـى مَنْ يَكْفُلُهُ هــل أدلكم علــى مـن يضـمه إلــيه فــيحفظه ويرضـعه ويربــيه. وقـيــل: معنـى وكَفّلَها زَكَرِيّا ضمها.

وقوله: فَرَجَعْناكَ إلـى أُمّكَ كَيْ تَقَرّ عَيْنُها وَلا تَـحْزَن يقول تعالــى ذكـره: فرددناك إلـى أمك بعد مـا صـرت فــي أيـدي آل فرعـون, كيــما تقـرّ عينهـا بسلامتك ونـجاتك من القتـل والغـرق فــي الـيــم, وكيلا تــحزن علــيك مـن الـخوف من فرعون علـيك أن يقتلك, كما:

18193ـ حدثنا ابن حميد, قال: حدثنا سلـمة, عن ابن إسحاق, قال: لــما قـالت أخـت موسـى لهـم مـا قـالت, قـالوا: هـات, فـأتت أمـه فأخبرتهـا, فـانطلقت معها حتـى أتتهم, فناولوهـا إيـاه فلــما وضعته فــي حجره ا أخـذ ثديها, وسرّوا بذلك منه, وردّه الله إلـى أمه كي تقرّ عينها, ولا تــحزن, فبلـغ لطف الله لها وله, أن ردّ علـيها ولدها وعطف علـيها نفع فرعون وأهل بــيته مع الأمنة من القتل الذي يتـخوف علـى غيره, فكأنهم كـانوا مـن أهـل بــيت فرعون فـي الأمان والسعة, فكان علـى فرش فرعون وسرره.

وقوله: وَقَتَلْتَ نَفْسا يعنـي جلّ ثناؤه بذلك: قتله القبطي الذي قتله حين استغاثه علـيه الإسرائيـلـي, فوكزه موسى. وقوله: فَنَـجّيْناكَ مِنَ الغَمّ يقول تعالـى ذكره: فنـجيناك مـن غمـك بقتلـك النفـس التــي قتلـت, إذ أرادوا أن يقتلوك بها فخـلصناك منهم, حتـى هربت إلـى أهل مدين, فلـم يصـلوا إلــى قتلك وقودك. وكان قتله إياه فـيـما ذُكر خطأ, كما:

18194ـ حدثنـي واصل بن عبد الأعلـى, قال: حدثنا مــحمد بـن فضيــل, عن أبـيه, عن سالـم, عن عبد الله بن عمر, قال: سمعت رسول اللـه صـلى الله عليه وسلم يقول: «إنّـمَا قَتَلَ مُوسَى الَّذِي قَتَـلَ مِـنْ آلِ فِرْعَـوْنَ خَطـأ, فقال اللّهُ لَهُ: وَقَتَلْتَ نَفْسا فَنَـجَيّنْاكَ مِنَ الغَمّ وَفَتّنّاكَ فُتُونا».

18195ـ حدثنـي زكريا بن يحيى بن أبـي زائدة, ومـحمد بن عمـرو, قـالا: حدثنا أبو عاصم, قال: حدثنا عيسى وحدثنـي الـحارث, قال حـدثنا الــحسن,

قال: حدثنا ورقاء, جميعا عن ابن أبـي نـجيح, عن مـجاهد فَنَـجّيْناك مِنَ الغَمّ قال: من قتل النفس.
18196ـ حدثنا بِشْر, قـال: حـدثنا يزيـد, قـال: حـدثنا سـعيد, عـن قتـادة فَنَـجّيْناكَ مِنَ الغَمّ النفس التـي قتل.
واختلف أهل التأويـل فـي تأويـل قوله وَفَتَنّاكَ فُتُونا فقال بعضهم: ابتلـيناك ابتلاء واختبرناك اختبـارا. ذكر من قال ذلك:
18197ـ حدثنـي علـيّ, قال: حدثنا عبد الله, قال: ثنـي معاوية عن علـيّ, عن ابن عبـاس, قوله: وَفَتَنّاكَ فُتُونا يقول: اختبرناك اختبـارا.
حدثنـي مـحمد بن سعد, قال: ثنـي أبـي, قال: ثنــي عمـي, قـال: ثنــي أبـي, عن أبـيه, عن ابن عبـاس, وَفَتَنّاكَ فُتُونا قال: ابتلـيت بلاء.
18198ـ حدثنـي العبـاس بن الولـيد الآمَلـي, قال: حدثنا يزيد بن هـارون, قال: أخبرنا أصبغ بن زيد الـجهنـي, قال: أخبرنا القاسم بن أيوب, قال: ثنـي سعيد بن جبـير, قال: سألت عبد الله بـن عبــاس, عـن قـول اللـه لــموسى وَفَتَنّاكَ فُتُونا فسألته علـى الفتون ما هي؟ فقال لـي: اسـتأنف النهـار يـا بـن جبـير, فإن لها حديثا طويلاً, قال: فلــما أصـبحت غـدوت علـى ابـن عبـاس لأنتـجز منه ما وعدنـي, قال: فقال ابن عبـاس: تذاكر فرعون وجلسـاؤه مـا وعد الله إبراهيـم أن يجعل فـي ذرّيته أنبـياء وملوكا, فقال بعضهم: إن بنــي إسرائيـل ينتظرون ذلـك ومـا يشـكون, ولقـد كـانوا يظنـون أنـه يوسـف بـن يعقوب فلـما هلك قالوا: لـيس هكذا كان الله وعد إبراهيـم, فقـال فرعـون: فكيف ترون؟ قال: فأتـمروا بـينهم, وأجمعوا أمرهـم علــى أن يبعـث رجـالاً معهم الشفــار يطوفـون فــي بنــي إسرائيــل, فلا يجـدون مولـودا ذكـرا إلا ذبحوه فلـما رأوا أن الكبـار من بنـي إسرائيـل يـموتون بآجالهم, وأن الصغار يذبحون قالوا: يوشك أن تفنوا بنـي إسرائيـل, فتصـيرون إلــى أن تبــاشروا من الأعمال والـخدمة التـي كانوا يكفونكم, فــاقتلوا عامـا كـلّ مولـود ذكـر, فـيقلّ أبناؤهم, ودعوا عاما لا تقتلوا منهم أحـدا, فتشـبّ الصـغار مكـان مـن يــموت مـن الكبــار, فـإنهم لـن يكـثروا بــمن تستــحيون منهـم, فتــخافون مكاثرتهم إياكم, ولن يقلوا بـمن تقتلون, فأجمعوا أمرهم علـى ذلك.
فحملت أمّ موسى بهارون فـي العام الـمقبل الذي لا يذبح فـيه الغلــمان, فولدته علانـية آمنة, حتـى إذا كان العام الـمقبل حملت بـموسى, فوقع فـي قلبها الهمّ والـحزن, وذلك من الفتون يا ابن جبــير, مــما دخــل علــيه فــي بطن أمه مـما يراد به, فأوحى الله إلـيها ألاّ تَـخافِــي وَلا تَـحْزَنِــي إنّـا رَادّوهُ إلَـيْكِ وَجاعِلُوهُ مِنَ الـمُرْسَلِـينَ, وأمرها إذا ولدته أن تـجعله فــي تـابوت ثـم تلقـيه فـي الـيـم فلـما ولدته فعلت ما أمرت به, حتـى إذا تـوارى عنهـا ابنهـا أتاها إبلـيس, فقالت فـي نفسها: ما صنعت بـابنـي لـو ذبـح عنـدي, فـواريته وكفنتـه كـان أحـبّ إلــيّ مـن أن ألقــيه بــيدي إلــى حيتـان البحـر ودوابـه, فـانطلق به الـماء حتـى أوفـى به عند فرضـة مستقــى جـواري آل فرعـون, فرأينه فأخذنه, فهمـمن أن يفتـحن البـاب, فقال بعضهنّ لبعض: إن فـي هذا مالاً, وإنا إن فتـحناه لـم تصـدّقنا امـرأة فرعـون بــما وجـدنا فــيه, فحملنـه كهيئته لـم يحرّكن منه شيئا, حتـى دفعنه إلـيها فلـما فتـحته رأت فـيه الغلام, فألقـي علـيه منها مـحبة لـم يُـلق مثلها منها علــى أحـد مـن النـاس وأصْـبَحَ فُؤَادُ أمّ مُوسَى فـارِغا من كلّ شيء إلا من ذكر موسى.

فلما سمع الذبّاحون بأمره أقبلوا إلى امرأة فرعون بشفارهم يريدون أن يذبحوه, وذلك من الفتون يا ابن جُبير فقالت للذباحين: انصرفوا عني, فإن هذا الواحد لا يزيد في بني إسرائيل, فآتي فرعون فأستوهبه إياه, فإن وهبه لي كنتم قد أحسنتم وأجملتم, وإن أمر بذبحه لم ألمكم. فلما أتت به فرعون قالت: قرّةُ عَينٍ لِي وَلَكَ قال فرعون: يكون لك, وأما أنا فلا حاجة لي فيه. فقال: والذي يحلف به لو أقرّ فرعون أن يكون له قرّة عين كما أقرّت به, لهداه الله به كما هدى به امرأته, ولكن الله حرمه ذلك. فأرسلت إلى من حولها من كلّ أنثى لها لبن, لتختار له ظِئرا, فجعل كلما أخذته امرأة منهم لترضعه لم يقبل ثديها, حتى أشفقت امرأة فرعون أن يمتنع من اللبن فيموت, فحزنها ذلك, فأمرت به فأخرج إلى السوق مجمع الناس ترجو أن تصيب له ظئرا يأخذ منها, فلم يقبل من أحد.

وأصبحت أمّ موسى, فقالت لأخته: قُصّيه واطلبيه, هل تسمعين له ذكرا, أحيّ ابني, أو قد أكلته دوابّ البحر وحيتانه؟ ونسيت الذي كان الله وعدها, فبصرت به أخته عن جنب وهم لا يشعرون, فقالت من الفرح حين أعياهم الظؤورات: أنا أدلكم على أهل بيت يكفلونه لكم وهم له ناصحون, فأخذوها وقالوا: وما يدريك ما نصحهم له؟ هل يعرفونه؟ حتى شكوا في ذلك, وذلك من الفتون يا ابن جُبير فقالت: نصحهم له وشفقتهم عليه, رغبتهم في ظؤورة الملك, ورجاء منفعته, فتركوها فانطلقت إلى أمها فأخبرتها الخبر, فجاءت فلما وضعته في حجرها نزا إلى ثديها حتى امتلأ جنباه, فانطلق البُشَراء إلى امرأة فرعون يبشرونها أن قد وجدنا لابنك ظئرا, فأرسلت إليها, فأتيت بها وبه فلما رأت ما يصنع بها قالت: امكثي عندي حتى ترضعي ابني هذا فإني لم أحبّ حبه شيئا قطّ قال: فقالت: لا أستطيع أن أدع بيتي وولدي, فيضيع, فإن طابت نفسك أن تعطينيه, فأذهب به إلى بيتي فيكون معي لا آلوه خيرا فعلت, وإلا فإني غير تاركة بيتي وولدي وذكرت أمّ موسى ما كان الله وعدها, فتعاسرت على امرأة فرعون, وأيقنت أن الله تبارك وتعالى منجز وعده, فرجعت بابنها إلى بيتها من يومها, فأنبته الله نباتا حسنا, وحفظه لما قضى فيه, فلم يزل بنو إسرائيل وهم مجتمعون في ناحية المدينة يمتنعون به من الظلم والسخرة التي كانت فيهم.

فلما ترعرع قالت امرأة فرعون لأمّ موسى: أزيريني ابني. فوعدتها يوما تزيرها إياه فيه, فقالت لخواصّها وظؤورتها وقهارمتها: لا يبقينّ أحد منكم إلا استقبل ابني بهدية وكرامة ليرى ذلك, وأنا باعثة أمينة تحصي كلّ ما يصنع كلّ إنسان منكم فلم تزل الهدية والكرامة والتحف تستقبله من حين خرج من بيت أمه إلى أن دخل على امرأة فرعون. فلما دخل عليها نحلته وأكرمته, وفرحت به, وأعجبها ما رأت من حُسن أثرها عليه, وقالت: انطلقن به إلى فرعون, فلينحله, وليكرمه. فلما دخلوا به عليه جعلته في حجره, فتناول موسى لحية فرعون حتى مدّها, فقال عدوّ من أعداء الله: ألا ترى ما وعد الله إبراهيم أنه سيصرعك ويعلوك, فأرسِلْ إلى الذباحين ليذبحوه وذلك من الفتون يا ابن جُبير, بعد كلّ بلاء ابتلي به وأريد به. فجاءت امرأة فرعون تسعى إلى فرعون, فقالت: ما بدا لك في هذا الصبيّ الذي قد وهبته لي؟ قال: ألا ترين يزعم أنه سيصرعني ويعلوني, فقالت: اجعل بيني وبينك أمرا تعرف فيه الحقّ, ائت

بجمرتين ولؤلؤتين, فقرّبهنّ إليه, فإن بطش باللؤلؤتين واجتنب الجمرتين علمت أنه يعقل وإن تناول الجمرتين ولم يرد اللؤلؤتين, فاعلم أن أحدا لا يؤثر الجمرتين على اللؤلؤتين وهو يعقل, فقرّب ذلك إليه, فتناول الجمرتين, فنزعوهما منه مخافة أن تحرقا يده, فقالت المرأة: ألا ترى؟ فصرفه الله عنه بعد ما قد همّ به, وكان الله بالغا فيه أمره.

فلما بلغ أشدّه, وكان من الرجال, لم يكن أحد من آل فرعون يخلص إلى أحد من بني إسرائيل معه بظلم ولا سخرة, حتى امتنعو كلّ امتناع. فبينما هو يمشي ذات يوم في ناحية المدينة, إذ هو برجلين يقتتلان, أحدهما من بني إسرائيل, والآخر من آل فرعون, فاستغاثه الإسرائيلي على الفرعوني, فغضب موسى واشتدّ غضبه, لأنه تناوله وهو يعلم منزلة موسى من بني إسرائيل, وحفظه لهم, ولا يعلم الناس إلا أنما ذلك من قِبَل الرضاعة غير أمّ موسى, إلا أن يكون الله أطلع موسى من ذلك على ما لم يطلع عليه غيره فوكز موسى الفرعوني فقتله, وليس يراهما أحد إلا الله والإسرائيلي, فقال موسى حين قتل الرجل: هَذَا مِنْ عَمَل الشّيْطانِ إنّه عَدوّ مُضلّ مُبِينٌ ثم قال: رَبّ إنّي ظَلَمْتُ نَفْسِي فاغْفِرْ لِي فَغَفَرَ لَهُ إنهُ هُوَ الغَفُورُ الرّحِيم فأصْبَحَ فِي المَدِينَةِ خائِفا يَتَرَقّبُ الأخبار, فأتى فرعون, فقيل له: إن بني إسرائيل قد قتلوا رجلاً من آل فرعون, فخُذ لنا بحقنا ولا ترخص لهم في ذلك, فقال: ابغوني قاتله ومن شهد عليه, لأنه لا يستقيم أن يقضي بغير بيّنه ولا ثبت, فطلبوا له ذلك فبينما هم يطوفون لا يجدون ثَبَتا, إذ مرّ موسى من الغد, فرأى ذلك الإسرائيلي يقاتل فرعونيا, فاستغاثه الإسرائيلي على الفرعوني, فصادف موسى وقد ندم على ما كان منه بالأمس وكره الذي رأى, فغضب موسى, فمدّ يده وهو يريد أن يبطش بالفرعوني, قال للإسرائيلي لما فعل بالأمس واليوم إنّكَ لَغَوِيّ مُبِينٌ فنظر الإسرائيلي موسى بعد ما قال, فإذا هو غضبان كغضبه بالأمس الذي قتل فيه الفرعوني, فخاف أن يكون بعد ما قال له إنّكَ لَغَوِيّ مُبِينٌ أن يكون إياه أراد, ولم يكن أراده, وإنما أراد الفرعوني, فخافَ الإسرائيلي, فحاجز الفرعوني فقال: يا مُوسَى أتُرِيدُ أنْ تَقْتُلَنِي كمَا قَتَلْتَ نَفْسا بالأمْسِ وإنما قال ذلك مخافة أن يكون إياه أراد موسى ليقتله, فتتاركا فانطلق الفَرعوني إلى قومه, فأخبرهم بما سمع من الإسرائيلي من الخبر حين يقول: أتريد أن تقتلني كما قتلت نفسا بالأمس؟ فأرسل فرعون الذباحين, فسلك موسى الطريق الأعظم, فطلبوه وهم لا يخافون أن يفوتهم. وجاء رجل من شيعة موسى من أقصى المدينة, فاختصر طريقا قريبا حتى سبقهم إلى موسى, فأخبره الخبر, وذلك من الفتون يا ابن جُبير.

18199ـ حدثني محمد بن عمرو, قال: حدثنا أبو عاصم, قال: حدثنا عيسى وحدثني الحارث, قال: حدثنا الحسن, قال: حدثنا ورقاء, جميعا عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد, قوله: فُتُونا قال: بلاءً, إلقاؤه في التابوت, ثم في البحر, ثم التقاط آل فرعون إياه, ثم خروجه خائفا.

قال محمد بن عمرو, وقال أبو عاصم: خائفا, أو جائعا «شكّ أبو عاصم», وقال الحارث: خائفا يترقب, ولم يشكّ.

حدثنا القاسم, قال: حدثنا الحسين, قال: ثني حجاج, عن ابن جُرَيج, عن مجاهد, مثله وَقال: خَائِفا يَتَرقّبُ, ولم يشكّ.
18200ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة قوله: وَفَتَنّاكَ فُتُونا يقول: ابتليناك بلاءً.
18201ـ حُدثت عن الحسين, قال: سمعت أبا مُعاذ يقول: أخبرنا عبيد, قال: سمعت الضحاك يقول في قوله: وَفَتَنّاكَ فُتُونا هو البلاء على إثر البلاء.
وقال آخرون: معنى ذلك: أخلصناك. ذكر من قال ذلك:
18202ـ حدثني الحارث, قال: حدثنا الحسن, قال: حدثنا ورقاء, عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد وَفَتَنّاكَ فُتُونا أخلصناك إخلاصا.
18203ـ حدثنا ابن المثنى, قال: حدثنا محمد بن جعفر, قال: حدثنا شعبة, عن يعلى بن مسلم, قال: سمعت سعيد بن جُبير, يفسّر هذا الحرف: وَفَتَنّاكَ فُتُونا قال: أخلصناك إخلاصا.
قال أبو جعفر: وقد بيّنا فيما مضى من كتابنا هذا معنى الفتنة, وأنها الابتلاء والاختبار بالأدلة المُغنية عن الإعادة في هذا الموضع.
وقوله: فَلَبِثْتَ سِنِينَ فِي أَهْلِ مَدْيَنَ وهذا الكلام قد حذف منه بعض ما به تمامه اكتفاء بدلالة ما ذكر عم حذف. ومعنى الكلام: وفتناك فتونا, فخرجت خائفا إلى أهل مدين, فلبثت سنين فيهم.
وقوله: ثُمّ جِئْتَ عَلى قَدَرٍ يا مُوسَى يقول جلّ ثناؤه: ثم جئت للوقت الذي أردنا إرسالك إلى فرعون رسولاً ولمقداره. وبنحو الذي قلنا في ذلك, قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:
18204ـ حدثني محمد بن سعد, قال: ثني أبي, قال: ثني عمي, قال: ثني أبي, عن أبيه, عن ابن عباس, قوله: ثُمّ جِئْتَ عَلى قَدَرٍ يا مُوسَى يقول: لقد جئت لميقات يا موسى.
18205ـ حدثني محمد بن عمرو, قال: حدثنا أبو عاصم, قال: حدثنا عيسى وحدثني الحارث, قال: حدثنا الحسن, قال: حدثنا ورقاء, جميعا عن مجاهد, قال: عَلى قَدَرٍ يا مُوسَى قال: موعد.
حدثنا القاسم, قال: حدثنا الحسين, قال: ثني حجاج, عن ابن جُرَيج, عن مجاهد, قال: على ذي موعد.
18206ـ حدثنا الحسن بن يحيى, قال: أخبرنا عبد الرزاق, قال: أخبرنا معمر, عن قتادة, في قوله: عَلى قَدَرٍ يا مُوسَى قال: قدر الرسالة والنبوّة.
والعرب تقول: جاء فلان على قدر: إذا جاء لميقات الحاجة إليه ومنه قول الشاعر:
نالَ الخِلافَةَ أوْ كانَتْ لَهُ قَدَراكمَا أتَى رَبّهُ مُوسى عَلى قَدَرِ

الآية : 41 - 43

القول في تأويل قوله تعالى: {وَاصْطَنَعْتُكَ لِنَفْسِي * اذْهَبْ أَنتَ وَأَخُوكَ بِآيَاتِي وَلاَ تَنِيَا فِي ذِكْرِي * اذْهَبَآ إِلَىَ فِرْعَوْنَ إِنّهُ طَغَىَ }.
يقول تعالى ذكره: وَاصْطَنَعْتُكَ لِنَفْسِي أنعمت عليك يا موسى هذه النعم, ومننت عليك هذه المنن, اجتباء مني لك, واختيارا لرسالتي والبلاغ عني, والقيام بأمري ونهيي اذْهَبْ أنْتَ وأخُوكَ هارون بِآياتي يقول: بأدلتي وحججي, اذهبا إلى فرعون بها إنه تمرّد في ضلاله وغيه, فأبلغه رسالاتي وَلا تَنِيا فِي ذِكْري يقول: ولا تضعفا في أن تذكراني فيما

أمرتكما ونهيتكما, فإن ذكركما إيّاي يقوّي عزائمكما, ويثبت أقدامكما, لأنكما إذا ذكرتماني, ذكرتما مَنّي عليكما نِعَما جمّة, ومِنَنا لا تحصى كثرة. يقال منه: وَنى فلان في هذا الأمر, وعن هذا الأمر: إذا ضعف, وهو يَنِي وَنْيا كما قال العجاج:

فَمَا وَنى مُحَمّدٌ مُذْ أنْ غَفَرْلَهُ الإلهُ ما مَضَى وَما غَبَرْ

وبنحو الذي قلنا في ذلك, قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

18207ـ حدثني عليّ, قال: حدثنا عبد الله, قال: ثني معاوية, عن عليّ, عن ابن عباس, قوله: وَلا تَنِيا يقول: لا تبطئا.

حدثني محمد بن سعد, قال: ثني أبي, قال: ثني عمي, قال: ثني أبي, عن أبيه, عن ابن عباس, قوله وَلا تَنِيا فِي ذِكْرِي يقول: ولا تضعفا في ذكري.

18202حدثني محمد بن عمرو, قال: حدثنا أبو عاصم, قال: حدثنا عيسى وحدثني الحارث, قال: حدثنا الحسن, قال: حدثنا ورقاء, جميعا عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد, قوله: وَلا تَنِيا فِي ذِكْرِي قال: لا تضعفا.

حدثنا القاسم, قال: حدثنا الحسين, قال: ثني حجاج, عن ابن جُرَيج, عن مجاهد تَنيا تضعفا.

18208ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قَتادة, قوله: وَلا تَنِيا فِي ذِكْرِي يقول: لا تضعفا في ذكري.

حدثنا الحسن, قال: أخبرنا عبد الرزاق, قال: أخبرنا معمر, عن قَتادة, في قوله: وَلا تَنِيا فِي ذِكْرِي قال: لا تضعفا.

18209ـ حُدثت عن الحسين, قال: سمعت أبا مُعاذ يقول: أخبرنا عبيد, قال: سمعت الضحاك يقول في قوله: وَلا تَنِيا فِي ذِكْرِي يقول: لا تضعفا.

18210ـ حدثني يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: قال ابن زيد, في قوله: وَلا تَنِيا فِي ذِكْرِي قال: الواني: هو الغافل المفرط, ذلك الواني.

الآية : 44 - 45

القول في تأويل قوله تعالى: {فَقُولاَ لَهُ قَوْلاً لّيّناً لّعَلّهُ يَتَذَكّرُ أَوْ يَخْشَىَ * قَالاَ رَبّنَآ إِنّنَا نَخَافُ أَن يَفْرُطَ عَلَيْنَآ أَوْ أَن يَطْغَىَ }.

يقول تعالى ذكره لموسى وهارون: فقولا لفرعون قولاً ليّنا. ذُكر أن القول اللين الذي أمرهما الله أن يقولاه له, هو أن يكنياه.

18211ـ حدثني جعفر ابن ابنة إسحاق بن يوسف الأزرق, قال: حدثنا سعيد بن محمد الثقفي, قال: حدثنا عليّ بن صالح, عن السديّ: فَقُولا لَهُ قَوْلاً لَيّنا قال: كنياه.

وقوله: لَعَلّهُ يَتَذَكّرُ أوْ يَخْشَى اختلف في معنى قوله: لَعَلّهُ في هذا الموضع, فقال بعضهم معناها ههنا الاستفهام, كأنهم وجهوا معنى الكلام إلى: فقولا له قولا لينا, فانظرا هل يتذكر ويراجع أو يخشى الله فيرتدع عن طغيانه. ذكر من قال ذلك:

18212ـ حدثني عليّ, قال: حدثنا عبد الله, قال: ثني معاوية, عن عليّ, عن ابن عباس, قوله: لَعَلّهُ يَتَذَكّرُ أوْ يَخْشَى يقول: هل يتذكر أو يخشى.

وقال آخرون: معنى لعلّ ههنا كي. ووجّهوا معنى الكلام إلى اذهبَا إلى فِرْعَوْنَ إنّهُ طَغَى فادعواه وعظاه ليتذكر أو يخشى, كما يقول القائل: اعمل عملك لعلك تأخذ أجرك, بمعنى: لتأخذ أجرك, وافرغ من عملك لعلنا

نتغدّى, بمعنى: لنتغدى, أو حتى نتغدى, ولكلا هذين القولين وجه حسن, ومذهب صحيح.

وقوله: قالا رَبّنا إنّنا نَخافُ أنْ يَفْرُطَ عَلَيْنا يقول تعالى ذكره: قال موسى وهارون: ربنا إننا نخاف فرعون إن نحن دعوناه إلى ما أمرتنا أن ندعوه إليه, أن يعجل علينا بالعقوبة وهو من قولهم: فرط مني إلى فلان أمر: إذا سبق منه ذلك إليه, ومنه: فارط القوم, وهو المتعجل المتقدّم أمامهم إلى الماء أو المنزل كما قال الراجز:

قَدْ فَرَط العِلْجُ عَلَيْنا وَعَجِلْ

وأما الإفراط: فهو الإسراف والإشطاط والتعدّي. يقال منه: أفرطت في قولك: إذا أسرف فيه وتعدّى. وأما التفريط: فإنه التواني. يقال منه: فرّطت في هذا الأمر حتى فات: إذا تواني فيه. وبنحو الذي قلنا في ذلك, قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

18213ـ حدثني محمد بن عمرو, قال: حدثنا أبو عاصم, قال: حدثنا عيسى وحدثني الحارث, قال: حدثنا الحسن, قال: حدثنا ورقاء, جميعا عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد أنْ يَفْرُطَ عَلَيْنا قال: عقوبة منه.

حدثنا القاسم, قال: حدثنا الحسين, قال: ثني حجاج, عن ابن جريج, عن مجاهد, مثله.

18214ـ حدثني يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: قال ابن زيد, في قوله: إنّنا نَخافُ أنْ يَفْرُطَ عَلَيْنا أوْ أنْ يَطْغَى قال: نخاف أن يعجل علينا إذ نبلغه كلامك أو أمرك, يفرط ويعجل. وقرأ لا تَخافا إنّني مَعَكُما أسمَعُ وأرَى.

الآية : 46 و 47

القول في تأويل قوله تعالى: {قَالَ لاَ تَخَافَآ إِنّنِي مَعَكُمَآ أَسْمَعُ وَأَرَىَ * فَأْتِيَاهُ فَقُولآ إِنّا رَسُولاَ رَبّكَ فَأَرْسِلْ مَعَنَا بَنِيَ إِسْرَآئِيلَ وَلاَ تُعَذّبْهُمْ قَدْ جِئْنَاكَ بِآيَةٍ مّن رّبّكَ وَالسّلاَمُ عَلَىَ مَنِ اتّبَعَ الْهُدَىَ }.

يقول الله تعالى ذكره: قالَ الله لموسى وهارون: لا تَخافا فرعون إنّني مَعَكُما أعينكما عليه, وأبصركما أسمَعُ ما يجري بينكما وبينه, فأفهمكما ما تحاورانه به وأرَى ما تفعلان ويفعل, لا يخفى عليّ من ذلك شيء فَأْتِياهُ فَقُولا له إنّا رَسُولا رَبّكَ. وبنحو الذي قلنا في ذلك, قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

18215ـ حدثنا القاسم, قال: حدثنا الحسين, قال: ثني حجاج قالَ لا تَخافا إنّني مَعَكُما أسَمَعُ وأرَى ما يحاوركما, فأوحي إليكما فتجاوبانه.

وقوله: فَأْتِياهُ فَقُولا إنّا رَسُولا رَبّكَ أرسلنا إليك يأمرك أن ترسل معنا بني إسرائيل, فأرسلهم معنا ولا تعذّبهم بما تكلفهم من الأعمال الرديئة قَدْ جِئْناكَ بآيَةٍ معجزة مِنْ رَبّكَ على أنه أرسلنا إليك بذلك, إن أنت لم تصدّقنا فيما نقول لك أريناكها, والسّلامُ عَلى مَنِ اتّبَعَ الهُدَى يقول: والسلامة لمن اتبع هدى الله, وهو بيانه. يقال: السلام على من اتبع الهدى, ولمن اتبع بمعنى واحد.

الآية : 48 - 50

القول في تأويل قوله تعالى: {إِنّا قَدْ أُوحِيَ إِلَيْنَآ أَنّ الْعَذَابَ عَلَىَ مَن كَذّبَ وَتَوَلّىَ * قَالَ فَمَن رّبّكُمَا يَمُوسَىَ * قَالَ رَبّنَا الّذِيَ أَعْطَىَ كُلّ شَيءٍ خَلْقَهُ ثُمّ هَدَىَ }.

يقول تعالى ذكره لرسوله موسى وهارون: قولا لفرعون إنا قد أوحى إلينا ربك أن عذابه الذي لا نفاد له, ولا انقطاع على من كذب بما ندعوه إليه من توحيد الله وطاعته, وإجابة رسله وَتَوّلى يقول: وأدبر مُعرضا عما جئناه به من الحقّ, كما:

18216ـ حدثنا بِشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة, قوله: أنّ العَذَابَ عَلى مَنْ كَذّبَ وَتَوَلّى كذّب بكتاب الله, وتولى عن طاعة الله.

وقوله: قالَ فَمَنْ رَبّكُما يا مُوسَى في هذا الكلام متروك, ترك ذكره استغناء بدلالة ما ذكر عليه عنه, وهو قوله: فَأْتِياهُ فقالا له ما أمرهما به ربهما وأبلغاه رسالته, فقال فرعون لهما فَمَنْ رَبّكُما يا مُوسَى فخاطب موسى وحده بقوله: يا موسى, وقد وجه الكلام قبل ذلك إلى موسى وأخيه. وإنما فعل ذلك كذلك, لأن المجاوبة إنما تكون من الواحد وإن كان الخطاب بالجماعة لا من الجميع, وذلك نظير قوله: نَسِيا حُوَتُهما وكان الذي يحمل الحوت واحد, وهو فتى موسى, يدلّ على ذلك قوله: إنّي نَسِيتُ الحُوتَ وَما أنْسانِيهُ إلاّ الشّيْطانُ أنْ أذْكُرَهُ.

وقوله: قالَ رَبّنا الّذِي أعْطَى كُلّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمّ هَدَى يقول تعالى ذكره: قال موسى له مجيبا: ربنا الذي أعطى كلّ شيء خلقه, يعني: نظير خلقه في الصورة والهيئة كالذكور من بني آدم, أعطاهم نظير خلقهم من الإناث أزواجا, وكالذكور من البهائم, أعطاها نظير خلقها, وفي صورتها وهيئتها من الإناث أزواجا, فلم يعط الإنسان خلاف خلقه, فيزوّجه بالإناث من البهائم, ولا البهائم بالإناث من الإنس, ثم هداهم للمأتي الذي منه النسل والنماء كيف يأتيه, ولسائر منافعه من المطاعم والمشارب, وغير ذلك.

وقد اختلف أهل التأويل في تأويل ذلك, فقال بعضهم: بنحو الذي قلنا فيه. ذكر من قال ذلك:

18217ـ حدثني عليّ, قال: حدثنا عبد الله, قال: ثني معاوية, عن عليّ, عن ابن عباس, قوله: أعْطَى كُلّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمّ هَدَى يقول: خلق لكلّ شيء زوجة, ثم هداه لمنكحه ومطعمه ومشربه ومسكنه ومولده.

18218ـ حدثنا موسى, قال: حدثنا عمرو, قال: حدثنا أسباط, عن السديّ: قالَ رَبّنا الّذِي أعْطَى كُلّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمّ هَدَى يقول: أعطى كلّ دابة خلقها زوجا, ثم هدى للنكاح.

وقال آخرون: معنى قوله ثُمّ هَدَى أنه هداهم إلى الأُلفة والاجتماع والمناكحة. ذكر من قال ذلك:

18219ـ حدثني محمد بن سعد, قال: ثني أبي, قال: ثني عمي, قال: ثني أبي, عن أبيه, عن ابن عباس, قوله: الّذِي أعْطَى كُلّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمّ هَدَى يعني: هدى بعضهم إلى بعض, ألّف بين قلوبهم وهداهم للتزويج أن يزوّج بعضهم بعضا.

وقال آخرون: معنى ذلك: أعطى كلّ شيء صورته, وهي خلقه الذي خلقه به, ثم هداه لما يُصلحه من الاحتيال للغذاء والمعاش. ذكر من قال ذلك:

18220ـ حدثنا أبو كريب وأبو السائب, قالا: حدثنا ابن إدريس, عن ليث, عن مجاهد, في قوله: أَعْطَى كُلّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمّ هَدَى قال: أعطى كلّ شيء صورته ثم هدى كلّ شيء إلى معيشته.

حدثني محمد بن عمرو, قال: حدثنا أبو عاصم, قال: حدثنا عيسى وحدثني الحارث, قال: حدثنا الحسن, قال: حدثنا ورقاء, عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد, في قول الله: أَعْطَى كُلّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمّ هَدَى قال: سوّى خلق كلّ دابة, ثم هداها لما يُصلحها, فعلّمها إياه.

حدثنا القاسم, قال: حدثنا الحسين, قال: ثني حجاج, عن ابن جريج, عن مجاهد, قوله: رَبّنا الّذِي أعْطَى كُلّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمّ هَدَى قال: سوّى خلق كلّ دابة ثم هداها لما يُصلحها وعلّمها إياه, ولم يجعل الناس في خلق البهائم, ولا خلق البهائم في خلق الناس, ولكن خلق كلّ شيء فقدّره تقديرا.

حدثنا محمد بن بشار, قال: حدثنا عبد الرحمن, قال: حدثنا سفيان, عن حميد عن مجاهد أعْطَى كُلّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمّ هَدَى قال: هداه إلى حيلته ومعيشته.

وقال آخرون: بل معنى ذلك: أعطى كلّ شيء ما يُصلحه, ثم هداه له. ذكر من قال ذلك:

18221ـ حدثنا الحسن, قال: أخبرنا عبد الرزاق, قال: أخبرنا معمر, عن قتادة, قوله: أَعْطَى كُلّ شَيْءٍ خَلْقَهُ قال: أعطى كلّ شيء ما يُصلحه. ثم هداه له.

قال أبو جعفر: وإنما اخترنا القول الذي اخترنا في تأويل ذلك, لأنه جلّ ثناؤه أخبر أنه أعطى كلّ شيء خلقه, ولا يعطي المعطي نفسه, بل إنما يعطي ما هو غيره, لأن العطية تقتضي المعطي المُعطَى والعطية, ولا تكون العطية هي المعْطَى, وإذا لم تكن هي هو, وكانت غيره, وكانت صورة كلّ خلق بعض أجزائه, كان معلوما أنه إذا قيل: أعطى الإنسان صورته, إنما يعني أنه أعطى بعض المعاني التي به مع غيره دعي إنسانا, فكأن قائله قال: أعطى كلّ خلق نفسه, وليس ذلك إذا وجه إليه الكلام بالمعروف من معاني العطية, وإن كان قد يحتمله الكلام. فإذا كان ذلك كذلك, فالأصوب من معانيه أن يكون موجها إلى أن كلّ شيء أعطاه ربه مثل خلقه, فزوّجه به, ثم هداه لما بيّنا, ثم ترك ذكر مثل, وقيل أعْطَى كُلّ شَيْءٍ خَلْقَه كما يقال: عبد الله مثل الأسد, ثم يحذف مثل, فيقول: عبد الله الأسد.

الآية : 51 - 52

القول في تأويل قوله تعالى: {قَالَ فَمَا بَالُ الْقُرُونِ الأُولَىَ * قَالَ عِلْمُهَا عِندَ رَبّي فِي كِتَابٍ لاّ يَضِلّ رَبّي وَلاَ يَنسَى }.

يقول تعالى ذكره: قال فرعون لموسى, إذ وصف موسى ربه جلّ جلاله بما وصفه به من عظيم السلطان, وكثرة الإنعام على خلقه والإفضال: فما شأن الأمم الخالية من قبلنا لم تقرّ بما تقول, ولم تصدّق بما تدعو إليه, ولم تخلص له العبادة, ولكنها عبدت الآلهة والأوثان من دونه, إن كان الأمر على ما تصف من أن الإشياء كلها خلقه, وأنها في نعمه تتقلّب, وفي مِنَنه تتصرف؟ فأجابه موسى فقال: علم هذه الأمم التي مضت من

قبلنا فيما فعلت من ذلك, عند ربي في كتاب: يعني في أمّ الكتاب, لا علم لي بأمرها, وما كان سبب ضلال من ضلّ منهم فذهب عن دين الله لا يَضِلّ رَبّي يقول: لا يخطىء ربي في تدبيره وأفعاله, فإن كان عذّب تلك القرون في عاجل, وعجل هلاكها, فالصواب ما فعل, وإن كان أخر عقابها إلى القيامة, فالحقّ ما فعل, هو أعلم بما يفعل, لا يخطىء ربي ولاَ يَنْسَى فيترك فعل ما فعْله حكمة وصواب. وبنحو الذي قلنا في ذلك, قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

18222ـ حدثني عليّ, قال: حدثنا عبد الله, قال: ثني معاوية, عن عليّ, عن ابن عباس, قوله: فِي كِتابٍ لا يَضِلّ رَبّي وَلا يَنْسَى يقول: لا يخطىء ربي ولا ينسى.

18223ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة, قوله: فَمَا بَالُ القُرُونِ الأُولى يقول فما أعمى القرون الأولى, فوكلها نبي الله موكلاً فقال: عِلْمُها عِنْدَ رَبّي... الآية يقول: أي أعمارها وآجالها.

وقال آخرون: معنى قوله لا يَضِلّ رَبّي وَلا يَنْسَى واحدا. ذكر من قال ذلك:

18224ـ حدثني محمد بن عمرو, قال: حدثنا أبو عاصم, قال: حدثنا عيسى وحدثني الحارث, قال: حدثنا الحسن, قال: حدثنا ورقاء, جميعا عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد, قوله: لا يَضِلّ رَبّي وَلا يَنْسَى قال: هما شيء واحد.

حدثنا القاسم, قال: حدثنا الحسين, قال: ثني حجاج, عن ابن جُرَيج, عن مجاهد, مثله.

والعرب تقول: ضلّ فلان منزله: إذا أخطأه, يضله بغير ألف, وكذلك ذلك في كلّ ما كان من شيء ثابت لا يبرح, فأخطأه مريده, فإنها تقول: أضله, فأما إذا ضاع منه ما يزول بنفسه من دابة وناقة وما أشبه ذلك من الحيوان الذي ينفلت منه فيذهب, فإنها تقلو: أضلّ فلان بعيره أو شاته أو ناقته يُضله بالألف. وقد بيّنا معنى النسيان فيما مضى قبل بما أغنى عن إعادته.

الآية : 53

القول في تأويل قوله تعالى: {الّذِي جَعَلَ لَكُمُ الأرْضَ مَهْداً وَسَلَكَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلاً وَأَنزَلَ مِنَ السّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ أَزْوَاجاً مّن نّبَاتٍ شَتّىَ }.

اختلف أهل التأويل في قراءة قوله مَهْدا فقرأته عامّة قرّاء المدينة والبصرة: «الّذِي جَعَلَ لَكُمُ الأرْضَ مِهادا بكسر المِيم من المِهاد وإلحاق ألف فيه بعد الهاء, وكذلك عملهم ذلك في كلّ القرآن. وزعم بعض من اختار قراءة ذلك كذلك, أنه إنما اختاره من أجل أن المهاد: اسم الموضّع, وأن المهد الفعل قال: وهو مثل الفرش والفراش. وقرأ ذلك عامة قرّاء الكوفيين: مَهْدا بمعنى: الذي مهد لكم الأرض مهدا.

والصواب من القول في ذلك أن يقال: إنهما قراءتان مستفيضتان في قَرأة الأمصار مشهورتان, فبأيتهما قرأ القارىء فمصيب الصواب فيها.

وقوله: وَسَلَكَ لَكُمْ فيها سُبُلاً يقول: وأنهج لكم في الأرض طرقا. والهاء في قوله فيها: من ذكر الأرض, كما:

18225ـ حدثنا بِشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة وَسَلَكَ لَكُمْ فِيها سُبُلاً: أي طرقا.

وقوله: وأنْزَلَ مِنَ السّماءِ ماءً يقلو: وأنزل من السماء مطرا فأخرجنا به أزْوَاجا مِنْ نَباتٍ شَتّى وهذا خبر من الله تعالى ذكره عن إنعامه على

خـلقه بـما يحدث لهم من الغيث الـذي ينزلـه مـن سـمائه إلــى أرضـه, بعـد تناهي خبره عن جواب موسى فرعون عما سأله عنه وثنـائه علــى ربـه بــما هو أهله. يقول جلّ ثناؤه: فأخرجنا نـحن أيها النـاس بــما ننـزل مـن السـماء من مـاء أزواجـا, يعنــي ألوانـا مـن نبــات شتــى, يعنــي مختلفـة الطعـوم, والأرايـيح والـمنظر. وبنـحو الذي قلنا فـي ذلك, قال أهل التأويـل. ذكـر مـن قال ذلك:

18226ـ حدثنـي علـيّ, قال: حدثنا عبد الله, قال: ثنـي معاوية, عن علـيّ, عن ابن عبـاس, قوله: مِنْ نَبـاتٍ شَتّـى يقول: مختلف.

الآية : 54

القول فـي تأويـل قوله تعالـى: {كُلُواْ وَارْعَوْا أَنْعَامَكُمْ إِنّ فِي ذَلِـكَ لاَيَـاتٍ لأُوْلِي النّهَىَ }.

يقول تعالـى ذكره: كلوا أيها الناس من طيب ما أخرجنا لكم بـالغيث الذي أنزلناه من السماء إلـى الأرض من ثمار ذلك وطعامه, وما هـو مـن أقـواتكم وغذائكم, وارعوا فـيـما هو أرزاق بهائمكم منه وأقواتها أنعامكم إنّ فِـي ذلكَ لآيَاتٍ يقول: إن فـيـما وصـفت فــي هـذه الآيـة مـن قـدرة ربكـم, وعظيــم سلطانه لآيات: يعنـي لدلالات وعلامات تدلّ علـى وحدانـية ربكم, وأن لا إلـه لكم غيره أُولِـي النّهَى يعنـي: أهل الـحجى والعقول. والنهي: جمع نُهية, كما الكُشَي: جمع كُشْيَة.

قال أبو جعفر: والكُشَي: شحمة تكون فـي جوف الضبّ, شبـيهة بـالسرّة وخصّ تعالـى ذكره بأن ذلك آيات لأولـي النّهَي, لأنهم أهل التفكّر والاعتبــار, وأهل التدبر والاتعاظ.

الآية : 55

القـول فــي تأويــل قـوله تعالــى: {مِنْهَـا خَلَقْنَـاكُمْ وَفِيهَـا نُعِيـدُكُمْ وَمِنْهَـا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَىَ }.

يقول تعالـى ذكره: من الأرض خـلقناكم أيها الناس, فأنشأناكم أجسـاما ناطقة وَفِـيها نُعِيدُكُمْ يقول: وفــي الأرض نعيـدكم بعـد مــماتكم, فنصـيركم ترابـا, كما كنتـم قبل إنشائنا لكم بشرا سـويا وَمِنْهـا نُــخْرِجُكُمْ يقـول: ومـن الأرض نـخرجكم كما كنتـم قبل مـماتكم أحياء, فننشئكم منها, كما أنشأناكم أوّل مرّة. وقوله: تارَةً أُخْرَى يقول: مرّة أخرى, كما:

18227ـ حدثنا بِشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة وَمِنْها نُـخْرِجُكُمْ تارَةً أُخْرَى يقول: مرّة أخرى.

18228ـ حدثنـي يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: قال ابن زيـد, فــي قوله: تارَةً أُخْرَى قال: مرّة أخرى الـخـلق الآخر.

قال أبو جعفر: فتأويـل الكلام إذن: من الأرض أخرجناكم ولـم تكونوا شيئا خـلقا سويا, وسنـخرجكم منها بعد مـماتكم مرّة أخرى, كما أخرجنـاكم منهـا أوّل مرّة.

الآية : 56

القول فـي تأويـل قوله تعالـى: {وَلَقَدْ أَرَيْنَاهُ آيَاتِنَا كُلّهَا فَكَذّبَ وَأَبَىَ }.

يقول تعالـى ذكره: ولقد أرينا فرعون آياتنا, يعنـي أدلتنـا وحججنـا علــى حقـيقة ما أرسلنا به رسولـينا, موسـى وهـارون إلــيه كلهـا فَكَـذّبَ وأَبَـى أن

يقبل من موسى وهارون ما جاءا به من عند ربهما من الحقّ استكبارا وعتوّا.

الآية : 57 و 58

القول في تأويل قوله تعالى: {قَالَ أَجِئْتَنَا لِتُخْرِجَنَا مِنْ أَرْضِنَا بِسِحْرِكَ يَمُوسَىَ * فَلَنَأْتِيَنّكَ بِسِحْرٍ مّثْلِهِ فَاجْعَلْ بَيْنَنَا وَبَيْنَكَ مَوْعِداً لاّ نُخْلِفُهُ نَحْنُ وَلاَ أَنتَ مَكَاناً سُوًى }.

يقول تعالى ذكره: قال فرعون لما أريناه آياتنا كلها لرسولنا موسى: أجئتنا يا موسى لتخرجنا من منازلنا ودورنا بسحرك هذا الذي جئتنا به فَلَنَأْتِيَنّكَ بِسِحْرٍ مِثْلِهِ فاجْعَلْ بَيْنَنا وَبَيْنَكَ مَوْعِدا لا نتعدّاه, لنجيء بسحر مثل الذي جئت به, فننظر أينا يغلب صاحبه, لا نخلف ذلك الموعد نَحْنُ وَلا أنْتَ مَكانا سُوًى يقول: بمكان عدل بيننا وبينك ونَصَف.

وقد اختلفت القرّاء في قراءة ذلك, فقرأته عامة قرّاء الحجاز والبصرة وبعض الكوفيين: «مَكانا سِوًى» بكسر السين, وقرأته عامة قرّاء الكوفة: مَكانا سُوًى بضمها.

قال أبو جعفر: والصواب من القول في ذلك عندنا, أنهما لغتان, أعني الكسر والضم في السين من «سوى» مشهورتان في العرب. وقد قرأت بكل واحدة منهما علماء من القرّاء, مع اتفاق معنييهما, فبأيتهما قرأ القارىء فمصيب. وللعرب في ذلك إذا كان بمعنى العدل والنصب لغة هي أشهر من الكسر والضم وهو الفتح, كما قال جلّ ثناؤه تَعَالُوا إلى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَينَنا وَبَيْنَكُمْ وإذا فتح السين منه مدّ. وإذا كسرت أو ضمت قصر, كما قال الشاعر:

فإنّ أبانا كانَ حَلّ بِبَلْدَةٍسُوًى بينَ قَيْسٍ قَيْسٍ عَيْلانَ والفِزْرِ

ونظير ذلك من الأسماء: طُوَى, وطَوًى وثَنى وثُنَى وَعَدَى, وعُدَى. وبنحو الذي قلنا في ذلك, قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

18229ـ حدثني محمد بن عمرو, قال: حدثنا أبو عاصم, قال: حدثنا عيسى وحدثني الحارث, قال: حدثنا الحسن قال: حدثنا ورقاء, جميعا عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد, في قوله: مَكانا سُوًى قال: منصفا بينهم.

حدثنا القاسم, قال: حدثنا الحسين, قال: ثني حجاج, عن ابن جُرَيج, عن مجاهد, بنحوه.

18230ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قَتادة مَكانا سوًى: أي عادلاً بيننا وبينك.

18231ـ حدثنا الحسن, قال: أخبرنا عبد الرزاق, عن معمر, عن قَتادة, قوله: مَكانا سُوًى قال: نصفا بيننا وبينك.

18232ـ حدثنا موسى, قال: حدثنا عمرو, قال: حدثنا أسباط, عن السديّ, في قوله: فاجْعَلْ بَيْنَنا وَبَيْنَكَ مَوْعِدا لا نُخْلِفُهُ نَحْنُ وَلا أنْتَ مَكانا سُوًى قال: يقول: عدلاً. وكان ابن زيد يقول في ذلك ما:

18233ـ حدثني به يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: قال ابن زيد في قوله: مَكانا سُوًى قال: مكانا مستويا يتبين للناس ما فيه, لا يكون صوب ولا شيء فيغيب بعض ذلك عن بعض مستوٍ حين يرى.

الآية : 59و 60

القول في تأويل قوله تعالى: {قَالَ مَوْعِدُكُمْ يَوْمُ الزّينَةِ وَأَن يُحْشَرَ النّاسُ ضُحًى * فَتَوَلّىَ فِرْعَوْنُ فَجَمَعَ كَيْدَهُ ثُمّ أَتَىَ }.

يقول تعالى ذكره: قال موسى لفرعون, حين سأله أن يجعل بينه وبينه موعدا للاجتماع: موعدكم للاجتماع يَوْمُ الزّينَةِ يعني يوم عيد كان لهم, أو سوق كانوا يتزيّنون فيه وأنْ يُحْشَرَ النّاسُ يقول: وأن يُساق الناس من كلّ فجّ وناحية ضُحًى فذلك موعد ما بيني وبينك للاجتماع. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

18234ـ حدثني محمد بن سعد, قال: ثني أبي, قال: ثني عمي, قال: ثني أبي, عن أبيه, عن ابن عباس, قوله: قالَ مَوْعِدُكُمْ يَوْمُ الزّينَةِ وأنْ يُحْشَرَ النّاسُ ضُحًى فإنه يوم زينة يجتمع الناس إليه ويحشر الناس له.

18235ـ حدثنا القاسم, قال: حدثنا الحسين, قال: ثني حجاج, عن ابن جُرَيج قال مَوْعِدُكُمْ يَوْمُ الزّينَةِ قال: يوم زينة لهم, ويوم عيد لهم وأنْ يُحْشَرَ النّاسُ ضُحًى إلى عيد لهم.

18236ـ حدثنا ابن حميد, قال: حدثنا يعقوب, عن جعفر, عن سعيد يَوْمُ الزّينَةِ قال: يوم السوق.

18237ـ حدثني محمد بن عمرو, قال: حدثنا أبو عاصم, قال: حدثنا عيسى وحدثني الحارث, قال: حدثنا الحسن, قال: حدثنا ورقاء, جميعا عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد يَوْمُ الزّينَةِ: موعدهم.

حدثنا القاسم, قال: حدثنا الحسين, قال: ثني حجاج, عن ابن جُرَيج, عن مجاهد, مثله.

18238ـ حدثني موسى, قال: حدثنا عمرو, قال: حدثنا أسباط, عن السديّ قال موسى: مَوْعِدُكُمْ يَوْمُ الزّينَةِ وأنْ يُحْشَرَ النّاسُ ضُحًى وذلك يوم عيد لهم.

18239ـ حدثنا بِشر, قال: حدثنا يزيد حدثنا سعيد, عن قتادة قالَ مَوْعِدُكُمْ يَوْمُ الزّينَةِ يوم عيد كان لهم. وقوله: وأنْ يُحْشَرَ النّاسُ ضُحًى يجتمعون لذلك الميعاد الذي وعدوه.

18240ـ حدثني يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: قال ابن زيد, في قوله: قالَ مَوْعَدُكُمْ يَوْمُ الزّينَةِ قال: يوم العيد, يوم يتفرّغ الناس من الأعمال, ويشهدون ويحضُرون ويرون.

18241ـ حدثنا ابن حميد, قال: حدثنا سلمة, عن ابن إسحاق قالَ مَوْعِدُكُمْ يَوْمُ الزّينَةُ يوم عيد كان فرعون يخرج له وأنْ يُحْشَرَ النّاسُ ضُحًى حتى يحضروا أمري وأمرك, وأنّ من قوله وأنْ يحْشَرَ النّاسُ ضُحًى رفع بالعطف على قوله يَوْمُ الزّينَةِ. وذُكر عن أبي نهيك في ذلك ما:

18242ـ حدثنا ابن حميد, قال: حدثنا يحيى بن واضح, قال: عبد المؤمن, قال: سمعت أبا نهيك يقول: وأنْ يُحْشَرَ النّاسُ ضحًى يعني فرعون يحشر قومه.

وقوله: فَتَوَلّى فِرْعَوْنُ يقول تعالى ذكره: فأدبر فرعون معرضا عما أتاه به من الحقّ فجَمَعَ كَيْدَهُ يقول: فجمع مكره, وذلك جمعُه سحرتَه بعد أخذه إياهم بتعلمه, ثُمّ أتَى يقول: ثم جاء للموعد الذي وعده موسى, وجاء بسحرته.

الآية : 61

القول في تأويل قوله تعالى: {قَالَ لَهُمْ مّوسَىَ وَيْلَكُمْ لاَ تَفْتَرُواْ عَلَى اللّهِ كَذِباً فَيُسْحِتَكُم بِعَذَابٍ وَقَدْ خَابَ مَنِ افْتَرَىَ }.

يقل تعالى ذكره: قَالَ مُوسَى للسحرة لما جاء بهم فرعون: وَيْلَكُمْ لا تَفْتَرُوا عَلَى اللّهِ كَذِبا يقول: لا تختلفوا على الله كذبا, ولا تتقوّلوه فَيُسْحِتَكُمْ بِعَذَابٍ فيستأصلكم بهلاك فيبيدكم. وللعرب فيه لغتان: سَحَت, وأسحت, وَسَحت, أكثر من أسحت, يقال منه: سحت الدهر, وأسحت مال فلان: إذا أهلكه فهو يَسْحَته سحتا, وأسحته يُسْحته إسحاتا. ومن الإسحات قول الفرزدق:

وَعَضّ زَمانٍ يا بْنَ مَرْوَنَ لَمْ يَدَعْ مِنَ المَالِ إلاّ مُسْحَتا أوْ مُجَلّفُ

ويُروى: إلا مسحت أو مجلف. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

18243ـ حدثني عليّ, قال: حدثنا عبد الله, قال: ثني معاوية, عن عليّ, عن ابن عباس, قوله: فَيُسْحِتَكم بِعَذَابٍ يقول: فيهلككم.

18244ـ حدثنا بِشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قَتادة فَيُسْحِتَكُمْ بِعَذَابٍ يقول يستأصلكم بعذاب.

حدثنا الحسن, قال: أخبرنا عبد الرزاق, قال: أخبرنا معمر, عن قتادة, في قوله: فَيُسْحِتَكُمْ بِعَذَابٍ قال: فيستأصلكم بعذاب فيهلككم.

18245ـ حدثني يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: قال ابن زيد, في قوله: فَيُسْحِتَكُمْ بِعَذَابٍ قال: يهلككم هلاكا ليس فيه بقيّة, قال: والذي يسحت ليس فيه بقية.

18246ـ حدثنا موسى قال: حدثنا عمرو, قال: حدثنا أسباط, عن السديّ فَيُسْحِتَكُمْ بِعَذَابٍ يقول يهلككم بعذاب.

واختلفت القرّاء في قراءة ذلك, فقرأته عامة قرّاء أهل المدينة والبصرة وبعض أهل الكوفة: «فَيَسْحَتَكُمْ» بفتح الياء من سحت يَسحت. وقرأته عامة قرّاء الكوفة: فَيُسْحِتَكُمْ بضم الياء من أسحت يُسْحِت.

قال أبو جعفر: والقول في ذلك عندنا أنهما قراءتان مشهورتان, ولغتان معروفتان بمعنى واحد, فبأيتهما قرأ القارىء فمصيب, غير أن الفتح فيها أعجب إليّ لأنها لغة أهل العالية, وهي أفصح, والأخرى وهي الضمّ في نجد.

وقوله: وَقَدْ خابَ مَنِ افْتَرَى يقول: ولم يظفر من يخلق كذبا وبقوله, بكذبه ذلك, بحاجته التي طلبها به, ورجا إدراكها به.

الآية : 62 و 63

القول في تأويل قوله تعالى: {فَتَنَازَعُواْ أَمْرَهُمْ بَيْنَهُمْ وَأَسَرّواْ النّجْوَىَ * قَالُوَاْ إِنْ هَـَذَانِ لَسَاحِرَانِ يُرِيدَانِ أَن يُخْرِجَاكُمْ مّنْ أَرْضِكُمْ بِسِحْرِهِمَا وَيَذْهَبَا بِطَرِيقَتِكُمُ الْمُثْلَىَ }.

يقول تعالى ذكره: فتنازع السحرة أمرهم بينهم. وكان تنازعهم أمرهم بينهم فيما ذكر أن قال بعضهم لبعض, ما:

18247ـ حدثنا بِشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة, قوله: فَتَنازَعُوا أمْرَهُمْ بَيْنَهُمْ وأسَرّوا النّجْوَى قال السحرة بينهم: إن كان هذا ساحرا فإنا سنغلبه, وإن كان من السماء فله أمر.

وقال آخرون بل هو أن بعضهم قال لبعض: ما هذا القول بقول ساحر. ذكر من قال ذلك:

18248ـ حدثنا ابن حميد, قال: حدثنا سلمة, عن ابن إسحاق, قال: حُدثت عن وهب بن منبه, قال: جمع كلّ ساحر حباله وعصيه, وخرج موسى معه

أخوه يتكىء على عصاه, حتى أتى المجمع, وفرعون في مجلسه, معه أشراف أهل مملكته, قد استكَفّ له الناس, فقال موسى للسحرة حين جاءهم: وَيْلَكُمْ لا تَفْتَروا عَلى اللّهِ كَذِبا فَيُسْحِتَكُمْ بِعَذَابٍ وَقَدْ خابَ مَنِ افْتَرَى فترادّ السحرة بينهم, وقال بعضهم لبعض: ما هذا بقول ساحر.

وقوله: وأسَرّوا النّجْوَى يقول تعالى ذكره: وأسرّوا السحرة المناجاة بينهم.

ثم اختلف أهل العلم السرار الذي أسروه, فقال بعضهم: هو قول بعضهم لبعض: إن كان هذا ساحرا فإنا سنغلبه, وإن كان من أمر السماء فإنه سيغلبنا. وقال آخرون في ذلك ما:

18249ـ حدثنا ابن حميد, قال: حدثنا سلمة, عن ابن إسحاق, قال: حُدثت عن وهب بن منبه, قال: أشار بعضهم إلى بعض بتناج: إنْ هَذَانِ لسَاحِرَانِ يُرِيدَانه أنْ يخْرِجاكُمْ مِنْ أرْضِكُمْ بِسِحْرِهِما.

18250ـ حدثني موسى, قال: حدثنا عمرو, قال: حدثنا أسباط, عن السديّ: فَتَنازَعُوا أمْرَهُمْ بَيْنَهُمْ وأسَرّوا النّجْوَى من دون موسى وهارون, قالوا في نجواهم: إنْ هَذَانِ لساحِرَانِ يُريدانِ أنْ يُخْرِجاكُمْ مِنْ أرْضِكُمْ بِسِحْرَهُما وَيَذْهَبا بِطَرِيقَتِكُمْ المُثْلَى قالوا: إن هذان لساحران, يَعْنُون بقولهم: إن هذان موسى وهارون, لساحران يريدان أن يخرجاكم من أرضكم بسحرهما, كما:

18251ـ حدثنا بِشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة, قوله: إنْ هَذَانِ لَساحِرَانِ يُرِيدَانِ أنْ يُخْرِجاكُمْ مِنْ أرْضِكُمْ بِسِحْرِهِما موسى وهارون صلى الله عليهما.

وقد اختلفت القرّاء في قراءة قوله: إنْ هَذَانِ لَساحِرَانِ فقرأته عامة قرّاء الأمصار: «إنّ هَذَانِ» بتشديد إن وبالألف في هذان, وقالوا: قرأنا ذلك كذلك. وكان بعض أهل العربية من أهل البصرة يقول: «إن» خفيفة في معنى ثقيلة, وهي لغة لقوم يرفعون بها, ويدخلون اللام ليفرقوا بينها وبين التي تكون في معنى ما. وقال بعض نحويّ الكوفة: ذلك على وجهين: أحدهما على لغة بني الحارث بن كعب ومن جاورهم, يجعلون الإثنين في رفعهما ونصبهما وخفضهما بالألف. وقد أنشدني رجل من الأسْد عن بعض بني الحارث بن كعب:

فأطْرَقَ إطْرَاقَ الشّجاعِ وَلَوْ رَأىَ مَساغا لِناباهُ الشّجاعُ لَصمّما

قال: وحكى عنه أيضا: هذا خط يدا أخي أعرفه, قال: وذلك وإن كان قليلاً أقيس, لأن العرب قالوا: مسلمون, فجعلوا الواو تابعة للضمة, لأنها لا تعرب, ثم قالوا: رأيت المسلمين, فجعلوا الياء تابعة لكسرة الميم قالوا: فلما رأوا الياء من الاثنين لا يمكنهم كسر ما قبلها, وثبت مفتوحا, تركوا الألف تتبعه, فقالوا: رجلان في كلّ حال. قال: وقد اجتمعت العرب على إثبات الألف في كلام الرجلين, في الرفع والنصب والخفض, وهما اثنان, إلا بني كنانة, فإنهم يقولون: رأيت كِلَي الرجلين, ومررت بكلي الرجلين, وهي قبيحة قليلة مَضَوا على القياس. قال: والوجه الآخر أن تقول: وجدت الألف من هذا دعامة, وليست بلام «فَعلَى» فلما بنيت زدت عليها نونا, ثم تركت الألف ثابتة على حالها لا تزول بكلّ حال, كما قالت العرب الذي, ثم زادوا نونا تدلّ على الجمع, فقالوا: الذين في رفعهم ونصبهم وخفضهم, كما تركوا هذان في رفعه ونصبه وخفضه. قال:

وكان القياس أن يقولوا: الّذُون. وقال آخر منهم: ذلك من الجزم المرسل, ولو نصب لخرج إلى الانبساط.

18252ـ وحُدثت عن أبي عُبيدة معمر بن المثنى, قال: قال أبو عمرو وعيسى بن عمر ويونس, إن هذين لساحران في اللفظ, وكتب «هذان» كما يريدون الكتاب, واللفظ صواب. قال: وزعم أبو الخطاب أنه سمع قوما من بني كنانة وغيرهم, يرفعون الاثنين في موضع الجرّ والنصب. قال: وقال بشر بن هلال: إن بمعنى الابتداء والإيجاب. ألا ترى أنها تعمل فيما يليها, ولا تعمل فيما بعد الذي بعدها, فترفع الخبر ولا تنصبه, كما نصبت الاسم, فكان مجاز «إن هذان لساحران», مجاز كلامين, مَخْرجه: إنه: إي نَعَم, ثم قلت: هذان ساحران. ألا ترى أنهم يرفعون المشترك كقول ضابىء:

فَمَنْ يَكُ أمْسَى بالمَدِينَةِ رَحْلُهُفإنّي وَقَيّارٌ بِهَا لَغَرِيبُ

وقوله:

إنّ السّيُوفَ غُدُوّها وَرَواحَهاتَرَكْنَ هَوَازِنَ مِثْلَ قَرْنِ الأعْضَبِ

قال: ويقول بعضهم: إن الله وملائكتُهُ يصلون على النبيّ, فيرفعون على شركة الابتداء, ولا يعملون فيه إنّ. قال: وقد سمعت الفصحاء من المُحْرِمين يقولون: إن الحمدَ والنعمةُ لك والملكُ, لا شريك لك. قال: وقرأها قوم على تخفيف نون إن وإسكانها. قال: ويجوز لأنهم قد أدخلوا اللام في الابتداء وهي فصل, قال:

أُمّ الحُلَيْسِ لعَجُوزٌ شَهْرَبَهْ

قال: وزعم قوم أنه لا يجوز, لأنه إذا خفف نوّن «إن» فلا بدّ له من أن يدخل «إلا» فيقول: إن هذا إلا ساحران.

قال أبو جعفر: والصواب من القراءة في ذلك عندنا: إنّ بتشديد نونها, وهذان بالألف لإجماع الحجة من القرّاء عليه, وأنه كذلك هو في خطّ المصحف. ووجهه إذا قرىء كذلك مشابهته الذين إذ زادوا على الذي النون, وأقرّ في جميع الأحوال الإعراب على حالة واحدة, فكذلك إنّ هَذَانِ زيدت على هذا نون وأقرّ في جميع أحوال الإعراب على حال واحدة, وهي لغة بلحرث بن كعب, وخثعم, وزبيد, ومن وليهم من قبائل اليمن.

وقوله: وَيَذْهَبا بطَرِيقَتِكُمْ المُثْلَى يقول: ويغلبا على ساداتكم وأشرافكم, يقال: هو طَريقة قومه ونظورة قومه, ونظيرتهم إذا كان سيدهم وشريفهم والمنظور إليه, يقال ذلك للواحد والجمع, وربما جمعوا, فقالوا: هؤلاء طرائق قومهم ومنه قول الله تبارك وتعالى: كُنّا طَرَائقَ قِدَادا وهؤلاء نظائر قومهم. وأما قوله: المُثْلَى فإنها تأنيث الأمثل, يقال للمؤنث, خذ المثلى منهما. وفي المذكر: خذ الأمثل منهما, ووحدت المثلى, وهي صفة ونعت للجماعة, كما قيل: لهُ الأسْماءُ الحُسْنَى, وقد يحتمل أن يكون المُثلى أنثت لتأنيث الطريقة.

وبنحو ما قلنا في معنى قوله: بِطَرِيقَتِكُمُ المُثْلَى قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

18253ـ حدثني عليّ, قال: حدثنا أبو صالح, قال: ثني معاوية, عن عليّ, عن ابن عباس, قوله: وَيَذْهَبا بِطَرِيقَتِكُمُ المُثلَى يقول: أمثلكم وهم بنو إسرائيل.

18254ـ حدثني محمد بن عمرو, قال: حدثنا أبو عاصم, قال: حدثنا عيسى وحدثني الحارث, قال: حدثنا الحسن, قال: حدثنا ورقاء, جميعا عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد, قوله: وَيَذْهَبا بِطَرِيقَتِكُمُ المُثْلَى قال: أولي العقل والشرف والأنساب.

حدثنا القاسم, قال: حدثنا الحسين, قال: ثني حجاج, عن ابن جريج, عن مجاهد, في قوله وَيَذْهَبا بِطَرِيقَتِكُمُ المُثْلَى قال: أولي العقول والأشراف والأنساب.

18255ـ حدثنا أبو كريب وأبو السائب, قالا: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قَتادة, قوله: وَيَذْهَبا بِطَرِيقَتِكُمُ المُثْلَى وطريقتهم المُثلى يومئذٍ كانت بنو إسرائيل, وكانوا أكثر القوم عددا وأموالاً وأولادا. قال عدوّ الله: إنما يريدان أن يذهبا بهم لأنفسهما.

حدثنا الحسن بن يحيى, قال: أخبرنا عبد الرزاق, قال: أخبرنا معمر, عن قتادة في قوله بِطَرِيقَتِكُمُ المُثْلَى قال: ببني إسرائيل.

18256ـ حدثني موسى, قال: حدثنا عمرو, قال: حدثنا أسباط, عن السديّ وَيَذْهَبَا بِطَرِيقَتِكُمُ المُثْلَى يقول: يذهبا بأشراف قومكم.

وقال آخرون: معنى ذلك: ويغيرا سنتكم ودينكم الذي أنتم عليه, من قولهم: فلان حسن الطريقة. ذكر من قال ذلك:

18257ـ حدثني يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: قال ابن زيد, في قوله: وَيَذْهَبا بِطَرِيقَتِكُمُ المُثْلَى قال: يذهبا بالذي أنتم عليه, يغير ما أنتم عليه. وقرأ: ذَرُونِي أَقْتُلْ مُوسَى وَلْيَدْعُ رَبّهُ إنّي أخافُ أنْ يُبَدّلَ دِينَكُمْ أوْ أنْ يُظْهِرَ فِي الأرْضِ الفَسادَ قال: هذا قوله: وَيَذْهَبا بِطَرِيقَتِكُمُ المُثْلَى وقال: يقول طريقتكم اليوم طريقة حسنة, فإذا غيرت ذهبت هذه الطريقة.

ورُوي عن علي في معنى قوله: وَيَذْهَبا بِطَرِيقَتِكُمُ المُثْلَى ما:

18258ـ حدثنا به القاسم, قال: حدثنا الحسين, قال: حدثنا هشيم, قال: أخبرنا عبد الرحمن بن إسحاق, عن القاسم, عن عليّ بن أبي طالب, قال: يصرفان وجوه الناس إليهما.

قال أبو جعفر: وهذا القول الذي قاله ابن زيد في قوله: ويَذْهَبا بِطَرِيقَتِكُمُ المُثْلَى وإن كان قولاً له وجه يحتمله الكلام, فإن تأويل أهل التأويل خلافه, فلا أستجيز لذلك القول به.

الآية : 64

القول في تأويل قوله تعالى: {فَأَجْمِعُواْ كَيْدَكُمْ ثُمّ ائْتُواْ صَفّاً وَقَدْ أَفْلَحَ الْيَوْمَ مَنِ اسْتَعْلَىَ }.

اختلفت القرّاء في قراءة قوله: فأجْمِعُوا كَيْدَكُمْ فقرأته عامة قرّاء المدينة والكوفة فأجْمِعُوا كَيْدَكُمْ بهمز الألف من فأجْمِعُوا, ووجّهوا معنى ذلك إلى: فأحكموا كيدكم, واعزموا عليه من قولهم: أجمع فلان الخروج, وأجمع على الخروج, كما يقال: أزمع عليه ومنه قول الشاعر:

يا لَيْت شعْرِي والمُنى لا تَنْفَعُهَلْ أغْدُوَنْ يَوْما وأمْرِيَ مُجْمَعُ

يعني بقوله: «مجمع» قد أحكم وعزم عليه ومنه قول النبيّ صلى الله عليه وسلم: «مَنْ لَمْ يُجْمِعْ عَلى الصّوْمِ مِن اللّيْلِ فَلا صَوْم لَهُ».

وقرأ ذلك بعض قرّاء أهل البصرة: «فاجْمِعُوا كَيْد كُمْ» بوصل الألف, وترك همزها, من جمعت الشيء, كأنه وجّهه إلى معنى: فلا تدَعوا من كيدكم

شيئا إلا جئتم به. وكان بعض قارئي هذه القراءة يعتلّ فيما ذُكر لي لقراءته ذلك كذلك بقوله: فَتَوّلى فِرْعَوْنُ فَجَمَعَ كَيْدَهُ.

قال أبو جعفر: والصواب في قراءة ذلك عندنا همز الألف من أجمع, لإجماع الحجة من القرّاء عليه, وأن السحرة هم الذين كانوا به معروفين, فلا وجه لأن يقال لهم: اجمعوا م ا دعيتم له مما أنتم به عالمون, لأن المرء إنما يجمع ما لم يكن عنده إلى ما عنده, ولم يكن ذلك يوم تزيد في علمهم بما كانوا يعملونه من السحر, بل كان يوم إظهاره, أو كان متفرّقا مما هو عنده, بعضه إلى بعض, ولم يكن السحر متفرّقا عندهم فيجمعونه. وأما قوله: فَجَمَعَ كَيْدَهُ فغير شبيه المعنى بقوله فَأجمِعُوا كَيْدَكُمْ وذلك أن فرعون كان هو الذي يجمع ويحتفل بما يغلب به موسى مما لم يكن عنده مجتمعا حاضرا, فقيل: فتولى فرعون فجمع كيده.

وقوله: ثُمّ ائْتُوا صَفّا يقول: احضروا وجيئوا صفا والصفّ ههنا مصدر, ولذلك وحد, ومعناه: ثم ائتوا صفوفا, وللصفّ في كلام العرب موضع آخر, وهو قول العرب: أتيت الصفّ اليوم, يعني به المصلى الذي يصلى فيه.

وقوله: وَقَدْ أفْلَحَ اليَوْمَ مَنِ اسْتَعْلَى يقول: قد ظفر بحاجته اليوم من علا على صاحبه فقهره, كما:

18259ـ حدثنا ابن حميد, قلا: حدثنا سلمة, عن ابن إسحاق, قال: حُدثت عن وهب بن منبه, قال: جمع فرعون الناس لذلك الجمع, ثم أمر السحرة فقال: ائْتُوا صَفّا وَقَدْ أفْلَحَ اليَوْمَ مَنِ اسْتَعْلَى أي قد أفلح من أفلج اليوم على صاحبه.

الآية : 65 و 66

القول في تأويل قوله تعالى: {قَالُواْ يَمُوسَىَ إِمّآ أَن تُلْقِيَ وَإِمّآ أَن نّكُونَ أَوّلَ مَنْ أَلْقَىَ * قَالَ بَلْ أَلْقُواْ فَإِذَا حِبَالُهُمْ وَعِصِيّهُمْ يُخَيّلُ إِلَيْهِ مِن سِحْرِهِمْ أَنّهَا تَسْعَىَ }.

يقول تعالى ذكره: فأجمعت السحرة كيدهم, ثم أتوا صفا فقالوا لموسى: يا مُوسعى إمّا أنْ تُلْقِيَ وإمّا أنْ نَكُونَ أوّلَ مَ نْ ألْقَ ى وترك ذكر ذلك من الكلام اكتفاء بدلالة الكلام عليه.

واختلف في مبلغ عدد السحرة الذين أتوا يومئذٍ صفا, فقال بعضهم: كانوا سبعين ألف ساحر, مع كلّ ساحر منهم حبل وعصا. ذكر من قال ذلك:

18260ـ حدثني يعقوب بن إبراهيم, قال: حدثنا ابن علية, عن هشام الدستوائي, قال: حدثنا القاسم بن أبي بزّة, قال: جمع فرعون سبعين ألف ساحر, فألقوا سبعين ألف حبل, وسبعين ألف عصا فألقى موسى عصاه, فإذا هي ثعبان مبين فاغر به فاه, فابتلع حبالهم وعصيهم, فَأُلْقِيَ السّحَرَةُ سُجّدا عند ذلك, فما رفعوا رءوسهم حتى رأوا الجنة والنار وثواب أهلهما, فعند ذلك قالُوا لَنْ نُؤْثِرَكَ عَلى ما جاءنا مِنَ البَيّنات.

وقال آخرون: بل كانوا نيفا وثلاثين ألف رجل. ذكر من قال ذلك:

18261ـ حدثنا موسى, قال: حدثنا عمرو, قال: حدثنا أسباط, عن السديّ, قال: قَالو يا مُوسَى إمّا أنْ تُلْقِيَ وَإمّا أنْ نَكونَ نحْنُ المُلْقِينَ قالَ لهُمْ مُوسَى: ألقوا, فألقوا حبالهم وعصيهم, وكانوا بضعة وثلاثين ألف رجل ليس منهم رجل إلا ومعه حبل وعصا.

وقال آخرون: بل كانوا خمسة عشر ألفا. ذكر من قال ذلك:

18262ـ حدثنا ابن حميد, قال: حدثنا سلـمة, عن ابن إسحاق, قال: حدثت عن وهب بن منبه, قال: صف خمسة عشر ألف ساحر, مع كلّ ساحر حبـاله وعصيه.

وقال آخرون: كانوا تسع مئة. ذكر من قال ذلك:

18263ـ حدثنا القاسم, قال: حدثنا الـحسين, قال: ثنـي حجاج, ع ـن ابـن جُرَيج, قال: كان السـحرة ثلاث مئـة مـن العريـش, وثلاث مئـة مـن فـيوم, ويشكون فـي ثلاث مئة من الإسكندرية فقـالوا لـموسى: إمـا أن تلقــي مـا معك قبلنا, وإما أن نلقـي ما معنا قبلك, وذلك قوله: وإمّا أَنْ نَكُونَ أوّلَ مَـنْ أَلْقَـى وأنّ فـي قوله: إمّا أنْ فـي موضع نصب, وذلك أن معنى الكلام: اخـتر يا موسى أحد هذين الأمريـن: إمـا أن تلقــي قبلنـا, وإمـا أن نكـون أوّل مـن ألقـي, ولو قال قائل: هو رفع, كان مذهبـا, كأنه وجّهه إلـى أنـه خـبر, كقـول القائل:

فَسِيرَا فإمّا حاجَةً تَقْضِيانِهاوإمّا مَقِـيـلٌ صَالِـحٌ وصَدِيقُ

وقوله: قالَ بَلْ أَلْقُوا يقول تعالـى ذكره: قال موسى للسحرة: بل ألقـوا أنتـم ما معكم قبلـي. وقوله: فإذَا حِبـالُهُمْ وَعصِيّهُمْ يُخَيّـلُ إلَـيْهِ مِنْ سِـحْرِهِمْ أنّهَا تَسْعَى, وفـي هذا الكلام مـتروك, وهـو: فـألقوا مـا معهـم مـن الـحبــال والعصيّ, فإذا حبـالهم, ترك ذكره استغناء بدلالة الكلام الذي ذكر علـيه عنه. وذُكر أن السحرة سحروا عين موسى وأعين الناس قبـل أن يــلقوا حبــالهم وعصيهم, فخيـل حينئذٍ إلـى موسى أنها تسعى, كما:

18264ـ حدثنا ابن حميد, قال: حدثنا سلـمة, عن ابن إسحاق, قال: حُدثت عن وهب بن منبه, قال: قالوا يا موسى, إمّا أنْ تُلْقِـيَ وَإمّا أنْ نَكُونَ أوّلَ مَنْ أَلْقَـى قالَ بَلْ أَلْقُـوا فكـان أوّل مـا اختطفـوا بسـحرهم بصـر موسـى وبصـر فرعون, ثم أبصار الناس بعد, ثـم ألقــى كـلّ رجـل منهـم مـا فـي يـده مـن العصي والـحبـال, فإذا هي حيات كأمثال الـحبــال, قـد ملأت الـوادي يركـب بعضها بعضا.

واختلفت القراءة فـي قـراءة قـوله: يُخَيّــلُ إلَــيْهِ فقـرأ ذلـك عامـة قـرّاء الأمصار يُخَيّـلُ إلَـيْهِ بـالـياء بـمعنى: يخيــل إلــيهم سـعيها. وإذا قرىـء ذلـك كذلك, كانت «أن» فـي موضع رفع. ورُوي عـن الــحسن البصـري أنـه كـان يقرؤه: «تُـخَيّـلُ» بـالتاء, بــمعنى: تـخيــل حبــالهم وعصـيهم بأنهـا تسـعى. ومن قرأ ذلك كذلك, كانت «أن» فـي موضع نصب لتعلـق تـخيــل بهـا. وقـد ذُكر عن بعضهم أنه كان يقرؤه: «تُـخَيّـلُ إلَـيْهِ» بـمعنى: تتـخيــل إلــيه. وإذا قرىء ذلك كذلك أيضا ف«أن» فـي موضع نصب بـمعنى: تتـخيـل بــالسعي لهم.

والقراءة التـي لا يجوز عندي فـي ذلك غيرها يُخَيّـلُ بـالـياء, لإجماع الـحجة من القراء علـيه.

الآية : 67 - 69

القول فـي تأويـل قوله تعالـى: {فَأَوْجَسَ فِي نَفْسِهِ خِيفَةً مّوسَىَ * قُلْنَـا لاَ تَخَفْ إِنّكَ أَنتَ الأَعْلَىَ * وَأَلْقِ مَا فِي يَمِينِكَ تَلْقَفْ مَا صَـنَعُوَاْ إِنّمَـا صَـنَعُواْ كَيْدُ سَاحِرٍ وَلاَ يُفْلِحُ السّاحِرُ حَيْثُ أَتَىَ }.

يعنـي تعالـى ذكره بقوله: فأوجس فــي نفسـه خوفــا موسـى فوجـده. وقوله: قُلْنا لا تَـخَفْ إنّكَ أنْتَ الأعْلَـى يقول تعالــى ذكـره: قلنـا لــموسى إذ أوجس فـي نفسه خيفة: لا تَـخَفْ إنّـكَ أنْـتَ الأَعْلَــى علـ ى هـؤلاء السـحرة,

وعلى فرعون وجنده, والقاهر لهم وألْقِ ما فِي يَمينِكَ تَلْقَفْ ما صَنَعُوا يقول: وألق عصاك تبتلع حبالهم وعصيهم التي سحروها حتى خيل إليك أنها تسعى.

وقوله: إنّمَا صَنَعُوا كَيْدُ ساحِرٍ اختلفت القرّاء في قراءة قوله, فقرأته عامة قرّاء المدينة والبصرة وبعض قرّاء الكوفة إنّمَا صَنَعُوا كَيْدُ ساحِرٍ برفع كيد وبالألف في ساحر بمعنى: إن الذي صنعه هؤلاء السحرة كيد من ساحر. وقرأ ذلك عامة قرّاء الكوفة: «إنّمَا صَنَعُوا كَيْدُ سِحْرٍ» برفع الكيد وبغير الألف في السحر بمعنى إن الذي صنعوه كيد سحر.

والقول في ذلك عندي أنهما قراءتان مشهورتان متقاربتا المعنى, وذلك أن الكيد هو المكر والخدعة, فالساحر مكره وخدعته من سحر يسحر, ومكر السحر وخدعته: تخيله إلى المسحور, على خلاف ما هو به في حقيقته, فالساحر كائد بالسحر, والسحر كائد بالتخييل, فإلى أيهما أضفت الكيد فهو صواب. وقد ذُكر عن بعضهم أنه قرأ: «كَيْدَ سِحْرٍ» بنصب كميد. ومن قرأ ذلك كذلك, جعل إنما حرفا واحدا وأعمل صنعوا في كيد.

قال أبو جعفر: وهذه قراءة لا أستجيز القراءة بها لإجماع الحجة من القرّاء على خلافها.

وقوله: وَلا يُفْلِحُ السّاحِرُ حَيْثُ أتَى يقول: ولا يظفر الساحر بسحره بما طلب أين كان. وقد ذُكر عن بعضهم أنه كان يقول: معنى ذلك: أن الساحر يُقتل حيث وُجد. وذكر بعض نحويي البصرة, أن ذلك في حرف ابن مسعود: «وَلا يُفْلِحُ السّاحِرُ أيْنَ أتَى» وقال: العرب تقول: جئتك من حيث لا تعلم, ومن أين لا تعلم. وقال غيره من أهل العربية الأول: جزاء يقتل الساحر حيث أتى وأين أتى وقال: وما قول العرب: جئتك من حيث لا تعلم, ومن أين لا تعلم, فإنما هو جواب لم يفهم, فاستفهم كما قالوا: أي الماء والعشب.

الآية : 70 و 71

القول في تأويل قوله تعالى: {فَأُلْقِيَ السّحَرَةُ سُجّداً قَالُوَاْ آمَنّا بِرَبّ هَارُونَ وَمُوسَىَ * قَالَ آمَنتُمْ لَهُ قَبْلَ أَنْ ءَاذَنَ لَكُمْ إِنّهُ لَكَبِيرُكُمُ الّذِي عَلّمَكُمُ السّحْرَ فَلاُقَطّعَنّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ مّنْ خِلاَفٍ وَلاُصَلّبَنّكُمْ فِي جُذُوعِ النّخْلِ وَلَتَعْلَمُنّ أَيّنَآ أَشَدّ عَذَاباً وَأَبْقَىَ }.

وفي هذا الكلام متروك قد استغنى بدلالة ما ترك عليه هو: فألقى موسى عصاه, فتلقفت ما صنعوا فأُلْقِيَ السّحَرَةُ سُجّدا قالُوا آمَنّا بِرَبّ هارُونَ وَمُوسَى وذكر أن موسى لما ألقى ما في يده تحوّل ثعبانا, فالتقم كلّ ما كانت السحرة ألقته من الحبال والعصيّ. ذكر الرواية عمن قال ذلك:

18265ـ حدثنا ابن حميد, قال: حدثنا يعقوب, عن جعفر, عن سعيد, قال: لما اجتمعوا وألقوا ما في أيديهم من السحر, خيل إلَيْهِ مِنْ سِحْرِهِمْ أنّها تَسْعَى فأوْجَسَ فِي نَفْسِهِ خِيفَةً مُوسَى قُلْنا لا تَخَفْ إنّكَ أنْتَ الأعْلَى وألْقِ ما فِي يَمِينِكَ تَلْقَفْ ما صَنَعُوا فألقى عصاه فإذا هي ثعبان مبين. قال: فتحت فما لها مثل الدّحْل, ثم وضعت مشفرها على الأرض ورفعت الآخر, ثم استوعبت كلّ شيء ألقوه من السحر, ثم جاء إليها فقبض عليها, فإذا هي عصا, فخرّ السحرة سجدا قالُوا آمَنّا بِرَبّ هارُونَ وَموسَى قالَ آمَنْتُمْ لَهُ قَبْلَ أنْ آذَنَ لَكُمْ إنّهُ لَكَبِيرُكُمْ الّذِي عَلّمَكُمُ السّحْرَ فَلأقَطّعَنّ أيْدِيَكُمْ

وَأَرْجُلَكُمْ مِنْ خِلافٍ قال: فكان أوّل من قطع الأيدي والأرجل من خلاف فرعون وَلأُصَلِّبَنَّكُمْ فِي جُذُوعِ النَّخْلِ قال: فكان أوّل من صلب في جذوع النخل فرعون.

18266ـ حدثنا موسى بن هارون, قال: حدثنا عمرو, قال: حدثنا أسباط, عن السديّ فأَوْجَسَ فِي نَفْسِهِ خِيفَةً مُوسَى فأوحى الله إليه لا تَخَفْ وألْقِ ما في يَمِينَكَ تَلْقَفْ ما يأفِكُونَ فألْقَى عَصَاهُ فأكلت كلّ حية لهم فلما رأوا ذلك سجدوا وقَالُوا آمَنّا بِرَبّ الْعَالَمِينَ رَبّ هَارُونَ وَمُوسَى.

18267ـ حدثنا ابن حميد, قال: حدثنا سلمة, عن ابن إسحاق, قال: حُدثت عن وهب بن منبه فأَوْجَسَ فِي نَفْسِهِ خِيفَةً مُوسَى لما رأى ما ألقوا من الحبال والعصيّ وخيل إليه أنها تسعى, وقال: والله إن كانت لعصيا في أيديهم, ولقد عادت حيات, وما تعدو عصاي هذه, أو كما حدّث نفسه, فأوحى الله إليه أن ألْقِ ما في يَمِينكَ تَلْقَفْ ما صَنَعُوا إنّمَا صَنَعُوا كَيْدُ ساحِرٍ وَلا يُفْلِحُ السّاحِرُ حَيْثُ أتَى وفرح موسى فألقى عصاه من يده, فاستعرضت ما ألقوا من حبالهم وعصيهم, وهي حيات في عين فرعون وأعين الناس تسعى, فجعلت تلقفها, تبتلعها حية حية, حتى ما يرى بالوادي قليل ولا كثير مما ألقوا, ثم أخذها موسى فإذا هي عصا في يده كما كانت, ووقع السحرة سجدا, قالوا: آمنا بربّ هارون وموسى, لو كان هذا سحر ما غلبنا.

وقوله: قالَ آمَنْتُمْ لَهُ قَبْلَ أنْ آذَنَ لَكُمْ يقول جلّ ثناؤه: وقال فرعون للسحرة: أصدّقتم وأقررتم لموسى بما دعاكم إليه من قبل أن أطلق ذلك لكم إنّهُ لكَبيركُم يقول: إن موسى لعظيمكم الّذي عَلّمَكُمُ السّحْرَ. كما:

18268ـ حدثنا ابن حميد, قال: حدثنا سلمة, عن ابن إسحاق, قال: حُدثت عن وهب بن منبه, قال: لما قالت السحرة: آمَنّا بِرَبّ هارُونَ وَمُوسَى قال لهم فرعون, وأسف ورأى الغلبة والبينة: آمَنْتُمْ لَهُ قَبْلَ أنْ آذَنَ لَكُمْ إنّهُ لَكَبِيرُكُمْ الّذِي عَلّمَكُمُ السّحْرَ: أي لعظيم السحار الذي علمكم. وقوله: فَلأُقَطّعَنّ أيْدِيَكُمْ وأرْجُلَكُمْ مِنْ خِلافٍ يقول: فلأقطعنّ أيديكم وأرجلكم مخالفا بين قطع ذلك, وذلك أن يقطع يمنى اليدين ويسرى الرجلين, أو يسرى اليدين, ويمنى الرجلين, فيكون ذلك قطعا من خلاف, وكان فيما ذُكر أوّل من فعل ذلك فرعون, وقد ذكرنا الرواية بذلك. وقوله: وَلأُصَلّبَنّكُمْ فِي جُذُوعِ النّخْلِ يقول: ولأصلبنكم على جذوع النخل, كما قال الشاعر:

هُمْ صَلَبُوا العَبْدِيّ فِي جِذْعِ نَخْلَةٍفَلا عَطَسَتْ شَيْبانُ إلاّ بأجْدَعا

يعني على جذع نخلة, وإنما قيل: في جذوع, لأن المصلوب على الخشبة يرفع في طولها, ثم يصير عليها, فيقال: صلب عليها.

18269ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة, قوله: وَلأُصَلّبَنّكُمْ فِي جُذُوعِ النّخْلِ لما رأى السحرة ما جاء به عرفوا أنه من الله فخروا سجدا, وآمنوا عند ذلك, قال عدوّ الله: فَلأُقَطّعَنّ أيْدِيَكُمْ وَأرْجُلَكمْ مِنْ خِلافٍ... الآية.

18270ـ حدثنا موسى بن هارون, قال: حدثنا عمرو, قال: حدثنا أسباط, عن السديّ, قال فرعون: لأُقَطّعَنّ أيْدِيَكُمْ وأرْجُلَكُمْ مِن خِلافٍ وَلأُصَلّبَنّكُمْ فِي جُذُوعِ النّخْلِ فقتلهم وقطعهم, كما قال عبد الله بن عباس حين قالوا: رَبّنا أفْرِغْ عَلَيْنا صَبْرا وَتَوَفّنا مُسْلِمِينَ وقال: كانوا في أوّل النهار سحرة, وفي آخر النهار شهداء.

وقوله: وَلَتَعْلَمُنّ أيّنا أشَدّ عَذَابا وأبْقَى يقول: ولتعلمنّ أيها السحرة أينا أشدّ عذابا لكم, وأدوم, أنا أو موسى.

الآية : 72 و 73

القول في تأويل قوله تعالى: {قَالُواْ لَن نّؤْثِرَكَ عَلَىَ مَا جَآءَنَا مِنَ الْبَيّنَاتِ وَالّذِي فَطَرَنَا فَاقْضِ مَآ أَنتَ قَاضٍ إِنّمَا تَقْضِي هَـَذِهِ الْحَيَاةَ الدّنْيَآ * إِنّآ آمَنّا بِرَبّنَا لِيَغْفِرَ لَنَا خَطَايَانَا وَمَآ أَكْرَهْتَنَا عَلَيْهِ مِنَ السّحْرِ وَاللّهُ خَيْرٌ وَأَبْقَىَ }.

يقول تعالى ذكره: قالت السحرة لفرعون لما توعدهم بما توعّدهم به: لَنْ نُؤْثِرَكَ فنتبعك ونكذّب من أجلك موسى عَلى ما جاءَنا مِنَ البّيّناتِ يعني من الحجج والأدلة على حقيقة ما دعاهم إليه موسى. وَالّذِي فَطَرَنا يقول: قالوا: لن نؤثرك على الذي جاءنا من البينات, وعلى الذي فطرنا. ويعني بقوله: فَطَرنا خلقنا فالذي من قوله: وَالّذِي فَطَرنا خفض على قوله: ما جاءَنا, وقد يحتمل أن يكون قوله: وَالّذِي فَطَرنا خفضا على القسم, فيكون معنى الكلام: لن نؤثرك على ما جاءنا من البيّنات والله. وقوله: فاقْضِ ما أنْتَ قاضٍ يقول: فاصنع ما أنت صانع, واعمل بنا ما بدا لك إنما تَقْضِي هَذِهِ الحَياةَ الدّنيا يقول: إنما تقدر أن تعذّبنا في هذه الحياة الدنيا التي تفنى. ونصب الحياة الدنيا على الوقت وجعلت إنما حرفا واحدا. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

18271ـ حدثنا ابن حميد, قال: حدثنا سلمة, عن ابن إسحاق, قال: حُدثت عن وهب بن منبه لَنْ نُؤْثرَكَ عَلى م ا جاءَنا مِنَ البَيّناتِ وَالّذِي فَطَرَنا أي على الله على ما جاءنا من الحجج مع بينة فاقْضِ ما أنْتَ قاضٍ: أي اصنع ما بدا لك إنّمَا تَقْضِي هَذِهِ الحَيَاةَ الدّنيا أي ليس سلطان إلا فيها, ثم لا سلطان لك بعده.

وقوله: إنّا آمَنّا بِرَبّنا لِيَغْفِرَ لَنا خَطايانا يقول تعالى ذكره: إنا أقررنا بتوحيد ربنا, وصدقنا بوعده ووعيده. وأن ما جاء به موسى حقّ لِيَغْفِرَ لَنا خَطايانا يقول: ليعفو لنا عن ذنوبنا فيسترها علينا وَما أكْرَهْتَنا عَلَيْهِ مِن السّحْرِ يقول: ليغفر لنا ذنوبنا, وتعلمنا ما تعلمناه من السحر, وعملنا به الذي أكرهتنا على تعلّمه والعمل به. وذُكر أن فرعون كان أخذهم بتعليم السحر. ذكر من قال ذلك:

18272ـ حدثني موسى بن سهل, قال: حدثنا نعيم بن حماد, قال: حدثنا سفيان بن عيينة, عن أبي سعيد, عن عكرمة, عن ابن عباس, في قول الله تبارك وتعالى: وَما أكْرَهْتَنا عَلَيْهِ مِنَ السّحْرِ قال: غلمان دفعهم فرعون إلى السحرة, تعلمهم السحر بالفَرَما.

18273ـ حدثني يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: قال ابن زيد, في قوله: وَما أكْرَهْتَنا عَلَيْهِ مِنَ السّحْرِ قال: أمرهم بتعلم السحر, قال: تركوا كتاب الله, وأمروا قومهم بتعليم السحر.

وَما أكْرَهْتَنا عَلَيْهِ مِنَ السّحْرِ قال: أمرتنا أن نتعلمه.

وقوله: وَاللّهُ خَيْرٌ وأبْقَى يقول: والله خير منك يا فرعون جزاء لمن أطاعه, وأبقى عذابا لمن عصاه وخالف أمره, كما:

18274ـ حدثنا ابن حميد, قال: حدثنا سلمة, عن ابن إسحاق وَاللّه خَيْرٌ وأبْقَى: خير منك ثوابا, وأبقى عذابا.

18275ـ حدثنا القاسم, قال: حدثنا الحسين, قال: ثني حجاج, عن أبي معشر, عن محمد بن كعب, ومحمد بن قيس في قول الله: وَاللّهُ خَيْرٌ وأبْقَى قالا: خيرا منك إن أُطِيع, وأبقى منك عذابا إن عُصي.

الآية : 74 و 75

القول في تأويل قوله تعالى: {إِنّهُ مَن يَأْتِ رَبّهُ مُجْرِماً فَإِنّ لَهُ جَهَنّمَ لاَ يَمُوتُ فِيهَا وَلاَ يَحْيَىَ * وَمَن يَأتِهِ مُؤْمِناً قَدْ عَمِلَ الصّالِحَاتِ فَأُوْلَـئِكَ لَهُمُ الدّرَجَاتُ الْعُلَىَ }.

يقول تعالى ذكره مخبرا عن قيل السحرة لفرعون: إنّهُ مَنْ يأْتِ ربه من خلقه مُجْرِما يقول: مكتسبا الكفر به, فإنّ لَهُ جَهَنّمَ يقول: فإن له جهنم مأوى ومسكنا, جزاء له على كفره لا يَمُوتُ فِيها فتخرج نفسه وَلا يَحْيا فتستقرّ نفسه في مقرّها فتطمئنّ, ولكنها تتعلق بالحناجر منهم وَمَنْ يَ أْتِهِ مُؤْمِنا موحدا لا يُشرك به قَدْ عَمِلَ الصّالِحاتِ يقول: قد عمل ما أمره به ربه, وانتهى عما نهاه عنه فأُولَئِكَ لَهُمُ الدّرَجاتُ العُلَى يقول: فأولئك الذين لهم درجات الجنة العُلَى.

الآية : 76

القول في تأويل قوله تعالى: {جَنّاتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَلِكَ جَزَآءُ مَن تَزَكّىَ }.

يقول تعالى ذكره: وَمَنْ يَأتِهِ مُؤْمِنا قَدْ عَمِلَ الصّالِحاتِ فأُولَئِكَ لَهُمُ الدّرَجاتُ العُلَى. ثم بين تلك الدرجات العلى ما هي, فقال: هن جَنّاتُ عَدْنٍ يعني: جنات إقامة لا ظعن عنها ولا نفاد لها ولا فناء تَجْرِي مِنْ تَحْتِها الأنهَارُ يقول: تجري من تحت أشجارها الأنهار خالِدِينَ فِيها يقول: ماكثين فيها إلى غير غاية محدودة فالجنات من قوله جَنّاتُ عَدْنٍ مرفوعة بالردّ على الدرجات, كما:

18276ـ حدثنا القاسم, قال: حدثنا الحسين, قال: ثني حجاج, عن ابن جريج, في قوله: وَمَنْ يأتِهِ مُؤْمِنا قَدْ عَمِلَ الصّالِحاتِ فَأُولَئِكَ لَهُمُ الدّرَجاتُ العُلى قال: عَدْن.

الآية : 77

وقوله: وَذلكَ جَزاءُ مَنْ تَزَكّى يقول: وهذه الدرجات العُلى التي هي جنات عدن على ما وصف جلّ جلاله ثواب من تزكى, يعني: من تطهر من الذنوب, فأطاع الله فيما أمره, ولم يدنس نفسه بمعصيته فيما نهاه عنه.)

القول في تأويل قوله تعالى: {وَلَقَدْ أَوْحَيْنَآ إِلَىَ مُوسَىَ أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِي فَاضْرِبْ لَهُمْ طَرِيقاً فِي الْبَحْرِ يَبَساً لاّ تَخَافُ دَرَكاً وَلاَ تَخْشَىَ }.

يقول تعالى ذكره: وَلَقَدْ أَوْحَيْنا إلى نبينا مُوسَى إذ تابعنا له الحجج على فرعون, فأبى أن يستجيب لأمر ربه, وطغى وتمادى في طغيانه أنْ أسْرِ ليلاً بِعبادِي يعني بعبادي من بني إسرائيل فاضْرِبْ لَهُمْ طَرِيقا فِي البَحْرِ يَبَسا يقول: فاتخذ لهم في البحر طريقا يابسا. واليَبَس واليَبْس: يجمع أيباس, تقول: وقفوا في أيباس من الأرض. واليَبْس المخفف: يجمع يبوس. وبنحو الذي قلنا في ذلك, قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

18277ـ حدثني محمد بن عمرو, قال: حدثنا أبو عاصم, قال: حدثنا عيسى وحدثني الحارث, قال: حدثنا الحسن, قال: حدثنا ورقاء, جميعا عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد, قوله يَبَسا قال: يابسا.
حدثنا القاسم, قال: حدثنا الحسين, قال: ثني حجاج, عن ابن جُرَيْج, عن مجاهد, مثله.
وأما قوله: لا تَخافُ دَرَكا وَلا تَخْشَى فإنه يعني: لا تخاف من فرعون وجنوده أن يدركوك من ورائك, ولا تخشى غرقا من بين يديك ووَحَلاً. وبنحو الذي قلنا في تأويل ذلك, قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:
18278ـ حدثني عليّ, قال: حدثنا أبو صالح, قال: ثني معاوية, عن عليّ, عن ابن عباس, في قوله: لا تخافُ دَرَكا وَلا تَخْشَى يقول: لا تخافُ من آل فرعون دَرَكا وَلا تَخْشِى مِنَ البَحْرِ غرقا.
18279ـ حدثنا بِشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة لا تَخافُ دَرَكا وَلا تَخْشَى يقول: لا تخاف أن يدركك فرعون من بعدك ولا تخشى الغرق أمامك.
18280ـ حدثنا القاسم, قال: حدثنا الحسين, قال: ثني حجاج, قال: قال ابن جُرَيْج: قال أصحاب موسى: هذا فرعون قد أدركنا, وهذا البحر قد غشينا, فأنزل الله: لا تَخافُ دَرَكا أصحاب فرعون وَلا تَخْشَى من البحر وحلاً.
18281ـ حدثني أحمد بن الوليد الرملي, قال: حدثنا عمرو بن عون, قال: حدثنا هشيم, عن بعض أصحابه, في قوله: لا تَخافُ دَرَكا وَلا تَخْشَى قال: الوَحَل.
واختلفت القرّاء في قراءة قوله لا تَخافُ دَرَكا فقرأته عامّة قرّاء الأمصار غير الأعمش وحمزة: لا تَخافُ دَرَكا على الاستئناف بلا, كما قال: وَاصْطَبِرْ عَلَيْها لا نَسأَلُكَ رِزْقا فرفع, وأكثر ما جاء في هذا الأمر الجواب مع «لا». وقرأ ذلك الأعمش وحمزة «لا تَخَفْ دَرَكا» فجزما لا تخاف على الجزاء, ورفعا وَلا تَخْشَى على الاستئناف, كما قال جلّ ثناؤه: يُوَلّوكُمُ الأدْبارَ ثُمّ لا يُنْصَرُونَ فاستأنف بثم, ولو نوى بقوله: ولاَ تَخْشَى الجزم, وفيه الياء, كان جائزا, كما قال الراجز:
هُزّي إلَيْكِ الجِذْعَ يَجْنِيكِ الجَنى
وأعجب القراءتين إليّ أن أقرأ بها: لا تخافُ على وجه الرفع, لأن ذلك أفصح اللغتين, وإن كانت الأخرى جائزة. وكان بعض نحويي البصرة يقول: معنى قوله: لا تَخافُ دَرَكا اضرب لهم طريقا لا تخاف فيه دركا, قال: وحذف فيه, كما تقول: زيد أكرمت, وأنت تريد: أكرمته, وكما تقول: وَاتّقُوا يَوْما لا تَجْزِي نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيْئا أي لا تجزى فيه. وأما نحويو الكوفة فإنهم ينكرون حذف فيه إلا في المواقيت, لأنه يصلح فيها أن يقال: قمت اليوم وفي اليوم, ولا يجيزون ذلك في الأسماء.

الآية : 78 و 79

القول في تأويل قوله تعالى: {فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ بِجُنُودِهِ فَغَشِيَهُمْ مّنَ الْيَمّ مَا غَشِيَهُمْ * وَأَضَلّ فِرْعَوْنُ قَوْمَهُ وَمَا هَدَىَ }.
يقول تعالى ذكره: فسرى موسى ببني إسرائيل إذا أوحينا إليه أن أَسْرِبهم, فأتبعهم فرعون بجنوده حين قطعوا البحر, فغشي فرعون وجنده من اليم ما غشيهم, فغرقوا جميعا وَأضَلّ فِرْعَوْنُ قَوْمَهُ وَما هَدَى يقول جلّ

ثناؤه: وجاوز فرعون بقومه عن سواء السبيل, وأخذ بهم على غير استقامة, وذلك أنه سلك بهم طريق أهل النار, بأمرهم بالكفر بالله, وتكذيب رسله وَما هَدَى يقول: وما سلك بهم الطريق المستقيم, وذلك أنه نهاهم عن اتباع رسول الله موسى, والتصديق به, فأطاعوه, فلم يهدهم بأمره إياهم بذلك, ولم يهتدوا باتباعهم إياه.

الآية : 80 و 81

القول في تأويل قوله تعالى: {يَبَنِي إِسْرَائِيلَ قَدْ أَنجَيْنَاكُمْ مّنْ عَدُوّكُمْ وَوَاعَدْنَاكُمْ جَانِبَ الطُّورِ الأيْمَنَ وَنَزّلْنَا عَلَيْكُمُ الْمَنّ وَالسّلْوَىَ * كُلُواْ مِن طَيّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَلاَ تَطْغَوْاْ فِيهِ فَيَحِلّ عَلَيْكُمْ غَضَبِي وَمَن يَحْلِلْ عَلَيْهِ غَضَبِي فَقَدْ هَوَىَ }.

يقول تعالى ذكره: فلما نجا موسى بقومه من البحر, وغَشِيَ فرعون قومه من اليم ما غشيهم, قلنا لقوم موسى: يَا بَنِي إسْرَائِيلَ قَدْ أنْجَيْناكُمْ مِنْ عَدُوّكُمْ فرعون وَوَاعَدْناكُمْ جانِبَ الطّورِ الأيمَنَ وَنَزّلْنا عَلَيْكُمُ المَنّ والسّلْوَى وقد ذكرنا كيف كانت مواعدة الله موسى وقومه جانب الطور الأيمن. وقد بيّنا المنّ والسلوى باختلاف المختلفين فيهما, وذكرنا الشواهد على الصواب من القول في ذلك فيما مضى قبل, بما أغنى عن إعادته في هذا الموضع.

واختلفت القرّاء في قراءة قوله: قَدْ أنْجَيْناكُمْ فكانت عامة قرّاء المدينة والبصرة يقرءونه: قَد أنْجَيْناكُمْ بالنون والألف وسائر الحروف الأخر معه كذلك, وقرأ ذلك عامة قرّاء الكوفة: «قَدْ أنْجَيْتُكُمْ» بالتاء, وكذلك سائر الحروف الأخر, إلا قوله: وَنَزّلْنا عَلَيْكُمُ المَنّ والسّلْوَى فإنهم وافقوا الآخرين في ذلك وقرءوه بالنون والألف.

والقول في ذلك عندي أنهما قراءتان معروفتان باتفاق المعنى, فبأيتهما قرأ القارىء ذلك فمصيب.

وقوله: كُلُوا مِنْ طَيّباتِ ما رَزَقْناكُمْ يقول تعالى ذكره لهم: كلوا يا بني إسرائيل من شهيات رزقنا الذي رزقناكم, وحلاله الذي طيبناه لكم وَلا تَطْغَوْا فِيهِ يقول: ولا تعتدوا فيه, ولا يظلم فيه بعضكم بعضا, كما:

18282ـ حدثنا عليّ, قال: حدثنا أبو صالح, قال: ثني معاوية, عن عليّ, عن ابن عباس قول: وَلا تَطْغَوْا فِيهِ يقول: ولا تظلموا.

وقوله: فَيَحِلّ عَلَيْكُمْ غَضَبِي يقول: فينزل عليكم عقوبتي, كما:

18283ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد عن قتادة, قوله: فَيَحلّ عَلَيْكُمْ غَضَبِي يقول: فينزل عليكم غضبي.

واختلفت القرّاء في قراءة ذلك, فقرأته عامة قرّاء الحجاز والمدينة والبصرة والكوفة فَيَحِلّ عَلَيْكُمْ بكسر الحاء وَمَنْ يَحْلِلْ بكسر اللام. ووجهوا معناه إلى: فيجب عليكم غضبي. وقرأ ذلك جماعة من أهل الكوفة: «فَيَحُلّ عَلَيْكُمْ» بضم الحاء, ووجهوا تأويله إلى ما ذكرنا عن قَتادة من أنه: فيقع وينزل عليكم غضبي.

قال أبو جعفر: والصواب من القول في ذلك أنهما قراءتان مشهورتان قد قرأ بكل واحدة منهما علماء من القرّاء, وقد حذّر الله الذين قيل لهم هذا القول من بني إسرائيل وقوع بأسه بهم ونزوله بمعصيتهم إياه إن هم عصوه, وخوّفهم وجوبه لهم, فسواء قرىء ذلك بالوقوع أو بالوجوب, لأنهم كانوا قد خوّفوا المعنيين كليهما.

الآية : 82

القول في تأويل قوله تعالى: {وَإِنّي لَغَفّارٌ لّمَن تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحَاً ثُمّ اهْتَدَىَ }.

يقول تعالى ذكره: ومن يجب عليه غضبي, فينزل به. فقد هوى, يقول فقد تردّى فشقي, كما:

18284ـ حدثني عليّ, قال: حدثنا أبو صالح, قال: ثني معاوية, عن عليّ, عن ابن عباس, قوله: فَقَدْ هَوَى يقول: فقد شقِي.

وقوله: وإنّي لَغَفّارٌ لِمَنْ تابَ يقول: وإني لذو غفر لمن تاب من شركه, فرجع منه إلى الإيمان لي وآمن, يقول: وأخلص لي الألوهة, ولم يشرك في عبادته إياي غيري. وَعمِلَ صَالِحا يقول: وأدّى فرائضي التي افترضتها عليه, واجتنب معاصيّ. ثُمّ اهْتَدَى يقول: ثم لزم ذلك, فاستقام ولم يضيع شيئا منه.

وبنحو الذي قلنا في تأويل قوله: وإنّي لَغَفّرٌ لِمَنْ تابَ وآمَنَ وَعمِلَ صَالِحا ثُمّ اهْتَدَى قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

18285ـ حدثني عليّ, قال: حدثنا أبو صالح, قال: ثني معاوية, عن عليّ, عن ابن عباس, قوله: وإنّي لَغَفّارٌ لِمَنْ تابَ من الشرك وآمَنَ يقول: وحّد الله وَعمِلَ صَالِحا يقول: أدّى فرائضي.

18286ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة, قوله: وإنّي لَغَفّارٌ لِمَنْ تابَ من ذنبه وآمَنَ به وَعَمِلَ صَالِحا فيما بينه وبين الله.

18287ـ حدثنا القاسم, قال: حدثنا الحسين, قال: ثني حجاج, عن أبي جعفر الرازيّ, عن الربيع وإنّي لَغَفّارٌ لِمَنْ تابَ من الشرك وآمَنَ يقول: وأخلص لله, وعمل في إخلاصه.

واختلفوا في معنى قوله: ثُمّ اهْتَدَى فقال بعضهم: معناه: لم يشكُك في إيمانه. ذكر من قال ذلك:

18288ـ حدثني عليّ, قال: حدثنا عبد الله, قال: ثني معاوية, عن عليّ, عن ابن عباس, قوله: ثُمّ اهْتَدَى يقول: لم يشكُك.

وقال آخرون: معنى ذلك: ثم لزم الإيمان والعمل الصالح. ذكر من قال ذلك:

18289ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة ثُمّ اهْتَدَى يقول: ثم لزم الإسلام حتى يموت عليه.

وقال آخرون: بل معنى ذلك: ثم استقام. ذكر من قال ذلك:

18290ـ حدثنا القاسم, قال: حدثنا الحسين, قال: ثني حجاج, عن أبي جعفر الرازيّ, عن الربيع بن أنس ثُمّ اهْتَدَى قال: أخذ بسنة نبيه صلى الله عليه وسلم.

وقال آخرون: بل معناه: أصاب العمل. ذكر من قال ذلك:

18291ـ حدثني يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: قال ابن زيد في قوله: وَعمِلَ صَالِحا ثُمّ اهْتَدَى قال: أصاب العمل.

وقال آخرون: معنى ذلك: عرف أمر مُثيبه. ذكر من قال ذلك:

18292ـ حدثنا ابن حميد, قال: حدثنا حكام, عن عنبسة, عن الكلبيّ وإنّي لَغَفّارٌ لِمَنْ تابَ من الذنب وآمَنَ من الشرك وَعمِلَ صَالِحا أدّى ما

افترضت عليه ثُمّ اهْتَدَى عرف مثيبه إن خيرا فخيرا, وإن شرّا فشرّا. وقال آخرون بما:

18293ـ حدثنا إسماعيل بن موسى الفزاريّ, قال: أخبرنا عمر بن شاكر, قال: سمعت ثابتا البُنانيّ يقول في قوله: وإنّي لَغَفّارٌ لِمَنْ تابَ وآمَنَ وَعمِلَ صَالِحا ثُمّ اهْتَدَى قال: إلى ولاية أهل بيت النبيّ صلى الله عليه وسلم.

قال أبو جعفر: وإنما اخترنا القول الذي اخترنا في ذلك, من أجل أن الاهتداء هو الاستقامة على هدى, ولا معنى للاستقامة عليه إلا وقد جمعه الإيمان والعمل الصالح والتوبة, فمن فعل ذلك وثبت عليه, فلا شكّ في اهتدائه.

الآية : 83 و 84

القول في تأويل قوله تعالى: {وَمَآ أَعْجَلَكَ عَن قَومِكَ يَمُوسَىَ * قَالَ هُمْ أُوْلآءِ عَلَىَ أَثَرِي وَعَجِلْتُ إِلَيْكَ رَبّ لِتَرْضَىَ }.

يقول تعالى ذكره: وما أعجلك؟ وأيّ شيء أعجلك عن قومك يا موسى, فتقدمتهم وخلّفتهم وراءك, ولم تكن معهم؟ قال هُمْ أُولاءِ عَلى أَثَرَي يقول: قومي على أثري يَلْحَقُون بي. وَعَجِلْتُ إلَيْكَ رَبّ لِتَرْضَى يقول: وعجلت أنا فسبقتهم ربّ, كيما ترضى عني.

وإنما قال الله تعالى ذكره لموسى: ما أعجلك عن قومك؟ لأنه جلّ ثناؤه, فيما بلغنا, حين نجاه وبني إسرائيل من فرعون وقومه, وقطع بهم البحر, وعدَهم جانب الطور الأيمن, فتعجّل موسى إلى ربه, وأقام هارون من بني إسرائيل, يسير بهم على أثر موسى. كما:

18294ـ حدثنا ابن حميد, قال: حدثنا سلمة, عن ابن إسحاق, قال: وعد الله موسى حين أهلك فرعون وقومه ونجاه وقومه, ثلاثين ليلة, ثم أتمها بعشر, فتمّ ميقات ربه أربعين ليلة, تلقاه فيها بما شاء, فاستخلف موسى هارون من بني إسرائيل, ومعه السامريّ, يسير بهم على أثر موسى ليلحقهم به, فلما كلم الله موسى, قال له ما أَعْجَلَكَ عَنْ قَوْمِكَ يا موسى قالَ هُمْ أُولاءِ عَلى أَثَرِي وَعَجِلْتُ إلَيْكَ رَبّ لِتَرْضَى.

18295ـ حدثني يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: قال ابن زيد في قوله: وَعَجِلْتُ إلَيْكَ رَبّ لِتَرْضَى قال: لأرضيك.

الآية : 85 و 86

القول في تأويل قوله تعالى: {قَالَ فَإِنّا قَدْ فَتَنّا قَوْمَكَ مِن بَعْدِكَ وَأَضَلّهُمُ السّامِرِيّ * فَرَجَعَ مُوسَىَ إِلَىَ قَوْمِهِ غَضْبَانَ أَسِفاً قَالَ يَقَوْمِ أَلَمْ يَعِدْكُمْ رَبّكُمْ وَعْداً حَسَناً أَفَطَالَ عَلَيْكُمُ الْعَهْدُ أَمْ أَرَدتّمْ أَن يَحِلّ عَلَيْكُمْ غَضَبٌ مّن رّبّكُمْ فَأَخْلَفْتُمْ مّوْعِدِي }.

يقول الله تعالى ذكره قال الله لموسى: فإنا يا موسى قد ابتلينا قومك من بعدك بعبادة العجل, وذلك كان فتنتهم من بعد موسى. ويعني بقوله: مِنْ بَعْدِكَ: من بعد فراقك إياهم. يقول الله تبارك وتعالى: وأضَلّهُمُ السّامِرِيّ وكان إضلال السامريّ إياهم دعاءه إياهم إلى عبادة العجل.

وقوله: فَرَجَعَ مُوسَى إلى قومه يقول: فانصرف موسى إلى قومه من بني إسرائيل بعد انقضاء الأربعين ليلة غَضْبانَ أسِفا متغيظا على قومه, حزينا لما أحدثوه بعده من الكفر بالله. كما:
18296ـ حدثني محمد بن سعد, قال: ثني أبي, قال: ثني عمي, قال: ثني أبي, عن أبيه, عن ابن عباس قوله: غَضْبانَ أسِفا يقول: حزينا. وقال في الزخرف: فَلَمّا آسَفُونا يقول: أغضبونا, والأسف على وجهين: الغضب, والحزن.
18297ـ حدثني موسى, قال: حدثنا عمرو, قال: حدثنا أسباط, عن السديّ غَضْبانَ أسِفا يقول: حزينا.
18298ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة, قوله: وَلَمّا رَجَعَ مُوسَى إلى قَوْمِهِ غَضْبانَ أسِفا: أي حزينا على ما صنع قومه من بعده.
18299ـ حدثني محمد بن عمرو, قال: حدثنا أبو عاصم, قال: حدثنا عيسى وحدثني الحارث, قال: حدثنا الحسن قال: حدثنا ورقاء, جميعا عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد, قوله: أسِفا قال: حزينا.
حدثنا القاسم, قال: حدثنا الحسين, قال: ثني حجاج عن ابن جريج, عن مجاهد, مثله.
وقوله: قالَ يا قَوْمِ أَلَمْ يَعِدْكُمْ رَبّكُمْ وَعْدا حَسَنا يقول: ألم يعدكم ربكم أنه غفار لمن تاب وآمن وعمل صالحا ثم اهتدى, ويعدكم جانب الطور الأيمن, وينزل عليكم المنّ والسلوى, فذلك وعد الله الحسن بني إسرائيل الذي قال لهم موسى: ألم يعدكموه ربكم. وقوله: أفَطالَ عَلَيْكُمُ الْعَهْدُ أمْ أرَدْتُمْ أنْ يَحِلّ عَلَيْكُمْ غَضَبٌ مِنْ رَبّكُمْ يقول: أفطال عليكم العهد بي, وبجميل نعم الله عندكم, وأياديه لديكم, أم أردتم أن يحلّ عليكم غضب من ربكم: يقول: أم أردتم أن يجب عليكم غضب من ربكم فتستحقوه بعبادتكم العجل, وكفركم بالله, فأخلفتم موعدي. وكان إخلافهم موعده, عكوفهم على العجل, وتركهم السير على أثر موسى للموعد الذي كان الله وعدهم, وقولهم لهارون إذ نهاهم عن عبادة العجل, ودعاهم إلى السير معه في أثر موسى: لَنْ نَبْرَحَ عَلَيْهِ عاكِفِينَ حتى يَرْجِعَ إلَيْنا مُوسَى.

الآية : 87 و 88

القول في تأويل قوله تعالى: {قَالُواْ مَآ أَخْلَفْنَا مَوْعِدَكَ بِمَلْكِنَا وَلَـكِنّا حُمّلْنَآ أَوْزَاراً مّن زِينَةِ الْقَوْمِ فَقَذَفْنَاهَا فَكَذَلِكَ أَلْقَى السّامِرِيّ * فَأَخْرَجَ لَهُمْ عِجْلاً جَسَداً لّهُ خُوَارٌ فَقَالُواْ هَـَذَآ إِلَـَهُكُمْ وَإِلَـَهُ مُوسَىَ فَنَسِيَ }.
يقول تعالى ذكره: قال قوم موسى لموسى: ما أخلفنا موعدك, يعنون بموعده: عهده الذي كان عهده إليهم, كما:
18300ـ حدثني محمد بن عمرو, قال: حدثنا أبو عاصم, قال: حدثنا عيسى «ح» وحدثنا الحارث, قال: حدثنا الحسن, قال: حدثنا ورقاء, جميعا عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد, قوله: مَوْعِدِي قال: عهدي, وذلك العهد والموعد هو ما بيّناه قبل.
وقوله: بِمِلْكِنا يخبر جلّ ذكره عنهم أنهم أقروا على أنفسهم بالخطأ, وقالوا: إنا لم نطق حمل أنفسنا على الصواب, ولم نملك أمرنا حتى وقعنا في الذي وقعنا فيه من الفتنة.

وقد اختلفت القرّاء في قراءة ذلك, فقرأته عامة قرّاء المدينة: «بِمَلْكِنا» بفتح الميم, وقرأته عامة قرّاء الكوفة: «بِمُلْكِنا» بضم الميم, وقرأه بعض أهل البصرة بِمِلْكِنا بالكسر. فأما الفتح والضمّ فهما بمعنى واحد, وهما بقدرتنا وطاقتنا, غير أن أحدهما مصدر, والآخر اسم. وأما الكسر فهو بمعنى ملك الشيء وكونه للمالك.

واختلف أيضا أهل التأويل في تأويله, فقال بعضهم: معناه: ما أخلفنا موعدك بأمرنا. ذكر من قال ذلك:

18301ـ حدثني عليّ, قال: حدثنا عبد الله, قال: ثني معاوية, عن عليّ عن ابن عباس, قوله: ما أَخْلَفْنا مَوْعِدَكَ بِمَلْكِنا يقول: بأمرنا.

18302ـ حدثني محمد بن عمرو, قال: حدثنا أبو عاصم, قال: حدثنا عيسى وحدثني الحارث, قال: حدثنا الحسن, قال: حدثنا ورقاء, جميعا عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد, قوله: بِمَلْكِنا قال: بأمرنا.

حدثنا القاسم, قال: حدثنا الحسين, قال: ثني حجاج, عن ابن جريج, عن مجاهد, مثله.

وقال آخرون: معناه: بطاقتنا. ذكر من قال ذلك:

18303ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة قالُوا ما أَخْلَفْنا مَوْعِدَكَ بِمَلْكِنا: أي بطاقتنا.

18304ـ حدثنا موسى, قال: حدثنا عمرو, قال: حدثنا أسباط, عن السدي: قالُوا ما أَخْلَفْنا مَوْعِدَكَ بِمَلْكِنا يقول: بطاقتنا.

وقال آخرون: معناه: ما أخلفنا موعدك بهوانا, ولكنا لم نملك أنفسنا. ذكر من قال ذلك:

18305ـ حدثني يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: قال ابن زيد, في قوله: ما أَخْلَفْنا مَوْعِدَكَ بِمَلْكِنا قال: يقول بهوانا, قال: ولكنه جاءت ثلاثة, قال ومعهم حليّ استعاروه من آل فرعون, وثياب.

وقال أبو جعفر: وكلّ هذه الأقوال الثلاثة في ذلك متقاربات المعنى, لأن من لم يهلك نفسه, لغلبة هواه على ما أمر, فإنه لا يمتنع في اللغة أن يقول: فعل فلان هذا الأمر, وهو لا يملك نفسه وفعله, وهو لا يضبطها وفعله وهو لا يطيق تركه. فإذا كان ذلك كذلك, فسواء بأيّ القراءات الثلاث قرأ ذلك القارىء, وذلك أن من كسر الميم من الملك, فإنما يوجه معنى الكلام إلى ما أخلفنا موعدك, ونحن نملك الوفاء به لغلبة أنفسنا إيانا على خلافه, وجعله من قول القائل: هذا ملك فلان لما يملكه من المملوكات, وأن من فتحها, فإنه يوجه معنى الكلام إلى نحو ذلك, غير أنه يجعله مصدرا من قول القائل: ملكت الشيء أملكه ملكا وملكة, كما يقال: غلبت فلانا أغلبه غَلبا وغَلَبة, وأن من ضمها فإنه وجّه معناه إلى ما أخلفنا موعدك بسلطاننا وقدرتنا, أي ونحن نقدر أن نمتنع منه, لأن كل من قهر شيئا فقد صار له السلطان عليه. وقد أنكر بعض الناس قراءة من قرأه بالضمّ, فقال: أيّ ملك كان يومئذٍ لبني إسرائيل, وإنما كانوا بمصر مستضعفين, فأغفل معنى القوم وذهب غير مرادهم ذهابا بعيدا وقارئو ذلك بالضم لم يقصدوا المعنى الذي ظنه هذا المنكر عليهم ذلك, وإنما قصدوا إلى أن معناه: ما أخلفنا موعدك بسلطان كانت لنا على أنفسنا نقدر أن نردّها عما أتت, لأن هواها غلبنا على إخلافك الموعد.

وقوله: وَلَكِنّا حُمّلْنا أوْزَارا مِنْ زِينَةِ القَوْمِ يقول: ولكنا حملنا أثقالاً وأحمالاً من زينة القوم, يعنون من حليّ آل فرعون وذلك أن بني إسرائيل لما أراد موسى أن يسير بهم ليلاً من مصر بأمر الله إياه بذلك, أمرهم أن يستعيروا من أمتعة آل فرعون وحليهم, وقال: إن الله مغنمكم ذلك, ففعلوا, واستعاروا من حليّ نسائهم وأمتعتهم, فذلك قولهم لموسى حين قال لهم أفَطَالَ عَلَيْكُمُ العَهْدُ أمْ أرَدْتُمْ أنْ يَحِلّ عَلَيْكُمْ غَضَبٌ مِنْ رَبّكُمْ فَأخْلَفْتُمْ مَوْعِدِي قَالُوا ما أخْلَفْنا مَوْعِدَكَ بِمَلْكِنا, وَلَكِنّا حُمّلْنا أوْزارا مِنْ زِينَةِ القَوْمِ. وبنحو الذي قلنا في ذلك, قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

18306ـ حدثني محمد بن سعد, قال: ثني أبي, قال: ثني عمي, قال: ثني أبي, عن أبيه, عن ابن عباس, قوله: وَلَكِنّا حُمّلْنا أوْزارا مِنْ زِينَةِ القَوْمِ فهو ما كان مع بني إسرائيل من حليّ آل فرعون, يقول: خطئونا بما أصبنا من حليّ عدوّنا.

18307ـ حدثني محمد بن عمرو, قال: حدثنا أبو عاصم, قال: حدثنا عيسى وحدثني الحارث, قال: حدثنا الحسن, قال: حدثنا ورقاء, جميعا عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد, قوله: أوْزَارا قال: أثقالاً. وقوله: مِنْ زِينَةِ القَوْمِ قال: هي الحليّ التي استعاروا من آل فرعون, فهي الأثقال.

حدثنا القاسم, قال: حدثنا الحسين, قال: ثني حجاج, عن ابن جريج, عن مجاهد وَلَكِنّا حُمّلْنا أوْزَارا قال: أثقالاً مِنْ زِينَةِ القَوْمِ قال: حليهم.

18308ـ حدثنا موسى, قال: حدثنا عمرو, قال: حدثنا أسباط, عن السديّ وَلَكِنّا حُمّلْنا أوْزَارا مِنْ زِينةِ القَوْمِ يقول: من حليّ القبط.

18309ـ حدثني يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: قال ابن زيد, في قوله: وَلَكِنّا حُمّلْنا أوْزَارا مِنْ زِينَةِ القَوْمِ قال: الحليّ الذي استعاروه. والثياب ليست من الذنوب في شيء, لو كانت الذنوب كانت حملناها نحملها, فليست من الذنوب في شيء.

واختلفت القرّاء في قبراءة ذلك, فقرأ عامة قرّاء المدينة وبعض المكيين: حُمّلْنا بضم الحاء وتشديد الميم بمعنى أن موسى يحملهم ذلك. وقرأته عامة قرّاء الكوفة والبصرة وبعض المكيين: «حَمَلْنا» بتخفيف الحاء والميم وفتحهما, بمعنى أنهم حملوا ذلك من غير أن يكلفهم حمله أحد.

قال أبو جعفر: والقول عندي في تأويل ذلك أنهما قراءتان مشهورتان متقاربتا المعنى, لأن القوم حملوا, وأن موسى قد أمرهم بحمله, فبأيتهما قرأ القارىء فمصيب الصواب.

وقوله: فَقَذَفْناها يقول: فألقينا تلك الأوزار من زينة القوم في الحفرة فَكَذَلكَ ألْقَى السّامِرِيّ يقول: فكما قذفنا نحن تلك الأثقال, فكذلك ألقى السامريّ ما كان معه من تربة حافر فرس جبريل. وبنحو الذي قلنا في ذلك, قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

18310ـ حدثني محمد بن عمرو, قال: حدثنا أبو عاصم, قال: حدثنا عيسى وحدثني الحارث, قال: حدثنا الحسن, قال: حدثنا ورقاء, جميعا عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد قوله: فَقَذَفْناها قال: فألقيناها فَكَذَلكَ ألْقَى السّامِرِيّ: كذلك صنع.

حدثنا القاسم, قال: حدثنا الحسين, قال: ثني حجاج, عن ابن جريج, عن مجاهد فَقَذَفْناها قال: فألقيناها فَكَذَلِكَ ألْقَى السّامِرِيّ فكذلك صنع.

18311ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قَتادة فَقَذَفْناها: أي فنبذناها.

وقوله: فَأَخْرَجَ لَهُمْ عِجْلاً جَسَدا لَهُ خُوَارٌ يقول: فأخرج لهم السامريّ مما قذفوه ومما ألقاه عجلاً جسدا له خوار, ويعني بالخوار: الصوت, وهو صوت البقر.

ثم اختلف أهل العلم في كيفية إخراج السامريّ العجل, فقال بعضهم: صاغه صياغة, ثم ألقى من تراب حافر فرس جبرئيل في فمه فخار. ذكر من قال ذلك:

18312ـ حدثنا بِشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة فَكَذلكَ أَلْقَى السّامِرِيّ قال: كان الله وقّت لموسى ثلاثين ليلة ثم أتمها بعشر فلما مضت الثلاثون قال عدوّ الله السامري: إنما أصابكم الذي أصابكم عقوبة بالحليّ الذي كان معكم, فهلموا وكانت حليا تعيروها من آل فرعون, فساروا وهي معهم, فقذفوها إليه, فصوّرها صورة بقرة, وكان قد صرّ في عمامته أو في ثوبه قبضة من أثر فرس جبرئيل, فقذفها مع الحليّ والصورة فَأَخْرَجَ لَهُمْ عجْلاً جَسَدا لَهُ خُوَارٌ فجعل يخور خوار البقر, فقال: هَذَا إلهُكُمْ وإلَهُ مُوسَى.

حدثنا الحسن, قال: أخبرنا عبد الرزاق, قال: أخبرنا معمر, عن قتادة, قال: لما استبطأ موسى قومه قال لهم السامريّ: إنما احتبس عليكم لأجل ما عندكم من الحليّ, وكانوا استعاروا حليا من آل فرعون فجمعوه فأعطوه السامريّ فصاغ منه عجلاً, ثم أخذ القبضة التي قبض من أثر الفرس, فرس الملك, فنبذها في جوفه, فإذا هو عجل جسد له خوار, قالوا: هذا إلهكم وإله موسى, ولكن موسى نسي ربه عندكم.

وقال آخرون في ذلك بما:

18313ـ حدثني موسى, قال: حدثنا عمرو, قال: قال: حدثنا أسباط, عن السديّ, قال: أخذ السامريّ من تربة الحافر, حافر فرس جبرئيل فانطلق موسى واستخلف هارون على بني إسرائيل وواعدهم ثلاثين ليلة, فأتمها الله بعشر, قال لهم هارون: يا بني إسرائيل إن الغنيمة لا تحلّ لكم, وإن حلي القبط إنما هو غنيمة, فاجمعوها جميعا, فاحفروا لها حفرة فادفنوها, فإن جاء موسى فأحلها أخذتموها, وإلاّ كان شيئا لم تأكلوه. فجمعوا ذلك الحليّ في تلك الحفرة, فجاء السامريّ بتلك القبضة فقذفها فأخرج الله من الحليّ عجلاً جسدا له خوار, وعدّت بنو إسرائيل موعد موسى, فعدوا الليلة يوما, واليوم يوما فلما كان لعشرين خرج لهم العجل فلما رأوه قال لهم السامريّ: هَذَا إلهُكُمْ وَإلَهُ مُوسَى فَنَسِيَ فعكفوا عليه يعبدونه, وكان يخور ويمشي فَكذَلكَ أَلْقَى السّامِرِيّ ذلك حين قال لهم هارون: احفروا لهذا الحليّ حفرة واطرحوه فيها, فطرحوه, فقذف السامريّ تربته. وقوله: فقَالَ هَذَا إلهُكُمْ وَإلَه مُوسَى يقول: فقال قوم موسى الذين عبدوا العجل: هذا معبودكم ومعبود موسى. وقوله فَنَسِيَ يقول: فضلّ وترك.

ثم اختلف أهل التأويل في قوله فَنَسِيَ من قائله ومن الذي وصف به وما معناه, فقال بعضهم: هذا من الله خبر عن السامريّ, والسامريّ هو الموصوف به, وقالوا: معناه: أنه ترك الدين الذي بعث الله به موسى وهو الإسلام. ذكر من قال ذلك:

18314ـ حدثنا ابـن حميـد, قـال: حـدثنا سلـمة, قـال: ثنـي مـحمد بـن إسحاق, عن حكيـم بن جُبـير, عن سعيد بن جبـير, عـن ابـن عبـاس, قـال: يقول الله: فَنَسِيَ: أي ترك ما كان علـيه من الإسلام, يعنـي السامري.

وقال آخرون: بل هذا خبر من الله عن السامري, أنه قال لبنـي إسرائيـل, وأنه وصف موسى بأنه ذهب يطلب ربه, فأضـلّ موضـعه, وهـو هـذا العجـل. ذكر من قال ذلك:

18315ـ حدثنـي مـحمد بن سعد, قال: ثنـي أبـي, قال: ثنـي عمي, قال: ثنـي أبـي عن أبـيه, عن ابن عباس فَقَذَفْناها يعنـي زينـة القـوم حيـن أمرنـا السامريّ لـما قبض قبضة من أثر جبرائيـل علـيه السـلام, فألقـى القبضـة علـى حلـيهم فصار عجلاً جسدا له خوار فَقالُوا هَذَا إلهُكُمْ وإلَهُ مُوسَى الـذي انطلق يطلبه فَنَسِيَ يعنـي: نسي موسى, ضلّ عنه فلـم يهتد له.

18316ـ حدثنا بِشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة فَنَسِيَ يقول: طلب هذا موسى فخالفه الطريق.

حدثنا الـحسن, قال: أخبرنا عبد الرزاق, قال: أخبرنا معمـر, عـن قتـادة فَنَسِيَ يقول: قال السامريّ: موسى نسي ربه عندكم.

18317ـ حدثنـي مـحمد بن عمرو, ق ال: حـدثنا أبـو عاصـم, قـال: حـدثنا عيسى وحدثنـي الـحارث, قال: حدثنا الـحسن, قـال: حـدثنا ورقـاء, جميعـا عن ابن أبـي نـجيح, عن مـجاهد, قوله: فَنَسِيَ موسـى, قـال: هـم يقولـونه: أخطأ الربّ العجل.

حدثنا القاسم, قال: حدثنا الـحسين, قال: ثنـي حجاج, عن ابن جريج, عن مـجاهد فَنَسِيَ قال: نسي موسى, أخطأ الربّ العجل, قوم موسى يقولونه.

18318ـ حدثنـي موسى, قال: حدثنا عمـرو, قـال: حـدثنا أسبـاط, عـن السديّ فَنَسِيَ يقول: ترك موسى إلهه ههنا وذهب يطلبه.

18319ـ حدثنـي يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: قـال ابـن زيـد فـي قوله: هَذَا إلهُكُمْ وَإلَهُ مُوسَى فَنَسِـيَ قـال: يقـول: فنسـي حيـث وعـده ربـه ههنا, ولكنه نسي.

18320ـ حُدثت عن الـحسين, قال: سمعت أبـا مُعاذ يقول: أخبرنا عبـيد, قال: سمعت الضحاك يقول فـي قوله: هَذَا إلهُكُمْ وَإلَهُ مُوسَى فَنَسِيَ يقول: نسي موسى ربه فأخطأه, وهذا العجل إله موسى.

قال أبو جعفر: والذي هو أولـى بتأويـل ذلك القول الذي ذكرناه عن هؤلاء, وهو أن ذلك خبر من الله عزّ ذكره عن السامريّ أنه وصف موسى بأنه نسي ربه, وأنه ربه الذي ذهب يريده هو العجـل الـذي أخرجـه السـامري, لإجمـاع الـحجة من أهل التأويـل علـيه, وأنه عقـيب ذكر موسى, وهو أن يكون خـبرا من السامريّ عنه بذلك أشبه من غيره.

الآية : 89 - 91

القول فـي تأويـل قوله تعالـى: {أَفَلاَ يَرَوْنَ أَلاّ يَرْجِعُ إِلَيْهِمْ قَـوْلاً وَلاَ يَمْلِـكُ لَهُمْ ضَرّاً وَلاَ نَفْعاً * وَلَقَدْ قَالَ لَهُمْ هَارُونُ مِن قَبْلُ يَقَوْمِ إِنّمَا فُتِنتُـمْ بِـهِ وَإِنّ رَبّكُمُ الرّحْمَـنُ فَاتّبِعُونِي وَأَطِيعُوَاْ أَمْرِي * قَالُواْ لَن نّبْرَحَ عَلَيْهِ عَاكِفِينَ حَتّـىَ يَرْجِعَ إِلَيْنَا مُوسَىَ }.

يقول تعالـى ذكره موبخا عَبَـدة العجـل, والقائلـين لـه هَـذَا إلهُكُـمْ وَإلَـهُ مُوسَى فَنَسِيَ, وعابهم بـذلك, وسـفّه أحلامهـم بـما فعلـوا ونـالوا منـه: أفلا

يرون أن العجل الذي زعموا أنه إلهكم وإله موسى لا يكلـمهم, وإن كلّـموه لـم يردّ علـيهم جوابـا, ولا يقدر علـى ضرّ ولا نفع, فكيف يكون ما كانت هذه صفته إلها؟ كما:

18321ـ حدثنـي مـحمد بن عمرو, قـال: حـدثنا أبـو عاصـم. قـال: حـدثنا عيسى «ح» وحدثنـي الـحارث, قـال: حـدثنا الـحسن, قـال: حـدثنا ورقـاء, جميعا عن ابن أبـي نـجيح, عن مـجاهد لا يَرْجِعُ إلَـيْهِمْ قَوْلاً العجل.

حدثنا القاسم, قال: حدثنا الـحسين, قال: ثنـي حجاج, عن ابن جُرَيج, عن مـجاهد أفَلا يَرَوْنَ ألاّ يَرجِعُ إلَـيْهِمْ قَوْلاً قال: العجل.

18322ـ حدثنا بِشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة, قـال الله: أفَلا يَرَوْنَ ألاّ يَرْجِعُ إلَـيْهِمْ ذلك العجل الذي اتـخذوه قولاً وَلا يَـمْلِكُ لَهُـمْ ضَرّا وَلا نَفْعا.

وقوله: وَلَقَدْ قالَ لَهُمْ هارُونُ منْ قَبْل: يقول: لقد قال لعبدة العجل مـن بنـي إسرائيـل هارون, من قبل رجوع موسى إلـيهم, وقـيـله لهـم مـا قـال, مــما أخـبر اللـه عنـه إنّــمَا فُتِنْتُــمْ بِـهِ يقـول: إنــما اختـبر اللـه إيــمانكم ومـحافظتكم علـى دينكم بهذا العجل, الذي أحدث فـيهم الـخوار, لـيعلـم به الصحيح الإيـمان منكم من الـمريض القلب, الشاكّ فـي دينه, كما:

18323ـ حدثنـي موسى, قال: حدثنا عمـرو, قـال: حـدثنا أسبــاط, عـن السديّ, قال لهم هارون: إنّـما فُتِنْتُــمْ بِـهِ يقـول: إنــما ابتليتــم بـه, يقـول: بـالعجل.

وقوله: وَإنّ رَبّكُمُ الرّحْمَنُ فـاتّبِعُونِـي وأطيعُوا أمْرِي: يقـول: وإن ربكـم الرحمن الذي يعمّ جميع الـخـلق نعمه, فـاتّبعونـي علــى مـا آمركـم بـه مـن عبـادة الله, وترك عبـادة العجل, وأطيعوا أمري فـيـما آمركم به مـن طاعـة الله, وإخلاص العبـادة له. وقوله: قالُوا لَنْ نَبْرَحَ عَلَـيْهِ عاكِفـيـنَ يقـول: قـال عَبَدة العجل من قوم موسى: لن نزال علـى العجل مقيــمين نعبـده, حتــى يرجع إلـينا موسى.

الآية : 92 - 94

القول فـي تأويـل قوله تعالـى: {قَالَ يَهَـرُونُ مَـا مَنَعَـكَ إِذْ رَأَيْتَهُمْ ضَـلّوَاْ * أَلاّ تَتّبِعَـنِ أَفَعَصَـيْتَ أَمْـرِي * قَـالَ يَابْنَـأُمّ لاَ تَأْخُـذْ بِلِحْيَتِـي وَلاَ بِرَأْسِـي إِنّـي خَشِيتُ أَن تَقُولَ فَرّقْتَ بَيْنَ بَنِيَ إِسْرَآئِيلَ وَلَمْ تَرْقُبْ قَوْلِي }.

يقول تعالـى ذكره: قال موسى لأخيه هارون لـما فرغ من خطاب قـومه ومراجعته إياهم علـى ما كان من خطأ فعلهم: يا هـارون أيّ شـيء منعـك إذ رأيتهم ضلوا عن دينهم, فكفروا بـالله وعبدوا العجل ألا تتبعنـي.

واختلف أهل التأويـل فـي الـمعنى الذي عذل موسى علـيه أخاه من تركه اتبـاعه, فقال بعضهم: عذله علـى تركه السير بـمن أطاعه فـي أثـره علــى ما كان عهد إلـيه. ذكر من قال ذلك:

18324ـ حدثنا ابن حميد, قال: حدثنا سلـمة, عن ابن إسحاق, عن حكيـم بن جبـير, عن سعيد بن جبـير, عن ابن عبـاس, قـال: لــما قـال القـوم: لَـنْ نَبرَحَ عَلَـيْهِ عاكِفِـينَ حتـى يَرْجِعَ إلَـيْنا مُوسَى أقـام هـارون فـيــمن تبعـه مـن الـمسلـمين مـمن لـم يُفتتن, وأقام مـن يعبـد العجـل علـ ى عبــادة العجـل, وتـخوّف هارون إن سار بــمن معـه مـن الـمسلــمين أن يقـول لـه موسـى: فَرّقْتَ بـينَ بَنـي إسْرَائِيـلَ ولَـمْ تَرْقُبْ قَوْلـي وكان له هائبـا مطيعا.

18325ـ حدثني يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: قال ابن زيد, في قوله: ما مَنَعَكَ إذْ رأيْتَهُمْ ضَلّوا ألاّ تَتّبِعَنِ قال: تدعهم.

وقال آخرون: بل عذله على تركه أن يصلح ما كان من فساد القوم. ذكر من قال ذلك:

18326ـ حدثنا القاسم, قال: حدثنا الحسين, قال: ثني حجاج, عن ابن جُرَيج, قوله: ما مَنَعَكَ إذْ رأيْتَهُمْ ضَلّوا ألاّ تَتّبِعَنِ قال: أمر موسى هارون أن يصلح, ولا يتبع سبيل المفسدين, فذلك قولَه: أنْ لا تَتّبِعَنِ أفَعَصَيْتَ أمْري بذلك, وقوله: قالَ يا ابْنَ أُمّ لا تَأْخُذْ بِلِحْيَتِي وَلا بِرأسِي وفي هذا الكلام متروك, ترك ذكره استغناء بدلالة الكلام عليه, وهو: ثم أخذ موسى بلحية أخيه هارون ورأسه يجرّه إليه, فقال هارون: يا بْنَ أُمّ لا تَأْخُذْ بِلِحْيَتِي وَلا بِرأسِي.

وقوله: إنّي خَشيتُ أنْ تَقُولَ فَرّقْتَ بينَ بَنِي إسْرائيلَ وَلَمْ تَرْقُبْ قَوْلي فاختلف أهل العلم في صفة التفريق بينهم, الذي خشيه هارون, فقال بعضهم: كان هارون خاف أن يسير بمن أطاعه, وأقام على دينه في أثر موسى, ويخلف عبدة العجل, وقد قالُوا له لَنْ نَبْرَحَ عَلَيْهِ عاكِفِينَ حتى يَرْجِعَ إلَيْنا مُوسَى فيقول له موسى فَرّقْتَ بينَ بَنِي إسْرائِيلَ ولَمْ تَرْقُبْ قَوْلي بسيرك بطائفة, وتركك منهم طائفة وراءك. ذكر من قال ذلك:

18327ـ حدثني يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال ابن زيد, في قول الله تعالى: ما مَنَعَكَ إذْ رأيْتَهُمْ ضَلّوا ألاّ تَتّبِعَنِ أفَعَصَيْتَ أمْرِي قال: خَشِيتُ أنْ تَقُول فَرّقْتَ بينَ بَنِي إسْرائِيلَ ولَمْ تَرْقُبْ قَوْلي قال: خشيت أن يتبعني بعضهم ويتخلف بعضهم.

وقال آخرون: بل معنى ذلك: خشيت أن نقتتل فيقتل بعضنا بعضا. ذكر من قال ذلك:

18328ـ حدثنا القاسم, قال: حدثنا الحسين, قال: ثني حجاج, عن ابن جريج إنّي خَشِيتُ أنْ تَقُولَ فَرّقْتَ بينَ بَنِي إسْرائِيلَ ولَمْ تَرْقُبْ قَوْلي قال: كنا نكون فرقتين فيقتل بعضنا بعضا حتى نتفانى.

قال أبو جعفر: وأولى القولين في ذلك بالصواب, القول الذي قاله ابن عباس من أن موسى عذل أخاه هارون على تركه اتباع أمره بمن اتبعه من أهل الإيمان, فقال له هارون: إني خشيت أن تقول, فرّقت بين جماعتهم, فتركت بعضهم وراءك, وجئت ببعضهم, وذلك بيّن في قول هارون للقول يا قَوم إنّمَا فُتِنْتُمْ بِهِ وَإنّ رَبّكُمُ الرّحْمَنُ فاتّبِعُونِي وأطِيعُوا أمْرِي وفي جواب القوم له وقيلهم لَنْ نَبْرَحَ عَلَيْهِ عاكِفِينَ حتى يَرْجِعَ إلَيْنا مُوسَى.

وقوله: ولَمْ تَرْقُبْ قَوْلي يقول: ولم تنظر قولي وتحفظه. من مراقبة الرجل الشيء, وهي مناظرته بحفظه, كما:

18329ـ حدثنا القاسم, قال: حدثنا الحسين, قال: ثني حجاج, عن ابن جُرَيج, قال: قال ابن عباس: ولَمْ تَرْقُبْ قَوْلي قال: لم تحفظ قولي.

الآية : 95 و 96

القول في تأويل قوله تعالى: {قَالَ فَمَا خَطْبُكَ يَسَامِرِيّ * قَالَ بَصُرْتُ بِمَا لَمْ يَبْصُرُواْ بِهِ فَقَبَضْتُ قَبْضَةً مّنْ أَثَرِ الرّسُولِ فَنَبَذْتُهَا وَكَذَلِكَ سَوّلَتْ لِي نَفْسِي }.

يعني تعالى ذكره بقوله: فمَا خَطْبُكَ يا سامِرِيّ قال موسى للسامري: فما شأنك يا سامري, وما الذي دعاك إلى ما فعلته, كما:

18330ـ حدثني يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: قال ابن زيد, في قوله فَمَا خَطْبُكَ يا سامِرِيّ قال: ما أمرك؟ ما شأنك؟ ما هذا الذي أدخلك فيما دخلت فيه.

18331ـ حدثنا موسى, قال: حدثنا عمرو, قال: حدثنا أسباط, عن السديّ قالَ فما خَطْبُكَ يا سامِرِيّ قال: مالك يا سامريّ؟

وقوله: بَصُرْتُ بِمَا لَمْ يَبْصُرُوا بِهِ يقول: قال السامريّ: علمت ما لم يعلموه, وهو فعلت من البصيرة: أي صرت بما عملت بصيرا عالما. ذكر من قال ذلك:

18332ـ حدثنا القاسم, قال: حدثنا الحسين, قال: ثني حجاج, عن ابن جُرَيج, قال: لما قتل فرعون الولدان قالت أمّ السامريّ: لو نحيته عني حتى لا أراه, ولا أدري قتله, فجعلته في غار, فأتى جبرئيل, فجعل كفّ نفسه في فيه, فجعل يُرضعه العسل واللبن, فلم يزل يختلف إليه حتى عرفه, فمن ثم معرفته إياه حين قال: فَقَبَضْتُ قَبْضَةً مِنْ أثَرِ الرّسُولِ.

وقال آخرون: هي بمعنى: أبصرت ما لم يبصروه. وقالوا: يقال: بصرت بالشيء وأبصرته, كما يقال: أسرعت وسرعت ما شئت. ذكر من قال: هو بمعنى أبصرت:

18333ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قَتادة قال بَصُرْتُ بِمَا لَمْ يَبْصُرُوا بِهِ يعني فرس جبرئيل عليه السلام.

وقوله: فَقَبَضْتُ قَبْضَةً مِنْ أثَرِ الرّسُولِ يقول: قبضت قبضة من أثر حافر فرس جبرئيل. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

18334ـ حدثنا ابن حميد, قال: حدثنا سلمة, قال: ثني محمد بن إسحاق, عن حكيم بن جبير, عن سعيد بن جبير, عن ابن عباس, قال: لما قذفت بنو إسرائيل ما كان معهم من زينة آل فرعون في النار, وتكسرت, ورأى السامريّ أثر فرس جبرئيل عليه السلام, فأخذ ترابا من أثر حافره, ثم أقبل إلى النار فقذفه فيها, وقال: كن عجلاً جسدا له خوار, فكان للبلاء والفتنة.

حدثني محمد بن سعد, قال: ثني أبي, قال: ثني عمي, قال: ثني أبي, عن أبيه, عن ابن عباس, قال: قبض قبضة منه من أثر جبرئيل, فألقى القبضة على حليهم فصار عجلاً جسدا له خوار, فقال: هذا إلهكم وإله موسى.

18335ـ حدثني محمد بن عمرو, قال: حدثنا أبو عاصم, قال: حدثنا عيسى وحدثني الحارث قال: حدثنا الحسن, قال: حدثنا ورقاء, جميعا عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد, في قول الله: فَقَبَضْتُ قَبْضَةً مِنْ أثَرِ الرّسُولِ فَنَبَذْتُها قال: من تحت حافر فرس جبرئيل, نبذه السامريّ على حلية بني إسرائيل, فانسبك عجلاً جسدا له خوار, حفيف الريح فيه فهو خواره, والعجل: ولد البقرة.

واختلف القرّاء في قراءة هذين الحرفين, فقرأته عامّة قرّاء المدينة والبصرة بَصُرْتُ بِمَا لَمْ يَبْصُرُوا بِهِ بالياء, بمعنى: قال السامريّ: بصرت بما لم يبصر به بنو إسرائيل. وقرأ ذلك عامة قرّاء الكوفة: «بَصُرْتُ بِمَا

لَـمْ تَبْصُرُوا بهِ» بـالتاء علـى وجه الـمخاطبة لـموسى صلى الله عليه وسـلم وأصحابه, بـمعنى: قال السامريّ لـموسى: بصرت بـما لـم تبصـر بـه أنـت وأصحابك.

والقول فـي ذلك عندي أنهما قراءتان معروفتان, قد قرأ بكل واحدة منهما علـماء من القرّاء مع صحة معنى كل واحدة منهما, وذلك أنه جـائز أن يكـون السامريّ رأى جبرئيـل, فكان عنده ما كان بـأن حـدثته نفسـه بـذلك أو بغيـر ذلك من الأسبـاب, أن تراب حافر فرسه الذي كان علـيه يصلـح لـما حـدث عنه حين نبذه فـي جوف العجل, ولـم يكن علـم ذلـك عنـد موسـى, ولا عنـد أصحابه من بنـي إسرائيـل, فلذلك قال لـموسى: «بَصُرْتُ بِـمَا لَـمْ تَبْصُـرُوا بهِ» أي علـمت بـما لـم تعلـموا به. وأما إذا قرىء بَصُرْتُ بِـما لَـمْ يَبْصُرُوا بِـهِ بـالـياء, فلا مؤنة فـيه, لأنه معلوم أن بنــي إسرائيــل لــم يعلــموا مـا الـذي يصلـح له ذلك التراب.

وأما قوله: فَقَبَضْتُ قَبْضَةً مِنْ أثَرِ الرّسُولِ فإن قرّاء الأمصار علـى قراءته بـالضاد, بـمعنى: فأخذت بكفـي ترابـا من تراب أثـر فـرس الرسـول. وروي عن الـحسن البصري وقتادة ما:

18336ـ حدثنـي أحمد بن يوسف, قال: حدثنا القاسم, قال: حدثنا هشيـم, عن عبـاد بن عوف, عن الـحسن أنه قرأها: «فَقَبَصْتُ قَبْصَةً» بـالصاد.

18337ـ وحدثنـي أحمد بـن يوسـف, قـال: حـدثنا القاسـم, قـال: حـدثنا هشيـم, عن عبـاد, عن قَتادة مثل ذكر بـالصاد. بـمعنى: أخذت بأصابعي مـن تراب أثر فرس الرسول, والقبضة عند العرب: الأخذ بـالكفّ كلها, والقبصة: الأخذ بأطراف الأصابع.

وقوله: فَنَبَذْتُها يقول: فألقـيتها وكَذَلَكَ سَوّلَتْ لـي نَفْسِـي يقـول: وكمـا فعلت من إلقائي القبضة التـي قبضت من أثر الفرس علــى الـحلــية التــي أوقد علـيها حتـى انسبكت فصارت عجلاً جسدا له خوار. سَوّلَتْ لِـي نَفْسِـي يقول: زينت لـي نفسي أنه يكون ذلك كذلك, كما:

18338ـ حدثنـي يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: قال ابن زيد: وكَذَلِكَ سَوّلَتْ لِـي نَفْسِي قال: كذلك حدثتنـي نفسي.

الآية : 97 و 98

القول فـي تأويـل قوله تعالـى: {قَالَ فَاذْهَبْ فَإِنّ لَكَ فِي الْحَيَاةِ أَن تَقُـولَ لاَ مِسَاسَ وَإِنّ لَكَ مَوْعِداً لّن تُخْلَفَهُ وَانظُرْ إِلَـهِكَ الّذِي ظَلْتَ عَلَيْهِ عَاكِفاً لّنُحَرّقَنّهُ ثُمّ لَنَنسِفَنّهُ فِي الْيَمّ نَسْفاً * إِنّمَآ إِلَـهُكُمُ اللّـهُ الّـذِي لآ إِلَـهَ إِلاّ هُـوَ وَسِعَ كُلّ شَيْءٍ عِلْماً }.

يقول تعالـى ذكره: قال موسى للسامريّ: فـاذهب فـإن لـك فـي أيـام حياتك أن تقول: لامسـاس: أي لا أمـسّ, ولا أمـسّ.. وذُكـر أن موسـى أمـر بنـي إسرائيـل أن لا يؤاكلوه, ولا يخالطوه, ولا يبـايعوه, فلـذلك قـال لـه: إن لك فـي الـحياة أن تقول لامساس, فبقـي ذلك فـيـما ذكر فـي قبـيـلته, كما:

18339ـ حدثنا بِشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة, قال: كان والله السامريّ عظيـما من عظماء بنـي إسرائيـل, من قبـيـلة يقال لهـا سامرة, ولكن عدوّ الله نافق بعد ما قطع البحـر مـع بنــي إسرائيــل. قـوله: فـاذْهَبْ فإنّ لَكَ فِــي الــحَياةِ أنْ تَقـولَ لامِسـاسَ فبقايـاهم الــيوم يقولـون لامساس.

وقوله: وَإنّ لَكَ مَوْعِدا لَنْ تُـخْـلَفَهُ اختلفت القرّاء فــي قراءتــه, فقرأتــه عامة قرّاء أهل الـمدينة والكوفة لَنْ تُـخْـلَفَهُ بضم التاء وفتــح اللام بــمعنى: وإن لك موعدا لعذابك وعقوبتك علـى مـا فعلـت مـن إضـلالك قـومي حتــى عبدوا العجل مـن دون اللـه, لـن يخــلفكه اللـه, ولكـن يـذيقكه. وقـرأ ذلـك الـحسن وقَتادة وأبو نهيك: «وَإنّ لَكَ مَوْعِدا لَنْ تُـخْـلِفَهُ» بضـمّ التـاء وكسـر اللام, بـمعنى: وإن لك موعدا لن تـخـلفه أنت يا سـامريّ, وتـأوّلوه بــمعنى: لن تغيب عنه. ذكر من قال ذلك:

18340ـ حدثنا ابن حميد, قال: حدثنا يحيى بـن واضـح, قـال: حـدثنا عبـد الـمؤمن, قال: سمعت أبـا نهيك يقرأ «لَن تُـخْــلِفَهُ أنْـتَ» يقـول: لـن تغيـب عنه.

18341ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة وَإنّ لَكَ مَوْعِدا لَنْ تُـخْـلِفَهُ يقول: لن تغيب عنه.

قال أبو جعفر: والقول فـي ذلك عندي أنهما قراءتان مشهورتان متقاربتـا الــمعنى, لأنــه لا شـكّ أن اللــه مــوف وعـده لـخــلقه بحشـرهم لـموقــف الـحساب, وأن الـخـلق موافون ذلك الـيوم, فلا الله مخـلفهم ذلـك, ولا هـم مخـلفوه بـالتـخـلف عنه, فبأيتهما قرأ القارىء فمصيب الصواب فـي ذلك.

وقوله: وَانْظُرْ إلـى إلهِكَ الّـذِي ظَلْـتَ عَلَـيْهِ عاكِفــا يقـول: وانظـر إلــى معبودك الذي ظلت علـيه مقـيـما تعبده, كما:

18342ـ حدثنـي علـيّ, قال: حدثنا أبو صالــح, قـال: ثنــي معاويـة, عـن علـيّ, عن ابن عبـاس, قوله: ظَلْتَ عَلَـيْهِ عاكِفـا الذي أقمت علـيه.

حدثنـي مـحمد بن سعد, قال: ثنـي أبـي, قال: ثنــي عمـي, قـال: ثنــي أبـي, عن أبـيه, عن ابن عبـاس, قال: فقـال لـه موسـى: انْظُـرْ إلــى إلهِـكَ الّذي ظَلْتَ عَلَـيْهِ عاكِفــا يقـول: الـذي أقمـت علــيه. وللعـرب فــي ظلـت: لغتان: الفتـح فـي الظاء, وبها قرأ قرّاء الأمصار, والكسر فـيها وكـأن الـذين كسروا نقلوا حركة اللام التـي هي عين الفعل من ظللت إلـيها, ومن فتــحها أقرّ حركتها التـي كانت لها قبل أن يحذف منهـا شـيء, والعـرب تفعـل فــي الـحروف التـي فـيها التضعيف ذاك, فـيقولون فـي مَسِسْـت ومِسْـت وفــي همـمت بذلك: همت به, وهل أحست فلانا وأحسسته, كما قال الشاعر:

خَلا أنّ العِتاقَ مِنَ الـمَطاياأحَسْنَ بِهِ فَهُنّ إلَـيْهِ شُوسُ

وقوله: لَنُـحَرّقَنّهُ اختلفت القرّاء فــي قـراءة ذلـك, فقرأتـه عامّـة قـرْاء الـحجاز والعراق لَنُـحَرّقَنّهُ بضم النون وتشديد الراء, بـمعنى لنـحرقنه بـالنار قطعة قطعة. ورُوي عن الـحسن البصري أنه كـان يقـرأ ذلـك: «لَنُــحْرِقَنّهُ» بضم النون, وتـخفـيف الراء, بـمعنى: لنـحرقنه بـالنار إحراقة واحدة, وقرأه أبو وجعفر القارىء: «لَنَـحْرُقَنّهُ» بفتـح النـون وضـم الـراء بــمعنى: لنـبردنه بـالـمبـارد من حرقته أحرقه وأحرّقه, كما قال الشاعر:

بِذِي فِرْقَـيْنِ يَوْمَ بَنُو حُبَـيْبِنُـيُوَبهُمُ عَلَـيْنا يَحْرُقُونا

والصواب فـي ذلك عندنا من القراءة لَنُـحَرّقَنّهُ بضم النون وتشديد الـراء, من الإحراق بـالنار, كما:

18343ـ حدثنـي علـيّ قال: حدثنا أبـو صالــح, قـال: ثنــي معاويـة, عـن علـيّ, عن ابن عبـاس, قوله: لَنُـحَرّقَنّهُ يقول: بـالنار.

18344ـ حدثنـي مـحمد بن سعد, قال: ثنـي أبـي, قال: ثنـي عمي, قال: ثنـي أبـي, عن أبـيه, عن ابن عبـاس لَنُـحَرّقَنّهُ فحرّقه ثم ذراه فـي الـيـم.

وإنـما اخترت هذه القراءة لإجمال الـحجة من القرّاء علـيها. وأما أبو جعفر, فإنـي أحسبه ذهب إلـى ما:

18345ـ حدثنا به موسـى بـن هـارون, قـال: حـدثنا عمـرو, قـال: حـدثنا أسبـاط عن السديّ: وَانْظُرْ إلـى إلهِكَ الّذِي ظَلْتَ عَلَـيْهِ عاكِفـا لَنُـحَرّقَنّهُ ثُـمّ لَنَنْسِفَنّهُ فِـي الـيَـمّ نَسْفـا ثم أخذه فذبحه, ثم حرقه بـالـمبرد, ثـم ذراه فــي الـيـم, فلـم يبق بحر يومئذٍ إلا وقع فـيه شيء منه.

18346ـ حدثنا بِشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة وَانْظُرْ إلـى إلهِكَ الّذِي ظَلْتَ عَلَـيْهِ عاكِفـا لَنُـحَرّقَنّهُ ثُمّ لَنَنْسِـفَنّهُ فِــي الـيَــمّ نَسْفــا قال: وفـي بعض القـراءة: لنـذبحنه ثـم لنــحرقنه, ثـم لننسـفنه فــي الـيــمّ نسفـا.

18347ـ حدثنا الـحسن, قال: أخبرنا عبد الرزاق, قال: أخبرنا معمر, عن قتادة فـي حرف ابن مسعود: «وَانْظُرْ إلـى إلهِكَ الّـذِي ظَلْـتَ عَلَـيْهِ عاكِفــا لَنذْبَحَنّهُ ثُمّ لَنُـحْرِقَنّهُ ثُمّ لَنَنْسِفَنّهُ فِـي الـيـمّ نَسْفـا».

وقوله: ثُمّ لَنَنْسِفَنّهُ فِـي الـيَـمّ نَسْفـا يقول: ثم لنذرّينه فـي البحر تذريـة يقال منه: نسف فلان الطعام بـالـمنسف: إذا ذراه فطير عنه قشوره وترابه بـالـيد أو الريح. وبنـحو الذي قلنا فـي ذلك, قال أهل التأويـل: ذكر مـن قـال ذلك:

18348ـ حدثنـي علـيّ, قال: حدثنا عبد الله, قال: ثنـي معاوية, عن علـيّ, عن ابن عبـاس, قوله: ثُمّ لَنَنْسِفَنّهُ فِــي الَـيــمّ نَسْفــا يقـول: لنـذرينه فــي البحر.

حدثنـي مـحمد بن سعد, قال: ثنـي أبـي, قال: ثنـي عمي, ثنـي أبـي, عن أبـيه, عن ابن عبـاس, قال: ذراه فـي الـيـمّ, والـيـمّ: البحر.

18349ـ حدثنا موسـى, قـال: حـدثنا عمـرو, قـال: حـدثنا أسبــاط, عـن السديّ, قال: ذراه فـي الـيـم.

18350ـ حدثنا بِشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتـادة فــي الـيـمّ, قال: فـي البحر.

وقوله: إنّـمَا إلهُكُمُ اللّهُ الّذِي لا إلَهَ إلاّ هُوَ يقول: ما لكم أيها القوم معبود, إلا الذي له عبـادة جميع الـخـلق لا تصلـح العبـادة لغيره, ولا تَنبغي أن تكــون إلا له وَسِعَ كُلّ شَيْءٍ عِلْـما يقول: أحاط بكل شيء علـما فعلـمه, فلا يخفـى علـيه منه شيء ولا يضيق علـيه علـم جميع ذلك. يقال منه: فلان يسـع لهـذا الأمر: إذا أطاقه وقوى علـيه, ولا يسع له: إذا عجز عنه فلـم يطقه ولـم يقــو علـيه. وكان قتادة يقول فـي ذلك ما:

18351ـ حدثنا بِشر قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قَتادة, قوله: وَسِعَ كُلّ شَيْءٍ عِلْـما يقول: ملأ كلّ شيء علـما تبـارك وتعالـى.

الآية : 99 و 100

القول فـي تأويـل قوله تعالـى: {كَذَلِكَ نَقُصّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَآءِ مَـا قَـدْ سَـبَقَ وَقَدْ آتَيْنَاكَ مِن لّدُنّا ذِكْراً * مّنْ أَعْرَضَ عَنْهُ فَإِنّهُ يَحْمِلُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وِزْراً }.

يقول تعالـى ذكره لنبـيه مـحمد صلى الله عليه وسلم: كما قصصنا علـيك يا مـحمد نبأ موسى وفرعون وقومه وأخبـار بنـي إسرائيـل مع موسى كَذَلِكَ نَقُصّ عَلَـيْكَ مِنْ أنْبـاءِ ما قَدْ سَبَقَ يقول: كذلك نـخبرك بأنبـاء الأشـياء التــي قد سبقت من قبلك, فلـم تشاهدها ولـم تعاينهـا. وقـوله: وَقَـدْ آتَـيْناكَ مِـنْ

لَدُنّا ذِكْرا يقول تعالى ذكره لمحمد صلى الله عليه وسلم: وقد آتيناك يا محمد من عندنا ذكرا يَتذكر به, ويتعظ به أهل العقل والفهم, وهو هذا القرآن الذي أنزله الله عليه, فجعله ذكرى للعالمين. وقوله مَنْ أعْرَضَ عَنْهُ يقول تعالى ذكره: من ولّى عنه فأدبر فلم يصدّق به ولم يقرّ, فإنه يَحْمِلُ يَوْمَ القِيامَة وِزْرا يقول: فإنه يأتي ربه يوم القيامة يحمل حملاً ثقيلاً, وذلك الإثم العظيم, كما:

18352ـ حدثني محمد بن عمرو, قال: حدثنا أبو عاصم, قال: حدثنا عيسى وحدثني الحارث, قال: حدثنا الحسن قال: حدثنا ورقاء, جميعا عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد, قوله: يَوْمَ القِيامَةِ وِزْرا قال: إثما.

حدثنا القاسم, قال: حدثنا الحسين, قال: ثني حجاج. عن ابن جُرَيج, عن مجاهد, مثله.

الآية : 101 - 103

القول في تأويل قوله تعالى: {خَالِدِينَ فِيهِ وَسَآءَ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ حِمْلاً * يَوْمَ يُنفَخُ فِي الصّورِ وَنَحْشُرُ الْمُجْرِمِينَ يَوْمِئِذٍ زُرْقاً * يَتَخَافَتُونَ بَيْنَهُمْ إِن لّبِثْتُمْ إِلاّ عَشْراً }.

يقول تعالى ذكره: خالدين في وزرهم, فأخرج الخبر جلّ ثناؤه عن هؤلاء المعرضين عن ذكره في الدنيا أنهم خالدون في أوزارهم, والمعنى: أنهم خالدون في النار بأوزارهم, ولكن لما كان معلوما المراد من الكلام اكتفي بما ذكر عما لم يذكر.

وقوله: وَساءَ لَهُمْ يَوْمَ القِيامَة حمْلاً يقول تعالى ذكره: وساء ذلك الحمل والثقل من الإثم يوم القيامة حملاً, وحقّ لهم أن يسوءهم ذلك, وقد أوردهم مهلكة لا منجي منها. وبنحو الذي قلنا في ذلك, قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

18353ـ حدثني عليّ, قال: حدثنا عبد الله, قال: ثني معاوية, عن عليّ, عن ابن عباس, قوله: وَساءَ لَهُمْ يَوْمَ القِيامَةِ حِمْلاً يقول: بئسما حملوا.

18354ـ حدثني محمد بن سعد, قال: ثني أبي, قال: ثني عمي, قال: ثني أبي, عن أبيه, عن ابن عباس, قوله: وَساءَ لَهُمْ يَوْمَ القِيامَةِ حِمْلاً يعني بذلك: ذنوبهم.

وقوله: يَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصّورِ يقول تعالى ذكره: وساء لهم يوم القيامة, يوم ينفخ في الصور, فقوله: يَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصّورِ ردّ على يوم القيامة. وقد بيّنا معنى النفخ في الصور, وذكرنا اختلاف المختلفين في معنى الصور, والصحيح في ذلك من القول عندي بشواهده المغنية عن إعادته في هذا الموضع قبل.

واختلفت القرّاء في قراءة ذلك, فقرأته عامة قرّاء الأمصار يَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصّورِ بالياء وضمها على ما لم يسمّ فاعله, بمعنى: يوم يأمر الله إسرافيل فينفخ في الصور. وكان أبو عمرو بن العلاء يقرأ ذلك «يَوْمَ نَنْفُخُ فِي الصّورِ» بالنون بمعنى: يوم ننفخ نحن في الصور, كأن الذي دعاه إلى قراءة ذلك كذلك طلبه التوفيق بينه وبين قوله: ونَحْشُرُ المُجْرِمِينَ إذ كان لا خلاف بين القرّاء في نحشر أنها بالنون.

قال أبو جعفر: والذي أختار في ذلك من القراءة يوم ينفخ بالياء على وجه ما لم يسمّ فاعله, لأن ذلك هو القراءة التي عليها قرّاء الأمصار وإن كان للذي قرأ أبو عمرو وجه غير فاسد.

وقوله: وَنَحْشُرُ الْمُجْرِمِينَ يَوْمِئِذٍ زُرْقا يقول تعالى ذكره: ونسوق أهل الكفر بالله يومئذٍ إلى موقف القيامة زرقا, فقيل: عنى بالزرق في هذا الموضع: ما يظهر في أعينهم من شدة العطش الذي يكون بهم عند الحشر لرأي العين من الزرق. وقيل: أريد بذلك أنهم يحشرون عميا, كالذي قال الله وَنَحْشُرُهُمْ يَوْمَ القِيامَةِ عَلى وُجُوهِهِمْ عُمْيا.

وقوله: يَتَخافَتُونَ بَيْنَهُمْ إنْ لَبِثْتُمْ إلاّ عَشْرا يقول تعالى ذكره: يتهامسون بينهم, ويسرّ بعضهم إلى بعض: إن لبثتم في الدنيا, يعني أنهم يقول بعضهم لبعض: ما لبثتم في الدنيا إلا عشرا. وبنحو الذي قلنا في ذلك, قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

18355ـ حدثني عليّ, قال: حدثنا أبو صالح, قال: ثني معاوية, عن عليّ, عن ابن عباس, قوله: يَتَخافَتُون بَيْنَهُمْ يقول: يتسَارّون بينهم.

18356ـ حدثنا بِشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة, قوله: يَتَخافَتُونَ بَيْنَهُمْ: أي يتسارّون بينهم إنْ لَبِثْتُمْ إلاّ عَشْرا.

الآية : 104

القول في تأويل قوله تعالى: {نّحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَقُولُونَ إِذْ يَقُولُ أَمْثَلُهُمْ طَرِيقَةً إِن لّبِثْتُمْ إِلاّ يَوْماً }.

يقول تعالى ذكره: نحن أعلم منهم عند إسرارهم وتخافتهم بينهم بقيلهم إنْ لَبِثْتُمْ إلاّ عَشْرا بما يقولون لا يخفى علينا مما يتساررونه بينهم شيء إذْ يَقُولُ أمْثَلُهُمْ طَرِيقَةً إنْ لَبِثْتُمْ إلاّ يَوْما يقول تعالى ذكره حين يقول أو فاهم عقلاً, وأعلمهم فيهم: إن لبثتم في الدنيا إلا يوما. وبنحو الذي قلنا في ذلك, قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

18357ـ حدثنا ابن حميد, قال: حدثنا يعقوب, عن جعفر, عن شعبة, في قوله: إذْ يَقُولُ أمْثَلُهُمْ طَرِيقَةً أوفاهم عقلاً.

وإنما عنى جلّ ثنائه بالخبر عن قيلهم هذا القول يومئذٍ, إعلام عباده أن أهل الكفر به ينسون من عظيم ما يعاينون من هول يوم القيامة, وشدّة جزعهم من عظيم ما يردون عليه ما كانوا فيه في الدنيا من النعيم واللذّات, ومبلغ ما عاشوا فيها من الأزمان, حتى يخيل إلى أعقلهم فيهم, وأذكرهم وأفهمهم أنهم لم يعيشوا فيها إلا يوما.

الآية : 105 - 107

القول في تأويل قوله تعالى: {وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْجِبَالِ فَقُلْ يَنسِفُهَا رَبّي نَسْفاً * فَيَذَرُهَا قَاعاً صَفْصَفاً * لاّ تَرَىَ فِيهَا عِوَجاً وَلآ أَمْتاً }.

يقول تعالى ذكره: ويسألك يا محمد قومك عن الجبال, فقل لهم: يذريها ربي تذرية, ويطيرها بقلعها واستئصالها من أصولها, ودكّ بعضها على بعض, وتصييره إياها هباء منبثا فَيَذَرُها قاعا صَفْصَفا يقول تعالى ذكره: فيدع أماكنها من الأرض إذا نسفها نسفا, قاعا: يعني: أرضا ملساء, صفصفا: يعني مستويا لا نبات فيه, ولا نشز, ولا ارتفاع. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

18358ـ حدثني عليّ, قال: حدثنا أبو صالح, قال: ثني معاوية, عن عليّ, عن ابن عباس, قوله: قاعا صَفْصَفا يقول: مستويا لا نبات فيه.

18359ـ حدثني يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: قال ابن زيد, في قوله فَيَذَرُها قاعا صَفْصَفا قال: مستويا, الصفصف: المستوى.
18360ـ حدثني يونس, قال: أخبرنا عبد الله بن يوسف, قال: حدثنا عبد الله بن لهيعة, قال: حدثنا أبو الأسود, عن عروة, قال: كنا قعودا عند عبد الملك حين قال كعب: إن الصخرة موضع قدم الرحمن يوم القيامة, فقال: كذب كعب, إنما الصخرة جبل من الجبال, إن الله يقول: وَيَسْئَلُونَكَ عَنِ الجِبالِ فَقُلْ يَنْسِفُها رَبّي نَسْفا فسكت عبد الملك.
18361ـ حدثني محمد بن عمرو, قال: حدثنا أبو عاصم, قال: حدثنا عيسى وحدثني الحارث, قال: حدثنا الحسن, قال: حدثنا ورقاء, جميعا عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد, قوله: صَفْصَفا قال: مستويا.
حدثنا القاسم, قال: حدثنا الحسين, قال: ثني حجاج, عن ابن جريج, عن مجاهد, مثله.
قال أبو جعفر: وكان بعض أهل العلم بلغات العرب من أهل الكوفة يقول: القاع: مستنقع الماء, والصفصف: الذي لا نبات فيه.
وقوله: لا تَرَى فِيها عِوَجا وَلا أَمْتا يقول: لا ترى في الأرض عوجا ولا أمتا.
واختلف أهل التأويل في معنى العوج والأمت, فقال بعضهم: عنى بالعوج في هذا الموضع: الأودية, وبالأمت: الروابي والنشوز. ذكر من قال ذلك:
18362ـ حدثني عليّ, قال: حدثنا أبو صالح, قال: ثني معاوية, عن عليّ, عن ابن عباس, قوله لا تَرَى فِيها عِوَجا وَلا أَمْتا يقول: واديا, ولا أمتا: يقول: رابية.
حدثني محمد بن عبد الله المخرمي, قال: حدثنا أبو عامر العقدي, عن عبد الواحد بن صفوان مولى عثمان, قال: سمعت عكرمة, قال: سئل ابن عباس, عن قوله لا تَرَى فِيها عِوَجا وَلا أَمْتا قال: هي الأرض البيضاء, أو قال: الملساء التي ليس فيها لبنة مرتفعة.
18363ـ حدثني محمد بن عمرو, قال: حدثنا أبو عاصم, قال: حدثنا عيسى وحدثني الحارث قال: حدثنا الحسن, قال: حدثنا ورقاء, جميعا عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد لا تَرَى فِيهَا عِوَجا وَلا أَمْتا قال: ارتفاعا, ولا انخفاضا.
18364ـ حدثني يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: قال ابن زيد, في قوله لا تَرَى فِيها عِوَجا وَلا أَمْتا قال: لا تعاديَ, الأمت: التعادي.
وقال آخرون: بل عنى بالعوج في هذا الموضع: الصدوع, وبالأمت: الارتفاع من الآكام وأشباهها. ذكر من قال ذلك:
18365ـ حدثنا الحسن بن يحيى, قال: أخبرنا عبد الرزاق, قال: أخبرنا معمر, عن قَتادة, في قوله: لا تَرَى فِيها عِوَجا قال: صدعا وَلا أَمْتا يقول: ولا أكمة.
وقال آخرون: عنى بالعوج: الميل, وبالأمت: الأثر. ذكر من قال ذلك:
18366ـ حدثني محمد بن سعد, قال: ثني أبي, قال: ثني عمي, قال: ثني أبي, عن أبيه, عن ابن عباس, قوله: لا تَرَى فِيها عِوَجا وَلا أَمْتا يقول: لا ترى فيها ميلاً, والأمت: الأثر مثل الشراك.
وقال آخرون: الأمت: المحاني والأحداب. ذكر من قال ذلك:
18367ـ حدثنا بِشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة قال: الأمت: الحدب.

قال أبو جعفر: وأولى الأقوال في ذلك بالصواب قول من قال: عنى بالعوج: الميل, وذلك أن ذلك هو المعروف في كلام العرب.
فإن قال قائل: وهل في الأرض اليوم من عوج, فيقال: لا ترى فيها يومئذٍ عوجا. قيل: إن معنى ذلك: ليس فيها أودية وموانع تمنع الناظر أو السائر فيها عن الأخذ على الاستقامة, كما يحتاج اليوم من أخذ في بعض سبلها إلى الأخذ أحيانا يمينا, وأحيانا شمالاً, لما فيها من الجبال والأودية والبحار. وأما الأمت فإنه عند العرب: الانثناء والضعف. مسموع منهم: مدّ حبله حتى ما ترك فيه أمتا: أي انثناء وملأ سقاءه حتى ما ترك فيه أمتا ومنه قول الراجز:
ما فِي انْجذَابِ سَيْرِهِ مِنْ أمْتِ
يعني: من وهن وضعف, فالواجب إذا كان ذلك معنى الأمت عندهم أن يكون أصوب الأقوال في تأويله: ولا ارتفاع ولا انخفاض, لأن الانخفاض لم يكن إلاّ عن ارتفاع. فإذا كان ذلك كذلك, فتأويل الكلام: لا ترى فيها ميلاً عن الاستواء, ولا ارتفاعا, ولا انخفاضا, ولكنها مستوية ملساء, كما قال جلّ ثناؤه: قاعا صَفْصَفا.

الآية : 108

القول في تأويل قوله تعالى: {يَوْمَئِذٍ يَتّبِعُونَ الدّاعِيَ لاَ عِوَجَ لَهُ وَخَشَعَتِ الأصْوَاتُ لِلرّحْمَنِ فَلاَ تَسْمَعُ إِلاّ هَمْساً }.
يقول تعالى ذكره: يومئذٍ يتبع الناس صوت داعي الله الذي يدعوهم إلى موقف القيامة, فيحشرهم إليه لا عِوَجَ لَهُ يقول: لا عوج لهم عنه ولا انحراف, ولكنهم سراعا إليه ينحشرون. وقيل: لا عوج له, والمعنى: لا عوج لهم عنه, لأن معنى الكلام ما ذكرنا من أنه لا يعوجون له ولا عنه. ولكنهم يؤمونه ويأتونه, كما يقال في الكلام: دعاني فلان دعوة لا عوج لي عنها: أي لا أعوج عنها. وقوله وَخَشَعَتِ الأصْوَاتُ للرّحْمَنِ يقول تعالى ذكره: وسكنت أصوات الخلائق للرحمن فوصف الأصوات بالخشوع. والمعنى لأهلها إنهم خُصّع جميعهم لربهم, فلا تسمع لناطق منهم منطقا إلاّ من أذن له الرحمن, كما:
18368ـ حدثني عليّ, قال: حدثنا أبو صالح, قال: ثني معاوية, عن عليّ, عن ابن عباس, قوله: وَخَشَعَتِ الأصْوَاتُ للرّحْمَنِ يقول: سكنت.
وقوله: فَلا تَسْمَعُ إلاّ هَمْسا يقول: إنه وطء الأقدام إلى المحشر. وأصله: الصوت الخفيّ, يقال همس فلان إلى فلان بحديثه إذا أسرّه إليه وأخفاه ومنه قول الراجز:
وَهُنّ يَمْشِينَ بنا هَمِيسَاإنْ يَصْدُقِ الطّيْرُ نَنِكْ لَمِيسَا
يعني بالهمس: صوت أخفاف الإبل في سيرها.
وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:
18369ـ حدثنا أبو كريب, قال: حدثنا عليّ بن عابس, عن عطاء, عن سعيد بن جبير, عن ابن عباس فَلا تَسْمَعُ إلاّ هَمْسا قال: وطء الأقدام.
حدثني محمد بن سعد, قال: ثني أبي, قال: ثني عمي, قال: ثني أبي, عن أبيه, عن ابن عباس, قوله وَخَشَعَتِ الأصْوَاتُ للرّحْمَنِ فَلا تَسْمَعُ إلاّ هَمْسا يعني: همس الأقدام, وهو الوطء.

حدثني عليّ, قال: حدثنا عبد الله, قال: ثني معاوية, عن عليّ, عن ابن عباس فَلا تَسْمَعُ إلاّ هَمْسا يقول: الصوت الخفيّ.
18370ـ حدثنا إسماعيل بن موسى السديّ, قال: أخبرنا شريك, عن عبد الرحمن بن الأصبهاني, عن عكرمة فَلا تَسْمَعُ إلاّ هَمْسا قال: وطء الأقدام.
18371ـ حدثنا ابن بشار, قال: حدثنا سليمان, قال: حدثنا حماد, عن حميد, عن الحسن فَلا تَسْمَعُ إلاّ هَمْسا قال: همس الأقدام.
حدثنا بِشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قادة فَلا تَسْمَعُ إلاّ هَمْسا قال قتادة: كان الحسن يقول: وقع أقدام القوم.
18372ـ حدثني يعقوب بن إبراهيم, قال: حدثنا ابن علية, قال: حدثنا ابن أبي نجيح, عن مجاهد, في قوله: فَلا تَسْمَعُ إلاّ هَمْسا قال: تهافتا, وقال: تخافت الكلام.
حدثني محمد بن عمرو, قال: حدثنا أبو عاصم, قال: حدثنا عيسى وحدثني الحارث, قال: حدثنا الحسن, قال: حدثنا ورقاء, جميعا عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد, قوله: هَمْسا قال: خفض الصوت.
حدثنا القاسم, قال: حدثنا الحسين, قال: ثني حجاج, عن ابن جُرَيج, عن مجاهد, قال: خفض الصوت, قال: وأخبرني عبد الله بن كثير, عن مجاهد, قال: كلام الإنسان لا تسمع تحرّك شفتيه ولسانه.
18373ـ حدثني يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: قال ابن زيد, قوله: فَلا تَسْمَعُ إلاّ هَمْسا يقول: لا تسمع إلاّ مشيا, قال: المشي الهمس: وطء الأقدام.

الآية : 109 و 110

القول في تأويل قوله تعالى: {يَوْمَئِذٍ لاّ تَنفَعُ الشّفَاعَةُ إِلاّ مَنْ أَذِنَ لَهُ الرّحْمَـنُ وَرَضِيَ لَهُ قَوْلاً * يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلاَ يُحِيطُونَ بِهِ عِلْماً }.
يقول تعالى ذكره يَوْمَئِذٍ لا تَنْفَعُ الشّفاعَةُ إلاّ شفاعة مَنْ أذِنَ لَهُ الرّحْمَنُ أن يشفع وَرَضِيَ لَهُ قَوْلاً وأدخل في الكلام له دليلاً على إضافة القول إلى كناية «مَنْ» وذلك كقول القائل الآخر: رضيت لك عملك, ورضيته منك, وموضع مَن من قوله إلاّ مَنْ أذِنَ لَهُ نصب لأنه خلاف الشفاعة.
وقوله يَعْلَمُ ما بينَ أيْدِيهِمْ وَما خَلْفَهُمْ يقول تعالى ذكره: يعلم ربك يا محمد ما بين أيدي هؤلاء الذين يتبعون الداعي من أمر القيامة, وما الذي يصيرون إليه من الثواب والعقاب وَما خَلفَهُمْ يقول: ويعلم أمر ما خلفوه وراءهم من أمر الدنيا, كما:
18374ـ حدثنا بِشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة يَعْلَمُ ما بينَ أيْدِيهِمْ من أمر الساعة وَما خَلْفَهُمْ من أمر الدنيا.
وقوله: وَلا يُحِيطُونَ بهِ علْما يقول تعالى ذكره: ولا يحيط خلقه به علما. ومعنى الكلام: أنه محيط بعباده علما, ولا يحيط عباده به علما. وقد زعم بعضهم أن معنى ذلك: أن الله يعلم ما بين أيدي ملائكته وما خلفهم, وأن ملائكته لا يحيطون علما بما بين أيدي أنفسم وما خلفهم, وقال: إنما أعلم بذلك الذين كانوا يعبدون الملائكة, أن الملائكة كذلك لا تعلم ما بين أيديها وما خلفها, موبخهم بذلك ومقرّعهم بأن من كان كذلك, فكيف يعبد, وأن العبادة إنما تصلح لمن لا تخفى عليه خافية في الأرض ولا في السماء.

الآية : 111

القول في تأويل قوله تعالى: {وَعَنَتِ الْوُجُوهُ لِلْحَيّ الْقَيّومِ وَقَدْ خَابَ مَنْ حَمَلَ ظُلْماً }.

يقول تعالى ذكره: استسَرّت وجوه الخلق, واستسلمت للحيّ القيوم الذي لا يموت, القيوم على خلقه بتدبيره إياهم, وتصريفهم لما شاءوا. وأصل العنو الذلّ, يقال منه: عنا وجهه لربه يعنو عنوا, يعني خضع له وذلّ, وكذلك قيل للأسير: عان لذلة الأسر. فأما قولهم: أخذت الشيء عنوة, فإنه يكون وإن كان معناه يؤول إلى هذا أن يكون أخذه غلبة, ويكون أخذه عن تسليم وطاعة, كما قال الشاعر:

هَلْ أنْتَ مُطِيعي أيّها القَلْبُ عَنْوَةًولَمْ تَلَحْ نَفْسٌ لم تلم في اخْتِيالِهَا

وقال آخر:

فَمَا أخَذُوها عَنْوَةً عَنْ مَوَدّةٍوَلَكِنْ بِحَدّ الـمَشْرَفِي اسْتَقالَهَا

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

18375ـ حدثني عليّ, قال: حدثنا أبو صالح, قال: ثني معاوية, عن عليّ, عن ابن عباس, قوله: وَعَنَتِ الوُجُوهُ للْحَيّ القَيّومِ يقول: ذلّت.

حدثني محمد بن سعد, قال: ثني أبي, قال: ثني عمي, قال: ثني أبي, عن أبيه, عن ابن عباس, قوله وَعَنَتِ الوُجُوهُ للْحَيّ القَيّومِ يعني بعنت: استسلموا لي.

18376ـ حدثني محمد بن عمرو, قال: حدثنا أبو عاصم, قال: حدثنا عيسى وحدثني الحارث, قال: حدثنا الحسن, قال: حدثنا ورقاء, جميعا عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد, قوله: وَعَنَتِ الوُجُوهُ قال: خشعت.

حدثنا القاسم, قال: حدثنا الحسين, قال: ثني حجاج, عن ابن جُرَيْج, عن مجاهد, مثله.

18377ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد قال: حدثنا سعيد, عن قتادة, قوله: وَعَنَتِ الوُجُوهُ لِلحَيّ القَيّومِ أي ذلّت الوجوه للحيّ القيوم.

حدثنا الحسن بن يحيى, قال: أخبرنا عبد الرزاق, قال: أخبرنا معمر, عن قَتادة, في قوله: وَعَنَتِ الوُجُوهُ للحَيّ القَيّومِ قال: ذلت الوجوه.

18378ـ حدثنا ابن عبد الأعلى, قال: حدثنا المعتمر بن سليمان, عن أبيه, قال: قال طلق: إذا سجد الرجل فقد عنا وجهه, أو قال: عنا.

حدثني أبو حُصَين عبد الله بن أحمد, قال: حدثنا عبثر, قال: حدثنا حصين, عن عمرو بن مرّة, عن طلق بن حبيب, في هذه الآية: وَعَنَتِ الوُجُوهُ للْحَيّ القَيّومِ قال: هو وضع الرجل رأسه ويديه وأطراف قدميه.

حدثني أبو السائب, قال: حدثنا ابن فضيل, عن ليث, عن عمرو بن مرّة, عن طلق بن حبيب في قوله: وَعَنَتِ الوُجُوهُ للْحَيّ القَيّومِ قال: وهو وضعك جبهتك وكفيك وركبتيك وأطراف قدميك في السجود.

حدثنا خلاد بن أسلم, قال: حدثنا محمد بن فضيل, عن حصين, عن عمرو بن مرّة, عن طلق بن حبيب في قوله: وَعَنَتِ الوُجُوهُ للْحَيّ القَيّومِ قال: وضع الجبهة والأنف على الأرض.

حدثني يعقوب: قال: حدثنا هشيم, قال: أخبرنا حصين, عن عمرو بن مرّة, عن طلق بن حبيب, في قوله: وَعَنَتِ الوُجُوهُ للْحَيّ القَيّومِ قال: هو السجود على الجبهة والراحة والركبتين والقدمين.

18379ـ حدثني يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: قال ابن زيد, في قوله: وَعَنَتِ الوُجُوهُ لِلْحَيّ القَيّومِ قال: استأسرت الوجوه للحيّ القيوم, صاروا أسارى كلهم له. قال: والعانِي: الأسير.

وقد بيّنا معنى الحيّ القيوم فيما مضى, بما أغنى عن إعادته هاهنا.

وقوله: وَقَدْ خابَ مَنْ حَمَلَ ظُلْما يقول تعالى ذكره: ولم يظفر بحاجته وطلبته من حَمل إلى موقف القيامة شركا بالله, وكفرا به, وعملاً بمعصيته. وبنحو الذي قلنا في تأويل ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

18380ـ حدثنا الحسن بن يحيى, قال: أخبرنا عبد الرزاق, قال: أخبرنا معمر, عن قتادة, في قوله: وَقَدْ خابَ مَنْ حَمَلَ ظُلْما قال: من حمل شركا.

18381ـ حدثني يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: قال ابن زيد, في قوله: وَقَدْ خابَ مَنْ حَمَلَ ظُلْما قال: من حمل شركا, الظلم هاهنا: الشرك.

الآية : 112

القول في تأويل قوله تعالى: {وَمَن يَعْمَلْ مِنَ الصّالِحَاتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلاَ يَخَافُ ظُلْماً وَلاَ هَضْماً }.

يقول تعالى ذكره وتقدّست أسماؤه: ومن يعمل من صالحات الأعمال, وذلك فيما قيل أداء فرائض الله التي فرضها على عباده وَهُوَ مُؤْمِنٌ يقول: وهو مصدّق بالله, وأنه مجازٍ أهل طاعته وأهل معاصيه على معاصيهم فلا يَخافُ ظُلْما يقول: فلا يخاف من الله أن يظلمه, فيحمل عليه سيئات غيره, فيعاقبه عليه وَلا هَضْما يقول: لا يخاف أن يهضمه حسناته, فينقصه ثوابها.

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

18382ـ حدثنا بِشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة, قوله وَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصّالِحاتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ وإنما يقبل الله من العمل ما كان في إيمان.

18383ـ حدثنا القاسم, قال: حدثنا الحسين, قال: ثني حجاج, عن ابن جُرَيْج, قوله: وَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصّالِحاتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ قال: زعموا أنها الفرائض. ذكر من قال ما قلنا في معنى قوله: فَلا يَخافُ ظُلْما وَلا هَضْما:

18384ـ حدثنا أبو كريب سليمان بن عبد الجبار, قالا: حدثنا ابن عطية, عن إسرائيل, عن سماك, عن عكرمة, عن ابن عباس لا يَخافُ ظُلْما وَلا هَضْما قال: هضما: غضبا.

حدثني علي, قال: حدثنا أبو صالح, قال: ثني معاوية عن علي عن ابن عباس قال: لاَ يَخَافُ ظُلْما وَلا هَضْما قال: لا يخاف ابن آدم يوم القيامة أن يظلم, فيزاد عليه في سيئاته, ولا يظلم فيهضم في حسناته.

18385ـ حدثني محمد بن سعد, قال: ثني أبي, قال: ثني عمي, قال: ثني أبي, عن أبيه, عن ابن عباس, قوله: وَمَنُ يَعْمَلْ مِنَ الصّالِحاتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلا يَخافُ ظُلْما وَلا هَضْما يقول: أنا قاهر لكم اليوم, آخذكم بقوّتي وشدّتي, وأنا قادر على قهركم وهضمكم, فإنما بيني وبينكم العدل, وذلك يوم القيامة.

18386ـ حُدثت عن الـحسين بن الفرج, قال: سمعت أبـا مُعاذ يقول: أخبرنا عبـيد بن سلـيـمان, قال: سمعت الضحاك يقول فـي قوله: فَلا يَخافُ ظُلْـما وَلا هَضْما أما هضما فهو لا يقهر الرجل الرجل بقوّته, يقول الله يوم القـيامة: لا آخذكم بقوّتـي وشدتـي, ولكن العدل بـينـي وبـينكم, ولا ظلـم علـيكم.

18387ـ حدثنـي مـحمد بن عمرو, قال: حدثنا أبو عاصم, قال: حدثنا عيسى وحدثنـي الـحارث, قال: حدثنا الـحسن, قال: حدثنا ورقاء, جميعا عن ابن أبـي نـجيح, عن مـجاهد, قوله: هَضْما قال: انتقاص شيء من حقّ عمله.

حدثنا القاسم, قال: حدثنا الـحسين, قال: ثنـي حجاج, عن ابن جُرَيج, عن مـجاهد, مثله.

18388ـ حدثنـي موسى بن عبد الرحمن الـمسروقـيّ, قال: حدثنا أبو أسامة, عن مِسْعر, قال: سمعت حبـيب بن أبـي ثابت يقول فـي قوله: وَلا هَضْما قال: الهضم: الانتقاص.

18389ـ حدثنا الـحسن, قال: أخبرنا عبد الرزاق, قال: أخبرنا معمر, عن قتادة, فـي قوله: فَلا يَخاف ظُلْـما وَلا هَضْما قال: ظلـما أن يزاد فـي سيئاته, ولا يُهْضَم من حسناته.

حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة, قوله: فَلا يَخافُ ظلْـما وَلا هَضْما قال: لا يخاف أن يظلـم, فلا يجزى بعمله, ولا يخاف أن ينتقص من حقه, فلا يوفـى عمله.

18390ـ حدثنا الـحارث, قال: حدثنا الـحسن, قال: حدثنا سلام بن مسكين, عن ميـمون بن سِياه, عن الـحسن, فـي قول الله تعالـى: فَلا يَخافُ ظُلْـما وَلا هَضْما قال: لا ينتقص الله من حسناته شيئا, ولا يحمل علـيه ذنب مسيء.

وأصل الهضم: النقص, يقال: هضمنـي فلان حقـي, ومنه امرأة هضيـم: أي ضامرة البطن, ومنه قولهم: قد هضم الطعام: إذا ذهب, وهَضَمْت لك من حقك: أي حططتك.

الآية : 113

القول فـي تأويـل قوله تعالـى: {وَكَذَلِكَ أَنزَلْنَاهُ قُرْآناً عَرَبِيّاً وَصَرّفْنَا فِيهِ مِنَ الْوَعِيدِ لَعَلّهُمْ يَتّقُونَ أَوْ يُحْدِثُ لَهُمْ ذِكْراً }.

يقول تعالـى ذكره: كما رغبنا أهل الإيـمان فـي صالـحات الأعمال, بوعدناهم ما وعدناهم, كذلك حذرنا بـالوعيد أهل الكفر بـالـمُقام علـى معاصينا, وكفرهم بآياتنا, فأنزلنا هذا القرآن عربـيا, إذ كانوا عَرَبـا وَصَرّفْنا فِـيهِ مِنَ الوَعِيدِ فبـيناه: يقول: وخوّفناهم فـيه بضروب من الوعيد لعلّهم يتّقون يقول: كي يتقونا, بتصريفنا ما صرّفنا فـيه من الوعيد أوْ يُحْدِثُ لَهُمْ ذِكْرا يقول: أو يحدث لهم هذا القرآن تذكرة, فـيعتبرون ويتعظون بفعلنا بـالأمـم التـي كذّبت الرسل قبلها, وينزجرون عما هم علـيه مقـيـمون من الكفر بـالله. وبنـحو الذي قلنا فـي ذلك قال أهل التأويـل. ذكر من قال ذلك:

18391ـ حدثنا بِشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة وكَذلكَ أنْزَلْناهُ قُرآنا عَرَبِـيًّا وَصَرّفْنا فِـيهِ مِنَ الوَعِيدِ لَعَلّهُمْ يَتّقُونَ ما حُذّروا به من

أمر الله وعقابه, ووقائعه بـالأمـم قبلهم أوْ يُحْدِثُ لَهُمْ القرآن ذِكْرا: أي جِدّا وورعا.
حدثنا الـحسن, قال: أخبرنا عبد الرزاق, قال: أخبرنا معمر, عن قتادة, فـي قوله أوْ يُحْدِث لَهُمْ ذِكْرا قال: جِدا وورعا. وقد قال بعضهم فـي: أوْ يُحْدِثُ لَهُمْ ذِكْرا أن معناه: أو يحدث لهم شرفـا, بإيـمانهم به.

الآية : 114

القول فـي تأويـل قوله تعالـى: {فَتَعَالَىَ اللّهُ الْمَلِكُ الْحَقّ وَلاَ تَعْجَلْ بِالْقُرْآنِ مِن قَبْلِ أَن يُقْضَىَ إِلَيْكَ وَحْيُهُ وَقُل رّبّ زِدْنِي عِلْماً }.
يقول تعالـى ذكره: فـارتفع الذي له العبـادة من جميع خـلقه, الـملك الذي قهر سلطانه كلّ ملك وجبـار, الـحقّ عما يصفه به الـمشركون من خـلفه وَلا تَعْجَلْ بـالقُرآنِ مِنْ قَبْلِ أنْ يُقْضَى إلَـيْكَ وَحْيُهُ: يقول جلّ ثناؤه لنبـيه مـحمد صلى الله عليه وسلم: ولا تعجل يا مـحمد بـالقرآن, فتقرئه أصحابك, أو تقرأ علـيهم, من قبل أن يوحى إلـيك بـيان معانـيه, فعوتب علـى إكتابه وإملائه ما كان الله ينزله علـيه من كتابه مَنْ كان يُكْتِبه ذلك, من قبل أن يبـين له معانـيه, وقـيـل: لا تتله علـى أحد, ولا تـمله علـيه, حتـى نبـينه لك. وبنـحو الذي قلنا فـي ذلك قال أهل التأويـل. ذكر من قال ذلك:
18392ـ حدثنـي مـحمد بن عمرو, قال: حدثنا أبو عاصم, قال: حدثنا عيسى وحدثنـي الـحارث, حدثنا الـحسن, قال: حدثنا ورقاء, جميعا عن ابن أبـي نـجيح, عن مـجاهد, قوله: وَلا تَعْجَلْ بـالقُرآنِ مِنْ قَبْلِ أنْ يُقْضَى إلَـيْكَ وَحْيَهُ قال: لا تتله علـى أحد حتـى نبـينه لك.
18393ـ حدثنا القاسم, قال: حدثنا الـحسين, قال: ثنـي حجاج, عن ابن جُريج, قال: يقول: لا تتله علـى أحد حتـى تتـمه لك هكذا قال القاسم: حتـى نتـمه.
18394ـ حدثنـي مـحمد بن سعد, قال: ثنـي أبـي, قال: ثنـي عمي, قال: ثنـي أبـي, عن أبـيه, عن ابن عبـاس, قوله: وَلا تَعْجَلْ بـالقُرآنِ مِنْ قَبْلِ أنْ يُقْضَى إلَـيْكَ وَحْيُهُ يعنـي: لا تعجل حتـى نبـينه لك.
18395ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة وَلا تَعْجَلْ بـالقُرآنِ مِنْ قَبْلِ أنْ يُقْضَى إلَـيْكَ وَحْيُهُ: أي بـيانه.
حدثنا الـحسن, قال: أخبرنا عبد الرزاق, قال: أخبرنا معمر, عن قتادة وَلا تَعْجَلْ بـالقُرآنِ مِنْ قَبْلِ أنْ يُقْضَى إلَـيْكَ وَحْيُهُ قال: تبـيانه.
حدثنا ابن الـمثنى وابن بشار, قالا: حدثنا مـحمد بن جعفر, قال: حدثنا شعبة, عن قتادة مِنْ قَبْلِ أنْ يُقْضَى إلَـيْكَ وَحْيُهُ من قبل أن يبـين لك بـيانه.
وقوله: وَقُلْ رَبّ زِدْنِـي عِلْـما يقول تعالـى ذكره: وقل يا مـحمد: ربّ زدنـي علـما إلـى ما علـمتنـي أمره بـمسألته من فوائده العلـم ما لا يعلـم.

الآية : 115

القول فـي تأويـل قوله تعالـى: {وَلَقَدْ عَهِدْنَآ إِلَىَ ءَادَمَ مِن قَبْلُ فَنَسِيَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُ عَزْماً }.
يقول تعالـى ذكره: وإن يضيع يا مـحمد هؤلاء الذين نصرّف لهم فـي هذا القرآن من الوعيد عهدي, ويخالفوا أمري, ويتركوا طاعتـي, ويتبعوا أمر عدوّهم إبلـيس, ويطيعوه فـي خلاف أمري, فقديـما ما فعل ذلك أبوهم آدم وَلَقَدْ عَهِدْنا إلَـيْهِ يقول: ولقد وصينا آدم وقلنا له: إنّ هَذَا عَدُوّ لَكَ وَلِزَوْجِكَ

فَلا يُخْرِجَنّكُما منَ الـجَنّةِ فوسوس إلـيه الشيطان فأطاعه, وخالف أمري, فحلّ به من عقوبتـي ما حلّ.

وعنى جلّ ثناؤه بقوله: مِنْ قَبْلُ هؤلاء الذين أخبر أنه صرف لهم الوعيد فـي هذا القرآن وقوله: فَنَسِيَ يقول: فترك عهدي, كما:

18396ـ حدثنـي علـيّ, قال: حدثنا أبو صالـح, قال: ثنـي معاوية, عن علـيّ, عن ابن عبـاس, فـي قوله: وَلَقَدْ عَهِدْنا إلـى آدَمَ مِنْ قَبْلُ فَنَسِيَ يقول: فترك.

18397ـ حدثنا الـحسن, قال: أخبرنا عبد الرزاق, قال: أخبرنا معمر, عن ابن أبـي نـجيح, عن مـجاهد, فـي قوله: فَنَسِيَ قال: ترك أمر ربه.

18398ـ حدثنـي يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: قال ابن زيد, فـي قوله: وَلَقَدْ عَهِدْنا إلـى آدَمَ مِنْ قَبْلُ فَنَسِيَ وَلَـمْ نَـجِدْ لَهُ عَزْما قال: قال له يا آدَمُ هَذَا عَدُوّ لَكَ وَلِزَوْجِك فَلا يُخْرِجَنّكُمَا مِنَ الـجَنّةِ فَتَشْقَـى فقرأ حتـى بلغ: لا تَظْمَأُ فِـيها وَلا تَضْحَى, وقرأ حتـى بلغ: وَمُلْكٍ لا يَبْلَـى قال: فنسي ما عهد إلـيه فـي ذلك, قال: وهذا عهد الله إلـيه, قال: ولو كان له عزم ما أطاع عدوّه الذي حسده, وأبـي أن يسجد له مع مَنْ سجد له إبلـيس, وعصى الله الذي كرّمه وشرّفه, وأمر ملائكته فسجدوا له.

18399ـ حدثنا ابن الـمثنى وابن بشار قالا: حدثنا يحيى بن سعيد, وعبد الرحمن, ومؤمل, قالوا: حدثنا سفـيان, عن الأعمش, عن مسلـم البطين, عن سعيد بن جُبـير, عن ابن عبـاس, قال: إنـما سُمي الإنسان لأنه عهد إلـيه فنسي.

وقوله: ولَـمْ نَـجِدْ لَهُ عَزْما اختلف أهل التأويـل فـي معنى العزم ها هنا, فقال بعضهم: معناه الصبر. ذكر من قال ذلك:

18400ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة, قوله: ولَـمْ نَـجِدْ لَهُ عَزْما أي صبرا.

حدثنا مـحمد بن بشار, قال: حدثنا مـحمد بن جعفر, قال: حدثنا شعبة, عن قتادة ولَـمْ نَـجِدْ لَهُ عَزْما, قال: صبرا.

حدثنا إبراهيـم بن يعقوب الـجَوْزَجانـي, قال: حدثنا أبو النضر, قال: حدثنا شعبة, عن قتادة, مثله.

وقال آخرون: بل معناه: الـحفظ, قالوا: ومعناه: ولـم نـجد له حفظا لـما عهدنا إلـيه. ذكر من قال ذلك:

18401ـ حدثنـي أبو السائب, قال: حدثنا ابن إدريس, عن أبـيه, عن عطية ولَـمْ نَـجِدْ لَهُ عَزْما قال: حفظا لـما أمرته.

حدثنـي يعقوب بن إبراهيـم, قال: حدثنا هاشم بن القاسم, عن الأشجعيّ, عن سفـيان, عن عمرو بن قـيس, عن عطية, فـي قوله ولَـمْ نَـجِدْ لَهُ عَزْما قال: حفظا.

حدثنا عبـاد بن مـحمد, قال: حدثنا قبـيصة, عن سفـيان, عن عمرو بن قـيس, عن عطية, فـي قوله ولَـمْ نَـجِدْ لَهُ عَزْما قال: حفظا لـما أمرته به.

18402ـ حدثنـي مـحمد بن سعد, قال: ثنـي أبـي, قال: ثنـي عمي, قال: ثنـي أبـي, عن أبـيه, عن ابن عبـاس, قوله: ولَـمْ نَـجِدْ لَهُ عَزْما يقول: لـم نـجد له حفظا.

18403ـ حدثني يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: قال ابن زيد, في قوله: ولَمْ نَجِدْ لَهُ عَزْما قال: العزم: المحافظة على ما أمره الله تبارك وتعالى بحفظه, والتمسك به.
18404ـ حدثني عليّ, قال: حدثنا أبو صالح, قال: ثني معاوية, عن عليّ, عن ابن عباس, في قوله: ولَمْ نَجِدْ لَهُ عَزْما يقول: لم نجعل له عزما.
18405ـ حدثني القاسم, قال: حدثنا الحسين, قال: حدثنا الحجاج بن فضالة, عن لقمان بن عامر, عن أبي أمامة قال: لو أن أحلام بني آدم جمعت منذ يوم خلق الله تعالى آدم إلى يوم الساعة, ووضعت في كفة ميزان, ووضع حلم آدم في الكفة الأخرى, لرجح حلمه بأحلامهم, وقد قال الله تعالى: ولَمْ نَجِدْ لَهُ عَزْما.
قال أبو جعفر: وأصل العزم اعتقاد القلب على الشيء, يقال منه: عزم فلان على كذا: إذا اعتقد عليه ونواه ومن اعتقاد القلب: حفظ الشيء, ومنه الصبر على الشيء, لأنه لا يجزع جازع إلا من خورَ قلبه وضعفه, فإذا كان ذلك كذلك, فلا معنى لذلك أبلغ مما بينه الله تبارك وتعالى, وهو قوله: ولَمْ نَجِدْ لَهُ عَزْما فيكون تأويله: ولم نجد له عزم قلب, على الوفاء الله بعهده, ولا على حفظ ما عهد إليه.

الآية : 116 و 117

القول في تأويل قوله تعالى: {وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلاَئِكَةِ اسْجُدُواْ لاَدَمَ فَسَجَدُواْ إِلاّ إِبْلِيسَ أَبَىَ * فَقُلْنَا يَآدَمُ إِنّ هَـَذَا عَدُوّ لّكَ وَلِزَوْجِكَ فَلاَ يُخْرِجَنّكُمَا مِنَ الْجَنَّةِ فَتَشْقَىَ }.
يقول تعالى ذكره معلما نبيه محمدا صلى الله عليه وسلم, ما كان من تضييع آدم عهده, ومعرّفه بذلك أن ولده لن يعدوا أن يكونوا في ذلك على منهاجه, إلا من عصمه الله منهم: واذكر يا محمد إِذْ قُلْنا لِلْمَلائِكَةَ اسْجُدُوا لاَدَمَ فَسَجَدُوا إلاّ إبْلِيسَ أبَى أن يسجد له فَقُلْنا يا آدَمُ إنّ هَذَا عَدُوّ لَكَ وَلِزَوْجِكَ ولذلك من شأنه لم يسجد لك, وخالف أمري في ذلك وعصاني, فلا تطيعاه فيما يأمر كما به, فيخرجكما بمعصيتكما ربكما, وطاعتكما له مِنَ الجَنّةِ فَتَشْقَى يقول: فيكون عيشك من كدّ يدك, فذلك شقاؤه الذي حذّره به, كما:
18406ـ حدثنا ابن حميد, قال: حدثنا يعقوب, عن جعفر, عن سعيد, قال: أهبط إلى آدم ثور أحمر, فكان يحرث عليه, ويمسح العرق من جبينه, فهو الذي قال الله تعالى ذكره: فَلا يُخْرِجَنّكُما مِنَ الجَنّةِ فَتَشْقَى فكان ذلك شقاءه.
وقال تعالى ذكره: فَتَشْقَى ولم يقل: فتشقيا, وقد قال: فَلا يُخْرِجَنّكُما لأن ابتداء الخطاب من الله كان لآدم عليه السلام, فكان في إعلامه العقوبة على معصيته إياه, فيما نهاه عنه من أكل الشجرة, الكفاية من ذكر المرأة, إذ كان معلوما أن حكمها في ذلك حكمه, كما قال: عَنِ اليَمِينِ وَعَنِ الشّمالِ قَعِيدٌ اجتزىء بمعرفة السامعين معناه, من ذكر فعل صاحبه.

الآية : 118 - 120

القول في تأويل قوله تعالى: {إِنّ لَكَ أَلاّ تَجُوعَ فِيهَا وَلاَ تَعْرَىَ * وَأَنّكَ لاَ تَظْمَأُ فِيهَا وَلاَ تَضْحَىَ * فَوَسْوَسَ إِلَيْهِ الشّيْطَانُ قَالَ يَآدَمُ هَلْ أَدُلّكَ عَلَىَ شَجَرَةِ الْخُلْدِ وَمُلْكٍ لاّ يَبْلَىَ }.

يقول تعالى ذكره, مخبرا عن قيله لآدم حين أسكنه الجنة: إنّ لَكَ يا آدم أنْ لا تَجُوعَ فِيها وَلا تَعْرَى. و «أن» في قوله ألا تَجُوعَ فِيها في موضع نصب بإن التي في قوله: إنّ لَكَ.

وقوله: وأنّكَ لا تَظْمَأُ فِيها اختلفت القرّاء في قراءتها, فقرأ ذلك بعض قرّاء المدينة والكوفة بالكسر: وإنك, على العطف على قوله: إنّ لَكَ. وقرأ ذلك بعض قرّاء المدينة وعامة قرّاء الكوفة والبصرة: وأنك, بفتح ألفها عطفا بها على «أن» التي في قوله: «أنْ لا تَجُوعَ فِيها». ووجّهوا تأويل ذلك إلى أن لك هذا وهذا فهذه القراءة أعجب القراءتين إليّ, لأن الله تبارك وتعالى ذكره وعد ذلك آدم حين أسكنه الجنة, فكون ذلك بأن يكون عطفا على أن لا تجوع أولى من أن يكون خبر مبتدإ, وإن كان الآخر غير بعيد من الصواب. وعنى بقوله: لا تَظْمأ فيها لا تعطش في الجنة ما دمت فيها وَلا تَضْحَى, يقول: لا تظهر للشمس فيؤذيك حرّها, كما قال ابن أبي ربيعة:

رأتْ رَجُلاً أمّا الشّمْسُ عارَضَتْفَيَضْحى وأمّا بالعشِيّ فَيَخْصَرُ

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

18407ـ حدثني عليّ, قال: حدثنا أبو صالح, قال: ثني معاوية, عن عليّ, عن ابن عباس, قوله: وأنّك لا تَظْمَأُ فِيها وَلا تَضْحَى يقول: لا يصيبك فيها عطش ولا حرّ.

حدثني محمد بن سعد, قال: ثني أبي, قال: ثني عمي, قال: ثني أبي, عن أبيه, عن ابن عباس, قوله: وأنّكُ لا تَظْمَأُ فِيها وَلا تَضْحَى يقول: لا يصيبك حرّ ولا أذى.

18408ـ حدثني أحمد بن عثمان بن حكيم الأودي, قال: حدثنا عبد الرحمن بن شريك, قال: ثني أبي, عن خصيف عن سعيد بن جُبير لا تَظْمَأُ فِيها وَلا تَضْحَى قال: لا تصيبك الشمس.

حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة وَلا تَضْحَى قال: لا تصيبك الشمس.

وقوله: فَوَسْوَسَ إِلَيْهِ الشّيْطَانُ يقول: فألقى إلى آدم الشّيطان وحدّثه فَقالَ يا آدَمُ هَلْ أدُلّكَ على شَجَرَةِ الخُلْدِ يقول: قال له: هل أدلك على شجرة إن أكلت منها خلدت فلم تمت, وملكت ملكا لا ينقضى فيبلى, كما:

18409ـ حدثنا موسى, قال: حدثنا عمرو, قال: حدثنا أسباط, عن السديّ قال يا أدَمُ هَلْ أدُلّكَ عَلى شَجَرَةِ الخُلْدِ وَمُلْكٍ لا يَبْلَى إن أكلت منها كنت مكلاً مثل الله أوْ تَكُونا منَ الخالِدين فلا تموتان أبدا.

الآية : 121 - 122

القول في تأويل قوله تعالى: {فَأَكَلاَ مِنْهَا فَبَدَتْ لَهُمَا سَوْءَاتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِن وَرَقِ الْجَنّةِ وَعَصَىَ ءَادَمُ رَبّهُ فَغَوَىَ * ثُمّ اجْتَبَاهُ رَبّهُ فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَىَ }.

يقول تعالى ذكره: فأكل آدم وحوّاء من الشجرة التي نُهيا عن الأكل منها, وأطاعا أمر إبليس, وخالفا أمر ربهما فَبَدَتْ لَهُما سَوْآتُهُما يقول: فانكشفت لهما عوراتهما, وكانت مستورة عن أعينهما, كما:

18410ـ حدثنا موسى, قال: حدثنا عمرو, قال: حدثنا أسباط, عن السديّ, قال: إنما أراد, يعني إبليس بقوله: هَلْ أدُلّكَ عَلى شَجَرةِ الخُلْدِ وَمُلْكٍ لا يَبْلَى ليبدي لهما ما توارى عنهما من يوآتهما, بهتك لباسهما, وكان قد علم أن لهما سَوْءَة لما كان يقرأ من كتب الملائكة, ولم يكن آدم يعلم ذلك, وكان لباسهما الظفر, فأبى آدم أن يأكل منها, فتقدمت حوّاء, فأكلت ثم قالت: يا آدم كل, فآني قد أكلت, فلم يضرّني, فلما أكل آدم بدت لهما سوآتهما.

وقوله: وَطَفِقا يَخْصِفانِ عَلَيْهِما منْ وَرَقِ الجَنّةِ يقول: أقبلا يشدّان عليهما من ورق الجنة, كما:

18411ـ حدثنا موسى, قال: حدثنا عمرو, قال: حدثنا أسباط, عن السدي وَطَفِقا يَخْصِفانِ عَلَيْهِما منْ وَرَقِ الجَنّةِ يقول: أقبلا يغطيان عليهما بورق التين.

18412ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة, قوله: وَطَفِقا يَخْصِفانِ عَلَيْهِما منْ وَرَقِ الجَنّةِ يقول: يوصلان عليهما من ورق الجنة.

وقوله: وَعَصى آدَمُ رَبّهُ فَغَوَى يقول: وخالف أمر ربه, فتعدّى إلى ما لم يكن له أن يتعدّى إليه, من الأكل من الشجرة التي نهاه عن الأكل منها.

وقوله: ثُمّ اجْتَباهُ رَبّهُ فَتابَ عَلَيْهِ وَهَدَى يقول: اصطفاه ربه من بعد معصيته إياه فرزقه الرجوع إلى ما يرضى عنه, والعمل بطاعته, وذلك هو كانت توبته التي تابها عليه. وقوله: وَهَدَى يقول: وهداه للتوبة, فوفّقه لها.

الآية : 123

القول في تأويل قوله تعالى: {قَالَ اهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعاً بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوّ فَإِمّا يَأْتِيَنّكُم مّنّي هُدًى فَمَنِ اتّبَعَ هُدَايَ فَلاَ يَضِلّ وَلاَ يَشْقَىَ }.

يقول تعالى ذكره: قال الله تعالى لآدم وحوّاء: اهْبِطَا جَمِيعا إلى الأرض بَعْضَكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوّ يقول: أنتما عدوّ إبليس وذرّيته, وإبليس عدّوكما وعدوّ ذرّيتكما.

وقوله: فإمّا يَأْتِيَنّكُمْ مِنّي هُدًى يقول: فإن يأتكم يا آدم وحوّاء وإبليس مني هدى: يقول: بيان لسبيلي, وما أختاره لخلقي من دين فَمَنِ اتّبَعَ هُدَايَ يقول: فمن اتبع بياني ذلك وعمل به, ولم يزغ منه فَلا يَضِلّ يقول: فلا يزول عن مَحجة الحق, ولكنه يرشد في الدنيا ويهتدي وَلا يَشْقَى في الآخرة بعقاب الله, لأن الله يدخله الجنة, وينجيه من عذابه. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

18413ـ حدثني الحسين بن يزيد الطحان, قال: حدثنا أبو خالد الأحمر, عن عمرو بن قيس الملائي, عن عكرمة عن ابن عباس, قال: تضمن الله لمن قرأ القرآن, واتبع ما فيه أن لا يضلّ في الدنيا ولا يشقى في الآخرة, ثم تلا هذه الآية: فَمَنِ اتّبَعَ هَدَايَ فَلا يَضُلّ وَلا يَشْقَى.

حدثني نصر بن عبد الرحمن الأودي, قال: حدثنا حكام الرازيّ, عن أيوب بن موسى, عن مرو, حدثنا الملائي عن ابن عباس أنه قال: إن الله قد ضمن... فذكر نحوه.

حدثنا ابن حميد, قال: حدثنا حكام, عن أيوب بن يسار أبـي عبد الرحمن, عن عمرو بن قـيس, عن رجل عن ابن عبـاس, بنـحوه.
حدثنا علـيّ بن سهل الرملـي, قال: حدثنا أحمد بن مـحمد النسائي, عن أبـي سلـمة, عن عطاء, عن سعيد بن جُبـير, قال: قال ابن عبـاس: من قرأ القرآن واتبع ما فـيه عصمه الله من الضلالة, ووقاه, أظنه أنه قال: من هول يوم القـيامة, وذلك أنه قال: فَمَنِ اتّبَعَ هُدَايَ فَلا يَضِلّ وَلا يَشْقَـى فـي الآخرة.

الآية : 124 - 126

القول فـي تأويـل قوله تعالـى: {وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكاً وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيامَةِ أَعْمَىَ * قَالَ رَبّ لِمَ حَشَرْتَنِيَ أَعْمَىَ وَقَدْ كُنتُ بَصِيراً * قَالَ كَذَلِكَ أَتَتْكَ آيَاتُنَا فَنَسِيتَهَا وَكَذَلِكَ الْيَوْمَ تُنْسَىَ }.
يقول تعالـى ذكره: وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْري الذي أذكره به فتولـى عنه ولـم يقبله ولـم يستـجب له, ولـم يتعظ به فـينزجر عما هو علـيه مقـيـم من خلافه أمر ربه فإنّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكا يقول: فإن له معيشة ضيقة. والضنك من الـمنازل والأماكن والـمعايش: الشديد يقال: هذا منزل ضنك: إذا كان ضيقا, وعيش ضنك: الذكر والأنثى والواحد والاثنان والـجمع بلفظ واحد ومنه قول عنترة:
وإنْ نَزَلُوا بضَنْكٍ أنْزِلِ
وبنـحو الذي قلنا فـي ذلك قال أهل التأويـل. ذكر من قال ذلك:
18414ـ حدثنـي علـيّ, قال: حدثنا عبد الله, قال: ثنـي معاوية, عن علـيّ, عن ابن عبـاس, قوله: فإنّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكا يقول: الشقاء.
18415ـ حدثنـي مـحمد بن عمرو, قال: حدثنا أبو عاصم, قال: حدثنا عيسى وحدثنـي الـحارث, قال: حدثنا الـحسن قال: حدثنا ورقاء جميعا عن ابن أبـي نـجيح, عن مـجاهد, قوله: ضَنْكا قال: ضيقة.
18416ـ حدثنا الـحسن, قال: حدثنا عبد الرزاق, عن معمر, عن قَتادة, فـي قوله: فإنّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكا قال: الضنك: الضيق.
حدثنا ابن حميد, قال: حدثنا حكام, عن عنبسة, عن مـحمد بن عبد الرحمن, عن القاسم بن أبـي بزّة, عن مـجاهد, فـي قوله: فإنّ لَهُ مَعَيشَةً ضَنْكا يقول: ضيقة.
حدثنا القاسم, قال: حدثنا الـحسين, قال: ثنـي حجاج, عن ابن جُرَيج, عن مـجاهد, مثله.
واختلف أهل التأويـل فـي الـموضع الذي جعل الله لهؤلاء الـمعرضين عن ذكره العيشة الضنك, والـحال التـي جعلهم فـيها, فقال بعضهم: جعل ذلك لهم فـي الآخرة فـي جهنـم, وذلك أنهم جعل طعامهم فـيها الضريع والزقوم. ذكر من قال ذلك:
18417ـ حدثنـي مـحمد بن عمرو بن علـيّ بن مقدم, قال: حدثنا يحيى بن سعيد, عن عوفُ, عن الـحسن, فـي قوله: فإنّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكا قال: فـي جهنـم.
18418ـ حدثنـي يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: قال ابن زيد, فـي قوله: وَمَنْ أعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فإنّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكا فقرأ حتـى بلغ: ولَـمْ يُؤْمِنْ بآياتِ رَبّهِ قال: هؤلاء أهل الكفر. قال: ومعيشة ضنكا فـي النار شوك من نار وزقوم وغسلـين, والضريع: شوك من نار, ولـيس فـي القبر ولا فـي

الدنـيا معيشة, ما الـمعيشة والـحياة إلا فـي الآخرة, وقرأ قول الله عزّ وجلّ: يا لَـيْتَنِـي قَدّمْتُ لِـحَياتِـي قال: لـمعيشتـي قال: والغسلـين والزقوم: شيء لا يعرفه أهل الدنـيا.

18419ـ حدثنا الـحسن, قال: حدثنا عبد الرزاق, عن معمر, عن قتادة فإنّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكا قال: فـي النار.

وقال آخرون: بل عنى بذلك: فإن له معيشة فـي الدنـيا حراما. قال: ووصف الله جلّ وعزّ معيشتهم بـالضنك, لأن الـحرام وإن اتسع فهو ضنك. ذكر من قال ذلك:

18420ـ حدثنا مـحمد بن حميد, قال: حدثنا يحيى بن واضح, قال: حدثنا الـحسين بن واقد, عن يزيد, عن عكرِمة فـي قوله: مَعِيشَةً ضَنْكا قال: هي الـمعيشة التـي أوسع الله علـيه من الـحرام.

18421ـ حدثنـي داود بن سلـيـمان بن يزيد الـمكتب من أهل البصرة, قال: حدثنا عمرو بن جرير البجلـي, عن إسماعيـل بن أبـي خالد, عن قـيس بن أبـي حازم فـي قول الله: مَعِيشَةً ضَنْكا قال: رزقا فـي معصيته.

18422ـ حدثنـي عبد الأعلـى بن واصل, قال: حدثنا يعلـى بن عبـيد, قال: حدثنا أبو بسطام, عن الضحاك فإنّ لَهُ مَعيشَةً ضَنْكا قال: الكسب الـخبـيث.

حدثنـي مـحمد بن إسماعيـل الصراري, قال: حدثنا مـحمد بن سوار, قال: حدثنا أبو الـيقظان عمار بن مـحمد, عن هارون بن مـحمد التـيـمي, عن الضحاك, فـي قوله: فإنّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكا قال: العمل الـخبـيث, والرزق السيىء.

وقال آخرون مـمن قال عنى أن لهؤلاء القوم الـمعيشة الضنك فـي الدنـيا, إنـما قـيـل لها ضنك وإن كانت واسعة, لأنهم ينفقون ما ينفقون من أموالهم علـى تكذيب منهم بـالـخـلف من الله, وإياس من فضل الله, وسوء ظنّ منهم بربهم, فتشتدّ لذلك علـيهم معيشتهم وتضيق ذكر من قال ذلك:

18423ـ حدثنـي مـحمد بن سعد, قال: ثنـي أبـي, قال: ثنـي عمي, قال: ثنـي أبـي, عن أبـيه, عن ابن عبـاس, قوله: وَمَنْ أعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فإنّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكا يقول: كلّ مال أعطيته عبدا من عبـادي قلّ أو كثر, لا يتقـينـي فـيه, لا خير فـيه, وهو الضنك فـي الـمعيشة. ويقال: إن قوما ضُلاّلاً أعرضوا عن الـحق وكانوا أولـي سعة من الدنـيا مكثرين, فكانت معيشتهم ضنكا, وذلك أنهم كانوا يرون أن الله عزّ وجلّ لـيس بـمخـلف لهم معايشهم من سوء ظنهم بـالله, والتكذيب به, فإذا كان العبد يكذّب بـالله, ويسيء الظنّ به, اشتدّت علـيه معيشته, فذلك الضنك.

وقال آخرون: بل عنـي بذلك: أن ذلك لهم فـي البرزخ, وهو عذاب القبر. ذكر من قال ذلك:

18424ـ حدثنـي يزيد بن مخـلد الواسطي, قال: حدثنا خالد بن عبد الله, عن عبد الرحمن بن إسحاق, عن أبـي حازم عن النعمان بن أبـي عياش, عن أبـي سعيد الـخدريّ, قال فـي قول الله: مَعِيشَةً ضَنْكا قال: عذاب القبر.

حدثنـي مـحمد بن عبد الله بن بزيع, قال: حدثنا بِشر بن الـمفضل, قال: حدثنا عبد الرحمن بن إسحاق, عن أبـي حازم, عن النعمان بن أبـي عياش, عن أبـي سعيد الـخُدريّ, قال: إن الـمعيشة الضنك, التـي قال الله: عذاب القبر.

حدثني حوثرة بن محمد المنقري, قال: حدثنا سفيان, عن أبي حازم, عن أبي سلمة, عن أبي سعيد الخُدريّ فإنّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكا قال: يضيق عليه قبره حتى تختلف أضلاعه.

حدثني محمد بن عبد الله بن عبد الحكم, قال: حدثنا أبي وشعيب بن الليث, عن الليث, قال: حدثنا خالد بن زيد, عن ابن أبي هلال, عن أبي حازم, عن أبي سعيد, أنه كان يقول: المعيشة الضنك: عذاب القبر, إنه يسلط على الكافر في قبره تسعة وتسعون تنّينا تنهشه وتخدش لحمه حتى يُبعث. وكان يقال: لو أن تنّينا منها نفخ الأرض لم تنبت زرعا.

18425ـ حدثنا مجاهد بن موسى, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا محمد بن عمرو, عن أبي سلمة, عن أبي هريرة, قال: يطبق على الكافر قبره حتى تختلف فيه أضلاعه, وهي المعيشة الضنك التي قال الله: مَعِيشَةً ضَنْكا ونحْشُرُهُ يَوْمَ القِيامَةِ أعْمَى.

18426ـ حدثنا أبو كريب, قال: حدثنا جابر بن نوح, عن إسماعيل بن أبي خالد, عن أبي صالح والسديّ في قوله: مَعِيشَةً ضَنْكا قال: عذاب القبر.

18427ـ حدثنا محمد بن إسماعيل الأحمسي, قال: حدثنا محمد بن عبيد, قال: حدثنا سفيان الثوري, عن إسماعيل بن أبي خالد, عن أبي صالح, في قوله: فإنّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكا قال: عذاب القبر.

18428ـ حدثني عبد الرحمن بن الأسود, قال: حدثنا محمد بن ربيعة, قال: حدثنا أبو عُمَيس, عن عبد الله بن مخارق عن أبيه, عن عبد الله, في قوله: مَعِيشَةً ضَنْكا قال: عذاب القبر.

حدثني عبد الرحيم البرقيّ, قال: حدثنا ابن أبي مَريم, قال: حدثنا محمد بن جعفر وابن أبي حازم, قالا: حدثنا أبو حازم, عن النعمان بن أبي عياش, عن أبي سعيد الخدريّ مَعِيشَةً ضَنْكا قال: عذاب القبر.

قال أبو جعفر: وأولى الأقوال في ذلك بالصواب قول من قال: هو عذاب القبر الذي:

18429ـ حدثنا به أحمد بن عبد الرحمن بن وهب, قال: حدثنا عمي عبد الله بن وهب, قال: أخبرني عمرو بن الحارث, عن درّاج, عن ابن حُجَيرة عن أبي هريرة, عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: «أتَدْرُونَ فِيمَ أُنْزِلَتْ هَذِهِ الآيَةُ: فإنّ لَهُ مَعيشَةً ضَنْكا وَنحْشُرُهُ يَوْمَ القيامَةِ أعْمَى أتَدْرُونَ ما المَعِيشَةً الضّنْكُ؟» قالوا: الله ورسوله أعلم, قال: «عَذَابُ الكافرِ في قَبْرِهِ, والّذِي نَفْسي بيَدِهِ, إنّه لَيُسَلّطُ عَلَيْهِ تَسْعَةٌ وَتِسْعُونَ تِنّينا, أتَدْرُونَ ما التّنِينُ: تسْعَةٌ وَتسْعُونَ حَيّة, لكلّ حَيّة سَبْعَةُ رُؤُوسٍ, يَنْفُخُونَ في جِسْمِهِ وَيَلْسَعُونَهُ ويَخْدِشُونَهُ إلى يَوْمِ القِيامَةِ». وإنّ الله تبارك وتعالى أتبع ذلك بقوله: وَلَعَذَابُ الآخِرَةِ أشَدّ وأبْقَى فكان معلوما بذلك أن المعيشة الضنك التي جعلها الله لهم قبل عذاب الآخرة, لأن ذلك لو كان في الآخرة لم يكن لقوله وَلَعَذَابُ الآخِرَةِ أشَدّ وأبْقَى معنى مفهوم, لأن ذلك إن لم يكن تقدّمه عذاب لهم قبل الآخرة, حتى يكون الذي في الآخرة أشدّ منه, بطل معنى قوله وَلَعَذَابُ الآخِرَةِ أشَدّ وأبْقَى. فإذ كان ذلك كذلك, فلا تخلو تلك المعيشة الضنك التي جعلها الله لهم من أن تكون لهم في حياتهم الدنيا, أو في قبورهم قبل البعث, إذ كان لأوجه لأن تكون في الآخرة لما قد بيّنا, فإن كانت لهم في حياتهم الدنيا, فقد يجب أن يكون كلّ من أعرض عن ذكر الله من الكفار, فإن معيشته فيها ضنك,

وفـي وجودنا كثـيرا منهم أوسع معيشة من كثـير من الـمقبلـين علـى ذكر الله تبـارك وتعالـى, القائلـين له الـمؤمنـين فـي ذلك, ما يدلّ علـى أن ذلك لـيس كذلك, وإذ خلا القول فـي ذلك من هذين الوجهين صحّ الوجه الثالث, وهو أن ذلك فـي البرزخ.

وقوله: ونَـحْشُرُهُ يَوْمَ القِـيامَةِ أعْمَى اختلف أهل التأويـل فـي صفة العمى الذي ذكر الله فـي هذه الآية, أنه يبعث هؤلاء الكفـار يوم القـيامة به, فقال بعضهم: ذلك عمى عن الـحجة, لا عمى عن البصر. ذكر من قال ذلك:

18430ـ حدثنا مـحمد بن إسماعيـل الأحمسي, قال: حدثنا مـحمد بن عبـيد, قال: حدثنا سفـيان الثوري, عن إسماعيـل بن أبـي خالد, عن أبـي صالـح, فـي قوله: ونَـحْشُرُهُ يَوْمَ القِـيامَةِ أعْمَى قال: لـيس له حجة.

18431ـ حدثنـي مـحمد بن عمرو, قال: حدثنا أبو عاصم, قال: حدثنا عيسى وحدثنـي الـحارث, قال: حدثنا الـحسن, قال: حدثنا ورقاء, جميعا عن ابن أبـي نـجيح, عن مـجاهد, فـي قوله: ونَـحْشُرُهُ يَوْمَ القِـيامَةِ أعْمَى قال: عن الـحجة.

18432ـ حدثنا القاسم, قال: حدثنا الـحسين, قال: ثنـي حجاج, عن ابن جُرَيج, عن مـجاهد, مثله, وقـيـل: يحشر أعمى البصر.

قال أبو جعفر: والصواب من القول فـي ذلك ما قال الله تعالـى ذكره, وهو أنه يحشر أعمى عن الـحجة ورؤية الشيء كما أخبر جلّ ثناؤه, فعمّ ولـم يخصص.

وقوله: قالَ رَبّ لِـمَ حَشَرْتَنِـي أعْمَى وَقَدْ كُنْتُ بَصِيرا اختلف أهل التأويـل فـي تأويـل ذلك. فقال بعضهم فـي ذلك, ما:

18433ـ حدثنا ابن بشار, قال: حدثنا عبد الرزاق, عن ابن نـجيح, عن مـجاهد قالَ رَبّ لِـمَ حَشَرْتَنِـي أعْمَى لا حجة لـي.

وقوله: وَقَدْ كُنْتُ بَصِيرا اختلف أهل التأويـل ذلك, فقال بعضهم: معناه: وقد كنت بصيرا بحجتـي. ذكر من قال ذلك:

18434ـ حدثنا القاسم, قال: حدثنا الـحسين, قال: ثنـي حجاج, عن ابن جُرَيج, عن مـجاهد وَقَدْ كُنْتُ بَصِيرا قال: عالـما بحجتـي.

وقال آخرون: بل معناه: وقد كنت ذا بصر أبصر به الأشياء. ذكر من قال ذلك

18435ـ حدثنـي مـحمد بن عمرو, قال: حدثنا أبو عاصم, قال: حدثنا عيسى وحدثنـي الـحارث, قال: حدثنا الـحسن, قال: حدثنا ورقاء, جميعا عن ابن أبـي نـجيح, عن مـجاهد وَقَدْ كُنْتُ بَصِيرا فـي الدنـيا.

18436ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد قال: حدثنا سعيد, عن قتادة, قوله: قالَ رَبّ لِـمَ حَشَرْتَنِـي أعْمَى وَقَدْ كُنْتُ بَصِيرا قال: كان بعيد البصر, قصير النظر, أعمى عن الـحقّ.

قال أبو جعفر: والصواب من القول فـي ذلك عندنا, أن الله عزّ وجلّ ثناؤه, عمّ بـالـخبر عنه بوصفه نفسه بـالبصر, ولـم يخصص منه معنى دون معنى, فذلك علـى ما عمه فإذا كان ذلك كذلك, فتأويـل الآية, قال: ربّ لـم حشرتنـي أعمى عن حجتـي ورؤية الأشياء, وقد كنت فـي الدنـيا ذا بصر بذلك كله.

فإن قال قائل: وكيف قال هذا لربه: لِـمَ حَشَرْتَنِـي أعْمَى مع معاينته عظيـم سلطانه, أجهل فـي ذلك الـموقـف أن يكون لله أن يفعل به ما شاء,

أم ما وجه ذلك؟ قيل: إن ذلك منه مسألة لربه يعرّفه الجرم الذي استحقّ به ذلك, إذ كان قد جهله, وظنّ أن لا جرم له, استحق ذلك به منه, فقال: ربّ لأيّ ذنب ولأيّ جرم حشرتني أعمى, وقد كنت من قبل في الدنيا بصيرا وأنت لا تعاقب أحدا إلا بدون ما يستحق منك من العقاب.

وقوله: قالَ كَذَلِكَ أَتَتْكَ آياتنا فَنَسِيتَها يقول تعالى ذكره, قال الله حينئذٍ للقائل له: لِمَ حَشَرْتَنِي أعْمَى وَقَدْ كُنْتُ بَصِيرا: فعلت ذلك بك, فحشرتك أعمى كما أتتك آياتي, وهي حججه وأدلته وبيانه الذي بيّنه في كتابه, فنسيتها: يقول: فتركتها وأعرضت عنها, ولم تؤمن بها, ولم تعمل. وعنى بقوله كَذَلِكَ أَتَتْكَ هكذا أتتكَ.

وقوله: وكذلكَ اليَوْمَ تُنْسَى يقول: فكما نسيت آياتنا في الدنيا, فتركتها وأعرضت عنها, فكذلك اليوم ننساك, فنتركك في النار.

وقد اختلف أهل التأويل في معنى قوله وكَذَلكَ اليَوْمَ تُنْسَى فقال بعضهم بمثل الذي قلنا في ذلك. ذكر من قال ذلك:

18437ـ حدثنا محمد بن إسماعيل الأحمسي, قال, حدثنا محمد بن عبيد, قال: حدثنا سفيان الثوري, عن إسماعيل بن أبي خالد, عن أبي صالح, في قوله: وكَذَلكَ اليَوْمَ تُنْسَى قال: في النار.

18438ـ حدثنا الحسن, قال: أخبرنا عبد الرزاق, قال: أخبرنا معمر, عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد, في قوله: كَذَلكَ أَتَتْكَ آياتُنا فَنَسِيتَها قال: فتركتها وكَذَلكَ اليَوْمَ تُنْسَى وكذلك اليوم تترك في النار.

ورُوي عن قتادة في ذلك ما.

18439ـ حدثني بِشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قَتادة قالَ كَذَلكَ أَتَتْكَ آياتُنا فَنَسِيتَها وكَذَلكَ اليَوْمَ تُنْسَى قال: نسي من الخير, ولم ينس من الشرّ.

وهذا القول الذي قاله قَتادة قريب المعنى مما قاله أبو صالح ومجاهد, لأن تركه إياهم في النار أعظم الشرّ لهم.

الآية : 127

القول في تأويل قوله تعالى: {وَكَذَلِكَ نَجْزِي مَنْ أَسْرَفَ وَلَمْ يُؤْمِن بِآيَاتِ رَبّهِ وَلَعَذَابُ الآخِرَةِ أَشَدّ وَأَبْقَىَ }.

يقول تعالى ذكره: وهكذا نجزي: أي نثيب من أسرف فعصي ربه, ولم يؤمن برسله وكتبه, فنجعل له معيشة ضنكا في البرزخ كما قد بيّنا قبل وَلَعَذَابُ الآخِرَةِ أَشَدّ وأبْقَى يقول جلّ ثناؤه: ولعذاب في الآخرة أشدّ لهم مما وعدتهم في القبر من المعيشة الضنك وأبقى يقول: وأدوم منها, لأنه إلى غير أمد ولا نهاية.

الآية : 128

القول في تأويل قوله تعالى: {أَفَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ كَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مّنَ الْقُرُونِ يَمْشُونَ فِي مَسَاكِنِهِمْ إِنّ فِي ذَلِكَ لاَيَاتٍ لأُوْلِي النّهَىَ }.

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم: أفلم يهد لقومك المشركين بالله, ومعنى يهد: يبين. يقول: أفلم يبين لهم كثرة ما أهلكنا قبلهم من الأمم التي سلكت قبلها التي يمشون في مساكنهم ودورهم, ويرون آثار عقوباتنا التي أحللناها بهم سوء مغبة ما هم عليه مقيمون من الكفر بآياتنا, ويتعظوا بهم, ويعتبروا, وينيبوا إلى الإذعان, ويؤمنوا بالله

ورسوله, خوفـا أن يصيبهم بكفرهم بـالله مثل ما صابهم. وبنـحو الذي قلنا فـي ذلك قال أهل التأويـل. ذكر من قال ذلك:

18440ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة, قوله: كَمْ أَهْلَكْنا قَبْلَهُمْ مِنَ القُرُونِ يَـمْشُونَ فِـي مَساكِنِهِمْ لأن قريشا كانت تتـجر إلـى الشأم, فتـمرّ بـمساكن عاد وثمود ومن أشبههم, فترى آثار وقائع الله تعالـى بهم, فلذلك قال لهم: أفلـم يحذّرهم ما يرون من فعلنا بهم بكفرهم بنا نزول مثله بهم, وهم علـى مثل فعلهم مقـيـمون. وكان الفرّاء يقول: لا يجوز فـي كم فـي هذا الـموضع أن يكون إلا نصبـا بأهلكنا وكان يقول: وهو وإن لـم يكن إلا نصبـا, فإن جملة الكلام رفع بقوله: يَهْدِ لَهُمْ ويقول: ذلك مثل قول القائل: قد تبـين لـي أقام عمرو أم زيد فـي الاستفهام, وكقوله سَوَاءٌ عَلَـيْكُمْ أَدَعَوْتُـمُوهُمْ أمْ أَنْتُـمْ صَامِتُونَ ويزعم أن فـيه شيئا يرفع سواء لا يظهر مع الاستفهام, قال: ولو قلت: سواء علـيكم صمتكم ودعاؤكم تبـين ذلك الرفع الذي فـي الـجملة ولـيس الذي قال الفرّاء من ذلك, كما قال: لأن كم وإن كانت من حروف الاستفهام فإنها لـم تـجعل فـي هذا الـموضع للاستفهام, بل هي واقعة موقع الأسماء الـموصوفة. ومعنى الكلام ما قد ذكرنا قبل وهو: أفلـم يبـين لهم كثرة إهلاكنا قبلهم القرون التـي يـمشون فـي مساكنهم, أو أفلـم تهدهم القرون الهالكة. وقد ذُكر أن ذلك فـي قراءة عبد الله: «أفَلَـمْ يَهْدِ لَهَمْ مَنْ أَهْلَكْنا» فكم واقعة موقع من فـي قراءة عبد الله, هي فـي موضع رفع بقوله: يَهْدِ لَهُمْوهو أظهر وجوهه, وأصحّ معانـيه, وإن كان الذي قاله وجه ومذهب علـى بعد.

وقوله: إنّ فِـي ذلكَ لآيَاتٍ لأُولـي النّهَى يقول تعالـى ذكره: إن فـيـما يعاين هؤلاء ويرون من آثار وقائعنا بـالأمـم الـمكذّبة رسلها قبلهم, وحلول مُثْلاتنا بهم لكفرهم بـالله لآيَاتٍ يقول: لدلالات وعبرا وعظات لأُولـي النّهَى يعنـي: لأهل الـحجى والعقول, ومن ينهاه عقله وفهمه ودينه عن مواقعة ما يضره. وبنـحو الذي قلنا فـي ذلك قال أهل التأويـل. ذكر من قال ذلك:

18441ـ حدثنـي علـيّ, قال: حدثنا أبو صالـح, قال: ثنـي معاوية, عن علـيّ, عن ابن عبـاس, قوله: لأُولـي النّهَى يقول: التقـى.

18442ـ حدثنا بِشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة إنّ فِـي ذلكَ لآيَاتٍ لأُولـي النّهَى أهل الورع.

الآية : 129-130

القول فـي تأويـل قوله تعالـى: {وَلَوْلاَ كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رّبّكَ لَكَانَ لِزَاماً وَأَجَلٌ مّسَمّى * فَاصْبِرْ عَلَىَ مَا يَقُولُونَ وَسَبّحْ بِحَمْدِ رَبّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا وَمِنْ آنَآءِ اللّيْلِ فَسَبّحْ وَأَطْرَافَ النّهَارِ لَعَلّكَ تَرْضَىَ }.

يقول تعالـى ذكره: وَلَوْلا كَلِـمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبّكَ يا مـحمد أن كلّ من قضى له أجلاً فإنه لا يخترمه قبل بلوغه أجله وأجلٌ مسمّى يقول: ووقت مسمى عند ربك سماه لهم فـي أمّ الكتاب وخطه فـيه, هم بـالغوه ومستوفوه لَكانَ لِزَاما يقول: للازمهم الهلاك عاجلاً, وهو مصدر من قول القائل: لازم فلان فلانا يلازمه ملازمة ولزاما: إذا لـم يفـارقه, وقدّم قوله: لَكانَ لِزَاما قبل قوله أجَلٌ مُسَمّى ومعنى الكلام: ولولا كلـمة سبقت من ربك وأجل مسمى لكان لزاما, فـاصبر علـى ما يقولون. وبنـحو الذي قلنا فـي ذلك, قال أهل التأويـل. ذكر من قال ذلك:

18443ـ حدثني محمد بن عمرو, قال: حدثنا أبو عاصم, قال: حدثنا عيسى وحدثني الحارث, قال: حدثنا الحسن, قال: حدثنا ورقاء, جميعا عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد, قوله: وَلَوْلا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبّكَ لَكانَ لِزَاما وأجَلٌ مُسَمّى الأجل المسمى: الدنيا.

18444ـ حدثنا بشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة, قوله: وَلَوْلا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبّكَ لَكانَ لِزَاما وأجَلٌ مُسَمّى وهذه من مقاديم الكلام, يقول: لولا كلمة سبقت من ربك إلى أجل مسمى كان لزاما, والأجل المسمى, الساعة, لأن الله تعالى يقول بَلِ السّاعَةُ مَوْعِدُهُمْ, والسّاعَةُ أدْهَى وأمَرّ.

18445ـ حدثني يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: قال ابن زيد, في قوله: وَلَوْلا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبّكَ لَكانَ لِزَاما وأجَلٌ مُسَمّى قال: هذا مقدّم ومؤخر, ولولا كلمة سبقت من ربك وأجل مسمى لكان لزاما.

واختلف أهل التأويل في معنى قوله: لَكانَ لِزَاما فقال بعضهم: معناه: لكان موتا. ذكر من قال ذلك:

18446ـ حدثني عليّ قال: ثني أبو صالح, قال: ثني معاوية, عن عليّ, عن ابن عباس, قوله: لَكانَ لِزَاما يقول: موتا.

وقال آخرون: معناه لكان قتلاً. ذكر من قال ذلك:

18447ـ حدثني يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: قال ابن زيد لَكانَ لِزَاما واللزام: القتل.

وقوله: فاصْبِرْ على ما يَقُولُونَ يقول جلّ ثناؤه لنبيه: فاصبر يا محمد على ما يقول هؤلاء المكذّبون بآيات الله من قومك لك إنك ساحر, وإنك مجنون وشاعر ونحو ذلك من القول وَسَبّحْ بِحَمْدِ رَبّكَ يقول: وصل بثنائك على ربك, وقال: بحمد ربك. والمعنى: بحمدك ربك, كما تقول: أعجبني ضرب زيد, والمعنى: ضربي زيدا. وقوله: قَبْلَ طُلُوعِ الشّمْسِ وذلك صلاة الصبح وَقَبْلَ غُرُوبِها وهي العصر وَمِنْ آناءِ اللّيْلِ وهي ساعات الليل, واحدها: إنْيٌ, على تقدير حمل ومنه قول المنخّل السعدي:

حُلْوٌ وَمُرّ كَعِطْفِ القِدْحِ مُرّتُهُفِي كُلّ إنْيٍ قَضَاهُ اللّيْلُ يَنْتَعِلُ

ويعني بقوله: وَمِنْ آناءِ اللّيْلِ فَسَبّحْ صلاة العشاء الآخرة, لأنها تصلى بعد مضيّ آناء من الليل.

وقوله: وأطْرَافَ النّهارِ: يعني صلاة الظهر والمغرب وقيل: أطراف النهار, والمراد بذلك الصلاتان اللتان ذكرنا, لأن صلاة الظهر في آخر طرف النهار الأوّل, وفي أوّل طرف النهار الآخر, فهي في طرفين منه, والطرف الثالث: غروب الشمس, وعند ذلك تصلى المغرب, فلذلك قيل أطراف, وقد يحمل أن يقال: أريد به طرفا النهار. وقيل: أطراف, كما قيل صَغَتْ قُلُوبُكما فجمع, والمراد: قلبان, فيكون ذلك أوّل طرف النهار الآخر, وآخر طرفه الأول.

وبنحو الذي قلنا في ذلك, قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

18448ـ حدثنا محمد بن بشار, قال: حدثنا عبد الرحمن, قال: حدثنا سفيان, عن عاصم, عن ابن أبي زيد, عن ابن عباس وَسَبّحْ بِحَمْدِ رَبّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِها قال: الصلاة المكتوبة.

18449ـ حدثنا تميم بن المنتصر, قال: حدثنا يزيد بن هارون, قال: أخبرنا إسماعيل بن أبي خالد, عن قيس بن أبي حازم, عن جرير بن عبد

الله, قال: كنا جلوسا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم, فرأى القمر ليـلة البدر فقال: «إنّكُمْ رَاءُونَ رَبّكُمْ كمَا تَرَوْنَ هَذَا, لا تُضَامُونَ فِـي رُؤْيَتِهِ, فإنِ اسْتَطَعْتـمْ أنْ لا تُغْلَبُوا عَلـى صَلاةٍ قَبلَ طُلُوعِ الشّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِها فـافْعَلُوا» ثُمّ تَلا: وسَبّحْ بحَمْدِ رَبّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِها».

18450ـ حدثنا القاسم, قال: حدثنا الـحسين, قال: ثنـي حجاج وَسَبّحْ بِحَمْدِ رَبّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِها قال ابن جريج: العصر, وأطراف النهار قال: الـمكتوبة.

18451ـ حدثنا الـحسن, قال: أخبرنا عبد الرزاق, عن معمى, عن قَتادة فـي قوله: وَسَبّحْ بِحَمْدِ رَبّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشّمْسِ قال: هي صَلاة الفجر وَقَبْلَ غُرُوبِها قال: صلاة العصر. وَمِنْ آناءِ اللّـيْـلِ قال: صلاة الـمغرب والعشاء. وأطْرافَ النَهارِ قال: صلاة الظهر.

18452ـ حدثنـي يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: قال ابن زيد, فـي قوله وَمِنْ آناءِ اللّـيْـلِ فَسَبّحْ وأطْرَافَ النّهارِ: قال: من آناء الليـل: العَتَـمة. وأطراف النهار: الـمغرب والصبح.

ونصب قوله وأطْرافَ النهار عطفـا علـى قوله قَبْلَ طُلُوع الشّمْسِ, لأن معنى ذلك: فسبح بحمد ربك آخر الليـل, وأطراف النهار. وبنـحو الّذي قلنا فـي معنى آناءِ اللّـيْـلِ قال أهل التأويـل. ذكر من قال ذلك:

18453ـ حدثنا القاسم, قال: حدثنا الـحسين, قال: ثنـي حجاج, عن ابن جُرَيج, قال: قال ابن عبـاس وَمِن آناءِ اللّـيْـلِ قال: الـمصلـى من الليـل كله.

18454ـ حدثنـي يعقوب بن إبراهيـم, قال: حدثنا ابن عُلَـية, عن أبـي رجاء, قال: سمعت الـحسن قرأ: وَمِنْ آناء اللّـيْـلِ قال: من أوّله, وأوسطه, وآخره.

18455ـ حدثنـي مـحمد بن سعد, قال: ثنـي أبـي, قال: ثنـي عمي, قال: ثنـي أبـي, عن أبـيه, عن ابن عبـاس, فـي قوله: وَمِنْ آناءِ اللّـيْـلِ فَسَبّحْ قال: آناء الليـل: جوف الليـل.

وقوله: لَعَلّكَ تَرْضَى يقول: كي ترضى.

وقد اختلفت القرّاء فـي قراءة ذلك, فقرأته عامة قرّاء الـمدينة والعراق: لَعَلّكَ تَرْضَى بفتـح التاء. وكان عاصم والكسائي يقرآن ذلك: «لَعَلّكَ تُرْضَى» بضم التاء, ورُوي ذلك عن أبـي عبد الرحمن السّلَـميّ, وكأنّ الذين قرأوا ذلك بـالفتـح, ذهبوا إلـى معنى: إن الله يعطيك, حتـى ترضى عطيّته وثوابه إياك, وكذلك تأوّله أهل التأويـل. ذكر من قال ذلك:

18456ـ حدثنـي يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: قال ابن زيد, فـي قوله: لَعَلّكَ تَرْضَى قال: الثواب, ترضى بـما يثـيبك الله علـى ذلك.

18457ـ حدثنا القاسم, قال: حدثنا الـحسين, قال: ثنـي حجاج, عن ابن جُرَيج لَعَلّكَ تُرْضَى قال: بـما تُعْطَى.

وكأن الذين قرأوا ذلك بـالضم, وجهوا معنى الكلام إلـى لعلّ الله يرضيك من عبـادتك إياه, وطاعتك له. والصواب من القول فـي ذلك عندي: أنهما قراءتان, قد قرأ بكل واحدة منهما علـماء من القرّاء, وهما قراءتان مستفـيضتان فـي قَرَأة الأمصار, متفقتا الـمعنى, غير مختلفتـيه وذلك أن الله تعالـى ذكره إذا أرضاه, فلا شكّ أنه يرضى, وأنه إذا رضي فقد أرضاه

الله, فكل واحدة منهما تدلّ علـى معنى الأخرى, فبأيتهما قرأ القارىء فمصيب الصواب.

الآية : 131

القول فـي تأويـل قوله تعالـى: {وَلاَ تَمُدّنّ عَيْنَيْكَ إِلَىَ مَا مَتّعْنَا بِهِ أَزْوَاجاً مّنْهُمْ زَهْرَةَ الْحَيَاةِ الدّنْيَا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ وَرِزْقُ رَبّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَىَ }.

يقول تعالـى ذكره لنبـيه مـحمد صلى الله عليه وسلم: ولا تنظر إلـى ما جعلنا لصُربـاء هؤلاء الـمعرضين عن آيات ربهم وأشكالهم, مُتْعة فـي حياتهم الدنـيا, يتـمتعون بها, من زهرة عاجل الدنـيا ونضرتها لِنَفْتِنَهُمْ فِـيهِ يقول: لنـختبرهم فـيـما متعناهم به من ذلك, ونبتلـيهم, فإن ذلك فـانٍ زائل, وغُرور وخُدَع تضمـحلّ وَرِزْقُ رَبّكَ الذي وعدك أن يرزقكه فـي الآخرة حتـى ترضى, وهو ثوابه إياه خَيْرٌ لك مـما متعناهم به من زهرة الـحياة الدنـيا. وأبْقَـى يقول: وأدوم, لأنه لانقطاع له ولا نفـاذ. وذُكر أن هذه الآية نزلت علـى رسول الله صلى الله عليه وسلم, من أجل أن رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث إلـى يهوديّ يستسلف منه طعاما, فأبى أن يُسْلفه إلاّ برهن. ذكر من قال ذلك:

18458ـ حدثنا ابن وكيع, قال: حدثنا أبـي, عن موسى بن عبـيدة, عن يزيد بن عبد الله بن قسيط, عن أبـي رافع, قال: أرسلنـي رسول الله صلى الله عليه وسلم إلـى يهودي يستسلفه, فأبى أن يعطيه إلاّ برهن, فحزن رسول الله صلى الله عليه وسلم, فأنزل الله: وَلا تَـمُدّنّ عَيَنَـيْكَ إلـى ما مَتّعْنا بِهِ أزْوَاجا مِنهُمْ زَهْرَةَ الـحَياةِ الدّنْـيا.

18459ـ حدثنا القاسم, قال: حدثنا الـحسين, قال: حدثنا مـحمد بن كثـير, عن عبد الله بن واقد, عن يعقوب بن يزيد, عن أبـي رافع, قال: نزل رسول الله صلى الله عليه وسلم ضيف, فأرسلنـي إلـي يهوديّ بـالـمدينة يستسلفه, فأتـيته, فقال: لا أسلفه إلاّ برهن, فأخبرته بذلك, فقال: «إنّـي لأَمِينٌ فِـي أهْلِ السّماءِ وفِـي أهْلِ الأرْضِ, فـاحْمِلْ دِرْعِي إلَـيْهِ» فنزلت: وَلَقَدْ آتَـيْناكَ سَبْعا مِنَ الـمَثانِـي والقُرآنَ العَظِيـم.

وقوله: وَلا تَـمُدّنّ عَيَنَـيْكَ إلـى ما مَتّعْنا بِهِ أزْوَاجا مِنْهُمْ زَهْرةَ الـحَياةِ الدّنْـيا إلـى قوله: وَالعاقِبَةُ للتّقْوَى.

ويعنـي بقوله: أزْوَاجا مِنْهُمْ رجالاً منهم أشكالاً, وبزهرة الـحياة الدنـيا: زينة الـحياة الدنـيا. كما:

18460ـ حدثنا بِشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قتادة, قوله: زَهْرَةَ الـحَياةِ الدّنْـيا: أي زينة الـحياة الدنـيا.

ونصب زهرة الـحياة الدنـيا علـى الـخروج من الهاء التـي فـي قوله به من مَتّعْنا بِهِ, كما يقال: مررت به الشريف الكريـم, فنصب الشريف الكريـم علـى فعل مررت, وكذلك قوله: إلـى ما مَتّعْنا بِهِ أزْوَاجا مِنْهُم زَهْرَةَ الـحَياةِ الدّنْـيا تنصب علـى الفعل بـمعنى: متعناهم به زهرة الـحياة الدنـيا وزينة لهم فِـيها. وذكر الفراء أن بعض بنـي فقعس أنشده:

أبَعْدَ الّذِي بـالسّفْحِ سَفْحِ كُوَاكِبِرَهِينَةَ رَمْسٍ مِنْ تُرابٍ وَجَنْدَلِ

فنصب رهينة علـى الفعل من قوله: «أبعد الذي بـالسفح», وهذا لا شكّ أنه أضعف فـي العمل نصبـا من قوله: مَتّعْنا بِهِ أزْوَاجا مِنْهُمْ لأن العامل فـي الاسم وهو رهينة, حرف خافض لا ناصب. وبنـحو الذي قلنا فـي ذلك, قال أهل التأويـل. ذكر من قال ذلك:

18461ـ حدثنا بِشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قَتادة, قوله: لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ قال: لنبتليهم فيه وَرِزْقُ رَبّكَ خَيْرٌ وأبقَى مما متّعنا به هؤلاء من هذه الدنيا.

الآية : 132

القول في تأويل قوله تعالى: {وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصّلاَةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا لاَ نَسْأَلُكَ رِزْقاً نّحْنُ نَرْزُقُكَ وَالْعَاقِبَةُ لِلتّقْوَىَ }.

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم: وأْمُرْ يا محمد أهْلَكَ بالصّلاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْها يقول: واصطبر على القيام بها, وأدائها بحدودها أنت لا نَسْئَلُكَ رِزْقا يقول: لا نسألك مالاً, بل نكلفك عملاً ببدنك, نؤتيك عليه أجرا عظيما وثوابا جزيلاً نَحْنُ نَرْزُقُكَ يقول: نحن نعطيك المال ونكسبكه, ولا نسألكه.

وقوله: والعاقبَةُ للتّقْوَى يقول: والعاقبة الصالحة من عمل كلّ عامل لأهل التقوى والحثية من الله دون من لا يخاف له عقابا, ولا يرجو له ثوابا.

وبنحو الذي قلنا في قوله وأْمُرْ أَهْلَكَ بالصّلاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْها قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

18462ـ حدثني أبو السائب, قال: حدثنا حفص بن غياث, عن هشام بن عروة, قال: كان عروة إذا رأى ما عند السلاطين دخل داره, فقال: لا تَمُدّنّ عَيْنَيْكَ إلى ما مَتّعْنا بِهِ أزْوَاجا مِنْهُمْ زَهْرَةَ الحَياةِ الدّنْيا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ وَرِزْقُ رَبّكَ خَيْرٌ وأبْقَى وأْمُرْ أَهْلَكَ بالصّلاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْها لا نَسأَلُكَ رِزْقا نَحْنُ نَرْزُقُكَ والعاقِبَةُ للتّقْوَى ثم ينادي: الصلاة الصلاة, يرحمكم الله.

حدثنا أبو كريب قال, حدثنا عثام, عن هشام بن عروة, عن أبيه, أنه كان إذا رأى شيئا من الدنيا جاء إلى أهله, فقال: الصلاة وأْمُرْ أَهْلَكَ بالصّلاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْها لا نَسأَلُكَ رِزْقا.

18463ـ حدثنا العباس بن عبد العظيم, قال: حدثنا جعفر بن عون, قال: أخبرنا هشام بن سعد, عن زيد بن أسلم, عن أبيه, قال: كان يبيت عند عمر بن الخطاب من غلمانه أنا ويرفأ, وكانت له من الليل ساعة يصليها, فإذا قلنا لا يقوم من الليل كان قياما, وكان إذا صلى من الليل ثم فرغ قرأ هذه الآية: وأْمُرْ أَهْلَكَ بالصّلاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْها... الآية.

حدثني يونس, قال: أخبرنا ابن وهب, قال: أخبرني هشام بن سعد, عن زيد بن أسلم, مثله.

الآية : 133

القول في تأويل قوله تعالى: {وَقَالُواْ لَوْلاَ يَأْتِينَا بِآيَةٍ مّن رّبّهِ أَوَلَمْ تَأْتِهِمْ بَيّنَةُ مَا فِي الصّحُفِ الأُولَىَ }.

يقول تعالى ذكره: قال هؤلاء المشركون الذين وصف صفتهم في الآيات قبل: هلا يأتينا محمد بآية من ربه, كما أتى قومه صالح بالناقة وعيسى بإحياء الموتى, وإبراء الأكمه والأبرص, يقول الله جلّ ثناؤه: أو لم يأتهم بيان ما في الكتب التي قبل هذا الكتاب من أنباء الأمم من قبلهم التي أهلكناهم لما سألوا الآيات فكفروا بها لما أتتهم كيف عجّلنا لهم العذاب, وأنزلنا بأسنا بكفرهم بها, يقول: فماذا يؤمنهم إن أتتهم الآية أن يكون حالهم حال أولئك. وبنحو الذي قلنا في ذلك, قال أهل التأويل. ذكر من قال ذلك:

18464ـ حدثني محمد بن عمرو, قال: حدثنا أبو عاصم, قال: حدثنا عيسى وحدثني الحارث, قال: حدثنا الحسن قال: حدثنا ورقاء, جميعا عن ابن أبي نجيح, عن مجاهد, قوله: أوَ لَمْ تَأْتِهِمْ بَيّنَةُ ما فِي الصّحُفِ الأُولى قال: التوارة والإنجيل.

حدثنا القاسم, قال: حدثنا الحسين قال: ثني حجاج عن ابن جريج عن مجاهد مثله.

18465ـ حدثنا بِشر, قال: حدثنا يزيد, قال: حدثنا سعيد, عن قَتادة, قوله: أوَ لَمْ تَأْتِهِمْ بَيّنَةُ ما في الصّحُفِ الأُولى الكتب التي خلت من الأمم التي يمشون في مساكنهم.

الآية : 134

القول في تأويل قوله تعالى: {وَلَوْ أَنّآ أَهْلَكْنَاهُمْ بِعَذَابٍ مّن قَبْلِهِ لَقَالُواْ رَبّنَا لَوْلآ أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولاً فَنَتّبِعَ آيَاتِكَ مِن قَبْلِ أَن نَّذِلّ وَنَخْزَىَ }.

يقول تعالى ذكره: ولو أنا أهلكنا هؤلاء المشركين الذين يكذّبون بهذا القرآن من قبل أن ننزله عليهم, ومن قبل أن نبعث داعيا يدعوهم إلى ما فرضنا عليهم فيه بعذاب ننزله بهم بكفرهم بالله, لقالوا يوم القيامة, إذ وردوا علينا, فأردنا عقابهم: ربنا هلا أرسلت إلينا رسولاً يدعونا إلى طاعتك, فنتبع آياتك يقول: فنتبع حجتك وأدلتك وما تنزله عليه من أمرك ونهيك من قبل أن نذلّ بتعذيبك إيانا ونخزى به, كما: 18466ـ حدثني الفضل بن إسحاق, قال: حدثنا أبو قتيبة سلم بن قتيبة, عن فضيل بن مرزوق, عن عطية العوفي, عن أبي سعيد الخُدريّ, عن النبيّ صلى الله عليه وسلم قال: «يَحْتَجّ عَلى اللّهِ يَوْمَ القيامَةِ ثَلاثَةٌ: الهَالِكُ فِي الفَتْرَةِ, والمَغْلُوبُ عَلى عَقْلِهِ, والصّبيّ الصّغيرُ, فَيَقُولُ المَغْلُوبُ عَلى عَقْلِه: لَمْ تَجْعَلْ لي عَقْلاً أنْتَفِع بِهِ, وَيَقُولُ الهَالِكُ فِي الفتْرَةِ: لَمْ يأْتِني رَسُولٌ وَلا نَبيّ, وَلَوْ أتانِي لَكَ رَسُولٌ أوْ نَبيّ لَكُنْتُ أطْوَعَ خَلْقِكَ لَكَ. وقرأ: لَوْلا أرْسَلْتَ إلَيْنا رَسُولاً ويَقُولُ الصّبِيّ الصّغِيرُ: كُنْتُ صَغِيرا لا أعْقِلُ» قالَ: «فَتُرْفَعُ لَهُمْ نارٌ وَيُقالُ لَهُمْ: رِدُوها» قال: «فَيرِدُها مَنْ كانَ فِي علْمِ اللّهِ أنّه سَعيدٌ, وَيَتَلَكّأ عَنْها مَنْ كانَ فِي عِلْمِ اللّهِ أنّهُ شَقِيّ, فَيَقُولُ: إيّايَ عَصَيْتُمْ, فَكَيْفَ بِرُسُلي لَوْ أتَتْكُمْ؟».

الآية : 135

القول في تأويل قوله تعالى: {قُلْ كُلّ مّتَرَبّصٌ فَتَرَبّصُواْ فَسَتَعْلَمُونَ مَنْ أَصْحَابُ الصّرَاطِ السّوِيّ وَمَنِ اهْتَدَىَ }.

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم: قل يا محمد: كلكم أيها المشركون بالله متربص يقول: منتظر لمن يكون الفلاح, وإلى ما يؤول أمري وأمركم متوقف ينتظر دوائر الزمان, فتربصوا يقول: فترقبوا وانتظروا, فستعلمون من أهل الطريق المستقيم المعتدل الذي لا اعوجاج فيه إذا جاء أمر الله وقامت القيامة, أنحن أم أنتم؟ ومن اهتدى يقول: وستعلمون حينئذٍ من المهتدي الذي هو على سنن الطريق القاصد غير الجائر عن قصده منا ومنكم. وفي «مَن» من قوله: فَسَتَعْلَمُونَ مَنْ أصحَابُ الصّراطِ السّوِيّ, والثانية من قوله: وَمَنِ اهْتَدَى وَجهان: الرفع, وترك إعمال تعلمون فيهما, كما قال جلّ ثناؤه: لنَعْلَمَ أيّ الحِزْبَيْنِ أحْصَى والنصب على إعمال تعلمون فيهما, كما قال جلّ ثناؤه: وَاللّهُ يَعْلَمُ المُفْسِدَ منَ المُصْلِحِ.